تنبيه العقلاء

إلى

دسيسة الجهلاء

(كشف حقيقة وخبايا أبو بكر الجزائري)

بقلم

فالح بن نافع المُخَلَّفِي الحَرْبِي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

وقد صح عن رسول الله صلى الله علي وسلم أنه قال: «أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وإنه لمن المعلوم المقطوع به أن الرد على أهل البدع في الدين والمفسدين فيه، وكشف أباطيلهم، وتفنيد ضلالهم، وبيان تحريفهم لرسالة من أرسله

الله وأكمل رسالته هدى ورحمة للعالمين، وتوضيح أن طريقهم هو طريق الزائغين، وأن التحذير منهم متعين في شرع الله المبين ودينه المتين ، وذلك خدمة للإسلام والمسلمين.

وإنه لمن أفضل الأعمال المقربة إلى الله ذي الجلال ورب العالمين؛ لأنه حماية للدين من التغيير والتبديل ونصيحة للمسلمين.

وقد استعنت بالله فألفت هذا الكتاب رداً على (أبو بكر جابر بن موسى الجزائري) في تفسيره: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير)، وبعض كتبه؛ فهو إمام في الضلالة وخطير في تحريف الدين، بل وتبديل الشرعة والزيغ عن الصراط المستقيم.

وقد فتن الناس به؛ لشهرته عند العوام؛ لكونه واعظاً، ولانتشار كتبه ورسائله ومقالاته ودروسه، والنشر له في الإعلام ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين».

قلت: وحفظة الدين وحماته إنما هم العلماء، وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»، وهذا هو حفظ الله للدين الذي تعهد به في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

قال أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد ابن قتيبة

الدينوري - رحمه الله - (في/ الاختلاف في اللفظ..، ص: 20): "وسيوافق قولي هذا من الناس ثلاثة :
رجلاً منقاداً سمع قوماً يقولون فقال كما قالوا، فهو لا يرعوي ولا يرجع؛ لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر.
ورجلاً تطمح به عزة الرياسة وطاعة الإخوان وحب الشهرة، فليس يرد عزته ولا يثني عنانه إلا الذي خلقه إن شاء؛ لأن في رجوعه إقراره بالغلط ، واعترافه بالجهل، وتأبى عليه الأنفة، وفي ذلك - أيضاً - تشتت جمع، وانقطاع نظام، واختلاف إخوان، عقدتهم له النِحلة، والنفوس لا تطيب بذلك، إلا من عصمه الله ونجاه.
ورجلاً مسترشداً يريد الله بعمله، لا تأخذه فيه لومة لائم، ولا تدخله من مفارقٍ وحشة، ولا تلفته عن الحق أنفة، فإلى هذا بالقول قصدنا وإياه أردنا".

وصفة القسمين الأولين من الناس هي حال الجزائري وما هو فيه.

وهذا قول لا شك في صوابه، وأنا أقول ما قاله وأريد ما أراده، نصرة للحق ونصيحة وإرشاداً لأهله وطلابه، ولولا ذلك لما ألفت هذا الكتاب؛ لأن ابن قتيبة كأنما يتكلم عن الجزائري ومن على شاكلته من الذين يذيعون الجهالات وينشرونها بين الناس ولا يرعوون أو يستمعون إلى أي صوت من أصوات الناصحين الذين يبينون الحق ويدعون إليه ويرشدون إلى العدل ويدلون عليه.

وقد سميت الكتاب: **تنبيه العقلاء إلى دسيسة الجهلاء (كشف حقيقة وخبايا أبو بكر جابر بن موسى الجزائري).**

وإليـك أخي - القـارئ الكـريم - تمهيـداً فيـه عنـاوين فصول الكتاب التقعيدية والتفصيلية وغيرها، ومواضع أخطاء المردود عليه، ومواضع الردود - أيضاً -، وهي تسعة عشـر فصـلاً، وتسـعة وسـبعون موضـعاً، وقـد أضـفت إليهـا - قبلهـا -: خمسـة عشـر موضـعاً، في بعض ما شابه فيه صـالح بن عـواد المغامسـي - في التفسـير - الجزائـري في تفسـيره في الجهـل والتخليط والتخبط والتحريـف والتبـديل والجـرأة في القول على الله وفي كتاب الله بلا علم.

وهذه عناوين الفصول إليكموها:

الفصـل الأول: الحكمـة من خلـق الإنس والجن وإرسال الرسل. (ص:).

و**الفصل الثـاني**: رفيـع مكانـة العلمـاء، وحفظهم للدين، وصيانتهم له. (ص:).

و**الفصـل الثـالث**: تقريـر فضـل العلم، وأهميتـه، وعلاقته بالعمل. (ص:).

و**الفصل الرابع**: وخطورة المعصية على العاصـين، وعظيم مفسدة الجهل. (ص:).

و**الفصـل الخـامس**: حبـوط العمـل أو رده وعـدم

قبوله إن لم يكن له دليل أو حجـة من الشـرع، وهـو البدعة.. (ص:).

و**الفصل السادس**: أعظم التحريم في القول على الله بلا علم. (ص:).

و**الفصل السابع**: لا تلـزم منـاظرة المبتدعـة أهـل التأويـل الفاسـد، كمـا يفعـل مـع المخطئ المتـأول. (ص:).

و**الفصل الثامن**: وجـوب التحـذير من أهـل الشـر والبدع. (ص:).

و**الفصـل التاسع**: تعـيين الأشـخاص والتحـذير من أهـل الشـر والبـدع من النصـيحة وليس من الغيبـة والطعن في الناس الممنوع في الدين. (ص:).

و**الفصل العاشر**: وجوب التشديد على أهـل البـدع والتشـريد بهم؛ لشـدة ضـررهم على الـدين وسـبيل المؤمنين. (ص:).

و**الفصـــل الحـــادي عشر**: إشـــارة إلى تفســـير الجزائري وما ألفته في الرد عليه ورد بعض ضلالاته. (ص:).

و**الفصل الثاني عشر**: ما ينبغي اتباعه في تفسير كتاب الله العزيز. (ص:).

و**الفصل الثالث عشر**: الأسباب التي ساعدت على رواج تفسير الجزائري وخديعة الناس به. (ص:).

و**الفصل الرابع عشر**: عدم انتهاج المؤلف لطريقة أهل العلم في التفسير. (ص:).

و**الفصل الخامس عشر**: بعض بدع ودسائس وبقائع وبلايا صالح بن عواد المغامسي - في التفسير -، التي شابه فيها الجزائري في تفسيره، وناسب أن أذكرها هنا في الرد على الجزائري، وهي ثلاثة عشر موضعاً، كما تقدم. (ص:).

و**الفصل السادس عشر**: بعض ما يحويه تفسير الجزائري من مآخذ خطيرة, وبلايا كبيرة وانحرافات وأخطاء وضلالات وتخريفات, وتصحيفات وتحريفات، وزيادة ونقص في الآيات. (ص:).

و**الفصل السابع عشر**: ما حشَّاه المؤلف على الطبعة الثالثة: 1410هـ بحاشية سماها: "نهر الخير"، تعليق على بعض ما في الحاشية: في **تسعة مواضع** ملحقة بمواضع التفسير. (ص:).

و**الفصل الثامن عشر**: تأييد الشيخ ابن باز لفضيحة أمثال الجزائري. (ص:).

و**الفصل التاسع عشر**: ذكر قاعدة نافعه في ما: إذا وضح الحق وبان لم يبق للمعارضة العلمية ولا العملية محل. (ص:).

وتحت **الفصل الخامس عشر**: الخمسة عشر موضعاً في ما وافق المغامسي فيه الجزائري.

وإليكم الإشارة إلى عناوين مواضعها:

الموضع الأول: نسبة المغامسي خطيئة امرأة العزيز إلى النبي (يوسف) عليه الصلاة والسلام. (ص:).

و**الموضع الثاني**: ابتداع المغامسي في الدعاء في فهم بعض آيات القرآن **-** بزعمه **-** على طريقة باطنية الصوفية، بل التشريع مع الله؛ لأن ذلك لا يدل له القرآن ولا يفهم منه، وإنما هو من عنده، وإن شئت فقل إنه تلاعب بالقرآن. (ص:).

و**الموضع الثالث**: من قَبِيْل ما تقدم - عن المغامسي - في الدعاء... إلخ. (ص:).

و**الموضع الرابع**: من طامات المغامسي في ما عُرَض له في فديو بالصوت والصورة فانتشر وذاع وشاع. (ص:).

و**الموضـع** الخا**مس**: شـذوذ المغامسـي عن أهـل العلم في أن: (طـه) اسـم للنـبي محمـد صـلى اللـه عليه وسلم. (ص:).

الموضع السادس: مخالفة المغامسـي للمحققين، وجماهير العلماء، وموافقته لليهود في ما حرفوه في كتبهم**:** أن الذبيح إنما هـو إسـحاق، وليس إسـماعيل عليهما الصلاة والسلام. (ص:).

و**الموضع السابع**: الاجتماع - عنـد المغامسـي - مـع الشـرك أهم من إنكـاره والافـتراق مـع التوحيد**.**

و**الموضع الثامن**: خرافة عقلية **-** عنـد المغامسـي **-** بخصـوص أن الـدجال هـو سـامري بـني إسـرائيل، نسـبها إلى النظـر الخـاص بـه وتأملاتـه في القـرآن، فقـال: "أقول الـدجال غيب ولا يمكن أن يقطـع بهـذا التأمل، لكن التأمل هذا يدل على أن هناك حظـاً من النظر والتأمل في القرآن؛ فهو غير مقبـول، لكنـه لا يستبعد"!!. (ص:).

و**الموضع التاسع**: ادعـــاء المغامســـي أن عـــذاب الكافرين في القبر متقطع وهـو مـا لم يقـل بـه أحـد من أهل العلم. (ص:).

و**الموضـع العاشر**: طعن المغامسـي في أبينـا آدم واستخفافه به: أنه اتبـع اغـراء زوجـه حـواء بالأكل من الشـجرة، والافـتراء على أمنـا حـواء بـذلك، وأن اللـه عاقبهـا بـالحيض، ويلـزم منـه معاقبة بناتها بغـير ذنب إلى قيـام السـاعة، وأن الله يعاقب بغير ذنب ، وأسطورة: أن الشيطان دخل الجنة في خياشيم الحية. (ص:).

الموضع الحادي عشر: قول المغامسي قولاً قبيحاً وقحاً - لم يقله أحد ولا يسوغ قوله لأحد - عن نبي الله لوط علي الصلاة والسلام، وهو أنه عرض بناته على الذين جاءوا إليه يهرعون بدون زواج؟!!، أي: بالزنا، ورجح ذلك - جازماً به؟!! - .

ولو قيل عن أحد من آحاد الناس فضـلاً عن أن يقـال عن نبي كـريم لمجـه واستبشـعه العقلاء وعـدوه من فساد الذوق وخوارم المروءة ورقة الدين.

الموضع الثاني عشر: نفى المغامسي أن يكون كيـد النساء عظيماً كما جاء في القرآن والسنة , وأن القـول به غير صحيح، وإنما هو مجرد دعوى غير صحيحة.

الموضع الثالث عشر: ادعاء المغامسي أن منسأة سليمان ليست العصا، مع اعترافه أن المفسرين جميعاً يفسرونها بالعصا، بحجة أن موسى عليه الصلاة والسلام راعي غنم، وسليمان عليه

الصلاة والسلام ملك، وتناسى أن سليمان عليه السلام ملك نبي وما من نبي إلا رعى الغنم.

الموضع الرابع عشر: مخالفته للعلماء وشذوذه عنهم في تعيين) اسم الله الأعظم، وقوله لم يقل به أحد، وهو دليل قاطع على بطلانه.

الموضع الخامس عشر: دعوى المغامسي أن الشعراوي أتى بفريدة من فرائد العلم؛ فانفرد بتفسيره لما ورد في الحديث القدسي: «إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به»، والشعراوي لم ينفرد به لقوله في تفسيره : "**قالوا**"، وهو قطعي في نقله عن غيره. (ص:).

ونكتفي بهذا القدر من ما عند المغامسي من الانحرافات الخطيرة في التفسير وقد شابه فيها الجزائري في تفسيره.

ويأتي تحت **الفصل السادس عشر** تسعة وسبعون موضعاً من أخطاء الجزائري في تفسيره، تسعة مواضع منها في الحاشية:"نهر الخير" معنونة بـ (**الفصل السابع عشر**).

ونشير هنا إلى **المواضع** وعناوينها في بعض أخطاء الجزائري في تفسيره:

الموضع الأول: مخالفته لعقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان. (ص:).

و**الموضع الثاني**: مخالفته لعقيدة أهل السنة والجماعة - أيضاً - في الأسماء والصفات. (ص:).

و**الموضع الثالث**: تأويله لصفة الرحمة بالإنعام والجنة، خلاف معتقد أهل السنة والجماعة؛ فهي صفة ثبوتية على حقيقتها كما في كتاب الله وسنة نبيه. (ص:).

و**الموضع الرابع**: تأويله: لـ صفة الوجه الثابتة لله على حقيقتها في الكتاب والسنة؛ فقد أولها: بلفظ الجلالة: الله أو الذات، خلاف معتقد أهل السنة والجماعة. (ص:).

و**الموضع الخامس**: تأويل صفة اليد: بـ القوة، وهي ثابتة لله - تعالى - بالكتاب والسنة، وتأويله لها خلاف معتقد أهل السنة والجماعة. (ص:).

و**الموضع السادس**: عقيدته في الإيمان بالقدر هو ما كان عليه القدرية المجبرة!!، وهو خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة. (ص:).

و**الموضع السابع**: تكفيره بكبائر الذنوب التي لا تخرج من الملة عند أهل السنة والجماعة. (ص:).

و**الموضع الثامن**: نسبته مقالة امرأة العزيز إلى نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام خلاف تبرئته

من تلـك المقالـة وهـو مـا جـرى عليـه المحققـون المتقدمون والمتأخرون من أهل العلم. (ص:).

و**الموضع التاسع**: دعواه أن يوسـف عليـه الصـلاة والسلام قد تزوج امـرأة العزيـز - كمـا تقـدم - الـتي ابتلته هي وصاحباتها، ويصر عليه!!. (ص:).

و**الموضـع العاشر**: ضـلاله في قولـه عن نـبي اللـه يوسف عليه الصلاة والسلام إن الشيطان أنساه ذكر اللـه، وإنه التفت بقلبه إلى غير الله، وإن اللـه عاقبـه على ذلـك بالسجن، اعتماداً على خبر لا يصح!!. (ص:).

و**الموضع الحادي عشر**: قـول الجزائـري عن ذي القـــرنين المســـلم: "إنـــه الإســـكندر بـــاني الإسكندرية..وكان عبداً صـالحاً "، وبـاني الإسـكندرية المقدوني كافر يعبد الأوثان!!. (ص:).

و**الموضــع الثــاني عشر**: ادعــاؤه المشــروعية وجعلها ديناً بلا دليل أو حجة شرعية. (ص:).

و**الموضع الثالث عشر**: ادعاؤه المشروعية - أيضاً - بلا دليــل - كالموضــع الــذي قبلــه - في قولــه: "مشروعية ولاية العهد"!!. (ص:).

و**الموضع الرابع عشر**: تسـميته لنـبي اللـه نـوح عليـه الصـلاة والسـلام بغـير اسـمه في القـرآن؛ إذ سماه: "عبد الغفار"!!، ولا يجـوز العـدول عن اسـمه

الذي ذكره الله به وناداه بـه وكـرره في كتابـه، وقـد تكون تلك التسمية متلقاة عن بني إسرائل. (ص:).

و**الموضع الخامس عشر**: شـذوذه عن أهـل العلم بتفسير باطل، وهو تفسيره قول الله - تعالى -: "لَا يَفْقَهُـــونَ، أي: لا يعرفـــون أســـرار القتـــال ونتائجه .."!!، ونفي الفقه عن القوم يتعلـق بفقـدهم عقيدة الإيمان والإخلاص والاحتسـاب، وتوفرهـا لـدى المؤمنين. (ص:).

و**الموضـع السـادس عشر**: ضـلاله المـبين في قولـه: "لا يقبـل الظن في العقائـد"!!، على طريقـة أهـل البـدع العقلانـيين خلاف منهج أهـل السـنة والجماعة. (ص:).

و**الموضـــع الســـابع عشر**: خطلـــه في قولـــه: "الربـانيون هنـا العبـاد والمربـون كمشـايخ التصـوف عندنا"!!، وهذا عنده هو؛ لأنه شيخ صوفي مبتدع، أما عند أهل السنة فلا وحاشا وكلا. (ص:).

و**الموضـع الثـامن عشر**: خطـؤه في قولـه عن الظلم: "وهو غير جائز عليه لغناه"؟!!:أي: على اللـه - تعـالى - أراد بـه مـدح الـرب - سـبحانه وتعـالى - وتنزيهـه عنـه، وهـو ليس مـدحاً في الحقيقـة؛ وليس صحيحاً أن الظلم لا يجـوز عليـه، ولـو لم يكن الظلم جائزاً عليـه لمـا حرمـه على نفسـه ونزههـا عنـه، ولا

يظلم - جل وعلا - لعدله؛ فخطؤه من وجهين: زعمه أن الظلم غير جائز على الله، وهو جائز عليه، وأن الله لايظلم لغناه، وهو لا يظلم لعدله، وليس لغناه. (ص:).

و**الموضع التاسع عشر**: خطؤه في وصفه للإستحباب بالجواز، والقُرَب لا توصف بالجواز، وإنما توصف بالمفروض أو الفروض أو الفرض أو الوجوب أو الواجب، أو المستحب أو الاستحباب أو المندوب أو الندب. (ص:).

و**الموضع العشرون**: زعم المؤلف أن الذي عنده علم من الكتاب سليمان عليه الصلاة والسلام قولاً واحداً!!، ولم يذكر غيره خلاف ما أورده جميع المفسرين من أنه آصف بن برخيا من الإنس، وقد قال في كشف الستار..: عن آصف: "أحد علماء الجن"!!، وهو قول لم يقله أحد. (ص:).

و**الموضع الحادي والعشرون**: زعمه أن السماوات مرفوعة بأعمدة من الجاذبية غير مرئية!!، وأن في لفظ الآية إشارة إليه، وليس الأمر كذلك، بل تحكم ولا دليل له عليه، ولم يسبق إليه، ولا يصح أن توصف الجاذبية بالأعمدة، والراجح ما أغفله، وهو أنه لا عمد لها، وليس في الآية إشارة إليه. (ص:).

و**الموضع الثاني والعشرون**: وقوعه في الإسفاف في قوله: "وجوب دعاء الدعي المتبنى بأبيه إن عرف ولو كان حماراً"!!، وقد وقع في خطأٍ آخر وهو قوله: "أو العمومة". (ص:).

و**الموضع الثالث والعشرون**: أخطأ في تفسيره للقرب في الآية الكريمة بالقدرة والأخذ والعطاء والعلم بما يسر ويظهر، والصواب أنه قرب الملائكة. (ص:).

و**الموضع الرابع والعشرون**: عدم تنبيهه إلى ما يغفل عن التنبيه إليه كثير من المفسرين، وهو ما يحسن التنبيه إليه، وهو (القديم)، بل قد يذكرونه في أسماء الله - تعالى - وليس فيها، وليس عليه فيه من مأخذ، لكن يناسب بيانه هنا؛ لإيراده للآية. (ص:).

و**الموضع الخامس والعشرون**: أجمل المؤلف - هنا - ولم يبين معية الله - تعالى - وفق معتقد أهل السنة والجماعة. (ص**:**)**.**

و**الموضع السادس والعشرون**: لم يصب في قوله: "ينظرون إلى الكفار وهم في النار"!!، بل ينظرون إلى ربهم - سبحانه -. (ص:).

و**الموضع السابع والعشرون**: في تفسيره لهـذه الآية الكريمة عدة أخطاء، تم بيانها. (ص:).

و**الموضع الثامن والعشرون**: دعـواه الاسـتحباب بلا دليل شرعي - كما تقدم -. (ص:).

و**الموضـــع التاســـع والعشـــرون**: خطـــؤه في تفسـيره للقِوَامـة في قولـه: "تقريـر مبـدأ القيوميـة للرجـال على النســاء"، فلا يقــال: القيوميــة، وإنمــا يقال: القِوَامة. (ص:).

و**الموضع الثلاثون**: تفسيره لما في الآية الكريمة من قوله **-** تعالى **-**: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ فيه قصور بين، والواضح من المعنى: الذي يقول محمد ويدعونا إليه من قول لا إله إلا الله، شـيء يريـده منـا يطلب به الاستعلاء علينـا وأن نكـون لـه فيـه أتباعـاً، ولسـنا مجيبيه إلى ذلك. (ص:).

و**الموضـــع الحـــادي والثلاثـــون**: أمـــره بالأخـــذ بالعزائم بكـل حـال، ونهيـه عن الـرخص إلا في حـال الضرورة!!، وهـو خلاف مـا جـاءت بـه الشـريعة من الأخذ بالرخص عنـد المشـقة مطلقـاً وبـدون تعليقهـا بالضرورة، وكلامه يعني الاستمرار بالأخذ بالعزائم!!، مع وجود المشقة في غير حال الضـرورة، وقـد عـبر بـالترغيب، والتعبـير في هـذه الحـال بـالترغيب غـير صحيح؛ فهو لا يدري ولا يدري أنه لا يدري. (ص:).

و**الموضع الثـاني والثلاثـون**: يخلـط بين الآيـات ويفسرها وهو يريد غيرها. (ص:).

و**الموضع الثالث والثلاثون**: ادعاؤه للباطـل، بمـا يلـزم منـه أن النـبي صـلى عليـه وسـلم بـدوي!!، واستقلاليته عن العلماء، ومخالفته لهم، وتخبطـه في التفسير. (ص:).

و**الموضع الرابع والثلاثون**: رميه للنبي صلى الله عليه وسلم بالعجز، وسلبه عنه القدرة على ما يريده صلى الله عليه وسلم لو أراده!!، يريد به مدحه، وهو في حقيقته ذم له وليس مدحاً!!. (ص:).

و**الموضع الخامس والثلاثون**: تفسيره: ﴿حَصُـورًا ﴾، في حق نبي الله يحيى عليه الصـلاة والسـلام بــ: "من لارغبة له في النساء لقلة مائه"!!، وهـو تنقيص له وإلصاق للنقص **به** صلى الله عليه وسلم!!. (ص:).

و**الموضع السادس والثلاثون**: ادعـاؤه - بـاطلاً - عقم مــريم البتــول بنت عمــران أم عيســى عليــه الصلاة والسلام، وهو كذب عليها وبهتان لها. (ص:).

و**الموضع السابع والثلاثون**: تخليطـه في تحديـد الفجــر الصــادق المنــوط بــه حكم صــلاة الصــبح والإمساك في الصيام. (ص:).

و**الموضــع الثــامن والثلاثــون**: من تخبطــه في تفسيره: في ادعائــه للمشــروعية بلا دليــل، ووصــفه الله - تعالى - بالعرش!!. (ص:).

و**الموضع التاسع والثلاثون**: من بعض تحريفاتــه للقرآن الكريم. (ص:).

و**الموضع الأربعون**: من أمثال تحريفاته - السابقة - للقرآن. (ص:).

و**الموضع الحادي والأربعون**: مـا زعمـه تفسـيراً لحقيقة القرب المذكور في القرآن الكريم وهو ليس كذلك. (ص:).

و**الموضع الثاني والأربعون**: حصر فائدة النجــوم في الاهتــداء بهــا غــير ســليم، بــل فيــه قصــور بين. (ص:).

و**الموضع الثالث والأربعون**: ما زعمه من إقامــة الأدلة والبراهين على وجود الله، ليس من منهج أهل السنة والجماعة. (ص:).

و**الموضع الرابــع والأربعــون**: احتجاجــه على أن موســى عليــه الصــلاة والســلام قضــى أوفى الأجلين بكــون الأنبيــاء أوفيــاء - وهم كــذلك - ولكن لا يكفي، وزعمــه المشــروعية لا دليــل عليــه، وكــذا جزمــه أن صهر موسى هو شعيب. (ص:).

و**الموضـع الخـامس والأربعـون**: قولـه: "والعـرض التلفازي اليوم يسهل على المرء إدراك كيفية عرض اللـه - تعـالى - الموجـودات أمـام الملائكـة"، غـير مستقيم ولا حاجة بالمؤمنين إليه. (ص:).

و**الموضع السادس والأربعون**: تفسيره ينظرون بـالنظر إلى الكفـار، باطـل ومخـالف لمعتقـد أهـل السـنة والجماعـة، بـل ينظـرون إلى ربهم - سـبحانه وتعـالى - وقولـه: "إذ البث التلفزيـوني اليـوم قطـع العجب وأبطله"، ليس صحيحاً، وسبق رده. (ص:).

و**الموضع السابع والأربعون**: لم يبين عقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين للباري - سبحانه وتعالى - في هذه الآية وأمثالها. (ص:).

و**الموضع الثامن والأربعون**: لم يـذكر علـو الله**،** الـذي يـدل لـه قولـه **-** تعـالى **-**: ﴿وَهُـوَ الْقَـاهِرُ فَـوْقَ عِبَادِهِ﴾، وكان عليه أن يذكره. (ص:).

و**الموضع التاسع والأربعون**: إطلاقه وجوب اتباع العلماء، وكأنهم يشرعون مع اللـه، وهـذا باطـال بين البطلان. (ص:).

و**الموضـع الخمسـون**: إجمالـه في أن المعصـية كفر؛ فـإن ثمـة فرقـاً بين المعصـية إذا أطلقت وبين الكفر الأكبر، وما قيل فيه أنـه كفـر دون الكفـر، أي: من المعاصـي يجب أن يـبين، ونحن بينـاه بقـرائن

أخرى تدل على أنه يقصد الكفـر الأكـبر؛ فهـو تكفـير بالمعاصي. (ص:).

و**الموضع الحادي والخمسون**: خطـؤه في عـدم التعبير بالإيمان بالبعث بـدلاً من: عقيـدة البعث، كمـا جرى عليه أهل السنة والجماعة. (ص:).

و**الموضـع الثـاني والخمسـون**: ذهابـه إلى غـير الراجح في النجم، وسجود النجم والشجر، في قولـه - تعلى -: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ . (ص:).

و**الموضـــع الثـــالث والخمســـون**: خلطـــه في استنباطه بين مأخذ إثبات السمع والبصر لله - تعالى - من قوله في الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ السَّـمِيعُ الْبَصِـيرُ﴾. (ص:).

و**الموضع الرابع والخمسون**: عـدم إيفائـه - كمـا ينبغي - بمـا يـدل لـه اسـم اللـه - تعـالى -: (الصمد). (ص:).

و**الموضـع الخـامس والخمسـون**: خطـؤه في تعليله في قوله عن المشركين: "إقـرارهم بـأن اللـه رب السماوات ورب الخلـق عنـدما يسـألون لم يكن عن يقين؛ إذ لـو كـانوا على يقين لمـا أنكـروا توحيـد الله وكفروا به"!!. (ص:).

و**الموضـع السـادس والخمسـون**: تخليطـه في تفسير أصحاب اليمين وأصـحاب الشـمال بـالأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينية. (ص:).

و**الموضع السابع والخمسون**: تخبطه في قولـه: "ربـط الطـائرات النفاثـة في الحظـائر والمـدرعات، وإعدادها للقتال في سبيل الله حلَّ محل ربط الجياد من الخيل في سبيل الله"!!، وهذا يلغي ما أخـبر بـه النبي صلى الله عليه وسلم من أن الخيـل تبقى أداة جهاد وحرب باستمرار إلى قيام الساعة. (ص:).

و**الموضع الثامن والخمسون**: لم يفسر الآية بما تقتضيه من معنى خاص، وما تدل له من علـو اللـه - تعالى -. (ص:)

و**الموضـــع التاســـع والخمسون**: خطـــؤه في التفريـق بين الـذكر عنـد ركـوب السـفينة وركـوب الدابة. (ص:).

و**الموضع الستون**: أبعد النُّجْعَـةَ، ولم يفسـر الآيـة كما فسرها أهل العلم، واحتمل تفسيره معنى باطلاً يخالف معتقد أهل السنة والجماعة. (ص:).

و**الموضع الحادي والستون**: نسبته إلى رسـول اللـه صـلى عليـه وسـلم مـا لم يقلـه، وهـو قولـه: "مشروعية قول: بلى، وأنا على ذلـك من الشـاهدين

بعد قراءة سـورة والـتين؛ إذ كـان النـبي صـلى اللـه عليه وسلم يقول ذلك". (ص:).

و**الموضع الثاني والستون**: إجمالـه في تفسـيره للآيــة الكريمــة: ﴿لَيْسَ الْبِـرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُـوهَكُمْ قِبَـلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، بـ"مراقبـة اللـه والنظـر إليـه"، وهو خطأ بين، ومعـنى باطـل؛ يـوهم أن العابـد يـرى اللـه - تعـالى - عِيَانـاً أثنـاء عباتـه، وهــو على خلاف معتقــد أهــل الســنة والجماعــة، وخلاف الــدليل من السنة، وما فسرها به المفسرون. (ص:).

و**الموضع الثالث والسـتون**: تقريـره من قولـه - تعــالى - : ﴿وَقَــوْمَ نُــوحٍ مِنْ قَبْــلُ إِنَّهُمْ كَـانُوا قَوْمــاً فَاسِقِينَ﴾، خلاف ما قرره القرآن وما فهمه منه أهل السنة والجماعة. (ص:).

و**الموضــع الرابــع والســتون**: قولــه في الآيــة الكريمة:َ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾، عن الإفك ما لم يسـبقه أحـد من المفسـرين إلى القـول به، وقد فهم كلام العلمـاء من المفسـرين على غـير وجهه. (ص:).

و**الموضع الخامس والستون**: قوله: "مشــروعية اللجوء إلى الله"!!، تعبير غير سليم، كما كـان كثـيراً مـا يعـبر بالمشـروعية تعبـيراً غـير شـرعي، وخلطـه

الحديث الوارد في غير الكـرب بالحـديث الـوارد في الكرب. (ص:).

و**الموضع السادس والستون**: قوله: "المرتد عن الإسلام يحبط عمله فلو راجـع الإسـلام لا يثـاب على ما فعله قبل الردة"!!، باطل، وقد بسطنا القـول في بيانه بما لا مزيد عليه. (ص:).

و**الموضــع الســابع والســتون**: قولــه: "الكفــر الجحود لله.."!!، بهذا الإطلاق والحصـر غـير صـحيح، بل هـو باطـل وخلاف معتقـد أهـل السـنة والجماعة. (ص:).

و**الموضع الثامن والستون**: قوله: "المـوت خـير للعبد من الحياة"!!، غير صحيح؛ لأنه مخـالف للـدليل من السنة. (ص:).

و**الموضع التاسع والستون**: حصـره بـدء الخلـق وإعادته في الإنسان والحيوان!!، وذلك غـير صـحيح. (ص:).

و**الموضـع السـبعون**: تـرك المبـاح أو فعلـه في شريعتنا بالاختيار، وبدون تحـريم أو كراهـة أو إيجـاب أو استحباب، ولكنه خالف ذلك فقال: "إن تركـه للـه تقرباً إليه وتوسلاً لقضـاء حاجتـه، كشـفاء من مـرض مثلاً"؟!!. (ص:).

و**الموضـع الحـادي والسـبعون**: مخالفتـه لأهـل السـنة والجماعـة في زيـادة الإيمـان ونقصـانه، وتشكيكه في إجماعهم وأدلتهم. (ص:).

و**الموضـع الثـاني والسـبعون**: فهم من قولـه - تعالى -: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ الآيتين، ما يدل على جهله وتخبطه، وقد كشفناه وبيناه. (ص:).

و**الموضع الثالث والسبعون**: جهل وتخبط - أيضاً -. (ص:).

و**الموضع الرابع والسـبعون**: استخفافه بالإمـام البخاري، وكذبه عليه خمس كذبات!!. (ص:).

و**الموضـع الخـامس والسـبعون**: خطـؤه في قوله:"لا يقـال يـا خليفـة اللـه إلا لرسـوله"!!، بـل لا يقال خليفة عن الله مطلقاً. (ص:).

و**الموضع السادس والسبعون**: آزر أبـو إبـراهيم عليه الصلاة والسلام بالنص لا كما قال تفسيراً للآيـة الكريمة!!، وقد بيناه. (ص:).

و**الموضع السابع والسـبعون**: أخطـأ بقولـه عن دعـوة زكريـا: "المـراد من الإرث هـو: إرثـه في دعوته"، وإنما المراد إرث النبوة. (ص:).

و**الموضـع الثـامن والسـبعون**: ذكـر أثـراً عن مجاهد من قولـه ولا يعلم إلا من طريـق الـوحي ولم يحققـه، وكـان عليـه أن يـبين حالـه ولا يـترك الكلام على عواهنه. (ص:).

و**الموضع التاسع والسبعون**: جـدول التغيـير في آيات كتاب الله: بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والتحريف والتصحيف، وهو ستون موضعاً. (ص:).

وتأتي الآن **الفصول**، ثم بعدها **المواضع**.

الفصل الأول.

الحكمة من خلق الإنس والجن وإرسال الرسل:

لقد اقتضت حكمة الله - جل جلاله - خلق المكلفين من خلقه: إنساً وجناً ليعبدوه، فهو القائل - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وبعث أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام إليهم لبشارتهم بالإسلام والتوحيد والإيمان ونذارتهم عن الشرك والكفران، فقال - تعالى -: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾.

وقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا

أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾, وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾, وقال:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾, وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

والله - تعالى - هو الذي يعلم ما يصلح عباده دون سواه، وقد قال - تعالى -:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، وقال:﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا .﴾

وكان إرساله صلى الله عليه وسلم إلى الأمتين المخصوصتين بالتكليف: الإنس والجن بين يدي الساعة على حين فترة من الرسل رحمة بهم وإكراماً لهم، وقد قال - تعالى - عنه:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وقال:﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، وقال:﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وقال:﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وأرسل الله هذا الرسول الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل عليهم الصلاة والسلام والبشرية - العرب والعجم، بل والجن - سادرون في ظلمات ظلماء وجاهليات جهلاء وضلالات عمياء، لا يعرفون إلى الهدى سبيلاً، ولا إلى النور طريقاً؛ فجاءهم بالهدى والضياء، وأخرجهم من ديجور الظلماء، وختم به الرسل والأنبياء، وكان الأنبياء والرسل يبعثون إلى أقوامهم خاصة وهو بعث إلى الناس عامة، بل إلى الثقلين: الإنس والجن كافة، ولأنه آخر الرسل فقد تممت رسالته الرسالات وكملتها، وهي أكملهاوأفضلها.

ولله - تعالى - المنة العظيمة بإرسال هذا الرسول وإتمام النعمة وإكمال الدين، الذي رضيه للمسلمين، فأنزل على نبيه في حجة الوداع في يوم عرفة قوله - تعالى -:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

وقال - تعالى -: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: «..إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب،

وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك».

وقال صلى الله عليه وسلم - فيما صح عنه -: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»، وقال: «أنا نبي الرحمة»، وفي لفظ: «أنا نبي المرحمة»، وقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق», وفي رواية: «صالح الأعمال».

وكانت بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وإنزال الوحي والكتب عليهم؛ لتمييز الحق من الباطل وتبيين طريق الهداية من طريق الغواية، وليكون المكلفون على بصيرة من دين الله الحق وقيام الحجة الرسالية عليهم، وقد قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾، وقد أنزل الله كتابه وحفظه من التحريف والتبديل، فقال:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وكذلك السنة فهي مبينة للقرآن، قال - تعالى -:﴿ وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ففي السنة بيان القرآن وفيها من الرسالة وأحكامها ما ليس في القرآن.

الفصل الثاني.

رفيع مكانة العلماء، وحفظهم للدين، وصيانتهم له:

وقد جعل الله لحفظ الكتاب والسنة أسباباً، ومن تلك الأسباب ما صح فيه الخبر عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أنه قال: «يحمل هـذا العلم من كـل خلـف عدولـه ينفـون عنـه تحريـف الغـالين وانتحـال المبطلين وتأويل الجاهلين».

قال الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - رحمه اللـه - (في أول تهـذيب الأسـماء واللغـات: القسـم الأول ص: 17) عن هـذا الحـديث: "هـذا إخبـار منـه صلى اللـه عليـه وسـلم بصـيانة هـذا العلم, وحفظـه وعدالة ناقليه، وأن الله - تعالى - يوفـق لـه في كـل عصـر خلفـاً من العـدول يحملونـه، وينفـون عنـه التحريف فلا يضيع, وهذا تصـريح بعدالـة حامليـه في كل عصر, وهكذا وقع - ولله الحمد - وهـو من أعلام النبوة, ولا يضر كون بعض الفسـاق يعـرف شـيئاً من علم الحديث, فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العـدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف شيئاً منه".

وقال شيخ الإسـلام الإمـام أحمـد بن عبـد الحليم بن عبـد السـلام ابن تيميـة - رحمـه اللـه - (كمـا في مجمـوع الفتـاوى: 1/2) عن نبينـا صـلى اللـه عليـه وسـلم: "وختمهم بمحمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم أفضـل الأولين والآخـرين، وصـفوة رب العـالمين: الشاهد البشير النـذير الهـادي السـراج المنـير الـذي أخـرج بـه النـاس من الظلمـات إلى النـور، وهـداهم ﴿إِلَى صِـرَاطِ الْعَزِيـزِ الْحَمِيـدِ ۝ اللَّهِ الَّذِي لَـهُ مَـا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ

شَدِيدٍ﴾، بعثه بأفضل المناهج والشِّرَع، وأحبط به أصناف الكفر والبدع، وأنزل عليه أفضل الكتب والأنباء، وجعله مهيمناً على ما بين يديه من كتب السماء.

وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله، هو شهيد عليهم، وهم شهداء على الناس في الدنيا والآخرة؛ بما أسبغه عليهم من النعم الباطنة والظاهرة، وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة؛ إذ لم يبق بعده نبي يبين ما بدل من الرسالة، وأكمل لهم دينهم وأتم عليهم نعمه ورضي لهم الإسلام ديناً، وأظهره على الدين كله إظهاراً بالنصرة والتمكين، وإظهاراً بالحجة والتبيين، وجعل فيهم علماءهم ورثة الأنبياء، يقومون مقامهم في تبليغ ما أنزل من الكتاب، وطائفة منصورة لا يزالون ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى حين الحساب.

وحفظ لهم الذكر الذي أنزله من الكتاب المكنون كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فلا يقع في كتابهم من التحريف والتبديل كما وقع من أصحاب التوراة والإنجيل.

وخصهم بالرواية والإسناد الذي يميز به بين الصدق والكذب الجهابذة النقاد، وجعل هذا الميراث يحمله

من كل خلف عدوله: أهل العلم والدين؛ ينفـون عنـه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجـاهلين؛ لتدوم بهم النعمة على الأمـة، ويظهـر بهم النـور من الظلمة، ويحيي بهم دين الله الذي بعث بـه رسـوله، وبين الله بهم للنـاس سـبيله، فأفضـل الخلـق أتبعهم لهذا النبي الكريم المنعوت في قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مِنْ أَنْفُسِـكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْـهِ مَـا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾".

وقال (كمـا في المجمـوع - أيضـاً -: 3/20): "وهـذا الـدين لا يُنسـخ أبـداً، لكن يكـون فيـه من يُـدخل من التحريف والتبـديل والكـذب والكتمـان، مـا يلبس بـه الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيـه من تقـوم بـه الحجـة خلفـاً عن الرسـل، فينفـون عنـه تحريـف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجـاهلين؛ فيحـق الله الحق ويبطل الباطل، ولو كره المشركون".

وقـال - أيضـاً - (كمـا في المجمـوع: 1/10) عن الأصول التي حفظ اللـه بهـا الـدين، وعن قيـام أهـل العلم بالمـأثور بـذلك: "وأهـل العلم المـأثور عن الرسول صلى الله عليه وسـلم أعظم النـاس قيامـاً بهذه الأصول، لا تأخذ أحدهم في الله لومـة لائم، ولا يصدهم عن سـبيل اللـه العظـائم؛ بـل يتكلم أحـدهم بالحق الذي عليه، ويتكلم في أحب الناس إليه، عملاً بقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا كُونُـوا قَـوَّامِينَ

بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، وقوله - تعالى -:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ولهم من التعديل والتجريح، والتضعيف والتصحيح من السعي المشكور والعمل المبرور ما كان من أسباب حفظ الدين، وصيانته عن إحداث المفترين".

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - رحمه الله - (في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: 1/111): "أخبر أن الغالين محرفون ما جاء به, والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه, والجاهلون يتأولونه على غير تأويله, وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة؛ فلولا أن الله - تعالى - يقيم لدينه من ينفي عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله".

وقال العلامة حسن بن صديق حسن خان - رحمه الله - (في الروض البسام ص: 35) عن الحديث: "فيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية، وتعظيم لهذه الأمة المحمدية، وبيان لجلالة قدر المحدثين، وعلو مرتبتهم في العالمين؛ لأنهم يحمون

مشـــارع الشــريعة، ومتــون الروايــات من تحريــف الغالين، وتأويل الجاهلين، بنقـل النصـوص المحكمـة لرد المتشابه إليها".

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشـــيخ (في مصـــباح الظلام ص: 380): "أمـــا حـديث: «يحمـل هـذا العلم من كـل خلـف عدوله»، فقــد ثبت وصــح عن أحمــد وغــيره من الأئمــة: أن المــراد بــه علم الحــديث المشــتمل على الكتــاب وتفســـيره وتقريـــر الأحكـــام الدينيـــة الأصـــولية والفروعية".

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - (في الضياء اللامع ص: 11): "الحمد لله الذي أرسل الرســل مبشــرين ومنــذرين، وأنــزل معهم الكتــاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط ويتحقـق العـدل بين المخلوقين، وجعـل لهم خلفـاء يخلفـونهم في أممهم علماً وعملاً؛ ليكونوا قدوة للعالمين ومناراً للسـالكين وشهداء على العـالمين، وهـؤلاء الخلفـاء هم العلمـاء الربــانيون الــذين اكتســبوا العلم ابتغــاء وجــه ربهم، وربوا به الأمة علماً وعملاً فكانوا هداة مهتدين".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (في الفرقان بين أوليــاء الرحمن وأولياء الشيطان ص: 76): "وأمـا إن أضـاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفـتراة أو تأول النصوص بخلاف مراد الله، ونحو ذلـك؛ فهـذا من

نوع التبديل فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشــرع المؤول والشرع المبدل..".

الفصل الثالث.

تقرير فضل العلم، وأهميته، وعلاقته بالعمل:

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمــه اللــه -: "العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيتـه" قـالوا: كيـف ذلــك؟ قــال: "ينــوي رفــع الجهــل عن نفســه وعن غيره"! .

وقال الإمام الحسن البصري - رحمه الله -: "أدركت قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يقولون: من عمل بغيرِ علمٍ كان ما يفسده أكثرَ ممـا يصلحه".

وقال: "رأيت أقواماً من أصحاب رسـول اللــه صـلى الله عليه وسلم يقولون: من عمل بغير علم كان مــا يفسده أكثر مما يصلحه، والعامل بغير علم كالســائر على غـــير طريـــق، فـــاطلبوا العلم طلبـــاً لا يضـــر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم".

الصحابة رضي اللــه عنهم هم شـهودنا وحفظـة ديننـا حــتى وصــل إلينــا ويصــل إلى من بعــدنا إلى قيــام الساعة.

وقال الخليفة الراشد المسدد عمر بن عبـد العزيـز - رحمــه اللــه -: "من عمــل في غــير علمٍ، كــان مــا يُفسده أكثر ممّا يُصلحه".

وقال شيخ الإسلام الإمـام محمـد بن عبـد الوهـاب - رحمه الله - (كمـا في/ الـدرر السـنية: 2/21): "وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين هي: باتباع المرسلين؛ فمن المعلـوم: أن أحـق النـاس بـذلك أعلمهم بآثـار المرسـلين، وأتبعهم لـذلك؛ فالعـالمون بـأقوالهم وأفعـالهم المتبعـون لهـا هم أهـل السـعادة في كـل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة".

وفي شريعة الله النهي عن القول في الدين بلا علم، وتحريمه - بنصـوص الكتـاب والسـنة، وعليـه إجمـاع الأمة - تحريماً قطعياً، بل هو أعظم المحرمات، قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، وقولـه: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾, وقولـه عن أهل الكتاب: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، وقولـه: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

الفصل الرابع.

خطـورة المعصـية على العاصـين، وعظيم مفسـدة الجهل:

ففي الصـحيحين - واللفظ لمسـلم - عن أبى سـعيد الخدرى رضي الله عنه أن نبي الله صـلى اللـه عليـه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتـل تسـعة وتسـعين نفسـاً فسـأل عن أعلم أهل الأرض فَـدُل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقـال: لا. فقتله فكمل به مئـة، ثم سـأل عن أعلم أهل الأرض فـدل على رجـل عـالم فقال: إنه قتل مئة نفس فهـل لـه من توبـة؟ فقـال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة»، الحديث.

وفي صحيح مسلم - باب النهي عن تقنيـط الإنسـان من رحمـة اللـه - عن أبي ذر الغفـاري جنـدب بن جنادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم حدث: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان وأن الله - تعالى - قـال: من ذا الـذي يتـألى علَيَّ أن لا أغفـر لفلان، فـإني قـد غفـرت لفلان وأحبطت عملك»، في قصة طويلة فيها تفصـيل عنـد أبي داود في سننه.

وثبت من حـديث جـابر بن عبـد اللـه وعبـد اللـه بن عبـاس رضـي اللـه عنهم: أن رجلاً كـان في سـفر

فأصــابه حجــر فشــجه في رأســه ثم احتلم فســأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا مـا نجــد لــك رخصــة وأنت تقــدر على المــاء، فاغتســل فمات، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وســلم أُخبر بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا ســألوا إذ لم يعلموا ؟ فإنما شفاء العِي السؤال».

وقال صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه -: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعــاً، ينتزعــه من العبــاد، ولكن يقبض العلم بقبض العلمــاء، حــتى إذا لم يُبــق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسـئلوا فـأفتوا بغـير علم فضــلوا وأضــلوا», وفي روايــة عنــد البخــاري: «حتى إذا لم يَبْق عالم».

وبعد: فإن الآيات المتقدمة تدل على أن القــول على اللــه بلا علم أكــبر الكبــائر وأفحش الفــواحش، وأن الذي لا يقف عند حدود علمه مسئول ومحاســب عن ذلك وعن الأوزار والجرائم الــتي يرتكبهــا ويجترحهــا، وعن إضلال من يضلهم، وأن ميثاق الله على الخلــق أن لا يقولوا عليه إلا الحق وأن لا يغلوا في دينهم.

وفي دلالة الأحاديث المتقدمة - أيضاً -:

الأول: يدل على فداحة خسارة من أفتى بغـير علم فَقَنَّط مسـتفتيه من رحمـة اللـه، وتسـبب في قتـل نفسه.

والثـاني: يـدل على مبلـغ الضـرر والجنايـة على النفس بالمتـأَلِّى على اللـه؛ فقـد تسـبب في إنهـاء حياته وحبوط عمله؛ واستوجب من الله - بتَأَلِّيه عليه - النار فدخلها.

والثالث: يدل على عظيم مظلمة ومضرة من أفتـوا بغير علم ولم يسألوا عن الحكم الشـرعي؛ فتسـببوا بمـوت نفس فكـانوا كمن قتلهـا، ولـذلك قـال النـبي صلى الله عليه وسلم: «قتلوه»، ودعا عليهم بقولـه: «قتلهم الله»، وهـذا حاصـل لكـل من فعـل مثـل فعلهم، وإذا كان رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم قاله في حق الصحابة فقد تكون عقوبـة من عـداهم أشد وأنكى.

والرابع: دال على أن سـبب نجـاة الأمـة إنمـا يكمن في فتـاوى العلمـاء بـالعلم الشـرعي، وسـؤالهم عن الدين والاقتداء بهم، وتلك هي البصيرة في الدين.

وأن سبب ضلال الأمة وانحرافها وزيغهـا عن صـراط الله المستقيم، وهلاكهـا إنمـا هـو في ذهـاب العلمـاء الربـانيين بمـوتهم - الـذين يـبينون لهم الهـدى ويرشدونهم إليه وينهونهم عن الضلال وينبهونهم إلى

ضرره وخطره ويحـذرونهم منـه -، والرجـوع بعـدهم إلى الجهـال وسـؤالهم وتبعيتهم في مـا يتعلـق في الدين والأخذ بفتاويهم؛ لأنهم على غـير سـبيل سـوي ويفتون بغير علم.

وأن القول على الله بغير علم هو أكبر الإجرام ، وقد جعله الله أعلى مرتبة في الذنب.

الفصل الخامس.

حبوط العمل أو رده وعدم قبوله إن لم يكن لـه دليل أو حجة من الشرع، وهو البدعة:

والـذي يعتقـد ويتـدين ويعمـل بلا دليـل أو حجـة من الشرع، أو سؤال العلماء عن حكم مـا يعتقـد ويـدين الله به من شرعه، فإنـه خاسـر وآثم وعملـه مـردود عليه؛ لقول اللـه - تعـالى -: ﴿وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِـعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِـبَةٌ ۝ تَصْـلَى نَـارًا حَامِيَـةً ۝ تُسْـقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَـةٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَـامٌ إِلا مِنْ ضَـرِيعٍ ۝ لا يُسْـمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُـوعٍ﴾، وقـال - تعـالى -: ﴿قُـلْ هَـلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَـرِينَ أَعْمَـالًا ۝ الَّذِينَ ضَـلَّ سَـعْيُهُمْ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

وقول رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم - في مـا رواه البخاري ومسلم -: «من عمـل عملاً ليس عليـه أمرنا فهـو رد»، وفي روايـة عنـدهما - أيضـاً -: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهـو رد»، واللفـظ

لمسلم، ولفظ البخاري: «..ما ليس فيه ..» قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية (في الجواب الصحيح: 4/294): "وقد اتفق أهل الملل على أن القول على الله بغير علم حرام, والله - سبحانه - نهاهم أن يقولوا على الله إلا الحق؛ فكان هذا نهياً أن يقولوا الباطل, سواء علموا أنه باطل أو لم يعلموا؛ فإنهم إن لم يعلموا أنه باطل فلم يعلموا أنه حق - أيضاً -؛ إذ الباطل يمتنع أن يُعلم أنه حق، وإن اعتقد معتقد اعتقاداً فاسداً أنه حق فذلك ليس بعلم, فلا تقولوا على الله ما لا تعلمون, وإن علموا أنه باطل فهو أجدر أن لا يقولوه".

الفصل السادس.

أعظم التحريم في القول على الله بلا علم:

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزبة (كما في التفسير القيم ص: 38) عن أهل الضلال، عند قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: "فهم لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائي السراب الذي يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ما هو إليه،ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان، كما هو

حال من أمَّ السراب فلم يجده ماءاً، بل انضـاف إلى ذلك: أنه وجد عنده أحكم الحاكمين وأعدل العــادلين - سـبحانه وتعـالى -فحسـب لـه مـا عنـده من العلم والعمل فوفاه إياه بمثاقيل الذر، وقدم إلى مـا عمـل من عمل يرجو نفعه فجعله هبـاءاً منثـوراً؛ إذ لم يكن خالصاً لوجهه، ولا على سنة رسوله صلى اللـه عليـه وسـلم، وصـارت تلـك الشـبهات الباطلـة الـتي كـان يظنهـا علومـاً نافعـة كـذلك هبـاءاً منثـوراً، فصـارت أعماله وعلومه حسرات عليه".

وقـال - أيضـاً - (ص: 386) إن منهم: "من يظن أنـه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كـان يظنـه، وهـذه حـال أهـل الجهـل وأهـل البـدع والأهـواء الـذين يظنـون أنهم على هـدى وعلم، فـإذا انكشــفت الحقــائق تــبين لهم أنهم لم يكونــوا على شـيء، وأن عقائـدهم وأعمـالهم الـتي تـرتبت عليهـا كانت كسراب بقيعة، يُـرَى في عين النـاظر مـاءاً ولا حقيقة له، وهكذا الأعمال التي لغـير اللـه وعلى غـير أمره يحسبها العامل نافعة له وليست كذلك".

وقال (في إعلام الموقعين: 1/38): "وقد حرم الله - سبحانه - القول عليـه بغـير علم في الفتيـا والقضـاء وجعله من أعظم المحرمات, بـل جعلـه في المرتبـة العليـا منهـا فقـال - تعـالى -: ﴿قُـلْ إِنَّمَـا حَـرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَـا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْـرِ

الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾, فرتَّب المحرمات أربع مراتب, وبدأ بأسهلها وهو الفواحش, ثم ثنَّى بما هو أشد تحريماً منه, وهو الإثم والظلم, ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منهما, وهو الشرك به - سبحانه -, ثم ربع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله, وهو القول عليه بلا علم, وهذا يعم القول عليه - سبحانه - بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله, وفي دينه وشرعه, وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾, فتقدم إليهم - سبحانه - بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه, وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام, ولما لم يحله هذا حلال, وهذا بيان منه - سبحانه - أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله - سبحانه - أحله وحرمه, وقال بعض السلف: ليتق أحدكم أن يقول أحل الله كذا وحرم كذا, فيقول الله له: كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا, فلا ينبغي أن يقول لما لا يعلم ورود الوحي المبين بتحليله وتحريمه أحله الله وحرمه الله لمجرد التقليد أو بالتأويل".

وقال (في مدارج السالكين: 1/372): "وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات تحريماً,

وأعظمها إثماً, ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان ولا تباح بحال, بل لا تكون إلا محرمة, وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال؛ فإن المحرمات نوعان:

محرم لذاته لا يباح بحال, ومحرم تحريماً عارضاً في وقت دون وقت, قال الله - تعالى - في المحرم لذاته: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾, ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه, فقال: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾, ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه, فقال: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثماً؛ فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما لا يليق به, وتغيير دينه وتبديله, ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه, وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله, فليس في أجناس المحرمات أعظم - عند الله - منه, ولا أشد إثماً, وهو أصل الشرك والكفر, وعليه أسست البدع والضلالات؛ فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم".

وقال سماحة شيخنا الإمـام عبـد العزيـز بن عبداللـه بن باز - رحمه الله - (في مجمـوع فتـاواه: 3/219): "ومن أعظم الجرائم الفتوى بغير علم، فكم ضل بها من ضـل، وهلـك بهـا من هلـك ولا سـيما إذا كـانت الفتوى معلنة على رؤوس الأشهاد، وممن قد يغتر به بعض النـاس؛ فـإن الخطـر بـذلك عظيم، والعـواقب وخيمة، وعلى المفتي بغير علم مثـل آثـام من تبعـه، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: «من أفتي بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه»، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـال: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعـه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

وقد أبان الله - سبحانه وتعالى - خطر الفتوى بغـير علم، وحـذر عبـاده منهـا، وبين أنهـا من خطـوات الشـيطان، قـال - تعـالى -:]قُـلْ إِنَّمَـا حَـرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَـا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْـرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَـزِّلْ بِـهِ سُـلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ[.

وقال - تعالى -:]يَـا أَيُّهَـا النَّاسُ كُلُـوا مِمَّا فِي الْأَرْض حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّـيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَـدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَـا يَـأْمُرُكُمْ بِالسُّـوءِ وَالْفَحْشَـاءِ وَأَنْ تَقُولُـوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ[".

الفصل السابع.

لا تلزم مناظرة المبتدعة أهل التأويل الفاسد، كما يفعل مع المخطئ المتأول:

فقد قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - (كما في مجموع مؤلفاته) مبيناً عدم لزوم مناظرة المبتدعة أهل التأويل الفاسد: "إن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق، كما يفعلون مع المخطئ المتأول، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، وإلا أُعرض عنه إن لم يُقْدَر عليه، كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا؛فإنه - سبحانه - لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قيلهم أبدى لهم شيئاً من حكمته فتابوا، وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله صلى الله عليه وسلم..فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم فوجدت عليه الأنصار عاتبهم واعتذروا وقبل عذرهم، وبين لهم شيئاً من الحكمة.

ولما قال ذلك الرجل العابد: (اعدل) قال له كلاماً غليظاً، واستأذنه بعض الصحابة في قتله ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذر ذكره، ولما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل رد عليهم ما أخذ منهم ووداهم، ولا نعلم أنه عاتب خالداً، ولا منعه ذلك من تأميره على الناس".

الفصل الثامن.

وجوب التحذير من أهل الشر والبدع:

يتعين بيان حال أهل البدع والضلال وخطورة ضلالهم وفسـادهم والتحـذير منهم، ولقـد بين العلمـاء ذلـك أوفى بيان وأتمه، ومنهم: شـيخ الإسـلام ابن تيميـة - رحمه الله -: (في إبطال وحـدة الوجـود ص: 118)، فقـد قـال: "فلـولا أن أصـحاب هـذا القـول كـثروا وظهروا وانتشروا، وهم عند كثير من الناس سـادات الأنام ومشايخ الإسلام وأهـل التوحيـد والتحقيـق..لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هـذه الأحـوال، وإيضـاح هذا الضلال، ولكن يعلم أن الضلال لا حد له، وأنه إذا ضلت العقول لم يبق لضلالها حد معقول".

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام هو أوجب الـواجب؛ وإلا فإنه يتعين إنكار ورد كل ما هـو مخـالف لشـرع اللـه ودينه ويجب بيانه للنـاس، وفي كلامـه الـذي سـيأتي وفي غيره المزيد.

وتأليفي لهذا الكتاب ذو علاقة وصلة وثيقـة بمـا قالـه شـيخ الإسـلام وبمـا سـبق: وذلـك خوفـاً من معـرة الكتمان، وقياماً بواجب النصيحة والبيـان الـذي يجب لقمع أي ضـلالة والإنكـار على أصـحابها, قـال اللـه - تعالى -: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾, وقـال - تعـالى -:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَـا أَنْزَلْنَـا مِنَ الْبَيِّنَـاتِ وَالْهُـدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُـونَ إِلَّا الَّذِينَ تَـابُوا وَأَصْـلَحُوا وَبَيَّنُـوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يسـتطع فبلسـانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان».

وقال: «من سئل عن علم علمه ثم كتمـه ألجم يـوم القيامة بلجام من نار».

ومما قيل في كون العلم أمانة وفي ضرر كتمانه:

العلم في شرع الإله أمانة كتمـانه يفضـــــي إلى الآثام

وقيل - أيضاً - في حفظ الأمانة:

أرعى الأمانة لا أخون أمانتي إن الخؤون على الطريق الأنكب

وشـيخ الإسـلام ابن تيميـة - رحمـه اللـه - (كمـا في مجموع الفتاوى: 28/130) بعد أن تطـرق إلى جـواز ذكر الشخص أو حاله وذلك من باب النصـيحة، قـال: "كمـا قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «الـدين النصيحة، الدين النصيحة»، قالوا لمن يا رسول الله؟ قـال: «للـه ولكتابـه، ولرسـوله، ولأئمـة المسـلمين، وعامتهم».

وقد قالوا لعمر بن الخطـاب في أهـل الشـورى: أمِّر فلاناً وفلاناً، فجعل يذكر في حق كل واحد من الستة - وهم أفضل الأمة - أمراً جعله مانعاً له من تعيينه.

وإذا كان النصح واجبـاً في المصـالح الدينيـة الخاصـة والعامــة: مثــل نقلــة الحــديث الــذين يغلطــون أو يكـذبون، كمـا قـال يحـيى بن سـعيد: سـألت مالكـاً والثــوري والليث بن ســعد - أظنــه - والأوزاعي عن الرجل يتهم في الحـديث أو لا يحفـظ؟ فقـالوا: (بين أمره).

وقـال بعضـهم لأحمـد بن حنبـل: إنـه يثقـل عليّ أن أقول فلان كـذا، وفلان كـذا. فقـال: (إذا سـكت أنت وســكت أنــا فمــتى يعــرف الجاهــل الصــحيح من السقيم؟!).

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتـاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتـاب والسـنة؛ فـإن بيــان حــالهم وتحــذير الأمــة منهم واجب باتفــاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجـل يصـوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البــدع؟ فقال: (إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل)؛ فــبين أن نفــع هــذا عــام للمســلمين في دينهم من جنس الجهاد في سـبيل اللـه؛ إذ تطهـير سـبيل اللـه ودينه ومنهاجه وشرعته ودفـع بغي هـؤلاء وعـدوانهم

على ذلـك واجب على الكفايـة باتفـاق المسـلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هـؤلاء لفسـد الـدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحـرب؛ **فإن هـؤلاء إذا اسـتولوا لم يفسـدوا القلـوب ومـا فيهـا من الـدين إلا تبعـاً، وأمـا أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءاً"**.

يقـول الإمـام ابن القيم (في زاد المعـاد: 3/18) في معـرض ذكـر الفوائـد المسـتنبطة من غـزوة تبـوك: "ومنها جواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطـاعن حميـة أو ذبـاً عن اللـه ورسـوله، ومن هـذا طعن أهل الحديث فيمن طعنوا فيه من الرواة، ومن هذا طعن ورثة الأنبياء وأهل السنة في أهـل الأهـواء والبدع لله لا لحظوظهم وأغراضهم".

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ - رحمه الله - (كما في/ عيـون الرسـائل..: 1/441): "التساهل في رد الباطل وقمـع الـداعي إليـه يـترتب عليه قلع أصول الدين وتمكين أعداء اللـه من الملـة والدين".

وقـال في رسـالته إلى الشـيخ أبي بكـر مبينـاً سـبب تصريح والده باسمه (كما في/ الدرر السـنية: 12/36 6): "وأمـا كـون شـيخنا الوالـد صـرّح باسـمك في الريـاض فهـو منـه اهتمـام بـالواجب الشـرعي، فـإن الرجـل إذا خيـف أن يفتن بـه الجهـال، ومن لا تميـيز

عندهم في نقد أقاويل الرجال؛ فحينئـذ يتعين الإعلان بالإنكار، والدعوة إلى الله في السر والجهار، ليعرف الباطـل فيجتنب، وتهجـر مواقـع التهم والـريب، ولـو طالعت كتب الجرح والتعديل، وما قاله أئمة التحقيق والتأصيل، في من اتهم بشيء يقدح فيه أو يحط من رتبـة مـا يحـدث بـه ويرويـه لـرأيت من ذلـك عجبـاً، ولعرفت أن سعي الشيخ محمود قولاً وسبباً".

وقال الشـيخان العلامـة محمـد بن عبـد اللطيـف آل الشــيخ، والعلامــة محمــد بن إبــراهيم آل الشــيخ - رحمهمـا اللـه - (كمـا في/ الـدرر السـنية: 13/53): "ولم يــزل أهــل العلم يــبينون غلطــات من غلــط ويردونها، حتى إن بعضهم يرد ذلك ولو بعد توبــة من حدث عنه، خوفاً أن يغتر بتلك المقالة; كما رد موفق الــدين ابن قدامــة الحنبلي غلطـات أبي الوفـاء ابن عقيل بعدما تاب منها ".

وألزم ما يكون البيان حين تكون المخالفة دعوة إلى بدعة؛ فقد قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة (في/ منهـاج السنة: 5/146): "إذا كان المتكلم داعيـاً إلى بدعتـه؛ فهذا يجب بيان أمـره للنـاس، فـإن دفـع شـره عنهم من دفع شر قاطع الطريق".

قال العلامة ابن الوزير - رحمه الله - (في/ العواصم والقواصـم: 1/223): "ولـو أن العلمـاء تركـوا الـذب

عن الحق خوفاً من كلام الخلـق، لكـانوا قـد أضـاعوا كثيراً وخافوا حقيراً".

قلت: وهذا الأمر، أى: البيـان والتحـذير قـد يتسـبب في غربـة العـالم السـني؛ بـل وصـاحب السـنة؛ فلا ينبغي أن يكـترث بـذلك - أبـداً - ويصـبر كمـا صـبر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسـلام على الغربـة والأذى، قـال الإمـام ابن القيم - رحمـه اللـه - (في/ مدارج السالكين: 3/195): "أهل الإسلام في النـاس غربـاء، والمؤمنـون في أهـل الإسـلام غربـاء، وأهـل العلم في المؤمـنين غربـاء، وأهـل السـنة الـذين يميزونها من الأهواء والبدع هم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربـة؛ ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً، فلا غربة عليهم، وإنمـا غربتهم بين الأكـثرين الـذين قـال اللـه - عـز وجـل - فيهم: ﴿وَإِنْ تُطِـعْ أَكْثَـرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِـلُّوكَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ﴾، فألئـك هم الغربـاء من اللـه ورسـوله، وغربتهم هي الغربة الموحشة".

الفصل التاسع.

تعيين الأشخاص والتحذير من أهل الشر والبدع من النصيحة وليس من الغيبة والطعن في الناس الممنوع في الدين:

ونحن نبين أن ذلك من النصيحة، وقدوة المؤمنين

فيها الأنبياء - وهم الناصحون بحق وأمانة وصدق -، وفيها ما ذكره الله من قول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

وما ذكره من قول هود عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

وما قاله محمد صلى الله عليه وسلم - كما في حديث أبي تميم الداري في صحيح مسلم -: «الدين النصيحة», قلنا لمن, قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»؛ فجعل النصيحة الدين كله، مما يدل على عظيم منزلتها من الدين، وفي غير صحيح مسلم أكدها بالتكرار ثلاثاً.

قال الشوكاني - رحمه الله - (في/ أدب الطلب ..ص: 106)، بعد أن أنكر على بعض أهل الفتنة من أهل البدع الذي يؤلف بالباطل ويروج في تأليفه للفساد، ويلقن الحجج والمطاعن على الشرع لأهل الشر والتعصب للباطل، ونشر الفساد: "وإنما التصنيف الذي يستحق أن يقال له تصنيف، والتأليف الذي ينبغي لأهل العلم الذين أخذ الله عليهم ميثاقه، وأقام لهم على وجوبه عليهم برهانه، هو أن ينصروا فيه الحق، ويخذلوا به الباطل، ويهدموا بحججه أركان البدع، ويقطعوا به حبائل التعصب، ويوضحوا فيه للناس ما نزل إليهم من البينات والهدى، ويبالغوا

في إرشاد العباد إلى الإنصـاف، ويحببـوا إلى قلـوبهم العمل بالكتـاب والسـنة، وينفـروهم من اتبـاع محض الرأي، وزائف المقال، وكاسد الاجتهاد.
ولا يمنعهم من ذلك ما يخيله لهم الشـيطان ويسـوله من أن هذا التصنيف لا ينفق عنـد المقلـدة، أو يكـون سبباً لجلب فتنة، أو نـزول مضـرة، أو ذهـاب جـاهٍ أو مالٍ أو رئاسـة؛ فـإن اللـه ناصـر دينـه، ومتمم نـوره، وحافظ شرعه، ومؤيد من يؤيده، وجاعل لأهل الحق ودعـاة الشـرع والقـائمين بالحجـة سـلطاناً وأنصـاراً وأتباعـاً، وإن كـانوا في أرض قـد انغمس أهلهـا في موجات البدع وتكسعوا في متراكم الضلال".
قلت: والـذي يتعين قولـه بعـد هـذا الـذي سـبق من التهيئة - ولابد من تقريره -: إن الجزائري قـد تحمـل حملاً ثقيلاً بمـــا بث في كلامـــه من شـــوارد وأوابـــد وشطحات ومجازفات وفساد وشر مسـتطير، وصـار بـذلك إمـام ضـلالة، بـل من الأئمـة المفسـدين في أصل الملة والدين، وذلك في كتاب اللـه - فضـلاً عن مسائل ضلاله في غـيره - بـدعوى تفسـيره وإيضـاح تعبيره والتأملات فيه, الذي نشر من خلاله الأباطيـل، وهو الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وضلال الجزائري ودسائسه فاقت الحدود ونافت على المعدود, وقد جعلها سنناً، وهي سنن ليست

حسنة، بل سيئة في حياته وبعد مماته، وهو من المظهرين في الأرض الفساد والناشرين الزور بين العباد، عامله الله بعدله وما يستحقه في الدنيا وفي المعاد.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - في ما رواه مسلم في صحيحه -: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

وهو من الذين قال فيهم أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في مقدمة تفسيره:(تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان)، كما نقله ابن عساكر (في/ تبيين كذب المفتري ص: 138): "اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه، ولولا أنه استغوى بكتابه كثيراً من العوام واستنزل به عن الحق كثيراً من الطغام لم يكن لتشاغلي به وجه".

وقوله هذا الذي هو غاية في الصواب، وقول شيخ الإسلام ابن تيمية من قبل هو قولي وهو الذي دعاني إلى الرد والنقض على الجزائري، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم في صحيحه -: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده

فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، وتقدم ويأتي.

وفي صحيح مسلم - أيضاً - قال صلى الله عليه وسلم: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»، ويأتي.

قال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - (في مصباح الظلام ص: 437)، في معرض رده لضلالات عثمان الناصري، في كتابه: (كشف الغمه): "وقوف المؤمن العارف بدين الله على هذه الضلالات والجهالات المركبة، فيه تنبيه له على نعمة الله عليه، وحث له على شكر نعمة الإيمان والإسلام والفهم عن الله".

وقال الإمام ابن القيم (في/ مفتاح دار السعادة: 1/2 71): "وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله؛ لأن به قِوام الإسلام، كما أن قِوامه بالجهاد؛ فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: **جهاد باليد والسنان**، وهذا المشارك فيه كثير.

والثاني: **الجهاد بالحجة والبيان**، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته وشدة مؤونته وكثرة أعدائه، قال - تعالى - في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين، وجهاد المنافقين - أيضاً -؛ فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾, ومعلوم أن جهاد المنافقين كان بالحجة والقرآن".

وقال (في/ الفروسية ص: 156): "ولما كان الجلاد بالسيف والسنان، والجدال بالحجة والبرهان كالأخوين الشقيقين والقرينين المتصاحبين؛ كانت أحكام كل واحد منهما شبيهة بأحكام الآخر, ومستفادة منه.

فالإصابة في الرمي والنضال كالإصابة في الحجة والمقال والطعن والتبطيل نظير إقامة الحجة وإبطال حجة الخصم، والدخول والخروج نظير الإيراد والاحتراز منه، وجواب الخصم والقِرْن عند دخوله عليك كجواب الخصم عما يورده عليك؛ فالفروسية

فروسيتان: فروسية العلم والبيان, وفروسية الرمي والطعان.

ولما كان أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم أكمل الخلق في الفروسيتين؛ فتحوا القلوب بالحجة والبرهان, والبلاد بالسيف والسنان.

وما الناس إلا هؤلاء الفريقان, ومن عداهما؛ فإن لم يكن ردءاً وعوناً لهما, فهو كَلٌ على نوع الإنسان.

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - رسوله بجدال الكفار والمنافقين، وجلاد أعدائه المشاقين والمحاربين؛ فَعِلْمُ الجدال والجلاد من أهم العلوم وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد، ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء، والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين، وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما".

قلت: ولبعضهم:

ومداد ما تجري به أقلامهم   أزكى وأفضل مـــن دم الشهداء

وقال ابن القيم - أيضاً - (في/ إعلام الموقعين: 2/1 55): "ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه هو وأصحابه **رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقلُّ الناس ديناً والله المستعان**.

وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء؟، الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجَدَّ واجتهد واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون، وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل". وقال أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب - رحمه الله - (في/ الحكم الجديرة بالإذاعة ص: 33): "وأهل الأهواء والبدع كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افترائهم عليه، وقد جعل الله من حرم ما أحله الله وحلل ما حرمه الله مفترياً عليه الكذب، فمن قال على الله ما لا يعلم فقد افترى عليه الكذب، ومن نسب إليه ما لا يجوز نسبته إليه من تمثيل أو تعطيل، أو كذب بأقداره فقد افترى على الله الكذب .

وقد قال الله - عز وجل -: ﴿فَلْيَحْـذَرِ الَّذِينَ يُخَـالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال سفيان[بن عيينة]: (الفتنة أن يطبع الله على قلوبهم؛ فلهذا تغلظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي؛ لأن المبتدع مفتر على الله, مخالف لأمر رسوله لأجل هواه).

وكـذلك المشـايخ والعـارفون كـانوا يوصـون بقبـول الحق من كل من قـال الحـق؛ صـغيراً كـان أو كبـيراً وينقادون لقوله.

وقيل لحاتم الأصم: أنت رجل أعجمي لا تفصـح، ومـا ناظرت أحداً إلا قطعته، فبأي شـيء تغلب خصـمك؟ قـال: (بثلاث: أفـرح إذا أصـاب خصـمي، وأحـزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عن أن أقول لـه مـا يسـوؤه), فذكر ذلك للإمـام أحمـد فقـال: (مـا كـان أعقلـه من رجل!).

وقـد روي عن الإمـام أحمـد أنـه قيـل لـه: أن عبـد الوهاب الوراق ينكر كذا وكذا، فقـال: (لا نـزال بخـير ما دام فينا من ينكر).

ومن هذا الباب قول عمر لمن قال لـه اتـق اللـه يـا أمير المؤمـنين فقـال: (لا خـير فيكم إن لم تقولوهـا لنا، ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم)..فلا يزال النـاس بخير ما كان فيهم الحق وتبيين أوامر الرسول صـلى

الله عليه وسلم التي خالفها من خالفها... ولهذا مما خص الله به الأمة لحفظ دينها الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم: أن لا تجتمع على ضلالة, بخلاف الأمم السالفة".

إلى أن قال عن أهل الكتاب: "فإنهم اتبعوا زلات علمائهم, وأعرضوا عما جاءت به أنبياؤهم، حتى تبدل دينهم، و﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم، فكان كلما كان فيهم رئيس كبير معظم مطاع عند الملوك قبل منه كل ما قال، وتحمل الملوك الناس على قوله, وليس فيهم من يرد قوله، ولا يبين مخالفته للدين.

وهذه الأمة عصمها الله عن الاجتماع على ضلالة، فلا بد أن يكون فيها من يبين أمر الله ورسوله، ولو اجتهدت الملوك على جمع الأمة على خلافه لم يتم لهم أمرهم".

الفصل العاشر.

وجوب التشديد على أهل البدع والتشريد بهم؛ لشدة ضررهم على الدين وسبيل المؤمنين:

قال الإمام ابن القيم (في الفوائد ص: 201): "قاعدة جليلة، قال الله - تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ

الْآَيَـاتِ وَلِتَسْـتَبِينَ سَـبِيلُ الْمُجْـرِمِينَ﴾، وقـال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْـرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾، واللـه - تعـالى - قـد بين في كتابــه ســبيل المؤمــنين مفصــلة، وســبيل المجرمين مفصلة، وعاقبـة هـؤلاء مفصـلة، وأعمـال هؤلاء وأعمال هؤلاء، وأوليـاء هـؤلاء، وخذلانـه لهـؤلاء وتوفيقــه لهــؤلاء، والأســباب الــتي وفــق بهــا هــؤلاء والأسباب الـتي خـذل بهـا هـؤلاء، وجلّى - سـبحانه - الأمرين في كتابه وكشفهما، وأوضحهما، وبينهما غاية البيان، حـتى شـاهدتهما البصـائر كمشـاهدة الأبصـار للضياء والظلام.

فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده، والطريق الموصل إلى الهلكة..فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحداهما كما قال عمر بن الخطاب: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية)، وهذا من كمال علم عمر رضي الله عنه؛ فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه من الجاهلية، فإنها منسوبة إلى الجهل، وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل.

فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له، أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين .. ".

وقال (في/ مدارج السالكين: 1/343): "لكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف: أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية، أو نظيره، أو شر منه، أو دونه: فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومفارقة الأهواء والبدع ومن له بصيرة، وقلب حي يرى ذلك عِياناً والله المستعان".

وقال صاحب/ تنبيه الرجل العاقل: (1/3): "فإن الله - سبحانه - علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق، وتباين العقول والأخلاق، حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر، وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر.

فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ومبينين للإنسان ما يضله وما يهديه، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمرهم

بالاعتصام به حذراً من الافتراق في الدين، وحضهم عند التنازع على الرد إليه وإلى رسوله المبِين، وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العملية؛ لخفاء مدركها وخفة مسلكها وعدم إفضائها إلى بلية، وحضهم على المناظرة والمشاورة لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة حيث يقول لمن رضي دينهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾, كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة لمن عدل عن السبيل العادلة حيث يقول آمراً وناهياً لنبيه والمؤمنين؛ لبيان ما يرضاه منه ومنهم: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾, ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

فكان أئمة الإسلام ممتثلين لأمر المليك العلام، يجادلون أهل الأهواء المضلة، حتى يردوهم إلى سواء الملة، كمجادلة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج المارقين، حتى رجع كثير منهم إلى ما خرج عنه من الدين، وكمناظرة كثير من السلف الأولين لصنوف المبتدعة الماضين، ومن في قلبه ريب يخالف اليقين، حتى هدى الله من شاء من البشر، وعَلَنَ الحقُ وظهر، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر.

وكانوا يتناظرون في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام بالأدلة المرضية، والحجج القوية، حتى كان

قلَّ مجلس يجتمعون فيه إلا ظهر الصواب، ورجع راجعون إليه؛ لاستدلال المستدل بالصحيح من الدلائل، وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، كمجادلة الصديق لمن نازعه في قتال مانعي الزكاة حتى رجعوا إليه، ومناظرتهم في جمع المصحف حتى اجتمعوا عليه، ومناظرتهم في حد الشارب وجاحد التحريم، حتى هدوا إلى الصراط المستقيم.هذا وأمثاله يجل عن العد والإحصاء".

وقال الشاطبي - رحمه الله - (في/ الاعتصام): "فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريق السنة, توهم أن ما ظهر له بعقله هو الطريق القويم دون غيره, فمضى عليه فحاد بسببه عن الطريق المستقيم فهو ضال من حيث ظن أنه راكب للجادة, كالمار بالليل على الجادة وليس له دليل يهديه يوشك أن يضل عنها فيقع في متاهة, وإن كان بزعمه يتحرى قصدها, فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة, لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله, وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره، ولأن المبتدع جعل الهوى أول مطالبه, وأخذ الأدلة بالتبع".

وقال (في/ الاعتصام) - أيضاً -: "سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة

الشرعية مأخـذ الافتقـار إليهـا والتعويـل عليهـا حـتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم اعتمـدوا على آئهم، ثم جعلــوا الأدلــة الشــرعية منظــوراً فيهــا من وراء ذلك".

وقال الإمام ابن تيمية (كما في/ مجموع الفتاوى: 28 /16) إنه عند المسلمين: "المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله; واتباع الحق والقيام بالقسط قال الله - تعالى -:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾، يقال: لوى يلوي لسانه فيخبر بالكذب والإعراض أن يكتم الحق; فإن (الساكت عن الحق شيطان أخرس).

ومن مال مع صاحبه - سواء كان الحق له أو عليه - فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله، والواجب على جميعهم أن يكونوا يداً واحدة مع المحق على المبطل فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله، والمقَدَّمُ عندهم من قدَّمه الله ورسوله والمحبوب عندهم من أحبه الله ورسوله والمهان عندهم من أهانه الله ورسوله بحسب ما يرضى الله ُورسولُه لا بحسب الأهواء;

فإنه من يطع الله ورسوله فقد رشد; ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه. فهذا هو الأصل الذي عليهم اعتماده، وحينئذ فلا حاجة إلى تفرقهم وتشيعهم فإن الله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾".

وقال (كما في/ المجوع: 6/338) - أيضاً -: "والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمُبْغَض ووجد وإرادة؛ وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله؛ بل قد يصعد به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه، واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات: فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين؛ كما قال - تعالى -: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ وقال - تعالى -: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، الآية؛ إلى أن قال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وقال - تعالى -: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، الآية، وقال - تعالى -: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا

تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، وقال - تعالى - : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وقال - تعالى - في الآية الأخرى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وقال: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء؛ كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله؛ ولهذا قال - تعالى - في موضع: ﴿وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾".

وقال الشاطبي - رحمه الله - (في الاعتصام: 2/730): "..حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها، وتزينها في قلوب العوام، ومن لا علم عنده؛ فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس وهم من شياطين الإنس، فلابد من التصريح بأنهم من أهل

البدعة، والضلالة، ونسبتهم إلى الفرق إذا قـامت لـه الشـهود على أنهم منهم، كمـا اشـتهر عن عمـرو بن عبيد وغيره.

فروى عاصم الأحول؛ قال: جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه ونال منه فقلت: أبا الخطاب ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض؟، فقال: يا أحول! أولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تذكر حتى تحذر؟..

فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم؛ لأن ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم، والتنفير عنهم إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعداوة؛ ولاشك أن التفرق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدَّهم - إذا أقيم عليهم - أسهل من التفرق بين المسلمين وبين الداعين، ومن شايعهم واتبعهم، وإذا تعارض الضرران فالمرتكب أخفهما وأسهلهما، وبعض الشر أهون من جميعه: كقطع اليد المتأكلة إتلافها أسهل من إتلاف النفس، وهكذا شأن الشرع أبداً يطرح حكم الأخف وقاية من الأثقل".

والشيخ العلامة عبد الله بن محمد الفدّى - رحمه الله - في رسالة أرسلها إلى عبد الرزاق بن عبد الله فيها أمور مما ينقض الدين قال: "منها: **إنزال**

النفس في غير منزلتها في العلم والدين، وغير ذلك من مكائد العدو المضل المبين".

وفي هذه الرسالة المهمة توصيف لطرق الضلال ومتاهاته وضياع أهله وأنه يحقق مراد الشيطان عدو الله وعدو الإنسان اللدود، الذي حذرنا الله عداوته أشد التحذير فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

و هذه نصيحة ثمينة عامة - وتتوجه إلى من غرهم الجزائري خاصة - من سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -:

فقد قال سماحته: "نقص العلم يسبب وقوع المجتمع في أخطاء كثيرة. والواجب على العلماء في كل مكان بذل الدعوة وبذل النصيحة ونشر العلم بين الناس ولا سيما بين الشباب الذين يرغبون في العلم ويدعون إلى الله - عز وجل -.

وعلى طالب العلم أن يقبل العلم ويسعى إلى أن يتبصر ولا يعجل. والواجب على الشباب وعلى غيرهم ممن ليس عندهم العلم الكافي ألا يعجلوا في الأمور وأن يتفقهوا في الدين ويستمعوا لتوجيه العلماء مما يقال ويكتب حتى يكونوا على بينة، وعليهم أن يتدبروا ما يطلعون عليه أو يقال لهم أو يسمعونه في إذاعة أو غيرها، ويعرضوه على الأدلة

الشرعية، وأن يسألوا أهل العلم عما أشكل عليهم وممن يوثق فيهم،حتى يكونوا على بينة، ويتحروا أهل العلم الذين يعرفون بنشر الحق والعناية به وإقامة الأدلة عليه ويستفيدوا من علمهم.
أما الاندفاع مع الشعارات التي يروج لها فلان أو فلان أو يؤيدها فلان أو فلان فهذا لا ينبغي لعاقل، وإن كثرة الكلام والبلاغة ليست دليلا على الحق، بل الدليل على الحق هو ما قال الله - سبحانه - وما قال رسوله صلى الله عليه وسلم مع العناية بدراسة القواعد الشرعية والأسس المرعية التي دل عليها قول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهي المعيار الذي يستنبط منه ويؤخذ عن طريقه الحق عند عدم وجود النص من الكتاب أو السنة.

أما قـول فلان، ومـا أذاعتـه الإذاعـة الفلانيـة فهـذا لا ينبغي لعاقل أن يغتر به، بل ينبغي للعاقـل أن يكـون الكتـاب والسـنة والقواعـد الشـرعية هي الـتي يبـني عليها ما يختـاره ومـا يـرده. وينبغي أيضـا ألا يسـتقل بنفسـه في بعض المسـائل الـتي تخفى عليـه، بـل ينبغي أن يستفيد من إخوانه، وأن يسأل من يثـق بـه من أهـل العلم، وألا يعجـل في الأمـور حـتى يطمئن إلى أن هذا هـو الحـق، لا لأنـه قالـه فلان أو الحـاكم الفلاني أو الرئيس الفلاني أو الزعيم الفلاني".

الفصل الحادي عشر.

إشارة إلى تفسير الجزائري وما ألفته في الرد عليـه ورد بعض ضلالاته:

وبعد: فإن مما يجب فيه ما تقدم ما في: (تفسير أبي بكر جابر بن موسى الجزائري) الذي سماه: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير)، وغيره من كتبه من تحريفات خطيرة ودعاوى باطلة وفساد كبير زوره باسم الدين ونسبه إليه؛ فأساء إليه وإلى أهله، ولذلك لا يسع مسلماً - اطلع عليه - السكوت عنه وعدم بيانه وإنكاره؛ خصوصاً أنه قد بينت له؛ فقد بَينت له بعضه مهاتفة، وكتبت إليه بكثير مما في تفسيره مرتين: مرة أرسلته إليه مع ابنه عبد الرحمن, ومرة مع صهره عبد الرحمن محيي الدين, وكتبت إلى الجامعة الإسلامية أيام تدريسي فيها بملاحظات كثيرة على تفسيره أكثر من مرة، وقد كان الجزء **الثالث**، و**الرابع** مقرراً على المعاهد والدور التابعة للجامعة في مادة التفسير:

الجزء **الثالث**: على الصف **الأول** الثانوي، من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الفتح.

والجزء **الرابع**: على الصف **الثالث** المتوسط، من أول سورة يس إلى آخر سورة فصلت.

وقد دعته لجنة المناهج في الجامعة، وطلبت منه التصحيح لما لوحظ من أخطاء في السور المقررة،

والتي لاحظتها ولاحظها بعض الزملاء، وكتبنا بها إلى الجامعة - وهي قليلة مقارنة ببلاياه الكثيرة في عموم التفسير - فأبى وأنف أن يصحح تلك الأخطاء أو أن يعلن رجوعه عنها والاعتراف بخطئه فيها.

وها قد مضت سنين ولم أؤلف في الرد عليه وكشف دسائسه مكتفياً بالإجابة على أسئلة السائلين، وبما أرسلته إليه رجاء أن يثوب إلى رشده ويتوب إلى ربه وينصح لدينه وأمته فيصلحها، ويعلن ذلك ولا يكتمه, ويخاف من عقوبة الله - تعالى - الذي يقول- في تهديد شديد ووعيد أكيد ترتعد منه فرائص المؤمن، كما تقدّم - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

ولكن - للأسف - قد أخذته العزة بالإثم ولم يخف مقام ربه وينهى النفس عن الهوى، وأصر على كتم الحق - بعد أن بُيَّن له أو تبين له - واستمر على الإصرار غير آبه بفداحة وخطورة الأمر، واستعدى عليَّ - بعد نصحي له - بعض الناس, وزاد في التلبيس والمراوغة؛ فطبع رسيلة مفردة صغيرة جداً ركيكة في أسلوبها - ليست ذات شأن - يناقش فيها ما ادعى أنه رد عليه، زاعماً أنه كل الملاحظات التي

استدركت على تفسيره، مهوناً بها خطر ما لوحظ عليه، وبعضها لا يعد شيئاً، ولا يستحق الرد بجانب ما في تفسيره من بقائع وفظائع خطيرة جداً لا يجوز أن يقف ذوو العلم دون بيانها، وأغلب ظني أنها من تأليفه أو بإيعازه؛ للتغطية على ما في تفسيره من انحرافات وزيغ ومجازفات - بعد افتضاحهاوكشفها وانكشافها -، وعنوانها: (كشف الستار عما يظن أنه عار)[1]، وهي ضمن رسائله.

بل ينفي - دائماً - أنه يوجد في تفسيره أي أخطاء إلا ما يجوز أن تكون في الطباعة، مع أنه يتحملها وعليه تبعتها ولو كانت في الطباعة، وعليه تبعة عدم تصحيحها والتنبيه عليها؛ خصوصاً وأنها قد كثرت حتى صارت مسخاً للكتاب - مع ما فيه من سوء المسخ العقدي والعلمي، وفظائع جهله - وقد جدولت منها ستين خطأً في آخر موضع من هذا الكتاب وهو: (**التاسع والسبعون**).

---

[1] () إنه لليقين وليس الظن - كما يدعي تلبيساً وتدليساً -، وبعض الظن حق وليس إثماً، وبعض الظن إثم، فالله لما ذكر الظن لم يقل اجتنبوا كل الظن، ولم يقل إن كل الظن إثم، بل قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.
وأي عار فوق عار الجرأة على الدين والافتراء عليه ودس الأباطيل فيه, وتضليل المسلمين عنه بدعوى تفسير القرآن أو تيسيره أو تيسير تفسيره, بل دعوى: أنه أيسر من كل التفاسير؟!!، وهو – والله وتالله وبالله في حقيقته – أعسرها وأخطرها على الإطلاق، ناهيك أنه ينسب إلى السنة والسلفية زوراً وبهتاناً، وهنا تتضاعف خطورته وأضراره على الإسلام والمسلمين.

وزكى ذلك التفسير الأعجوبة من الأخطاء المنهجية والعقدية والعلمية: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ودافع وجادل عن الجزائري وعن تفسيره بالباطل، وذلك في رده على (الرفاعي والبوطي)، وبرأه وأخلاه من مسئوليته عن التحريفات والتصحيفات والأخطاء في كتابة الآيات، وحملها الناشرين وغيرهم!! مشككاً في وجودها، بقوله: "وقد ذكر الكاتب أشياء ادعى الحذف فيها لم أتعرض لها؛ لعدم تمكني من معرفة الصدق أو الكذب فيها، ولو صح شيء منها فإنه ينسب إلى من فعله من الناشرين وغيرهم"!!، وقد يكون العباد من الذين قال الله - تعالى - فيهم: سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ، ومفهوم كلامه أنه ليس في التفسير إلا احتمال الخطأ في الطباعة وأن المؤلف لا يتحمله، ولو كان فيه غيرها يتحمله، ولكنه لا يوجد؛ إذ إنه لو يوجد لبينه، وهذا فيه خديعة للمسلمين بهذا التفسير السيء، بل الماحق والمدمر.

والذي يتعين قوله - ولابد من تقريره هنا -: هو أن الجزائري قد تحمل حملاً ثقيلاً بما بث في تفسيره وكتبه من فساد مستطير، وصار بذلك إمام ضلالة، بل من الأئمة المفسدين في أصل الدين، وهو كتاب الله - تعالى - بدعوى تفسيره, الذي بث من خلاله

الأباطيل، وهو الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

ضلالاته ودسائسه فاقت الحدود, وقد جعلها سنناً، وهي سنن سيئة في حياته وبعد مماته، وهو من المظهرين في الأرض الفساد والناشرين الزور، عامله الله بعدله.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – في ما رواه مسلم في صحيحه -: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

هو من الذين قال فيهم أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في مقدمة تفسيره:(تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان)، كما نقله ابن عساكر (في تبيين كذب المفتري ص: 138): "اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه، ولولا أنه استغوى بكتابه كثيراً من العوام واستنزل به عن الحق كثيراً من الطغام لم يكن لتشاغلي به وجه".

وقوله هذا الذي هو غاية في الصواب، وقول شيخ الإسلام ابن تيمية من قبل هو قولي وهو الذي

دعاني إلى الرد على الجزائري، مع ما كنا ذكرناه من قبل - أيضاً -.

وقال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - (في مصباح الظلام ص: 437)، في معرض رده لضلالات عثمان الناصري، في كتابه: (كشف الغمه): "وقوف المؤمن العارف بدين الله على هذه الضلالات والجهالات المركبة، فيه تنبيه له على نعمة الله عليه، وحث له على شكر نعمة الإيمان والإسلام والفهم عن الله".

ولي في كشف جهالات وضلالات وخرافات الجزائري ستة كتب في تفسيره، وغيره:

1- حقيقـــــة الانتصـــــار برد التعدي على الدين وتفسير كلام الجبار (رد على أبو بكر جابر الجزائري في حق نبي الله يوسف في تفسيره ورد عليه فيه وفي غيره من بعض كتبه).

2- (الإكسير في تبيين جهالات أبو بكر جابر الجزائري في أيسر التفاسير), و(طليعته).

3- تنبيه الغافلين إلى خرافة الخرافيين وطعنهم في حملة العلم وحفظة الدين (رد على أبو بكر جابر الجزائري).

4- (النشر لما انطوى بجهل الجهال والهوى), (رد على عبد المحسن العباد وجداله عن الجزائري وتفسيره بالباطل).

5- صد المقال المجحف بنسبة مالا يليق بنبي الله يوسف (رد على أبي بكر جابر الجزائري)، وهو منشور في موقعي في شبكة الأثري السلفية

6- وهذا الكتاب: تنبيـه العقلاء إلى دسيسـة الجهلاء: (كشـف حقيقـة وخبايـا أبـو بكـر جـابر بن موسـى الجزائري).

وأما بعد: فإني - بعد الذي قدمته - أبدأ هـذا الكتـاب المبارك بالرد على الجزائري، والرد على عجلان في الكذبة التي اعتذر بها للجزائري ودافع عنه بهـا وبـرر له سوء اعتقاده فيها، ثم أرد على بعض ما في بعض كتب الجزائـري، وأُتبعـه بـالرد على صـالح بن عـواد المغامسي في خمسة عشر موضعاً؛ لأنه يشـبهه في الضلال والإضلال، ثم الرد على تفسير الجزائـري في تسعة وسبعين موضعاً، وفي التاسع والسبعين ستون خطـأً في كتابـة الآيـات في تفسـيره؛ أمـا الآيـات المفسرة فمطبوعـة من المصـحف الشـريف، وهـذا يحفــظ أصــل القــرآن من التحريــف، ويهــون من المشـكلة بعض الشـئ، وتقـدمت الإشـارة إلى تلـك المواضع وتأتي.

وأقول مستعيناً بالله الكريم المنان، كما قد قيل:

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم.

فالشـــطر الأول: ينطبـــق على عجلان بن محمـــد العجلان الذي حكم ببراءة (أبو بكر جابر الجزائري) -

حسبما يدعيه أبو بكر -، مع جهله بفساد معتقـده في الإيمان والأسماء والصفات والجبر والتكفير وغيرها - دون تثبت -؛ فهو لا يكاد يكون على شيء من أسس الدين الحق الـذي عليـه أهـل السـنة والجماعـة، بـل موغل في التيه والضلال والإضلال والضياع.

وحال عجلان كما قيل: "أراد أن يطب زكاماً فأحــدث جذاماً".

وكما قيل - أيضاً - في من يريد أن ينفع فينعكس مراده:

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يـــــكون عقــــوقاً

فعجلان اســتعجل فــدافع عن الجزائــري - بجهــل وحسن نية - فخدع الناس بدعوى سلامة عقيدته في الأسماء والصـفات - إحسـاناً للظن بـه -، وهـو فيهـا ضال مضـل، بـل غـارق في الضـلال والإضـلال، وقـد ظلم عجلان المدعى عليه بتكذيبـه إيـاه وتسـبب في تكذيب الجزائري له، والمدعي صادق فيمـا أثبتـه في رسالته ونسبه إليه من تأييده لها؛ لأنها وفق معتقــده في الأسماء والصفات ومترجمة لحقيقته وحاله.

وأمــا الشــطر الثــاني فينطبــق - قطعــاً - على الجزائري؛ لأنه واقع بمـا سـنبينه: من جهـل وأخطـاء وضلال وإضـلال وفسـاد معتقـد، وهـو يصـر عليـه ولا يحيد عنه قِيد شعرة إلا بمراوغة ومجرد دعاوى، وقـد قيل فيمن يكذب دعواه الدليل:

ومن يـدعِ مـا لـــــــيس فيـه كذبتـه شواهد الامتـــــحان

وقيل في من لا يقدم برهاناً على دعواه:

والـــــدعاوى مـــــا لم يقيمـــــوا عليهـــــا بينـــــــــات أبناؤها أدعياء

وقيل كذلك في من لا يرى الحق مهما كان واضحاً:

الحـــــق شمس والعيون نواظر لكنـــــها تخفى على العميـــان

وقيل - أيضاً - في عدم التباس الحق على من يبحث عنه:

الحـــــــق لا يخفى على متأمـل والبــــهت يذهب مثل برق خاطف

علماً أن مثله - في هذه البلاد - لا يجهل تلـك الأمـور العظيمة الواضحة الجليـة، ومنهـا مـا هـو معلـوم من دين الإسلام بالضرورة، وما كان كذلك فالحجة قائمة فيه أصلاً - لمن مثله لا يجهلـه في دار المسـلمين -، وقد بُين له الأمر وأقيمت عليـه الحجـة فيمـا لم يكن كذلك، ونصح له فيما الحجة فيه قائمة؛ فأبى الرجوع عنه وكابر الحق وأصر على المعتقد الفاسـد والـرأي الكاسد - كما يتضح بجلاء فيما يـأتي -، والشـيء من معدنه لا يسـتغرب؛ فالرجـل جاهـل خـالٍ من الـورع ومغرم بالشهرة وبشذوذ القول والقول على اللـه بلا علم، وتلـــك أخلاقيـــات وســـلوكيات ذوي الجهـــل

والحمق، وقد قيل في إضرار الجاهل بنفسه أشد من أعدائه:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه.

وهو قد بلغ من نفسه ودينه، ودين الإسلام وأهله - من الإفساد - ما لم يبلغه الأعداء.

وقد آن الأوان أن نأتي على المقصود، فنقول: نشر عجلان بن محمد العجلان في أحد منتديات الإنترنت ما عنوانه: "**براءة الشيخ الجزائري من رسالة عبد الله زايد**، ونصّه: "لقد كتب أحد الإخوة في هذا الملتقى بعض الإشكالات والشبهات التي وقع فيها مستنداً على رسالة للأخ عبد الله بن زايد (أبو أحمد السكندري) سمّاها: بـ (الرد الجميل لدفع ما وقع في الأسماء الحسنى من تعطيل)، ونسب إلى الشيخ أبي بكر الجزائري تقريظه لتلك الرسالة وثناءه عليها، وأحال إلى موقع عبد الله زايد على الشبكة العنكبوتية، الذي وضع تقديم الشيخ لرسالته في صفحة موقعه الرئيسية، ولمّا اطلعت على الرسالة وجدتها مخالفة لمذهب السلف الصالح في باب الأسماء والصفات، وقد طعن كاتبها بمذهب أئمة أهل السنة والجماعة كابن خزيمة، وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله تعالى -[1]،

[1] () وذلك هو عقيدة الجزائري وتلك هي حقيقته وحاله، وسنبينه فيما يأتي، بل الجزائري هو الطاعن في مذهب وعقيدة أهل السنة والجماعة حقيقة، بل الطاعن في مذهب وعقيدة من ذكرت من أئمتهم ، وغريب – جداً – جزمك بأنه لم يقرأها ولو قرأها لرفضها!!، وهو قد قرأها وتصفحها ولم يرفضها، بل أيدها واعترف بذلك في بيانه الذي نشرت أنت نصه، ويأتي

وتعجبت[1] من ذلك!، ومما نسبه إلى الشيخ أبي بكر الجزائري من موافقته وثناءه [كـذا] عليهـا!!، وظهـر لي بأن الشيخ - وفقه اللـه - لم يقرأهـا، ولـو قرأهـا لرفضها قطعاً[2]، وعندئذٍ طبعت الرسـالة، وأرسـلتها إلى الأخ الشيخ عدنان عبد العزيز خطيري، المدرس بدار الحديث المدنية، ليقوم بإيصالها إلى الشـيخ أبي بكر الجزائري ويطلعه عليها، ولمّا تفحصها الشيخ أبو بكر الجزائري قام مشكوراً بكتابة براءةٍ مما جاء في هذه الرسـالة، وتراجـع عن تقديمـه السـابق، وطلب نشر بيانه حولها، واستجابة لرغبة الشيخ، وبياناً للحق فـإني أنشـر بيانـه هنـا في الملتقى، ولعـل الإخـوة ينقلونه إلى المنتديات الأخرى، وينشره الأخ عبد الله زايد في موقعه كما نشر التقريظ السـابق مسـتجيباً لطلب الشيخ، كما أدعو الأخ عبد الله إلى اتباع منهج السلف الصالح، والرجـوع إلى الحـق، وأسـأل اللـه - عز وجل - أن يرينا وإياه الحق حقـاً ويرزقنـا اتباعـه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه..كتبه عجلان بن محمد العجلان يوم الجمعة: 10/11/1427هـ.

هذا نص بيان الشـيخ: (قـد بلغـني أن الأخ: عبـد اللـه زايد الملقب بأبي أحمد السكندري قـد صـدر موقعـه بتزكيتي لرسالته المسـماة: (الـرد الجميـل لـدفع مـا وقـع في الأسـماء الحسـنى من تعطيـل)، **والـتي تصـفحتها ولم أتفحصـها وأدقـق في ثنايـا**

قريباً.

[1] () بل العجب من تعجبك وفعلك!!.

[2] () لقد استسمنت ذا ورم، وأحسنت الظن بمن ليس أهلاً لحسن الظن، وهكذا الذي يحكم بجهل.

سطورها، وقد لوحظ عليها مـؤخراً بعض الأخطـاء، وإنـني أبـرأ إلى اللـه - تعـالى - ممـا تضـمنته هـذه الرسالة من مخالفات عقدية في الأسماء والصفات، وأبـرأ إلى اللـه أن أزكي أي كتـاب أو رسـالة فيهـا مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، أو فيهـا ذم أو اسـتنقاص من مكانـة أهـل العلم من السـلف، أو الخلف أو ترويج لعقيدة فاسدة، من تأويل أو تحريف أو تعطيل أو تمثيل، أو مذهب منحـرف باطـل، وهـذا هو مـذهبي في دعـوتي وفي جميـع كتـبي ورسـائلي والله الهادي إلى سواء السبيل.

المقر بما فيه:

أبو بكر جابر الجزائري)"

مسكين يُلَبِّس، أو لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، بل يدري عقائد أهل البدع ولا يخطئ فيها، ولايوافق أهل السنة إلا كلاماً لا حقيقة تحته!!.

قلت: وقـول عجلان: "بـراءة الشـيخ الجزائـري"!! يـرده اعترافـه بتصـفحها واطلاعـه عليهـا وتقريظـه لها؟!!، وكما قيل: "الاعتراف سيد الأدلة" وهذا الذي نفـاه خلاف واقعـه؛ فهـو معطـل في الأسـماء والصفات، وضال فيهـا وفي غيرهـا، وأبعـد مـا يكـون من البراءة وكل ما ذكره مقلوب مذهبه، وكلامه هذا حجة عليه، وخصوصاً قوله: "هـذا هـو مـذهبي..الخ"؛ لأنـه أحـال على مليء في مذهبـه: فبلايـاه كلهـا في كتبه، وكما قيـل في المثـل: "كـل الصـيد في جـوف الفَرَى"، وقيل: "من فمه أدنـه"، وبمـا كتبـه وخطتـه

يداه، وهو أقوى توثيق، وقد يكتبه ولا يصـرح أو يبـوح به في دروسه ومواعظه!!.

ومـــا عليـــه أهـــل الســـنة والجماعـــة في الأســـماء والصفات، وأصول العقيدة والتوحيد واضحة لا تلتبس على سني؛ وقواعدها منضـبطة في الكتـاب والسـنة وما قعد وفقهما وفيما يرجع فيه إليهمـا، ولـو تصـفح ولم يتفحص - كمـا قـال -، ومـر سـريعاً ولم يـدقق، ولم يكن في غفلـــة أو ســـبات!!، ويكفي اعترافـــه بتصفحه واطلاعه على الرسالة وتقريظه لهـا، وحالـه وواقعه منطبق - تماماً - على كل ما تبرأ منه، وكيف البراءة منه وهـو واقـع فيـه؟!!، وكتبـه شـاهدة عليـه ومدينة له.

وليت كلامه هذا كان صحيحاً؛ لأننا نحب له الاستقامة ولكل مسـلم وأن يوفـق إلى الحـق وأن يجريـه اللـه على يديه ولسانه وعمله، ونكره له الانحـراف، وهـذا هو مذهبنا الذي ندين الله به، ولكن كما قيل:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

وما أسماه العجلان بياناً هو دليل لنا - مع مـا يـأتي - على مراوغـــات الجزائـــري وتلبيســـاته وتدســـياته، ودعاواه الباطلة العارية عن الصدق والحقيقة - حتى لا يُفْتَضَح أمره -، ويكـبر عليـه ويصـعب الرجـوع إلى الحق بعد تبيانه له أو تبينه له بنفسه؛ فيصـر على مـا أثبتــه وقــرره من قبــل، وهــذا شــأن الجهــال غــير المتبصرين بمنهاج الدين الحق والوقوف عنده.

و**قوله**: "وأبرأ إلى الله أن أزكي أي كتاب أو رسالة فيها مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، أو فيها..ترويج لعقيدة فاسدة، من تأويل أو تحريف أو تعطيل أو تمثيل، أو مذهب منحرف باطل، وهذا هو مذهبي في دعوتي وفي جميع كتبي ورسائلي"، يكفي لتزييفه والرد عليه ما في كتابي هذا، ويقال له: "على الخبير سقطت" أو "على الخبير وقعت"،- كلا اللفظين صحيح -، ويغني في الشرح زيادة على هذا - أيضاً - ما في الإشارة السابقة.

وأما قوله: "أو فيها ذم أو استنقاص من مكانة أهل العلم من السلف أو الخلف".

فما يدعيه من عدم استنقاص السلف والخلف يكذبه ويرد عليه فيه ما يأتي:

أولاً: استنقاصه لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إمام السلف وخلفهم وقدوتهم، وهو أول من نال منه من السلف - كما في تفسيره - بقوله: "**عَجْزُ الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكذب على الله - تعالى -، وعدم قدرته على ذلك لو أراده**"؛ إذ نسب إليه العجز وعدم القدرة، يظن - لجهله - أنه يمدحه، وهذا لا مدح عليه، وإنما المدح على ما يقدر عليه الإنسان باختياره من فعل أوترك، إذ جعل الله له الإرادة والحرية في الاختيار ولم يجعله مجبوراً، فيمدح ويثاب على فعل الممدوح وترك المذموم تديناً،

ويتوجه إليه الذم على تعمد فعل المذموم، ويستحق عليه العقاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (في الفتاوى الكبرى: 1/ 181): "والأمر الذي لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم إرادته، وإنما يكون المدح بترك الأفعال إذا كان الممدوح قادراً عليها"
وقال الشوكاني عن ما يكون عليه المدح وما لا يمدح عليه (في تفسيره): "لا يكون إلا على أمر مكتسب يقدر فاعله على خلافه، لا على ما كان من أصل الخلقة وفي نفس الجبلة"، ويأتي.
وقول الجزائري هذا منطلق من مذهبه، وهو عقيدة القدرية المجبرة الباطلة، وقد بيناها – في ما يأتي - عند تفسيره لقوله - تعالى -: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى.

وآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الزعم الباطل، وقد نهى الله المؤمنين عن أذيته فقال - تعالى -: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا.

وقد قيل في الذم الذي في صورة المدح:
ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا
وقال الرازي: "مدح الإنسان بما يكون عيباً غير جائز" ويأتي، ويأتي مزيد بيان في المسألة.

ثانياً: قال في تفسيره عن نبي الله يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام: "﴿حَصُورًا﴾، لا رغبة له في النساء **لقلة مائه**"؟!!.

ففي قوله: "لقلة مائه" نسب إليه عاهة وعيباً وعجزاً ونقصاً، وذلك إذا نسب إلى أحد من الرجال عموماً كان استنقاصاً فكيف بنسبته إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؟!، وهو عند التدقيق كقوله عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم - السابق -، ويأتي كلام أهل العلم على قوله - تعالى -: ﴿حَصُورًا﴾، من ما يبين خطأه ومن نحى نحوهم وقلدهم بلا تحقيق في المسألة على أهميتها؛ لأنها تتعلق بنبي كريم.

ثالثاً: استنقاصه لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام:(كما في تفسيره: أيسر التفاسير)، ورسيلته: (كشف الستار عن ما يظن أنه عار) بإصراره - بعد تحقيق القضية - على أن يوسف هو الذي قال :﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، خلافاً لما قاله المحققون من أهل العلم وبرأوا منه نبي الله (يوسف) عليه الصلاة والسلام، وخطؤوا من قال به من المتقدمين مخالفاً لنص القرآن وظاهره، ومن تبعهم على ذلك.

وأولئك الأعلام الرافضون لنسبة ذلك القول الخطأ إلى نبي الله (يوسف) والمتمسكون بظاهر القرآن هم: العلامة ابن خُمَيْر البستي الأموي المتوفى سنة:

614هـ، في كتابـه: (تنزيـه الأنبيـاء عمـا نسـب إليهم حثالة الأغبياء).

وشيخ الإسلام ابن تيمية, وتلميذه ابن القيم, وتلميذه ابن كثـــير, وغـــيرهم من أهـــل العلم المتقـــدمين والمتأخرين, بل ألف في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مستقلة، وألفت فيـه رسـالتي، بعنـوان: (صـد المقال المجحف بنسبة ما لا يليق بنبي الله يوســف) - كمـا تقـدم -، وهي (**الموضـع الثـامن**) من هـذا الكتاب.

رابعاً: قوله عن الصدَّيقة مريم البتـول ابنـة عمـران أم عيسـى عليـه الصـلاة والسـلام عنـد قـول اللـه - تعالى - عنها في سورة آل عمـران: ﴿قَـالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُـونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْـنِي بَشَـرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: "وذلك **لعقمها**"!!.

فقوله: "لعقمها" كذب وافتراء عليها وبهتان لها، وهو عيب ونقص؛ فيكـون استنقاصـاً لهـا لا تجـوز نسـبته إليها - ويأتي بيانه - وهو خلاف دلالة القـرآن، ويشـبه ما فعله اليهود من بهتانها؛ فقد قال - تعـالى - عنهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾.

خامسـاً: استنقاصـه لأمـيري المؤمـنين الصـحابيين الجليلين الخليفتين الشراشدين، المبشرين بالشهادة والجنـة بنص السـنة علي بن أبي طـالب رضـي اللـه عنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج بنته فاطمـة الزهـراء رضـي اللـه عنهـا سـيدة نسـاء العــالمين, وأبي الحســن والحســين ابــني فاطمــة

ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتل الخوارج بأمر رسول الله.

وعثمان بن عفان رضي الله عنه: صهر رسول صلى الله عليه وسلم وزوج ابنتيه زينب ورقية رضي الله عنهما؛ فهو ذو النورين، ومجهز جيش العسرة، الذي قال رسول الله صلى الله وسلم فيه: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»، والثابث في المحنة، وشهيد الدار.

باتهامه لهما بالضعف في السياسة وفشلهما فيها؛ وأن ذلك جر عليهما ما كان من فتنة (كما في رسالته:نماذج من الدعاة الصالحين)، واعتمد في القدح في سياسة علي على كلام كافر غربي.

وذلك سب لهما وقدح فيهما، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب الصحابة والقدح فيهم، فقال – في ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما -: «لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، لفظ البخاري، وكان هذا فيما جرى بين السابقين والذين جاءوا من بعدهم، وكلهم صحابة؛ فما بالك بمن سبهم من من جاء بعدهم في متأخر الزمان.

وقد بسطنا الرد عليه في كتابنا: (تنبيه الغافلين إلى خرافة الخرافيين وطعنهم في حملة الدين).

سادساً: تكفيره للصحابيين الجليلين الكريمين عمرو بن معد يكرب، وركانة بن عبد يزيد رضي الله عنهما، وسبه لهما وقدحه فيهما ولعنه لهما، وهو أشد من الاستنقاص والقدح لهما الداخل في التكفير، بل قدح شديد وثلب كبير، كما في كتابه: (هذا الحبيب يا محب، ركانة ص: 118، وعمرو ص: 461)، وحذف لعن عمرو من الطبعة الثانية، وأبقى التكفير والسب، ويرد عليه في حقهما ما سبق ذكره في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

وعمرو صحابي مشهور ومن مشاهير الفرسان، ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه - وبتوبته رجعت إليه صحبته -، وجاهد في سبيل الله وأبلى بلاءاً حسناً واستشهد في الجهاد.

وركانة روى له من أصحاب السنن (كما في تحفة الأشراف: 3/172): أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وله حديث في الطلاق وهو عند أبي داود - كما في التحفة أيضاً -.

قال الحافظ ابن حجر في التقريب (ص: 86): "ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي، من مسلمة الفتح، ثم نزل المدينة، ومات في أول خلافة معاوية رضي الله عنه.

سابعاً: ذمه واعتدؤه القبيح على الإمام في السنة والحديث،وشيخ الإسلام وشيخ الأئمة: الحافظ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم القرشي الزهري، الذي

روى له الجماعة، وغيرهم من الأئمة, والذي قال فيه البخاري: قال إبراهيم بن حمزة: "كـان عنـد إبـراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق نحو من سـبعة عشـر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي، وإبـراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه".

فقد جعله الجزائري مغنياً من المغنين وحشاشــاً من الحشاشـين وماجنــاً من أهــل المجــون، ومن أهــل الأهـــواء!!، (كمـــا في رســـالته:حكم الإســـلام في الموسـيقى والغنـاء، أو الإعلام بـأن العـزف والغنـاء حرام)، ومما قال فيـه وليس الأسـوأ ممـا قـال: "يـا لضياع نصوص الإسلام تطلب من هذا النوع الرخيص من النـاس، ويالضـياع سـنة رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم إذا كانت تؤخذ من الحشاشين وأصـحاب الأهـــواء والمجـــون"!!، وذلـــك أكـــبر وأعظم من الاستنقاص له

وبقية كلامـه هـذا السـئ، والتفصـيل في الـرد عليـه تجده في كتابينا (النشـر لمـا انطـوى بجهـل الجهـال والهـوى) و(تنبيـه الغـافلين..)، ولإبـراهيم بن سـعد - رحمـه اللـه - ترجمـة عنـد أبي الحجـاج المـزي (في تهذيب الكمال: 2/88).

وقد رد عليه محمد محمد حسن شُـرّاب في جريـدة المدينــة العــدد: 7354، يــوم الأربعــاء: 21/10/1407هـ، وتأتي إشـارة إليـه، ونص الـرد في كتابينـا آنفي الذكر.

ثامنـــاً: تجنيـــه على الإمـــام العظيم البخـــاري واستخفافه به وتجهيله واستنقاصه له بغير حـق فقـد قال: في نهر الخير، حاشـية: أيسـر التفاسـير: "أورد البخـاري إيـرادات لا حاجـة إليهـا", وقـال عن رأيـه الخطـأ والمخـالف للبخـاري: "ولا داعي لإيـراد مـا بخلافــه: **إذ لا فائــدة منــه إلا تذبــذب الــرأي واضطراب الفكر"؟**!!، **أي**: **أن هـذا مـا تـؤدي إليــه إيــرادات البخــاري, وهــذا فيــه الزهــو بالنفس وعـدم احـترام أئمـة السـنة والـدين ومراعاة أقدارهم.**

وقـول البخـاري هـو الحق، **والباطـل هـو مـا أورده عليــه الجزائــري من إيــرادات خاطئة**, **وقـــد أوضـــحنا ذلـــك في الموضـــع الرابـــع والسبعين** من هذا الكتاب.

تاسعاً: لمزه للإمـام ابن القيم بالجهـل واستنقاصـه له؛ لأنه في قرن من القرون المظلمـة، بقولـه: (في رُسيلته: كشف الستار عن ما يظن أنـه عـار): "وأمـا ما نقله عن ابن القيم - رحمه الله تعـالى - فـإن ابن القيم ليس معصــوماً من الوقــوع في الخطــأ، إنــه كغــيره من غــير المصــطفين يصــيب ويخطئ..من علماء المسلمين في **القرون المظلمة**"!!.

وها هو قد وقع منه الجهل والظلام وهـو بين العلمـاء مصابيح الدجى: ابن باز وإخوانه، وهم في زمن أشـد ظلاماً فمـا ضـرهم ولم يطعن فيهم من أجلـه، وإنمـا الظلام على أهـل الجهـل، ويصـف ابن القيم بـالعلم

وهو كذلك، بل هو إمام في العلم؛ فأي ضير عليه إن كان في القرون المظلمة، وأي منقصـة في ذلـك؟!! إن ميزانه لغريب وإن أمره لعجيب!!، ولا يسـلك مـا سـلك أو يـأتي مـا أتى العقلاء ولا من يحـترم ويقـدر للعلماء قدرهم.

ولا أحد يقول بعصمة أحد إلا الأنبياء بمـا يـوحي إليهم من ربهم، فلا مجـال لمثـل هـذا القـول في معـرض تجهيل علماء أهل السنة والنيل منهم من أجل قولهم الحق، وابن القيم لم يخطئ، بل هو محق كل الحــق بدفاعه عن نبي اللـه يوسـف عليـه الصـلاة والسـلام بالحق، وهو واجب عليه وعلى كل مسلم، وهو إمــام من أئمة أهل السنة في العلم، وفـارس من فـوارس هذا الميدان، فكيف يستخف بـه ويجهلـه لأجـل قولـه الحق الذي نأى هو عنه ورآه باطلاً بجهله وتقليده، بلا حجة أو بصـر أو بصـيرة مخالفـاً لظـاهر القـرآن؟!!؛ فحاله كما قيل: "رمتني بدائها وانسلت".

وكما قد قيل عن ما فيه قيمة الإنسان:

وقـــدر كـــل امـــرئ مـــا كـــان يحســـنه
والجـــــاهلون لأهل العلم أعـــداء

وهو لأنه لا يعرف أقـدار الأنبيـاء والصـحابة والعلمـاء أساء في حقهم جميعاً، وذلـك منضـاف إلى إسـاءته في حق الإسلام والمسلمين جميعاً.

والرد عليه في كتابنا (حقيقة الانتصار..), وفي كتابنا الرد على عبد المحسن العباد : (النشر لما انطوى بجهل الجهال والهوى)، و(تنبيه الغافلين..).

كما يأتي ردنا عليه في مناقشة رده لكلام ابن القيم في دفاعه عن نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام، وتخطئته للإمام البخاري واستخفافه به.

قلت: ويشكر الأخ عجلان العجلان لغيرته على عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكن ما كان له أن ينخدع بشهرة الجزائري وحسن الظن به، وإنما يتثبت من حاله، وقد أمرنا ربنا بذلك، فقال: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، خصوصاً وأن تزكيته لتلك الرسالة تعطي مؤشراً خطيراً على انحراف الرجل عن تلك العقيدة، ولو كلف الأخ عجلان نفسه - وكان ذا بصيرة في معتقد أهل السنة والجماعة - مطالعة تفسير الجزائري: (أيسر التفاسير) لكفاه بعض ما فيه من بعده عن منهج وعقيدة أهل السنة: في الإيمان والأسماء والصفات، منضاف إليها مذهب القدرية المجبرة فضلاً عن غيره، فهو من أعدائهم وخصومهم الألداء، ولم يقع الأخ عجلان في هذا اللبس والتلبيس والخديعة للآخرين؛ ولرأى الحقيقة المرة، ومنها: كون الجزائري على عقيدة الكتاب الذي قدم له، ولا غرابة في ذلك، وما عداه فهو مجرد دعوى لا تغني شيئاً وإنما ذلك تعمية وتلبيس ونفاق.

والأخ العجلان أساء إلى الشيخ عدنان، وأساء بنشر تلبيس الجزائري، وبتكذيبه للسكندري، ويجب عليه هو التوبة والرجوع، ونشر ذلك في الوسيلة نفسها التي روج بها تلبيس الجزائري، والاعتذار للسكندري.

وغريب ما ادعاه - الجزائري - من التعامي عن عقيدة الكتاب الذي قدم له!!، وعجيب ألا يتبين لعجلان حيصته من أسلوبه واعترافه باطلاعه على الكتاب وتقريظه له!!.

ولا شك أن هذا الرجل مغرور ومبتلى بالكلام والكتابة في العلم مع الجهل المركب؛ تشبعاً بما لم يكن له بأهل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – في ما رواه البخاري ومسلم -: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»، وقد دخل في ما لا يعنيه، ونشر من الضلال والإضلال في كتبه ورسائله وأحاديثه ودروسه في المسجد النبوي وغيره خلال سنين طوال ما لا تحيط به عبارة أو تكفي فيه إشارة، ويصدق عليه:

مساوٍ لو قسمن على الغواني لما أمهرن إلا بالطلاق

و يقال له ولمثله من الجهال الذين لا يعرفون قدر دينهم، ولا قدر أنفسهم:

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

وهو لم يفعل شيئاً نافعاً إلا قليلاً، كما قيل:

ميّزت بين جمالها وفِعالها فإذا الملاحة بالقباحة لا تفي

وهو كما قيل:

كالثور في الدولاب يسعى وهو لا يدري الطريــــق فلا يزال مكانه

ومغالطــات الجزائــري كثــيرة لا تخفى على الناقــد البصــير المتأمــل في كلامــه والمتتبــع لكتبــه، ومن أمثلتها - عـدا مـا تقـدم - قولـه: (في كتابـه نـداءات الرحمن لأهل الإيمان ص: 177) عنـد قولـه - تعـالى -: ﴿وَاللَّهُ لا يَسْـــتَحْيِي مِنَ الْحَـــقِّ﴾، في ســـورة الأحزاب: "تقرير صفات اللـه - تعـالى - وإثباتهـا في القـرآن والسـنة إذ وصـف - تعـالى - نفسـه بأنـه لا يستحيي من الحق, وعليه فلنصف الله - تعالى - بما وصف به نفسه ووصفه به رسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم لا غير, فلا نصف الله - تعالى - بمـا لم يصـف به هو نفسه, ولا بما وصـفه رسـوله [كـذا، والسـياق يدل على أنه مثـل مـا قبلـه: أي: وبمـا لم يصـفه بـه رسوله] صلى اللـه عليـه وسـلم, ولا ننكـر صـفاته أو نؤولها هروباً من وصفه بها, كمـا هـو شـأن المعتزلـة والأشـاعرة في الغـالب"، وهـذا الكلام حجـة عليـه؛ فشأنه هو شأن الأشاعرة، ولم يحقـق مـا قالـه، بـل خالفه؛ فأول الأسماء والصفات، وأثبتنا ذلـك بالـدليل القاطع.

ومـا مثـل بـه ليس من الصـفات وذلـك لجهلـه بهـا، وإنما هـو من الإخبـار ويتوسـع فيـه مـا لا يتوسـع في

باب الأسماء والصفات؛ فيخبر عن اللـه بهـا ولا يثبت له بها اسم أو صفة، لم يأت بها النص من الكتـاب أو ما ثبت من السنة، ولـذلك قيـل: الأسـماء والصـفات توقيفية، أي: وقف على الـدليل لا تثبت للـه بلا دليـل ينص عليها.

ثم هـو مـع هـذا الكلام الحـق من حيث تقعيـد أهـل السنة في إثبات أسماء الله وصفاته - وهو ما يدعيـه الجزائري مجرد دعوى، وقد نقلـه دون أن يعتقـده -، وهـو في الحقيقـة والواقـع على عكسـه - تمامـاً -، وذلك من تناقضه، مع دعـواه العلم وصـحة المعتقـد، بل السنية، كما في كتبـه ورسـائله، وسـتراه مفصـلاً فيما يأتي.

قال سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - (في حراسة التوحيد ص: 8)، وهـو كلام متين سـديد: **"كل من خـالف أهـل السـنة فيمـا اعتقـدوا في بـاب الأسـماء والصـفات فإنه يقع - ولابد - في مخالفة الأدلة النقلية والعقلية مـع التنـاقض الواضـح في كـل مـا يثبته وينفيه.**

أما أهل السنة والجماعة فأثبتوا للـه - سـبحانه - مـا أثبته لنفسـه في كتابـه الكـريم، أو أثبتـه لـه رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم في سـنته، إثباتـاً بلا تمثيـل، ونزهوه - سبحانه - تنزيهاً بريئاً من التعطيـل ففـازوا بالسلامة من التناقض وعملوا بالأدلة كلها".

وادعاء الجزائري هذه الدعوى وأمثالها إنما هو مكر وخداع وذر للرماد في العيون, ومثل ذلك ما يدعيه من السنة والسلفية، وهو أبعد ما يكون عنهما, بل هو - بتقريره ما يخالفهما باسمهما - يناقضهما بطريقة مزورة ماكرة، فحسيبه الله على تضليله عن الدين الحق وتلاعبه به.

والله حافظ دينه, وقد قال - تعالى -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، كما تقدم

أما **قوله**: "هو شأن المعتزلة والأشاعرة في الغالب" فربما يلتبس جمعه بين المعتزلة والأشاعرة على القارئ فيظن أنهم سواء في المذهب، وليس الأمر كذلك، وإنما هو جهل منه, أو يعني: "في الغالب" الأشاعرة فهم الذين يثبتون من الصفات الذاتية الخبرية سبعاً وينفون ما سواها، ويؤولون الصفات الفعلية, وأما المعتزلة فلا يثبتون شيئاً من الأسماء ولا الصفات بمعانيها، وإنما يثبتون ألفاظاً مجردة عن المعاني.

ومن دسائس الجزائري وخداعه بأساليبه الملتوية المضللة ما سنكذبه بالحجة والبرهان، وقد قال في مقدمة تفسيره: "..فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم، تُبَيَّن فيه العقيدة السلفية المنجية[1]، والأحكام الفقهية

[1] حقاً إنه قد دس العقيدة الخلفية الباطلة المهلكة، كما هي عنده، وعند أهلها ومعتقديها، ملبسها لباس السلفية.

الضرورية.."!!، إلى أن قال: "ينتفع به كل مسلم يقرؤه بنية معرفة مراد الله - تعالى - من كلامه ليعرف ربه معرفة تكسبه خشيته ومحبته ويعرف محابه - تعالى - ليتقرب بفعلها إليه، يعرف مساخطه ليتجنبها خوفاً مما لديه"، إلى أن قال: "خلو هذا التفسير من الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح، والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح، حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه - تعالى -، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم"؟!!، إلى أن قال: "اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات.."!!، وذكر أنه التزم بخطته في التفسير: "رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقاً وعملاً، لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به، والحياة عليه: عقيدة، وعبادة، وخلقاً، وقضاءً وحكماً"؟!!.

ولا وجود لتحقق شيء منه، وإنما هو مجرد دعوى وخداع، وترويج لعقائد أهل البدع، وضروب من الضلال، بل الضلال الذي لا ينتهي إلى حد، حتى جعل توحيد المسلمين على الفكر بديلاً عن الدليل!!.

وقد قيل في القدرة على مثل هذا الأسلوب المضلل:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

و**قوله**: "لحاجــة جمــع المســلمين..إلخ" فــذلك لا يكــون، وهــو دليــل على جهلــه بحكم اللــه القــدري والشرعي الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم: أن هذه الأمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة أو ملــة كلها في النار إلا واحدة، وهي من كان على ما عليــه النبي صلى الله عليه وسلم وأصـحابه الكـرام رضـي الله عنهم وهم الجماعة؛ ولا يمكن جمع المسلمين لا على الحــق ولا على الباطــل، بــل مســتحيل ذلــك؛ لســبق إرادة اللــه القدريــة والشــرعية؛ فمنهم من تجتمــع لــه الإرادتــان، وهم المؤمنــون والمطيعــون، ومنهم من تنفــرد بــه الإرادة الكونيــة القدريــة، وهم الكافرون بكفرهم المحض، والعصـاة بمعاصـيهم مـع إيمانهم.

ومــا أســوأ قولــه - لبعــده عن الحقيقــة واتســامه بالخديعـة -: "فقـد تعين وضـع تفسـير سـهل ميسـر يجمع بين المعنى المراد من كلام اللــه، وبين اللفـظ القريب من فهم المسلم اليوم"؛ ففيه منتهى الغرور والزور - مع الجهل - حيث يرى أن هذا واجب عليــه، وكـأن من عـداه لم يقم بهـذا الـواجب، وأسـوأ منـه الجزم بأن تفسيره هو مـراد اللـه من كلامـه؟!!، بـل ولا حاجة إلى كلام الله ولا إلى تفسير غيره؛ لأن فيه عسراً وهو بتفسـيره قـد يسـره، وقـال (في/ كشـف السـتار..): "أقبـل المؤمنـون عليـه لينتفعـوا بـه في معرفة كلام ربهم"!!.

وقد قيل:

ما يبلـغ الأعـداء من جاهـل   مـا يبلـغ الجاهل من نفسه

وهو راض بجهله - للأسف - ويحسبه علماً:

إذا كنت لا تدري وتسـأل من درى   فكيـف إذاً تدري بأنك لا تدري

بل - والله - إنه لمعتد بجهله جريء على هدم الـدين وتزويره باسم الـدين، ولم يعـرف قـدر نفسـه؛ فإنـه يرى أن الأمة بحاجة إلى جهالاته وخرافاته!!.

وقـال في مقدمـة كتابـه (هـذا هـو الإسـلام، ضـمن الرسـائل): "لقـد من اللـه علي بتـأليف هـذا الكتـاب **لخصـت فيـه الشـريعة الإسـلامية بكاملهـا عقائد وعبادات وأحكاماً وآداباً وأخلاقاً**، فكـل من أراد أن يلم بمعرفـة الـدين الإسـلامي بيسـر وسهولة فليقرأ هذا الكتاب من أوله إلى آخره؛ **فإنه حقاً يعرف الإسلام** الـذي هـو دين الحـق الـذي لا يقبل الله ديناً سواه.

وأرشد طالب المعرفة إذا أشكل عليه شيء في هذا الكتـاب أن يراجـع فيمـا أشـكل عليـه كتـابي (منهـاج المسلم)؛ فإنـه يـزول بـإذن اللـه - تعـالى - إشـكاله **ويتضح له الحـق ويعرفـه ويعمـل فينجـو من عـذاب اللـه، ويسـعد بمواكبـة النبـيين والصـديقين والشـهداء والصـالحين**، وتلـك المواكبة العظيمة الرفيعة المتوقفة على طاعة اللـه وطاعة رسوله محمد صلى اللـه عليـه وسـلم لقـول

الله - تعالى -: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

هذا والله - تعالى - أسأل لكل مؤمن يعين على نشر هذا الكتاب وترجمته إلى المسلمين العجم بلغاتهم المختلفة[!!]، أسأل الله - تعالى - لي وله رضاه ومحبته ومواكبة أهل طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً".

كيف يستجاب له وقد دعا بإثم وقطيعة؟!!، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يستجاب لأحدكم ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم».

وقال بعده: "تم تأليف هذا الكتاب بالمدينة النبوية بتاريخ: 5/6/1417هـ على يد مؤلفه العبد الضعيف المحب لكل مؤمن أبو بكر بن موسى جابر الجزائري".

إنها - والله - للعداوة وليست المحبة، تضله وتزعم حبه؟!!، وإن كان ذاك المؤمن الذي تريده من على شاكلتك، بل هو دونك وأنت منه أرفع - بزعمك -!!.

قلت: و**قوله**: "فإنه حقاً يعرف الإسلام" غرور عجيب أوقعه فيه جهله وانحراف منهجه وآسن مشربه فظن أن باطله حق.

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وهـو نفسـه لم يعـرف الإسـلام حقـاً؛ فهـذا التخليـط والتخبيط لا يقع ممن عرف الإسلام وأي معرفة لديه - كما زعم -، وإنمـا هـو من ضـلال عقـول الصـوفية وتزكياتهم لأنفسهم وهلوساتهم المعروفـة، وجـرأتهم على القـول في الـدين بلا علم، واعتقـادهم العقائـد الباطلة والتأويلات الفاسدة، ونشرها بين الناس على أنها دين يُتَدَيَّن به ويُتَقَرَّب به إلى الله.

وأما أهل السـنة والجماعـة فـإنهم هم الـذين عرفـوا الإسلام حقاً؛ لأنهم يتمسكون بكتاب الله - عـز وجـل - وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويفهمونهما الفهم الصـحيح على المعـنى الـذي يريـده اللـه ورسـوله، ويعتقدون أن بيانهما هو البيان الشافي وفيه الكفايـة وكامل الهداية، قال اللـه - تعـالى - عن كتابـه: وَإِنَّهُ لَتَنزِيـلُ رَبِّ الْعَـالَمِينَ نـزلَ بِـهِ الـرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ, وقال - تعالى -: وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَـؤُلاءِ وَنزلْنَـا عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ تِبْيَانًـا لِكُـلِّ شَـيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ, وقال - تعـالى -: وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.

أما الذي يقرأ للجزائري كتاباً واحدًا فقط لا يعــدوه!! - كما سبق - فيكفيه، وإن أشكل عليـه فيـه شـىء - مجــرد إشــكال من القــارئ لا لخطــأ في الكتــاب - فليراجع له - أيضاً - كتاباً آخـر ولا يعـدوه: فــ"يسـعد

بمواكبة النبيين، و..إلخ"!!، هذا حال ومصير من يقرأ للجزائري فكيف حاله هو؟!!.

انظر إلى أي مدى ذهبت بـالجزائري - في الضـلال - صوفيته وتخريفه وجهالته!!.

ستعلم حين ينجلي الغبار   أفــرس تحـتـك أم حـمــار

و**قوله**: "لخصـت فيـه الشـريعة الإسـلامية بكاملهـا عقائـد، وعبـادات، وأحكامـاً، وآدابـاً، وأخلاقـاً..إلخ"!! أشبه ما يكون بالسخرية من دين الله وشـريعته، وأن كمالـه نقص، وأن الكمـال في كلام الجزائـري، ومن يستطيع أن يلخص الشـريعة بكاملهـا؟!!، وهـل تبقى كمـــا هي إذا لخصـــت؟!، إن هـــذا لهـــو التحريـــف والتخريف والضلال بعينه.

وإليك - أيضاً - مزيداً من كلامه المتهافت في التهور والجهـل والافـتراء على اللـه: فقـد قـال في خاتمـة كتابه: (المسجد وبيت المسلم) بعد أن وضع برنامجـاً يقـــرؤه العـــوام خلال أربعـــة أشـــهر بين المغـــرب والعشـاء: "فـإذا مضـى عليهم أربعـة أشـهر وهم في ذلك النـور من تعلم الكتـاب والسـنة، وقـد اسـتنارت قلوبهم وانشرحت صدورهم وزكت نفوسهم وأصبحوا أهلاً للمعروف والخير"!!.

أخذ هذا البرنامج والتزكية من منهج التبليـغ الصـوفية الحركية السياسية الذين امتهنوا الدرويشـة؛ فالرجـل يحاكيهم في دعوتهم - التجهيليـة الخرافيـة البدعيـة -

في خروجهم في سياحتهم أربعة أشـهر تحديـداً دون نقص أو زيـادة - وهـو من بـدعهم -، ويزعمـون أنـه جهـاد، وبـذلك تحصـل لهم الاسـتقامة والصـفاء والكرامات - افتياتـاً وافـتراءاً على اللـه وابتـداعاً في الـدين -، تلـك الـدعوة الموصـوفة بـدعوة الأحبـاب، ولـذلك لم يـذكر التوحيـد, وقـد دافـع عن كـونهم لا يـدعون إلى التوحيـد في خطبـة ألقاهـا في مركـزهم الرئيس في قطر، وبرر لهم ذلك بـأنهم يـدعون إليـه بالصمت، رداً على من ينكر عليهم ذلك، وهـو تسـليم منه بضـلالهم، وإعلانـه على الملأ من حيث لا يشـعر، وتأييـده لهم، والتوحيـد أعظم مقصـد من مقاصـد إرسال الرسل وإنزال الكتب، والـدعوة إليـه بـالكلام وليس بالصمت، والاقتداء بالرسل في بيانه وتطبيقـه والـدعوة إليـه، وبيـان ضـده من الشـرك وإنكـاره والتحذيره منه.

وقد تهكم لذلك بالجزائري العلامة حمود التـويجري - رحمه الله - في رده عليـه في كتابـه: (القـول البليـغ في التحـذير من جماعـة التبليـغ), وأن ذلـك مخـالف لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنـاقض لهـا؛ إذ لو كـان يكفي لم يتحملـوا مـا تحملـوه من الجهـاد في سبيل إعلانها وتبليغها بـإذن اللـه وأمـره، وكـذلك أصحاب رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم ورضـي عنهم أجمعين وقد اتبعوه في ذلك.

قال: "ومن أخطاء صاحب المقال الباطل: زعمه أن التبليغيين يدعون إلى التوحيد عملياً؛ أي: بالصمت لا بالنطق.

قال: (فإذا كان الصمت يجدي؛ فليس في حاجة إلى النطق؛ لأنها كلفة لا معنى لها)!!.

و**الجواب**: أن يقال إن الدعوة إلى التوحيد لا تكون بالصمت، وإنما تكون بالنطق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل؛ فإنه كان يدعو إلى التوحيد بالنطق لا بالصمت، وكذلك الأنبياء وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" وذكر النصوص وكلام أهل العلم في ذلك.

قلت: وقوله: "كلفة لا معنى لها" أمر خطير؛ لأنه طعن في الرسالات وبعث الأنبياء والرسل واعتراض على حكمة باعثهم - سبحانه -، وطعن في دعوة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ إذ كانت مهمتهم النطق والإعلان بكل ما أرسلوا به وليس الصمت، وقد قاموا بذلك خير قيام وكما أمرهم الله، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الله له الدين بالقرآن والسنة القولية والعملية وجاهد في تبليغها بالنطق والعمل والقتال في الجهاد والعمل في أمور أخرى وليس بالصمت، وقد تكفل الله بحفظها إلى أن يرث الأرض ومن عليها، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ومن المعلوم أن من منهج فرقة التبليغ دعواهم أنهم يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر بحجة أنهم

بذلك ينفـرون النـاس، وهي الحجـة نفسـها في عـدم الدعوة إلى التوحيد، وأهم ما جاءت بـه الرسـل هـو التوحيد والدعوة إليه وأهم ما حذرت منـه ونهت عنـه الشرك.

وقـال الجزائـري (في كتـاب المـرأة المسـلمة ص: 10): "كتـاب المـرأة المسـلمة فاقرئيـه وتفهمي مـا جاء فيه واعملي بذلك؛ **فإنك تنجين وتسـعدين -** بإذن الله تعالى **-، وإلا فقد أنـذرتك وأخطرتـك ولا تلومين إلا نفسك**[!!].

إن كتابك هذا قد **حوى كل ما أمرك الله -** تعـالى **- بـه: من العقائـد والعبـادات والآداب والأخلاق، وكـل مـا نهـاك عنـه من الشـرك وسـائر المحرمـات: من العقائـد والأقـوال والأفعال، فاستعيني باللـه واعلمي واعملي واصبري حتى تكملي في عقيـدتك وعبادتـك وأخلاقـك وآدابـك وتصـبحي أهلاً للجنـة دار الأبرار بعد نجاتك من النار**[؟!!].

عقيدتك أيتها المؤمنـة: آمـني أيتهـا المؤمنـة بمـا يلي وصدّقي به، واعتقديه في نفسـك؛ **فإنـه الحـق ولا باطل فيه البتة**"؟!!.

انظر إلى الإفـراط والجـرأة في هـذا الكلام؛ وادعـاء العصمة لنفسه!!.

ولقـد فاتـه أن يقـول: اصـبري حـتى تلقيـني على الحوض؟!!، ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.

وما أشبه قـول الجزائـري هـذا - في التضـليل - بمـا حـذَّر منـه شـيخ الإسـلام ابن تيميـة - رحمـه اللـه - ووصفه وذكر أن إنكاره من أعظم ما أوجبه الله (كما في مجموع الفتاوى: 35/190، والفتاوى الكـبرى: 1/ 75)، وبعد أن أشـار إلى الأباطيـل الخارجـة عن دين الإسلام والمبتدعة فيـه، قـال: "يجب إنكارهـا والنهي عنها على المسلمين على كل قـادر: بـالعلم والبيـان، واليد واللسان؛ فإن ذلك من أعظم ما أوجبه الله من الأمـــــــر بــــــــالمعروف والنهي عن المنكـــــــر، وهؤلاء[1]وأشـباههم أعـداء الرسـل وسـوس الملـل"، إلى أن قال: "**ولا ينفق الباطل في الوجـود إلا بشوب من الحق، كما أن أهل الكتـاب لبسـوا الحق بالباطل؛ فبسـبب الحـق اليسـير الـذي معهم يضـلون خلقـاً كثـيراً عن الحـق الـذي يجب الإيمان به، ويدعونه إلى الباطل الكثـير الذي هم عليه**".

قلت: وهذه هي التربية والتزكية الصوفية في التألي على اللــه والعيش في الخيــالات بعيــداً عن الــوحي الإلهي والهُدى الرباني زاعمين أنه الدين.

وقد قال الله - تعالى -: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُـوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾، وإليك ما يرد عليــه من كلام المفســرين عند هذه الآية:

قال الطبري: "اى: لا تشهدوا لأنفسكم بانها زكية بريئة من الذنوب والمعاصى, و**قوله** : ﴿هُوَ أَعْلَمُ

---

[1] أي: أصحاب تلك العقائد الباطلة.

بِمَنِ اتَّقَى، يقول جل ثناؤه: ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده".
وقال ابن كثير - رحمه الله - "أي: تمدحوها أو تشكروها وتمنوا باعمالكم هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى، كما قال - تعالى -: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا. روى مسلم... عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال : سميت ابنتى برة فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم, وسميت برة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاتزكوا أنفسكم إن الله أعلم باهل البر منكم»، فقالوا: بم نسميها؟، قال: «سموها زينب»، وقد ثبت - أيضاً - في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال:.. عن عبد الرحمن ابن أبى بكرة عن أبيه قال مدح رجل رجلاً عند النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: «ويللك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لامحالة فليقل أحسب فلاناً - والله حسيبه ولا أزكى على الله احداً - أحسبه كذ وكذا إن كان يعلم ذلك»، ..وكذا رواه مسلم والبخارى..".

وقال القرطبى - رحمه الله - : "أى: لا تمدحوها ولا تثنوا عليها فإنه أبعد من الرياء وأقرب الى الخشوع.

وقوله: هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى، أى: أخلص العمل واتقى عقوبة الله, قال الحسن : قد علم الله -

سبحانه - كـل نفس مـاهى عاملـة, ومـا هى صـانعة, وإلى ما هى صائرة".

وقال ابن سعدي - رحمه الله -: "أي: تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح".
وقال عمر بن الخطاب رضى اللـه عنـه: "إن أخـوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه".

والجزائري لم يـزك نفسـه فحسـب، وإنمـا زكى من يقرأ له، وضمن له مـا ليس من حقـه، وإنمـا هـو من حق الله وحده، وهذا تقمص للربوبية، وقد قال الله - تعالى - لنبيه صـلى اللـه عليـه وسـلم:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وهذا من فتن وبلايا ومخازي الصـوفية الضـالة؛ فهم يفتاتون على الله؛ لأنهم لا يعلمون حدود ما شـرع ولا حقوق ما أنزل، وقـد اسـتمرؤوا الجهـل وابتعـدوا عن الهدى والعلم؛ فيزكون أنفسهم بمثل هذه الشطحات والسـلوكيات الفاسـدة الـتي يردهـا الكتـاب والسـنة وفقه هذه الشريعة الشاملة الكاملة السمحة.

قال صاحب (العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية ص: 281): "ومن طاماته [يعني: أبـا حامـد الغـزالي الصوفي [الذي يوصف بحجة الإسلام] صـاحب كتـاب (إحياء علوم الـدين) تزكيـة الأنفس ومخالفـة مـا هـو معلوم عند المسلمين بالضرورة.

قـال الغـزالي: وقـد قـال بعض العـارفين: كوشـفت بأربعين حـوراء، رأيتهن يتسـاعين في الهـواء، عليهن ثيـاب من ذهب وفضـة وجـوهر، يتخشـخش ويتثـنى

معهن، فنظرت إليهن نظـرة، فعـوقبت أربعين يومـاً، ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء،

فوقهن في الحسن والجمال، وقيل لي: انظـر إليهن، فسـجدت وغمضـت عيـني في سـجودي؛ لئلا أنظـر إليهن، وقلت: أعوذ بك مما سواك، لا حاجة لي بهـذا، فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عني[1].

*التعليق:

ترى في هذا النص ما يخالف المعلوم عند المسلمين من الدين بالضرورة، فتزكيـة النفس أمـر منهي عنـه في القـرآن وفي السـنة، وهـو منهـاج يهـودي، أخـذه الصوفية من اليهود، أما المسـلم الحـق، فيعيش بين الخوف والرجاء.

قـال - تعـالى -: ﴿ أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَـهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا۝ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾.

قال الحافظ العماد ابن كثير:

(قال الحسن وقتادة: نزلت هذه - قوله: ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَـهُمْ﴾ - في اليهـود والنصـارى حين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[2].

[1] يدعي الصوفية الأفاكون أن هذه تُجْرَى لهم كرامات وتزكية، وهي أكاذيب أو أحوال شيطانية، قال - تعالى - : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنزلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنزلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، وما في كتاب الغزالي: (الإحياء..) عن الصوفية أسوأ بكثير من هذا الذي ذكره. أبو عبد الرحمن.

[2] ونص الآية الكريمة:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾؛ فالتزكية

وقال الإمام أحمد: حدثنا معتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند: قال عمر بن الخطاب:(من قال: أنا مـؤمن؛ فهو كافر، ومن قال: أنا عالم؛ فهو جاهل، ومن قال: أنا في الجنة؛ فهو في النار).

وكل ما ورد من نهي عن النبي صلى الله عليه وسلم في المـدح؛ فهـو صـادق على الإنسـان نفسـه قبـل غيره؛ كما ثبت - في صحيح مسلم - عن المقـداد بن الأسود:(أمرنا رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم أن نحثو في وجه المداحين التراب) [1]

وفي القرآن: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُـوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

وفي مسند أحمد: «من يرد الله بـه خـيراً يفقهـه في الدين، وإن هذا المال حلو خضـر، فمن يأخـذه بحقـه يبارك له فيه؛ وإياكم والتمادح؛ فإنه الذبح».

والحكم لأحد بجنة أو نار في حياته أو بعد موته منهاج يهـودي - أيضـاً -، أمـا المسـلمون والسـلف الصـالح فمنهاجهم عدم الحكم لأحد بجنة أو نار.

أخرج البخاري - في صحيحه - بســنده إلى أم العلاء: امرأة من الأنصار بايعت النبي صلى الله عليه وسلم؛ قالت: إنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار عثمــان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الـذي تـوفي

الصوفية من إرث اليهود والنصارى!!، ولا تمت إلى الإسلام وأهله بصلة. أبو عبد الرحمن.

[1] لفظ حديث المقداد بن الأسود في صحيح مسلم: "أمرنا رسول الله صلى عليه وسلم أن نحثي في وجوه المداحين التراب"، وفي لفظ: «إِذَا رأيتم المداحِين فاحثوا فى وجوههم التراب».

فيـه، فلمـا تـوفي، وغسـل وكفن في أثوابـه؛ دخـل الرسول صلى الله عليـه وسـلم، فقلت: رحمـة اللـه عليك أبا السائب؛ فشهادتي عليك لقـد أكرمـك اللـه، فقال النبي صلى الله عليـه وسـلم: «ومـا يـدريك أن الله قد أكرمه؟!»، فقلت: بأبي أنت يـا رسـول اللـه؛ فمن يكرمه الله؟! فقال: «أما هو فقد جـاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنـا رسـول الله ما يفعل بي»، قالت: فو الله لا أزكي أحداً بعـده أبداً.

انظر إلى سيد الأولين والآخرين لا يحكم لنفسه بجنة بعد وفاته، وهؤلاء يزعمون لأنفسهم أكـثر من ذلـك، فبعداً لهم وسحقاً.

وفي صحيح مسلم عن عائشـة أم المؤمـنين، قـالت: توفي صبي: فقلت: طوبى لـه عصـفور من عصـافير الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولا تدرين أن الله خلق الجنـة وخلـق النـار، فخلـق لهـذه أهلاً ولهذه أهلاً؟!».

فالنبي صلى الله عليه وسلم حريص على أمته رحيم بهم، يـدلهم على خـير مـا ينفعهم ويحـذرهم شـر مـا يضـرهم، ويجعلهم الأمـة الصـادقة الـتي تتعامـل مـع خالقها على ما يرضيه منها, وذلك باتباع كتابـه وسـنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وأما هؤلاء الضـلال فيسـخرون من الأمـة ويضـحكون عليهـا، ويجعلونهـا أمـة تائهـة تعيش على الأمـاني والأحلام وعلى الكذب والدجل، وشر منهم أهـل هـذا

العصـر الـذي نحن فيـه، الـذي اتضـحت فيـه معـالم السـنة، وافتضـحت فيـه مخـازي البدعـة، ومـع ذلـك يحيطون أنفسـهم بأسـوار من البـدع، ويكـذبون على الناس بالليل والنهار..".

قلت: عدم الحكم لأحد بجنة أو نار في حياته أو بعـد مماته ما لم يقم الدليل على ذلك خاص بأهل القبلة، أما الكافر فلا يحكم له بجنـة أو نـار في حياتـه، وأمـا بعد مماته على كفره فيحكم له بالنار؛ فالله - تعـالى - يقـول في الكفـار إذا مـاتوا على كفـرهم: ﴿وَلاَ يَـدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَـلُ فِي سَـمِّ الْخِيَـاطِ وَكَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُجْـرِمِينَ﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَـادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، وآيات كثيرة في كون الكفار إذا ماتوا فمصيرهم إلى النار.

وحكم رسول الله صلى الله عليهم بالنار، وذلك فيمـا رواه مسلم في صـحيحه من حـديث أبي هريـرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قـال: «والـذي نفس محمد بيـده لا يسـمع بي أحـد من هـذه الأمـة: يهـودي ولا نصـراني ثم يمـوت ولم يـؤمن بالـذي أرسلت به إلا كـان من أصـحاب النـار»، وقـال صـلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه قبـل إسـلامه: «حيثمـا مررت بقبر كافر فبشره بالنار», والنصوص في ذلـك من الكتـاب والسـنة وأقـوال السـلف وعلمـاء أهـل السنة كثيرة وواضحة جلية في كون الكـافر إذا مـات على كفـره يحكم عليـه بـالخلود في النـار، وهكـذا عموم أقوال المتأخرين.

والأصل أن الكـافر معلـوم الكفـر إذا مـات ولم يعلم منه إسلام أنه مات على كفره.

قلت: وانظـــر ضـــميمةً إلى صـــوفيات وجهـــالات وتخريفات وتخليطات الجزائري في ما تقدم ما يأتي، فقد قال: عن قبر النبي صلى الله عليـه وسـلم (في رسـائله، آخـر رسـالة الحج المـبرور: 1/180) تحت عنوان: شرف الوقوف على قبر الرسول صـلى اللـه عليه وسلم من قرب..: "ولا ننسى أن هـذا المسـجد فاز بمَزِيَّة، وتسامى بمنقبة عالية، **وذلك أن زيارته تمكن من زيـــارة أشـــرف مـــزار، وتوقف بالمسلم موقفًا لا يسـاويه أهـل ولا دار، ولا درهم ولا دينار، توصـله إلى قـبر ضـم أعظم رفـــات، فكـــان بـــذلك أقـــدس بقعـــة في العـالمين، وأشـرف مكـان في السـماوات والأراضين، هو قـبر محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم.**

وأي مؤمن كامل الإيمان، وأي مسـلم حسـن الإسلام لا يحن شوقاً لرؤية حجرة ضـمت خـير مولود **وسيد الوجود**[!!].

ومـا حب الـديار شـغفن قلـبي ولكن حب من سكن الديارا"!!.

قلت: لاشك ولا ريب في فوز المسجد النبوي بمزية عالية من اللـه الـذي هـذا الـدين من عظيم فضـله - سبحانه - على هذه الأمة، ولكن ليس ذلك لما زعمـه الجزائـري وهـذا الـزعم إنمـا هـو غلـو صـارخ أملتـه عاطفة جامحة غير موزونـة بمـيزان الشـرع الحـنيف وغـير مقيـدة بـه وبقيـوده، ويـدل على جهلـه وفسـاد تصوره للدين الحق، وأنه من دعاة التهـييج على شـد

الرحال إلى القبـور وتقديسـها بطريقـة غـير صـريحة وملتوية ماكرة.

ففي **قوله**: "لا ننسى أن هذا المسجد فاز بمَزِيَّة، وتسامى بمنقبة عالية.."!!، محادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوة للقبورية التي نهى عنها وحذر من فتنتها، ولعن أصحابها، وأمر بتسويتها، وبين ما يوجبه الشرع وينهى عنه ويتوعد عليه، وموقف المسلم منها وعقيدته تجاهها، وما شرعت له زيارتها بدون شد رحل: فقد قال صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري ومسلم -: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وفي رواية للبخاري: قالت عائشة:ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.
وفي البخاري ومسلم - أيضاً -: أن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نُزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يحذر ما صنعوا .
وقال صلى الله عليه وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»، رواه مسلم، وفي رواية في مسلم - أيضاً -: «فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»؛ فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور خشية الافتتان بها، حماية لجناب التوحيد والعقيدة، فقد كانت النفوس في الجاهلية تتعلق بها، فلما تمكنت العقيدة من نفوس المؤمنين بعد نهيهم عن زيارتها؛ لتعليمهم،

أجاز لهم زيارتها؛ لأنها تذكر الموت؛ وبقي النهي فيما ورد النهي عنه على بابه ومورده.

وللأسف فقد عادت تلك الجاهلية منذ قرون إلى بلاد الإسلام لما ابتعد المسلمون عن دينهم بسبب اندراس العلم وجهلهم بكتاب الله - تعالى - وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وفي صحيح مسلم ما بعث عليه رسول الله علي بن أبي طالب ألا يدعه, وبعث عليه علي أبا الهياج الأسدي، وفيه: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»، وذلك خوف الفتنة.

وفي صحيح البخاري ومسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى».

والجزائري قد جعل قبر النبي مـزاراً مقصـوداً بالنيـة استقلالاً، ولم يقصره على ما كان عليه السـلف لمن كان في المدينة أو وصل إليها، ولا يكون شـد الرحـل لأجل القبر، ويفهم من كلامه أن المساجد الـتي فيهـا القبور تَشْـرُف وتتسـامى على غيرهـا؛ لكـون القبـور فيها!، وأن تربة قبر النبي صـلى عليـه وسـلم أفضـل من العـرش والكرسـي؛ لقولـه: "أقـدس بقعـة في العالمين وأشـرف مكـان في السـموات والأراضـين" وفيه - أيضـاً - تفضـيل البقعـة أو التربـة على الكعبـة والبيت المعمور والمسجد الحرام والمسـجد النبـوي، والمسجد الأقصى!!.

يُقْضَى على المرء في أيام محنته حتى يَـرَى حسناً ما ليس بالحسن

ومعلـوم أن قـبر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وصاحبيه رضي الله عنهمـا كـانت في حجـرة عائشـة رضـي اللـه عنهـا وهي وحجـرات أزواجـه الأخريـات رضي الله عنهن خـارج المسـجد، ولم تُـدخل القبـور الثلاثـة في بنيانـه أي: لم يكن البنيـان محتويـاً لهـا إلا في دولة بني أمية: في عهد الوليد بن عبد الملـك بن مروان، بعد التسعين من الهجرة، وقد توفي الصحابة الذين كـانوا في المدينـة جميعـاً فلم يبـق منهم أحـد، وقد ذُكر أن التابعي الجليل سـعيد بن المسـيب أنكـر فعل الوليد.

وبقي البنيان على حاله بعد ذلك مما يوهم أن القبـور الثلاثة في المسجد، وليس الأمر كذلك، وإنمـا أدخلت في البنيان، ولم تَدخل البقعة التي فيها القبـور أصـلاً، ومـا يفهم من كلام الجزائـري أن القبـور كـانت في المسجد، وذلك غير صحيح.

وكـانت سـماء القبـور مكشـوفة - بعـد إدخالهـا في البنيـان - إلا في دولـة المماليـك، أيـام السـلطان المملـوكي: (المنصـور سـيف الـدين قلاوون الألفي الصـالحي): في القـرن السـابع الهجـري، عـام: (676هـ): ستة وسـبعين وسـتمئة؛ حيث جعلت عليهـا قبة من خشـب الـزان، ويجـدد مـا يتلـف منهـا بفعـل عامل التقادم والرطوبة وغير ذلك إلى أن بنيت عليها القبـة الحاليـة في حكم الدولـة التركيـة في ولايـة

السـلطان: محمـود الثـاني، وهي متقدمـة عن بنـاء المسجد الحالي: البناء التركي؛ فقـد بنـاه السـلطان: عبد المجيـد الأول، مـابين: (1265-1277هـ) مئـتين وخمسة وسـتين وألـف، إلى مئـتين وسـبعة وسـبعين وألف من الهجرة النبوية.

ويفهم من كلام الجزائري - أيضاً - مشـروعية الـدفن في المساجد وذلـك باطـل, وهـو بعض مـا يتعلـق بـه القبوريـــون وبعض تحججهم على دفن المـــوتى في المسـاجد، وبنـاء المسـاجد على القبـور، وهـو تعلـق وتحجج باطل شرعاً، وبالنسبة لقبر النبي صلى عليـه وسلم وصاحبيه وأنها في المسجد باطل واقعـاً، وهي كغيرها فيما عدا ذلك.

ولولا خوف الفتنة لأبرز قبره - كمـا تقـدم فيـه قـول عائشة -.

ولخصوصية للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم كمـا في حـديث أبي بكـر الصـديق رضـي اللـه عنـه، عن أم المؤمنين عائشة رضي اللـه عنهـا قـالت: "لمـا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفـوا في دفنـه، فقال أبو بكـر: سـمعت من رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم شيئاً ما نسيته، قال: «ما قبض اللـه نبيـاً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه» فدفنوه في موضع فراشه".

قـال علامـة الحـديث محمـد ناصـر الـدين الألبـاني - رحمه الله - (في أحكام الجنـائز وبـدعها ص: 173): "والسنة الـدفن في المقـبرة؛ لأن النـبي صـلى اللـه

عليه وسلم كان يدفن الموتى في مقبرة البقيع، كمـا تواترت الأخبار بذلك، ولم ينقل عن أحـد من السـلف أنه دفن في غـير المقـبرة، إلا مـا تـواتر - أيضـاً - أن النبي صلى الله عليه وسـلم دفن في حجرتـه، وذلـك **من خصوصياته** عليه الصلاة والسلام، كما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها"، أي: حـديث أبي بكـر السابق، فأورده، وقـد قـال عنـه قبـل ذلـك: صـحيح، وقـال عنـه هنـا: "حـديث ثـابت بمـا لـه من الطـرق والشواهد".

فبقاء هذه الحال في المسجد النبوي بعد فعل الوليـد بن عبد الملك، وفي الدولة السعودية إلى هذا الوقت كان لثلاثة أسباب:

الأول: هدم البناء - ليعود الأمـر كمـا كـان - يخشـى منه التلاعب بالمسجد، فيأتي حاكم يهدم، ويأتي آخـر يبني، وهكذا، كما خشي في رد الكعبة المشرفة كما بناها عبد الله بن الزبير رضي اللـه عنـه على قواعـد إبـراهيم، لمـا جـاء في الحـديث الـذي رواه البخـاري ومسلم، عن عائشة رضي الله عنها: أن النـبي صـلى الله عليه وسلم قال لها: «يا عائشة لـولا أن قومـك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض، وجعلت له بـابين: بابـاً شرقياً وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم»، وكـان قـد أصـابها التصـدع في حـرب ابن الزبـير والحجـاج، ولما بلغ هارون الرشيد أو أبوه المهدي حديث عائشة وكان عبد الملك بن مروان قـد أمـر أن تعـاد الكعبـة

على أساسـها قبـل بنـاء ابن الزبـير فأعيـدت، قـال: "وددنا أنا تركناه وما تولى" يعني: ابن الزبير.

فأشار عليه الإمام مالك بعدم هدمها وبنائها من جديد حتى لا تكون لعبة للملوك.

و ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أنه من السنة، ولو ترك بناء ابن الزبير لكان جيداً، وأنه بعد هدم الحجاج زيادة ابن الزبير كُرِه إعادة البناء.

فقد قال (في تفسيره: 1/220)، عند قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾، الآية: "وقد كانت السنة إقرار ما فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما؛ لأنه هو الذي ودَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن خُشِيَ أن تنكره قلوب بعض الناس لحداثة عهدهم بالإسلام وقرب عهدهم بالكفر، ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك بن مروان، ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وددنا أنا تركناه وما تولى)"، وبعد أن أورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة، لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة حتى أزيد فيها من الحجر، فإن قومك قصروا في البناء».

قال: "فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة؛ لأنه رويَ عنها من طرق صحيحة متعددة عن: الأسود بن يزيد، والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعروة

بن الزبير، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير، فلو ترك لكان جيداً.

ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله، كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكاً عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير، فقال له الإمام مالك :(يا أمير المؤمنين، لا تجعل كعبة الله ملعبةً للملوك، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها)، فترك ذلك الرشيد، نقله عياض والنووي".

قلت: فيكون عبد الملك وهارون أو أبوه تمنوا أنهم تركوا البيت على ما بناه ابن الزبير، بعد أن بلغتهم السنة - رحمهم الله -.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعتذر للحجاج أنه ما أراد رمي أو هدم الكعبة، ولا يفعله مسلم، وإنما أراد المتحصنين حولها وكان الرمي يطيش فيصيبها عن غير قصد.

والثاني: كون النبي يقبض في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه وهو صلى الله عليه وسلم قبض في بيته: في حجرة زوجته عائشة وهي خارجة عن المسجد، ولم تكن فيه أصلاً.

والثالث: الخوف من أن يتخذ مسجداً؛ لقول عائشة - المتقدم -: "ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً"، ولعل هذا كان قبل أن يبلغهم حديث أبي بكر المتقدم - أيضاً -.

لاسيما وقد قال سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -: "ولا يظن ظان أن هذا من جنس البناء على القبور أو اتخاذها مساجد؛ لأن هذا بيت مستقل أدخل في المسجد؛ للحاجة للتوسعة، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضره، وهكذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم مفصول بجدار وقضبان"، ويأتي قريباً.

وقال سماحته (في مجموع فتاواه: 4/337): "قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» متفق على صحته.

وثبت عن عائشة رضي الله عنها: أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال صلى الله عليه وسلم: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله» متفق عليه.

وروى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

وروى مسلم - أيضاً - عن جابر رضـي اللـه عنـه عن النبي صلى الله عليـه وسـلم: «أنـه نهى أن يجصـص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه».

فهذه الأحاديث الصحيحة، ومـا جـاء في معناهـا كلهـا تدل على تحريم اتخـاذ المسـاجد على القبـور، ولعن من فعـل ذلـك، كمـا تـدل على تحـريم البنـاء على القبور، واتخاذ القباب عليها وتجصيصها؛ لأن ذلـك من أسباب الشرك بها، وعبادة سكانها من دون الله، كما قد وقع ذلك قديماً وحديثاً، فالواجب على المسـلمين أينما كانوا أن يحذروا مما نهى رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم عنـه، وألا يغـتروا بمـا فعلـه كثـير من النـاس، فـإن الحـق هـو ضـالة المـؤمن مـتى وجـدها أخذها، والحق يعـرف بالـدليل من الكتـاب والسـنة لا بآراء الناس وأعمالهم.

والرسـول محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وصـاحباه رضي الله عنهما لم يدفنوا في المسجد، وإنما دفنـوا في بيت عائشة، ولكن لمـا وسـع المسـجد في عهـد الوليد بن عبد الملك أدخل الحجرة في المســجد في آخر القرن الأول، ولا يعتبر عمله هذا في حكم الدفن في المسـجد؛ لأن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم وصاحبيه لم ينقلوا إلى أرض المسـجد، وإنمـا أدخلت الحجرة التي هم بها في المسجد من أجل التوسـعة، فلا يكون في ذلك حجـة لأحـد على جـواز البنـاء على القبور، أو اتخاذ المساجد عليها، أو الـدفن فيهـا، لمـا ذكرتـه - آنفـاً - من الأحـاديث الصـحيحة المانعـة من ذلك.

وعمل الوليد ليس فيه حجـة على مـا يخـالف السـنة الثابتة عن رسول الله".

وقال - أيضاً - (10/199): "هنا شبهة يشبه بها عباد القبور، وهي: وجود قبر النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده.

والجواب عن ذلك: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يدفنوه في مسجده، وإنما دفنوه في بيت عائشة رضي الله عنها، فلما وسع الوليد بن عبد الملك مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر القرن الأول أدخل الحجرة في المسجد، وقد أساء في ذلك، وأنكر عليه بعض أهل العلم، ولكنه اعتقد أن ذلك لا بأس به من أجل التوسعة".

وقال (10/206): "أما احتجاج بعض الجهلة بوجود قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه في مسجده فلا حجة في ذلك؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم دفن في بيته وليس في المسجد، ودفن معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن لما وسع الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد أدخل البيت في المسجد؛ بسبب التوسعة، وغلط في هذا، وكان الواجب أن لا يدخله في المسجد؛ حتى لا يحتج الجهلة وأشباههم بذلك، وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك، فلا يجوز أن يقتدى به في هذا.

ولا يظن ظان أن هذا من جنس البناء على القبور أو اتخاذها مساجد؛ لأن هذا بيت مستقل أدخل في المسجد؛ للحاجة للتوسعة ، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضره،

وهكذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم مفصول بجدار وقضبان.
وينبغي للمسلم أن يبين لإخوانه هذا؛ حتى لا يغلطوا في هذه المسألة".
وسئل العلامة محمد بن صالح بن عثيمين (كما في مجموعة فتاواه: 1/232): "كيف نجيب عباد القبور الذين يحتجون بدفن النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي؟".
فأجاب بقوله: "الجواب عن ذلك من وجوه : **الوجه الأول**: أن المسجد لم يبن على القبر بل بني في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .
الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد؛ بل دفن صلى الله عليه وسلم في بيته.
الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول صلى الله عليهم وسلم، ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم، وذلك في عام أربعة وتسعين هجرية تقريباً، فليس مما أجازه الصحابة؛ بل إن بعضهم خالف في ذلك وممن خالف - أيضاً - سعيد بن المسيب .
الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد فليس المسجد مبنياً عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظاً ومحوطاً بثلاثة جدران، وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة أي: أنه مثلث، والركن في الزاوية الشمالية حيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى؛ لأنه منحرف، وبهذا يبطل احتجاج أهل القبور بهذه الشبهة".

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (في التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص: 260) عن خروج عائشة رضي الله عنها وما حدث فيما بعد: "ولما دفن عمرُ رضي الله عنه تركت الحجرة رضي الله عنها، ثم أُغلقت الحجرة، فلم يكن ثم باب فيها يدخل منه إليها..ولما زيد في بناء المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك، وكان أمير المدينة يوم ذاك عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وأخذوا بعضاً من حجر زوجات النبي عليه الصلاة والسلام: بقيت حجرة النبي عليه الصلاة والسلام كذلك، فأخذوا من الروضة جزءاً، وبنوا عليه جداراً آخر غير الجدار **الأول**، بنوه من **ثلاث** جهات، وجعلوا جهة الشمال مسنمة أي: مثلثة، فصار عندنا الآن جداران: الجدار **الأول**: مغلق تماماً، وهو جدار حجرة عائشة، والجدار **الثاني**: الذي عمل في إمرة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - زمن الوليد بن عبد الملك وقد جعلوه من جهة الشمال - وهي عكس القبلة - مسنماً؛ لأنه في تلك الجهة جاءت التوسعة، فخشوا أن يكون ذلك الجدار مربعاً، يعني: مسامتاً للمستقبل، فيكون إذا استقبله أحد فقد استقبل القبر، فجعلوه مثلثاً، يبعد كثيراً عن الجدار الأول، وهو: جدار حجرة عائشة؛ لأجل أن لا يمكن لأحد أن يستقبل القبر؛ لبعد المسافة؛ ولأجل أن الجدار صار مثلثاً.

ثم بعد ذلك بأزمان جاء جدار ثالث - أيضاً - وبني حول ذينك الجدارين، وهو الذي قال فيه ابن القيم - رحمه الله - في النونية في وصف دعاء النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»، قال:

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحـاطـه بـثـلاثـة الـجـدران
حـتى غـدت أرجـاؤه بدعائـه في عـــزة وحـمـايـة وصـــيـان

فأصبح قبر النبي عليه الصلاة والسلام محاطاً **بثلاثة** جدران، وكل جدار ليس فيه باب، فلا يمكن لأحد أن يدخل ويقف على القبر بنفسه؛ لأنه صار ثم جداران، وكل جدار ليس له باب، ثم بعد ذلك وضع الجدار **الثالث**، وهذا الجدار - أيضاً - ليس له باب، وهو كبير مرتفع، وهو الذي وضعت عليه القبة فيما بعد، فلا يستطيع أحد الآن أن يدخل إلى القبر، أو أن يتمسح به، أو أن يرى مجرد القبر، ثم بعد ذلك: وضع السور الحديدي بينه وبين الجدار **الثالث** نحو متر ونصف في بعض المناطق، ونحو متر في بعضها، وفي بعضها نحو متر وثمانين إلى مترين، يضيق ويزداد، لكن من مشى: فإنه يمشي بين ذلك الجدار الحديدي، وبين الجدار **الثالث**.

فالحاصل: أن المسلمين عملوا بوصيته عليه الصلاة والسلام، وأُبعد قبره، بحيث لا يمكن لأحد أن يصل إليه؛ ولهذا لما جاء الخرافيون في عهد الدولة العثمانية فتحوا في التوسعة التي هي من جهة الشرق ممراً؛ لكي يمكن من يريد أن يطوف بالقبر، أو أن يصلي في تلك الجهة، أو أن يطوف، أو يصلي!! وذلك الممر الشرقي - الذي هو قدر مترين أو يزيد قليلاً - قد منعت الصلاة فيه في عهد الدولة السعودية الأولى، وما بعدها، فكأنه أخرج من كونه مسجداً؛ لأنه إذا كان من مسجد النبي عليه الصلاة والسلام: فلا يجوز أن يمنعوا أحداً من الصلاة فيه، فلما منعوا الصلاة فيه جعلوا له حكم المقبرة، ولم يجعلوا له حكم المسجد، فلا يمكن لأحد أن يصلي

فيه، بل يغلقونه وقت الصلاة، أما وقت السلام أو وقت الزيارة فإنهم يفتحونه للمرور .

فتبين بذلك أن قبر النبي عليه الصلاة والسلام لم يتخذ مسجداً، وإنما أدخلت الغرف بالتوسعة في عهد التابعين في المسجد، ولكن جهته الشرقية خارجة عن المسجد، فصارت كالشيء الذي دخل في المسجد، ولكن الحيطان المتعددة - وهي الجدران الأربعة التي تفصل بين القبر والمسجد - تمنع أن يكون القبر في داخل المسجد، يعني مكان الدفن.

ومما يدل على أخذ الصحابة والتابعين ومن بعدهم بوصية النبي عليه الصلاة والسلام هذه، وسد الطرق الموصلة إلى الشرك به عليه الصلاة والسلام، وعدم اتخاذ قبره مسجداً، أنهم أخذوا من الروضة الشريفة التي هي روضة من رياض الجنة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»، قدر **ثلاثة** أمتار، لكي يبنوا الجدار **الثاني**، ثم الجدار **الثالث** وأخذوا أكثر من **ثلاثة** أمتار لإقامة السور الحديدي، فهذا من أعظم التطبيق والعمل بوصيته عليه الصلاة والسلام؛ حيث إنهم أخذوا من الروضة، وأجازوا أن يأخذوا من المسجد؛ لأجل أن يحمى قبر النبي عليه الصلاة والسلام من أن يتخذ مسجداً، وهذا - ولا شك - يدل على عظيم فقه من قاموا بذلك العمل، ففصل القبر عن المسجد بهذه الكيفية التي وصفت هو من رحمة الله - جل وعلا - بهذه الأمة، ومن إجابة دعوة النبي عليه الصلاة والسلام لما دعا بقوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد».

إذن فلقوله عليه الصلاة والسلام: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر ما صنعوا، لم يتخذ قبره مسجداً.

والموجود اليوم في المسجد النبوي قد تكون صورته عند من لم يحسن التأمل، وعند غير الفقيه صورة قبر في داخل مسجد، وليست الحقيقة كذلك؛ لوجود الجِدارِين المختلفة التي تفصل بين المسجد وبين القبر؛ ولأن الجهة الشرقية منه ليست من المسجد؛ ولهذا لما جاءت التوسعة الأخيرة، كان مبتدؤها من جهة الشمال بعد نهاية الحجرة بكثير، حتى لا تكون الحجرة في وسط المسجد؛ فيكون ذلك من اتخاذ قبره مسجداً عليه الصلاة والسلام .

فالمقصود من هذا البيان: أن قبر النبي عليه الصلاة والسلام ما اتخذ مسجداً، وأن وصيته عليه الصلاة والسلام في التحذير قد أخذ بها في مسجده وفي قبره".

قلت: ومما يذكر فيشكر للدولة السعودية المباركة، دولة التوحيد **-** حرسها الله **-**: **العمل بتلك السنة الثابتة**؛ فإنه عندما وسعت المسجد النبوي الشريف لم تجعل التوسعة في الجهة الشرقية التي تحاذي القبور، بل أخرتها إلى الجهة الشمالية وجعلت امتدادها في محاذاتها شرقاً وغرباً وإلى الشمال؛ حتى لا تكون شريكة في الخطأ الذي وقع فيه الوليد بن عبد الملك الأموي **-** رحمه الله **-** بضم البقعة التي فيها القبور إلى بنيان المسجد, بل ستكون حينئذ وسط المسجد، متحملة تكلفة تلك المساحات الواسعة المهدرة مرتفعة الأثمان، أخذاً بما كتب به إليها بعض العلماء، وكنت مطلعاً وشاهداً عليه في حينه، وهو ما أشار إليه الشيخ صالح في آخر كلامه، وذلك من ثمرات التوحيد والسنة، وقبول ولاة الأمر لنصح الناصحين من العلماء، وهو بلا شك

سنة حسنة وخير عظيم، جـزاهم اللـه على ذلـك عن النبي عليه الصـلاة وسـلم وعن الإسـلام والمسـلمين خير الجزاء.

قلت: وسئل العلامة ابن عثيمين (كما في فتاواه: 2/ 188): "هل يشرع للإنسان أن يقول:

"اللهم اجعلني لقبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من الزائرين أو يقول: لمسجد نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من الزائرين؟".

فأجاب قائلاً: "المشروع أن يقول: لمسجده صلى الله عليه وسلم من الزائرين؛ لأن مسجده هو الذي تشد إليه الرحال وليس قبره، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

وها هنا نقطة أحب أن أنبه عليها وهي: أن كثيراً من الناس يتشوقون إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما يتشوقون إلى زيارة مسجده، بل أكثر مما يتشوقون إلى زيارة الكعبة بيت الله - عز وجل - وهذا من الضلال البين، فإن حق النبي صلى الله عليه وسلم لا يشك أحد أنه دون حق الله - تعالى - فالرسول عليه الصلاة والسلام بشر مرسل من عند الله.

ولولا أن الله اجتباه برسالته لم يكن له من الحق هذا الحق الذي يفوق حق كل بشر.

أما أن يكون مساوياً لحق الله - عز وجل - أو يكون في قلب الإنسان محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزيد على محبة الله؛ فإن هذا خطأ عظيم؛ فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله، وتعظيمنا له صلى الله عليه وسلم تابع لتعظيم الله - عز وجل - وهو دون تعظيم الله - تعالى -.

ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن نغلو فيه، وأن نجعل له حقاً مساوياً لحق الله - عز وجل - فقد قال له رجل مرة: ما شاء الله وشئت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجعلتني لله نداً؛ بل ما شاء الله وحده».

والخلاصة: أنه يجب على الإنسان أن يكون تعظيم الله - تعالى - ومحبته في قلبه أعظم من محبة وتعظيم كل أحد، وأن تكون محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلبه أعظم من محبة وتعظيم كل مخلوق، وأما أن يساوي بين حق الرسول صلى الله عليه وسلم وحق الله - تعالى - فيما يختص الله به فهذا خطأ عظيم".

و**أقول** - بعد هذا البيان مما في النصوص وكلام الصحابة وكلام العلماء من بعدهم وشروحهم - أليس في تسطيح الجزائري طعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم توقير له؟، أم أن المقدم على نصوص السنة وكلام الصحابة والأئمة من أهل العلم ذوق الجزائري المجرد وغفلته وفساد مشربه وجهالته وانحراف عقيدته؟!!.

و**قوله**: "شرف الوقوف على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم من قرب.."من جنس ما سبق من المشرب الفاسد والمعتقد المنحرف والغلو المرفوض.

وقد خلط المؤلف بين فضل الجسد الشريف, وبين ما لا فضل له في الشرع، وهو البقعة أو التربة؛ لعدم الدليل عليه، لا قبل دفنه - فيها بسكناها - ولا بعده، ولو فرض أنه قد ثبت لها فضل فلا يشرع ما ذكره الجزائري - بحجة أن لها فضلاً - حتى يرد الدليل

على ذلك، ولا دليل عليه، بل يدل كلامه على وجــوب ما ذكر؛ لأجل الفضل والشرف المزعوم لتلك التربة، وهو ما لم يقل به أحد من علماء أهل السنة, بل هــو غلــو، وغايــة مــا في الأمــر قــول بعضــهم باســتحباب الزيــارة أو الجــواز لمن هــو في المدينــة بــدون شــد رحل؛ لأجل المقبور صلى الله عليه وسلم لا من أجل البقعة أو التربة.

وهــو مــا ســيأتي من كلام الجزائــري في رده على محمد علوي المالكي، وهو من تناقضــاته الكثــيرة، أو أنه يحكي منهج السلفيين أهل السنة ولا يؤمن به.

ويا تــرى هــل الصــحابة الــذين لم يــزوروا قــبر النــبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما عدا ابن عمــر رضــي اللــه عنــه حين يقــدم من ســفر قــد فاتهم هذا الفضــل وذاك الخــير - وهم من هم حرصًــا على السنة والخير - وزهدوا في ذلــك الفضــل ســواء كان للقبر أو التربة التي هــو فيهــا؟!!، اللهم لــو كــان خيرًا لسبقوا إليه.

وقــد ســار المؤلــف في ذلــك على ســنن ودرب من ســبقه من أصــحاب العواطــف - دون النظــر إلى الشرع - من أمثــال القاضــي عيــاض - رحمــه اللــه - الذي قال (في الشفاء: 2/682): "لا خلاف أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض"، فقد خلط ووافقه الجزائري في التخليط - وأنى للجزائري علم القاضــي عيــاض -، بــل قــد زاد الجزائــري عليــه وبالغ فغلا، فقال قوله:- المتقدم -: "**أقــدس بقعــة**

في العالمين، وأشرف مكـان في السـماوات والأراضين"!!.

وأهــل الســنة والعلم والــدين لا يــرون تلازمًــا بين الجسد الشريف الذي هو أفضـل مـا خلـق اللـه على الإطلاق ومصـطفاه من خلقـه، - وهـذا عليـه إجمـاع الأمة - وبين التربة؛ فلا دليل على تفضيلها، ولـو كـان الأمر كما رأى - بالقرب والمجاورة أو كونه خرج من الشيء - لكان منه تكتسـب النبـوة وصـفات الأنبيـاء، وهو بين البطلان بالاضطرار من دين الإسـلام وواقـع الأحوال.

وقـد سـمعت العلامـة حمـاد بن محمـد الأنصـاري - رحمه الله - وهو يقـول: "أول من قـال بفضـل تربـة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفتح باب فتنة بتلــك البدعة القاضي عياض في كتابه الشفاء".

قلت: وليس القاضي عياض المتـوفى سـنة: 544هـ أول من قـال ذلـك، بـل سـبقه إلى حكايـة الإجمـاع: القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المتـوفى سـنة: 474هــ، وعلي بن خلــف بن عبــد الملــك بن بطال المتوفى سنة: 449هـ، (كمـا في الفصـول في اختصار سيرة الرسول للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ص: 260).

وذلـك خطـأ من قائليـه, خطَّأَهم فيـه العلمـاء - كمـا سيأتي من كلام شيخ الإسـلام ابن تيميـة - ولا صـحة لمـا ادعـوه من إجمـاع إن كـان إجمـاع أهـل السـنة

والجماعة, أما إن كان إجماع الخرافـيين والصـوفيين المبتدعين فلا يعتبر ولا يعتد به.

ولعل الشيخ حمـاداً لم يطلـع إلا على قـول القاضـي عياض، أو اعتمد على قـول شـيخ الإسـلام ابن تيميـة الآتي:

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة (كمـا في مجمـوع الفتاوى: 27/37) وقد سئل عن التربة التي دفن فيها النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم هـل هي أفضـل من المسجد الحرام؟:

"أما (التربة) التي دفن فيهـا النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم فلا أعلم أحداً من الناس قال: إنهـا أفضـل من المسـجد الحـرام أو المسـجد النبـوي أو المسـجد الأقصى إلا القاضي عياض، فذكر ذلـك إجماعـاً، وهـو قول لم يسبقه إليه أحد فيما علمناه، ولا حجة عليـه، بـل بـدن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أفضـل من المساجد.

وأما ما فيه خلق أو ما فيه دفن فلا يلزم إذا كـان هـو أفضل أن يكـون مـا منـه خلـق أفضـل؛ فـإن أحـداً لا يقول: إن بدن عبد الله أبيه أفضل من أبدان الأنبيـاء؛ فـإن اللـه يخـرج الحي من الميت والميت من الحي، ونوح نبي كريم وابنه المغرق كـافر، وإبـراهيم خليـل الـرحمن وأبـوه آزر كـافر. والنصـوص الدالـة على تفضيل المساجد مطلقة لم يستثن منها قبور الأنبيـاء ولا قبـور الصـالحين، ولـو كـان مـا ذكـره حقـاً لكـان مدفن كل نبي، بل وكـل صـالح أفضـل من المسـاجد

التي هي بيوت الله، فيكون بيوت المخلـوقين أفضـل من بيوت الخالق التي أذن الله أن ترفع ويـذكر فيهـا اسـمه، **وهذا قـول مبتـدع في الـدين مخـالف لأصول الإسلام**".

وسئل - أيضاً - عن رجلين تجـادلا فقـال أحـدهما: إن تربة محمد النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أفضـل من السماوات والأرض، وقال الآخر: الكعبة أفضـل. فمـع من الصواب؟.

فأجاب: "الحمد لله، أما نفس محمد صلى الله عليـه وسلم فما خلق الله خلقاً أكرم عليه منه، وأمـا نفس التراب فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام، بل الكعبة أفضل منه، ولا يعرف أحـد من العلمـاء فضـل تـراب القـبر على الكعبـة إلا القاضـي عيـاض، ولم يسبقه أحد إليه ولا وافقه أحد عليه، والله أعلم".

وقول الجزائري: "هو قبر محمد"!!، يؤكـد مـا أشـرنا إليه من دعوته في كلامه إلى الطعن في عقيدة أهل السـنة والجماعـة، فيمـا يخص القبـور، وأن الرجـل يعتمـد على جهلـه وعواطفـه المجـردة ومشـربه الصوفي.

فيا أصحاب العقول أي عقل صحيح سليم يحكم بأنـه إذا كان القبر قبر فلان كان دليلاً على تفضيله، ويلزم منه ما ألزم به هـذا الرجـل في كلامـه؟!!، وهـل من ديننـا المفاضـلة بين القبـور لا المفاضـلة بين المقبورين؟

و**قوله**:"وأي مؤمن كامل الإيمان، وأي مسلم حسن الإسلام"!!.

هذا غلو وجرأة على القول بغير علم حين يقرر أن الذي لا يهفو ولا يتشوق للقبر غير كامل الإيمان، بل هو تنقص لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم، وطعن في إيمانهم، وأنه غير كامل. فقد كانوا لا يأتون إلى قبره صلى الله عليه وسلم، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إلا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين يقدم من سفر، وهو صحابي جليل، فليس ذلك نقصاً في حقه؛ خصوصاً وأن الصحابة لم ينكروا عليه، فذلك يدل على الجواز.
خلاف ما ذهب إليه الجزائري من أن ذلك من العزائم التي بتركها وعدم التشوق إليها نقص الإيمان.
ولو كان في ذلك فضل لتسابقوا إليه، وهم يعلمون أن صلاتهم وسلامهم يبلغه حيث كانوا، لقوله صلى الله عليه وسلم: «..وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».
وقوله: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام». وقوله: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام».
وقد نقض على نفسه (في رده على ولد علوي مالكي في كتابه الذخائر المحمدية: 3/291, ضمن الرسائل)، وهو وما بعده من كلامه حق ورَدٌّ عليه هو نفسه؛ فقد قال حاكياً عن السلفيين - موهماً أنه

على طريقتهم -: "لا يجيزون ولا يمنعون عن رأي لهم أو هوى عندهم إنما هم مع الشرع الحنيف فما أجازه الشرع أجازوه, وما منعه منعوه.
إن السلفيين لا ينكرون زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا قبر أي مؤمن أو مؤمنة بل يرون ذلك من فضائل الأعمال ومستحباتها وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها», كما زار صلى الله عليه وسلم قبر أمه وقبور الشهداء بأحد, وكان يزور مقبرة البقيع ويسلم على أهلها ويستغفر لهم ويترحم عليهم.
واتباعاً لسنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم السلفيون يزورون قبور المؤمنين على وجه الندب والاستحباب, ولا ينكرون على من يزور قبور المؤمنين زيارة شرعية, وإنما ينكرون شد الرحال والسفر البعيد لزيارة أي قبر من قبور المسلمين؛ وذلك لأن نبيهم صلى الله عليه وسلم لم يأذن فيه بقوله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد, المسجد الحرام: ومسجدي هذا, والمسجد الأقصى».
ولذا هم يعدون من المخالفة للنبي صلى الله عليه وسلم أن يسافر المسلم من بلد إلى بلد من أجل زيارة قبر أحد نبياً كان أو ولياً أو غيرهما, وينصحون المسلمين ويعلمونهم أن لا يسافروا إلى المدينة النبوية بقصد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم خاصة, وإنما ينوون بسفرهم زيارة المسجد النبوي الشريف للصلاة فيه أولاً, ثم إذا زاروا المسجد نووا زيارة قبر نبيهم وزاروه وسلموا عليه وعلى صاحبيه

وانصرفوا، هذا هو الحق في هذه المسألة، وعلى هذا كان سلف هذه الأمة".
وقال(في رده على ولد علوي - أيضاً -: 3/295, ضمن الرسائل): "**كون زيارة القبر الشريف من أعظم الأعمال هذه القضية لا نسلم لقائلها حيث لم يورد عليها نصاً صريحاً من كتاب ولا سنة, ولا قولاً صحيحاً من سلف هذه الأمة وأنى له ذلك, وعليه فهي قضية باطلة**.
ولم تكن زيارة القبر الشريف المستحبة في درجة الصلاة ولا الجهاد ولا الحج, ولا بر الوالدين, وإنما هي من فضائل الأعمال كالنوافل وحسبها ذلك.
إنه ليس من حق أي إنسان غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول في قول أو عمل هو من أفضل الأعمال,ومن قال فهو قائل على الله بدون علم وقد حرم الله -تعالى - القول عليه بدون علم؛ لأنه الكذب على الله؛ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب؟.
هذا ولو كان أفضل الأعمال يعرف بالرأي لما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عنها فيجيبهم مبيناً لهم, وحديث ابن مسعود في الصحيح شاهد على ذلك".
قلت: وقد نسي هذا أو تناساه، وهو من تناقضاته الكثيرة!!؛ فهو القائل عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم - فيما تقدم -: " **أقدس بقعة في العالمين، وأشرف مكان في السماوات**

والأراضين"!!، وهو تفضيل بلا دليل، وقد قال ما قال برأيه!!.
وقولـه: "أعظم رفـات" زلـة خطـيرة لمـا فيهـا من التنقص من قـدره صـلى اللـه عليـه وسـلم لمخالفـة الحديث الصحيح الذي فيه استثناء الأنبياء من غيرهم، وهـو قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «فـإن صـلاتكم معروضـة علي»، الحـديث، قـالوا: يـا رسـول اللـه: وكيــف تعــرض صــلاتنا عليــك وقــد أَرِمْت؟، قــال: يقولـون: بَليت، فقـال: «إن اللــه حــرم على الأرض أجساد الأنبياء».

قـال ابن منظـور (في لسـان العـرب): "والرفـات: الحطام من كل شيء تكسر، وفي التنـزيل:

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾، أي: دقاقـاً، وفي حـديث ابن الزبير لما أراد هدم الكعبة وبناءها بـالورس قيـل لـه: إن الورس يتفتت ويصير رفاتاً" .

وقال - أيضًا -: "والرفات: كل ما دُق فكُسـر"، وكـذا قال الأزهري (في تهذيب اللغـة)، وقالـه غيرهمـا من أصحاب المعاجم والمختصين في اللغة.

و**قوله**: "سيد الوجود", هذا دليـل على ضـلاله، وأنـه على طريقــة الصــوفية، وزعمــه هــذا كــذب فليس رسول الله هو سيد الوجود، وإنما سيد الوجود اللـه - سبحانه وتعالى -، ويطلق عليه ذلك من بـاب الإخبـار لا من باب الوصف والتسـمية؛ لأنـه يتوسـع في بـاب الإخبار ما لا يتوسع في باب الأسماء والصـفات؛ فهي وقف على الدليل.

وإطلاقه (سيد الوجود) على الرسول صلى الله عليه وسلم أمر خطير وغلو في مدحه حيث نسب إليه ما هو لله وليس له، وقد قال صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخاري -: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله» أي: لا ترفعوني فوق قدري ومنزلتي التي أنزلني الله إياها.

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم النص على ذلك، فقال: «أنا محمد بن عبد الله أنا عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله»، وقال - فيما ثبت عنه أيضاً -: «أنا سيد ولد آدم».

وقوله: "سيد الوجود" - أيضاً - لوثة صوفية غارقة في الغلو المحرم في دين الإسلام وهي وقول البوصيري الصوفي المشرك سواء بسواء في قوله مخاطباً النبي صلى الله عليه في قبره:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وقد عد مادون هذا أي: قول: (سيد الوجود) غلواً أو خيف منه الغلو كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لوفد بني عامر: «السيد الله» - حين قالوا له: (أنت سيدنا وذو الطول علينا) - فقال: «مه مه، قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان، السيد الله - عز وجل -» خشي صلى عليه وسلم عليهم الغلو في شخصه وذلك استزلال من الشيطان؛ فوجههم صلى الله عليه وسلم إلى

الاعتدال وعـدم المبالغـة الـتي قـد تـؤدي إلى الغلـو، وكــانوا حــديثي عهــد بالإســلام يعظمــون رؤســاءهم ويغلون فيهم، وإن كان هو سيدهم والوصف منطبــق عليه صلى الله عليه وسلم.

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن عبد اللــه بن بــاز - رحمــه اللــه - (كمــا في/ فتــاوى نــور على الــدرب): "الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم هـو سـيد ولـد آدم عليه الصلاة والسـلام بلا شـك، وبإجمـاع أهـل العلم؛ لأنه قال عليه الصـلاة والسـلام : «أنـا سـيد ولـد آدم يوم القيامـة ولا فخر» فهـو سـيد ولـد آدم وأفضـلهم عليـه الصـلاة والسـلام بمـا خصـه اللـه من الرسـالة العامة، والنبوة، والعبودية الخاصـة، والفضـل العظيم الكثير الـذي جـاءت بـه الأحـاديث ودل عليـه القـرآن الكريم، فهو أفضل عباد الله، وهو سيد ولد آدم عليـه الصلاة والسلام.

ولا بأس ولا حرج في أن يقـول الإنسـان: اللهم صـلِّ على سيدنا محمد وعلى آلـه وأصـحابه . فهـذا كلـه لا حــرج فيــه إلا في المواضــع الــتي شــرع اللــه فيهــا تمحيض اسمه وعدم ذكـر السـيد فيهـا، فإنـه لا يـأتي بالسيد فيها، كمـا في التحيـات يقـول : «أشـهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمـداً عبـده ورسـوله»؛ لأنـه لم يرد في هذا المقام ذكر السيد، فـالأولى الاقتصـار على ما جاء في النصوص، وهكذا في الأذان والإقامة يقـول: «أشـهد أن محمـداً رسـول الله»، في الأذان وفي الإقامــة، ولا يقــول : أشــهد أن ســيدنا محمــداً رسول الله؛ لعدم وروده، فلما لم يــرد في النصــوص

استمر المسلمون على عدم ذكر السيد هنا في الصلاة وفي الأذان والإقامة.

الصحابة وغيرهم كلهم لم يرد عنهم أنهم قالوا في الأذان أو الإقامة: سيدنا محمد، بل يقول المؤذن والمقيم: «أشهد أن محمداً رسول الله».

وهكذا في الصلاة يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، هذا هو الأفضل.

أما في المواضع الأخرى مثل الخطبة في الجمعة والأعياد فلا بأس، فالأمر موسع، أو الخطبة في المحاضرات والمؤلفات كل هذا لا بأس به؛ لأنه حق، لأنه سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، وأما ما جاء في حديث عبد الله بن الشخير فقد قال العلماء فيه: إنه قال : «السيد اللّه - تبارك وتعالى -»، من باب التواضع، ومن باب الخوف عليهم أن يغلوا فيه ويطروه عليه الصلاة والسلام فيقعوا في الشرك، فخاف عليهم صلى الله عليه وسلم وقال: «السيد الله - تبارك وتعالى -».

وهذا حق، فهو - سبحانه - سيد الجميع، وهو الملك الأعظم، السيد: هو الملك وهو الحاكم، فالله - جل وعلا - هو أحكم الحاكمين وهو ملك الملوك - سبحانه وتعالى -، فتسميته بالسيد لا محذور فيه ولا إشكال فيه، فهو ملك الملوك وأولى باسم السيد من غيره - سبحانه وتعالى -.

لكن هذا الاسم لا بأس من إطلاقه على غيره، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سيد بني فلان؟» يسأل الصحابة، وقال في قصة سعد بن معاذ لما جاء

للحكم في بني قريظـة قـال للصـحابة: «قومـوا إلى سيدكم»، وقـال في الحسـن بن علي بن ابنتـه: «إِن ابـني هـذا سـيد ولعـل اللّـه أن يصـلح بِـه بين فئـتين عظيمتين» فحقق الله ما قـال، وأصـلح بـه بين أهـل الشام والعراق، فهذا كله يدل على جواز إطلاق اسم السيد على العالم والرئيس والملك وعليه صلى اللـه عليه وسلم؛ لأنه سيد ولد آدم.

وأما قوله: «السيد اللّه - تبارك وتعالى -» فهذا بيـان أن من أسـماء الـرب السـيد، وأنـه إنمـا ينبغي لمن ووجه وقيل له: يا سيدنا أو أنت سيدنا، أن يقول هـذا الكلام تواضـعاً وخشـية للـه - سـبحانه وتعـالى - وتعظيماً له وتحذيراً للقائـل من هـذا الـذي قالـه، لئلا يقع في الغلو والإطراء.

فإذا قيل: يا سـيدنا فلان أو أنت سـيدنا، فيقـول هـذه المقولة، يقول : لا تقل هذا الكلام «السيد اللّه».

كما قاله النبي صلى الله عليـه وسـلم، تحريضـاً على التواضع وخوفاً من الكبر والخيلاء لمن قيل لـه ذلـك، وخوفاً من الغلو - أيضاً - فقد يغلـو؛ فربمـا دعـاه من دون الله أو استغاث به أو عظمه تعظيمـاً لا يليـق إلا بالله، فلهذا أنكره النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «السـيد اللّه»، وقـال: «قولـوا بِقـولكم، أو بعض قـولكم، ولا يسـتجريَنَّكُمْ الشـيطان»، أي: لا يجـركم الشيطان إلى الغلو والإطراء الذي يوقـع الأمـة فيمـا حُرِّم من الشرك الذي حرمه الله ووسائله" انتهى .

فينبغي الوقـوف عنـد قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وترك الإطراء غير اللائق به والابتعاد عن الغلـو فيـه،

والتزام اتباعه والعمل بسنته، فقد قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه».

وقال صلى الله عليه وسلم - في ما رواه البخاري ومسلم -: «من رغب عن سنتي فليس مني».

والجزائري في قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم (سيد الوجود) قد رغب عن سنته وهو على معتقد الصوفية الضالة، ومنهم أحمد التيجاني في قوله (كما في جواهر المعاني وبلوغ الأماني: 1/129): "أخبرني سيد الوجود -، أي: النبي صلى الله عليه وسلم - يقظة لا مناماً قال لي: أنت من الآمنين"؛ فقد زعم الجزائري أن الرسول صلى الله عليه وسلم المخلوق بمنزلة الخالق - سبحانه وتعالى - في سيادة الوجود، وهو برهان على صوفيته، بل من أدلتها ما يدعيه من تزكية لنفسه وكتبه، ومن يقرأ كتبه يجد فيها أكثر مما ادعاه التيجاني ووافقه عليه: من زعمه أن النبي صلى الله عليه وسلم سيد الوجود.

و**قوله**:"وما حب الديار شغفن قلبي ..."، هذا من شعر الملقب بـ (مجنون ليلى)، في سياق بيت قبله وهو:

أمر على الديار ديار ليلى أقـبـل ذا الجدار وذا الجدارا

فناسب ولاق بصاحبنا أن يكون مع المجنون في عواطفه المجنونة، ومع غيره من المجانين وأصحاب العواطف السخيفة: مقبلة الجدران، وإدخال ذلك في الدين، وإن هذا وأيم الله لأشد جنوناً وهو كما قيل:

جنونك مجنون ولستَ بواجد طبيبـــاً يداوي من جنون جنون

ومع ذلك لا يجد صاحب السنة رداً على هذا الهراء مع أن كتبه قد نشرت وشرقت وغربت في الآفاق من سنين طوال، فلا حول ولا قوة إلا بالله:

مـا أكـثر النـاس لا, بـل مـا أقلهمو اللــه يعـــــلم أنـي لم أقـل فنـدا

إنـي لأفتح عيني حـين أفتحهـا على كـــــثير ولكن لا أرى أحدا

***

فيــــا للعقــــول ويـا للنهــــــى ألا منكـــر منكـــم للبـــدع

وهـل تـرك الجزائـري شـيئاً ممـا سـبق من دعـاوى الغــزالي والصــوفية؟!!، وتلــك هي الســلفية عنــد الجزائري؟!!، وحقيقته أنه يعاديها ويعادي أهلها.

وأفٍ على العلم الــذي تدعونــه إذا كـــان في عـلـم الـنـفـوس رداها

قلت: وما تقـدم دليـل قطعي على ضـلال وانحـراف الرجل وجرأته على قـول الباطـل ومخالفـة الشـرع، وأنه لا ينهج نهجاً صحيحاً أو يسلك طريقاً قاصداً، وإلا فأي عقل أو عاقل يقبل أن يكون كلام بشـر - لـه أو لغيره - ليس نبيـاً ولا رسـولاً يسـتعاض ويسـتغنى بـه عن كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسـلم؟ - وهو منهاج هذا الرجـل -، ويكتفى بـه عن ذلـك كلـه، ويكون مزكى وحاصلاً على الأجر العظيم الـذي ينجـو به صاحبه كنجاة المتمسك بالوحي الإلهي، وذلـك مـا يـدل لـه كلامـه - نصـاً - كمـا رأيت, ومثلـه - عنـد الصوفية - مـا نقلـه صـاحب (العقيـدة السـلفية) في كلامه المتقدم.

وإذا سكرت فإنني رب الخورنق والسدير

وإذا صـحوت فـإنني رب
الشويهة والبعير

وقد رأيت ما تقدم من غروره مع جهله وهـو قولـه: - في مقدمـة تفسـيره -: "رجـاء أن يسـهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقـاً وعملاً، لا هم لهم إلا مرضـاة اللـه بفهم كلامـه والعمـل بـه، والحيـاة عليـه عقيـدة وعبـادة وخلقـاً وقضـاء وحكمـاً"؟!!، وأين العقيـدة الحقـة فيـه والعبـادة الصحيحة والخلق القويم.

وقوله: (في هذا هو الإسلام): "لخصت فيه الشـريعة الإسـلامية بكاملها عقائـد وعبـادات وأحكامـاً وآدابـاً وأخلاقاً".

وكـأن كلام اللـه طلاسـم أو أحـاجي، لا يفهمـه إلا الجزائـري!!، ولا يكـون هـدى إلا ببيانـه، وكلامـه - سبحانه - يحتاج إلى تيسيره وتلخيصه!!، تعـالى اللـه عما يقول الجزائري الضال علواً كبيراً.

وكيـف تلخص الشـريعة بكاملهـا في تسـع وأربعين صـفحة هي صـفحات كتابـه..؟!!، وبـذلك التلخيص والتيسير - الذي يزعمه -: "يتضح له [القارئ] الحـق ويعرفه ويعمل فينجو من عذاب الله، ويسعد بمواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"، بلا قيـد ولا شرط، ومفهوم هذا الكلام أنه لا يعرف الحق فيعمـل وينجو ويسعد إلا به؟!!، فما حال القرون الأولى ومن يـأتي بعـد الجزائـري ومن لم يـر تفسـيره وتلخيصـه وتيسيره؟!!، وما حقيقة حال وأمر من يتبـع تفسـيره ويقبل ضلاله؟.

مع أن ما في تفسيره وكتبـه ورسـائله - إلا القليـل - مجرد دعاوى ومبالغـات مليئـة بالجهـالات والتزكيـات لمزاعمـه الفارغـة، وإنـه لمعقـول أن يلخص كتـاب - غـير القـرآن -، ولكن كيـف تلخص الشـريعة بكاملها؟!!، وهل تبقى شريعة بعد التلخيص؟!!.

وهل إذا لخصت تكون مكملـة كاملـة يرضـاها اللـه - سـبحانه -؟!!، كمـا قـال عنهـا: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ الْإِسْـلَامَ دِينًا﴾.

إنـه لتنقص للشـريعة واسـتهانة بهـا ونقض لهـا واسـتدراك على الشـارع الحكيم, فليعتـبر المؤمنـون

بتحريف هذا المحرف لدين الله الجريء على حدوده ومحارمه ومحرماته.

فهو يريد أن يُكْتَفَى بكتبه عن شريعة الله!!، وما أسوأ هذا القول وما أعجب أمر هذا الرجل وما أضل فهمه وأفسد ذوقه!، وليس غريباً على هذا العقل أن يقع في ورطات في كتبه ورسائله وتقريراته.

وانظر إلى قوة استنباطه وصحة فقهه!! (في نهر الخير، حاشية تفسيره: 1/210)، عند قوله - تعالى - في سورة البقرة: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: "ما السر في الأربعة أشهر؟، يبدو أنها ثلث السنة والثلث كثير كما في حديث سعد في الوصية[1]"؟!!.

قلت: **أولاً**: الأربعة أشهر هي ثلث السنة فهل لقوله: (يبدو) محل؟!، إنه لا يوجد موقع له أو محل.

هذا كلام له خبيء معناه ليس لنا عقول

وإن كان يحتمل أنه أراد تعلق حكمة في العدد كما عند الصوفية والباطنية، وهذا أغرب؛ إذ لا حجة أو دليل على تعلق حكمة به لا شرعاً ولا قدراً.

---

[1]() في صحيح البخاري وصحيح ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت يا رسول الله بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟، قال: «لا»، قلت أفأتصدق بشطره، قال: «لا، الثلث والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»".

ثانياً: هل توجد صلة بين الإيلاء والوصية بــالثلث؟!!، وهل ثمة صلة بينه وبين كون الثلث كثيراً أو قليلاً؟!!، لا وجود لصلة بينهما.

سارت مشرقة وسرت مغرباً شتـــــان بين مشرق ومغرب

ومثل ما سبق من هلوساته وقياساته الفاسـدة قولـه (في نهـر الخـير، حاشـية تفسـيره -أيضـاً -: 2/380) عنــد قولــه - تعــالى -: ﴿وَمَـا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَـلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾، الآية,: "من مـات على الكفـر لا ينفعـه مـا عمله في الدنيا من خير إلا أنـه يخفـف عنـه العـذاب لحديث أبي طالب، وأنه في ضحضـاح من النـار يبلـغ كعبيه يغلي منه دماغه".

قلت: وهو كسابقه، وإن كان سابقه أبعد؛ فأي علاقة بين حديث أبي طـالب الـذي يخصه وحـده دون غـيره من الكـافرين لمعـنىً مفهـوم وهـو خدمتـه العظيمـة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمايته وحياطتـه لـه حين تبليـغ رسـالته؟!!، إلا أنـه لايخـرج من النـار، لقوله - تعـالى - في الكفـار: ﴿وَمَـا هُمْ بِخَـارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، وقد مات على الكفر.

وما ذهب إليه مخـالف للأدلـة الشـرعية، قـال اللــه - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَـرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـاتِكُمْ فِي حَيَـاتِكُمُ الـدُّنْيَا وَاسْـتَمْتَعْتُمْ بِهَـا فَـالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَـا كُنْتُمْ تَسْـتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

وفي صحيح مسلم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

وفي الصحيحين: عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار، يبلغ كعبيه، يغلى منه دماغه»، وهو ما اجتزأ منه الجزائري وعممه على جميع الكفار!!.

وفي الصحيحين - أيضاً - عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: هل نفعت أبا طالب بشيء, فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «أَهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بِنعلين يغلى منهما دماغه».

قال العلامة الألباني (في السلسلة الصحيحة، رقم: 53), عند الحديث الأول: حديث أنس: "تلك هي القاعدة في هذه المسألة: أن الكافر يجازى على عمله الصالح شرعاً في الدنيا, فلا تنفعه حسناته في

الآخرة, ولا يخفف عنه العذاب بسـببها, فضـلاً عن أن ينجو منـه، وقـد يظن بعض النـاس أن في السـنة مـا ينافي القاعدة المذكورة".

وقـــال (في الصـــحيحة - أيضـــاً -، رقم: 54), عنـــد الحديث الثاني: حديث أبي سعيد: "وجوابنا على ذلك من وجهين **الأول**: أننا لا نجد في الحديث ما يعارض القاعــدة المشــار إليهــا، إذ ليس فيــه أن عمــل أبي طـالب هـو السـبب في تخفيـف العـذاب عنـه, بـل السبب شفاعته صـلى اللـه عليـه وسـلم, فهي الـتي تنفعه".

وقال (في الصحيحة، رقم: 55), عند الحديث الثـالث حديث العبـاس: "فهـذا الحـديث نص في أن السـبب في التخفيف إنما هو النبي عليه السلام, أي شـفاعته -كما في الحديث قبله - وليس هو عمل أبي طــالب, فلا تعارض حينئذ بين الحديث وبين القاعدة السابقة, ويعود أمر الحديث أخيراً إلى أنه خصوصـية للرسـول صلى الله عليه وسلم, وكرامـة أكرمـه اللـه - تبـارك وتعالى - بها, حيث قبل شفاعته في عمه، وقد مــات على الشرك, مع أن القاعدة في المشركين أنه كمــا قال - عز وجـل -:﴿فمـا تنفعهم شـفاعة الشـافعين﴾, ولكن الله - تبارك وتعـالى - يخص بفضـله من شـاء, ومن أحـق بـذلك من رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم سيد الأنبياء؟ عليهم جميعاً صلوات الله.

والجـواب الثـاني: أننـا لـو سـلمنا جـدلاً أن سـبب تخفيـف العـذاب عن أبي طـالب هـو انتصـاره للنـبي

صلى الله عليه وسلم مع كفره به, فذلك مستثنى من القاعدة ولا يجوز ضربها بهذا الحديث، كما هو مقرر في علم أصول الفقه, ولكن الذي نعتمده في الجواب إنما هو الأول لوضوحه".

قلت: وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المِرْجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»، دون ذكر أبي طالب.

وفي صحيح البخاري ومسلم على العموم - أيضاً - بلفظ: «أهون أهل النار»، الحديث.

وقد علق الشيخ الألباني على حديث النعمان، في تحقيقه لمختصر صحيح مسلم للمنذري بقوله: "هو أبو طالب بن عبد المطلب، عم النبي صلى الله عليه وسلم، كما صرح بذلك في بعض الأحاديث"، وأحال على ما تقدّم في السلسة الصحيحة.

ثم إن الآية الكريمة في المنافقين, والمنافقون وإن كانوا أشد كفراً إلا أن الحديث لا علاقة له بالكافرين، منافقين أو غير منافقين سوى أبي طالب بالنص، ولا قياس مع وجود النص، بل القياس مع النص فاسد الاعتبار، وإنما الرجل يخرف بعيداً عن العلم وطريقة أهله، وإذا كان هذا هو العلم فما هو الجهل؟!.

قــال محمــد بن جميــل زينــو فيمــا يخص رده على أخطـاء محمـد بن علي الصـابوني، ص: 37): "وكتب لي فضــيلة الشــيخ أبــو بكــر الجزائــري المــدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فقال:(وبعد: لقد قرأت تنبيهاتـك الهامـة على كتـاب: صـفوة التفاسـير للشـيخ الصـابوني، وقـدّرت مـدى المسـؤولية الـتي تتحملونها لـو واصـلتم البحث والتصـويب والتصـحيح، وإنه لجهد كبير وعمليـة شـاقة قـل من يقـدر عليهـا، فلذا لا أستطيع أن أقول اعملـوا واللـه معكم خشـية أن أوقعكم في عمل طويل يقتضي منكم تتبع تفسير الصـابوني من ألفـه إلى يائـه، إذ هـذا هـو المفـروض لمن أراد أن يصحح الأخطاء ويبين العيب ليُجتنب.

وكل ما أقولـه: إني مقـدّر لـذكائكم وسـلامة فهمكم، وإن أمكن لكم مواصــلة العمــل وأنهيتم مهمتكم إلى آخرها، فإن اللائق أن يطبع مـا كتبتمـوه على هـامش التفسير، كما فعل الصاوي - الغاوي - على الجلالين، ولتتحمّل دار الإفتاء تكاليف الطباعة ومصاريفها، هـذا رأي أخيكم المقدّر لجهـدكم، والسـلام في: 4/9/140 5هـ)".

فقوله: "لا أستطيع أن أقول: اعملــوا واللــه معكم "، ما يدريه أنه إذا قال له اعمل يكون الله معه؟، وهــذا شائع بين العوام ويعنون به الدعاء له بأن يؤيده اللــه ويعينه ويسدده، ولعله أراد هذا، وإن كـان هـو مـراده فلا شيء فيه، ولو قـال: ويـرى اللـه عملكم لأصـاب، ويحتمل على غروره وتزكيته لنفسه على ما رأينـاه -

وهو كثير - وما سنراه من انتهاجه التزكيـة الصـوفية: أنه أراد لو قال ذلـك لاسـتجيب لـه، وعلى كـل حـال فالاحتمال قائم نظراً لمنهجه.

ومما في تنبيهات الشيخ محمـد جميـل زينـو - رحمـه الله - إثبات عقيـدة السـلف في الأسـماء والصـفات: إثباتاً بلا تأويل ولا تحريف ولا تعطيـل، ولا تكـييف، ولا تمثيــل, وكلام المحققين من أهــل العلم والــدين في دفـع السـوء عن نـبي اللـه يوسـف، الـذي رمـاه بـه الجزائري في تفسيره - كما سيأتي - ومقتضــى كلام الجزائري الاعتراف بأحقية ما ذكـره جميـل زينـو في تنبيهاته، وتأييده لـه إلا أن واقـع الجزائـري يـدل على أنه لم ينتفع بذلك وبقي مصراً على عقيدتــه الباطلــة وتحكيم جهله وهواه, فالله المستعان، ونعـوذ بــه من الضلال والفتنة والخذلان، وما أيـده منـاقض لعقيدتـه وحقيقة واقعه.

ارحل وشاهد به ما قد سمعت به شتــــــان عندي بين الخُبْر والخَبَر

ولقد - والله - أوقعنا الجزائـري فيمـا استصـعبه على جميل زينو من عنـاء تتبـع تفسـيره، - مضـطرين إلى ذلك خدمة لكتـاب اللـه ونصـحاً للمسـلمين - وكـذلك بيان بعض ما في كتبه من الضلال.

وقوله: "خشية أن أوقعكم في عمـل طويـل يقتضـي منكم تتبع تفسير الصابوني من ألفه إلى يائه، إذ هـذا هـو المفـروض لمن أراد أن يصـحح الأخطـاء ويـبين

العيب ليُجتنب"، مقتضاه أحقية ما نقـوم بـه من تتبـع تفسيره وكتبه؛ لتصحيح الأخطاء وتبـيين العيب الـذي فيها؛ ليجتنب، وقد وصف ذلك بأنه مسئولية عظيمـة، وأنه يقدر ذلك لمن تحملها.

وينطبق تماماً على الجزائري ما قالـه الأمـير شـكيب أرسـلان عن العلم النـاقص (في كتابـه لمـاذا تـأخر المسـلمون ص: 75): "هـو أشـد خطـراً من الجهـل البسيط؛ لأن الجاهل إذا قيض الله له مرشـداً عالمـاً أطاعـه، ولم يتفلسـف عليـه، فأمـا صـاحب العلم الناقص فهو لا يـدري، ولا يقتنـع بأنـه لا يـدري، وكمـا قيـل: ابتلاؤكم بمجنـون خـير من ابتلائكم بنصـف مجنـون، وأقـول: ابتلاؤكم بجاهـل خـير من ابتلائكم بشبه عالم".

ومقتضى مدح الجزائري لتتبع جميـل زينـو للصـابوني أن يشكرنا على ما قمنا بـه من تتبـع تفسـيره وبعض كتبـه نصـيحة: «للـه ولكتابـة ولرسـوله ولأئمـة المسـلمين وعـامتهم»؛ ولكنـه لم يفعـل، بـل آذانـا وجازانـا جـزاء سـنمار، ونقـول لـه: ﴿أَتَـأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ .﴾

وقـد كتب بين يـدي رسـالته (نـداء إنسـاني لإنقـاذ البشرية وإسعادها)، (كما في: 4/7، ضـمن رسـائله): "رسالة يوجهها **عالم رباني** إلى ذوي العقول النيرة والبصائر النافذة والأفكار الحـرة؛ ليمـدوا أيـديهم إلى إخـوانهم في الإنسـانية لينقـذوهم ممـا تـردوا فيـه وانتهـوا إليـه من الظلم والفسـاد والخبث والشـر؛

وليســـعدوهم بعـــد إنقـــاذهم فيكملـــوا في أخلاقهم وآدابهم؛ وتزكـو نفوسـهم وتطهـر أرواحهم؛ فيتهـيئوا لسعادة الدار الآخرة.

إن على كل من يحمل في قلبه الرحمـة الإنسـانية أن يعمـل على قـراءة هـذه الرسـالة، وترجمتهـا إلى لغـــات العـــالم ونشـــرها بين النـــاس، ورفعهـــا إلى المسئولين في العالم الإنساني؛ رجاء إنقـاذ البشـرية وإكمالها وإسعادها للحياتين"؟!!.

انظر إلى تزكية نفسه بوصفه لها بعالم رباني، وانظر إلى هذا التحليق المجنح في الخيال، الـذي يـدل على غاية الإيغال في الجهالـة، ونهايـة الاغـترار البعيـد عن العقل والدين، عيـاذاً باللـه من هـذا السـفه والجـرأة على القـول على اللـه، دون ورع أو وازع من دين أو عقل.

لقد - والله - سفه نفسه ولم يعرف لها حـداً وقـدراً. والله المستعان.

ومن هـذا القبيـل من مخرقاتـه وغـروره، بـل كثافـة جهله ما سـمعه منـه من حضـر درسـه في المسـجد النبـوي عنـد ذكـره للحـديث - الـذي رواه البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضـي اللـه عنـه - عن النـبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله - عز وجـل -»، الحـديث, وهـو يقـول: " تسـتغربون أن إبـراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات, وهناك من لم يكـذب، فأنـا لم

أكذب منذ أن بلغت"!!، - مع أنها ليست كذباً وإنما هي من باب المعاريض والحجاج - فقد رأى في نفسه الفضل على خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام!!!، وبرأها من المعصية ولم يبرئ منها نبي الله يوسف، وحمَّله كلام امرأة العزيز!! فلا حول ولا قوة إلا بالله.
وهو لم يكذب على الناس فحسب، بل كذب على الله وعلى رسوله ودينه.

وفي رسالته (هل المسلمون اليوم مسلمون حقاً؟!: 4/604، ضمن الرسائل): "أي عمل - دينياً كان أو دنيوياً - يقوم به المسلم يجب عليه أن يتقنه ويحسنه ويخليه من الغش والفساد، وكل ما يتنافى مع إحسانه وإتقانه، وفي الحديث: «من غشنا فليس منا»"، و«إن الله - تعالى - يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، فالإحسان كما يتعلّق بالقول يتعلّق بالفعل".

وكل ما ذكره قد قال بخلافه تماماً؛ فالحديثان عليه لا له.

وقال في ختام تفسيره: "كتبت هذا التفسير في ظروف مختلفة، مرة في الطائرة ومرة في الحضر وأخرى في السفر، ومرة والبال مشغول وثانية والجسم معلول، فلذا قد يجد القاريء - أحياناً - جفافاً في الشرح أو قلقاً في العبارة، يضاف إلى ذلك الخطأ المطبعي الذي أصبح لا ينجو منه كتاب، ولا يسلم منه خطاب.

وكلمة أخيرة وهي أني ما آلوت جهداً في تحرّي الحق والصواب وفي التسهيل والتيسير في هذا الكتاب..وعليه فإنه ما كان من كمال فهو من الله، وما كان من نقصان فإنه مني، وأعتذر مستغفراً الله - تعالى -".

قلت: فهو مع هذا الجهد والضلال ينطبق عليه ما قيل:

جهد المغفل في الزمان مضيع وإن ارتضى أستاذه وزمانه
كالثور في الدولاب يسعى وهو لا يدرى الطريق فلا يزال مكانه

و**قوله**: "قد يجد القارئ - أحياناً - جفافاً في الشرح أو قلقاً في العبارة"، - سبحان الله - أهذا كل الذي في تفسيرك؟ مع شهادتك على نفسك أنك كتبته: "مرة في الطائرة، ومرة في الحضر، وأخرى في السفر، ومرة والبال مشغول، وثانية والجسم معلول"!!.

وهذا ما نتج عنه ما سوف يراه القارئ من الفظائع مما بيناه في تفسيره، وهو ما ينطبق عليه ما قاله العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (في مصباح الظلام ص: 378): "والشأن كل الشأن في الفقه عن الله ورسوله ومعرفة مواقع خطابه، والكلام في هذه المباحث من الأغمار والجهال الذين لا عناية لهم بمعاني الكتاب والسنة ولا دراية لهم

بتقـاريرِ علمـاء الأمـة: **فالمحنـة بهم عظيمـة، وطريقتهم غير عادلة ولا مستقيمة**".

والرجل فيما شرحه في اعتـذاره كأنمـا يكتب مقـالاً في صحيفة، ونقـول: أفي مثـل هـذه الأحـوال يفسـر القرآن، ويوثق بهذا التفسير وهـذه حـال مفسـره، لا يرجع إلى مصادر ولا إلى مراجع كما هي طريقة أهل العلم في تـأليف التفسـير وغـيره، والتـأليف في التفسير على الخصوص هو الأخطر، وما الـذي ألجـأه إلى ذلـك مـع تلـك الظـروف؟!؛ إنـه الاسـتهتار والاستخفاف وغرور النفس بسبب الجهل المركب.

وتعر من ثوبين من يلبسهما يلقى الـردى بمذمة وهـوان

ثـوب من الجهـل المـركب فوقـه ثـوب التعصب بئست الثوبان

وهو يقلـل من أهميـة اسـتفادته من الرجـوع إلى مـا ذكره من بعض الكتب في التفسير.

ولقـد - واللـه - اعـترف بجرمـه وحكم على نفسـه بالتعالم مع المركب من جهله، وجراءته - مـع ذلـك - على تفسير كلام الله.

ولذلك وقع منـه مـا وقـع - فيمـا بينـاه ومـا سـنبينه - نسأل الله السلامة والعافية مما ابتلي به.

وقال في رسالته: (كمال الأمة في صلاح عقيدتها: 3/ 306، ضـمن الرسـائل) وهـو يـرد على ولـد علـوي

مالكي (في كتابه الذخائر المحمدية): "إن الأمر لو كان كما قرر صاحب الذخائر من نجاة العرب المشركين من لدن إسماعيل عليه السلام إلى عبدالله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الجهل خيراً من العلم، والكفر خيراً من الإيمان، ولكانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم شؤماً على العرب والبشرية ونحساً، وهل من قائل بهذا يا عباد الله؟.

وخلاصة القول: إن صاحب الذخائر قد تورط بجهله وهلك بسوء قصده، ودعوتنا له أن يتوب إلى ربه قبل موته فإن من تاب تاب الله عليه، ومن توبته أن يرد باطل كتابه (الذخائر) بحق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيكتب رسالةً يعلن فيها للمسلمين أن معظم ما جاء في ذخائره هو كذب وباطل فلا يغتر به مسلم ولا يجوز أن يعتقده أو يقول به مؤمن، ثم يعمل على جمع ما يمكن جمعه من كتابه الذخائر ويتلفه بإحراقه أو دفنه، وبذلك تبرأ - إن شاء الله - ذمته وتصح توبته ويعود إليه اعتباره في جماعة المسلمين، والرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل".

قلت: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.﴾

وما ذكره عن ذخائر المالكي واقع منه سواء بسواء، وما وجهه إلى المالكي يتوجه -تماماً - إليه ، بل قد زاد هو عليه

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ولاشك في تورط المالكي، ولكنه هو صاحب ورطات - أيضاً - كما بيناه في كتابنا هذا، ومن ورطاته - مع ورطات أخرى - قوله (أثناء رده على المالكي: 3/30 5، ضمن الرسائل)، عن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم: "كون أهل الفترة الخاصة في النار اليوم غير مانع أن يدخل منهم الجنة من شاء الله - تعالى - أن يدخلها غداً يوم القيامة، ونعني- أصحاب الفترة الخاصة -: أولئك الذين وجدوا في وقت انقطع فيه تماماً الوحي الإلهي فلم يبق بين الناس أحد يعرف عن الله - تعالى - وشرائعه شيئاً"، إلى أن قال: "وهنا نعلن رجاءنا أن يكون أبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يمتحنون فيطيعون ويدخلون الجنة مع من دخلها من المؤمنين والمسلمين". وقد ذكر قبل ذلك ما ثبت عن رسول الله محتجاً به على ولد علوي - وهو ما سيذكره سماحة ابن باز -، ومع ذلك جزم أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الفترة الخاصة: الذين لم تبلغهم دعوة الرسل ولم تقم عليهم الحجة بالرسالات !!!، وهو غير صحيح كما في بيان الشيخ عبد العزيز الآتي، وفيه أنه قول أهل العلم، وأنهم لم يعذبوا إلا لأن الحجة قد قامت عليهم في الدنيا ببلوغ الرسالات إليهم.

و**قوله**: "لم يبق أحد يعرف عن الله.." غير صحيح - أيضاً -، بل كذب صراح؛ فقبل بعثة النبي صلى الله

وسلم كانت بقايا من الحنيفية ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكان في العرب من يقال لهم الحنفاء كعمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة الإيادي، وورقة بن نوفل، وغيرهم، وكانوا يدعونهم إلى التوحيد، وورقة لقي النبي صلى عليه وسلم وآمن به.

وليتخلص من عموم قوله - تعالى -: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً, وأنه يتناول الدنيا والآخرة، ذهب إلى أن الذي لم تقم عليه الحجة الرسالية قد يعذب في الدنيا ولا يمنع ذلك من نجاته في الآخرة بعد اختباره, قال: "وننبه هنا إلى أن قوله - تعالى - من سورة الإسراء: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً، المراد من نفي العذاب فيها عذاب الدنيا بالإبادة والاستئصال..لا عذاب الآخرة كما **قد يفهم من لا علم عنده بأحكام الله وقضايا شرعه**"!!.

قلت: هذه مجازفة خطيرة وجرأة شنيعة؛ فإن العموم هو ظاهر الآية، وهو - أيضاً - فهم كثير من المفسرين وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين، وهو اختيار إمام التفسير ابن جرير الطبري - الذي قال عنه فيما يأتي: "ليس من المعقول المقبول أن يرد قول إمام المفسرين ويقبل قول غيره" -، وما قاله الجزائري تلبيس على غير العالمين!!، ليسلم له ما أراد من قصر مفهوم الآية على الدنيا دون الآخرة، وما ذهب إليه من أن الذي لم تُقم عليه الحجة في الدنيا قد يعذب، واستخف بالقائل بالعموم في الآية

من أهل العلم، وذلك من التجني والتحكم غير الجائز في الشرع، وإنها لجـرأة عجيبـة - من هـذا الرجـل - على القول بالجهل وتجهيل العلماء، فحاله كما قيل:

أثبت باطلي فيكون حقـاً وحقـاً غـير ذي شبه لويت

وكما قيل - أيضاً -:

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجـاهـلـون لأهـل الـعـلـم أعـداء

وإليك ما أشرنا إليه من جواب سماحة شيخنا الإمـام عبد العزيز بن باز - رحمه اللـه - (كمـا في نـور على الدرب: 1/91، ونحوه - أيضـاً - في مجمـوع فتـاواه)، وهــو رد على الجزائــري وعلى أمثالــه من الجهلــة المنحرفين منهجاً وعقيدة، وأصحاب العواطـف، وهـو قوله: "أما حـديث: «إن أبي وأبـاك في النـار»، فهـو حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه، أن رجلاً قـال يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النـار»، فلمـا ولى دعـاه وقـال لـه: «إن أبي وأبـاك في النـار»، واحتج العلماء بهذا على أن أبا النبي صلى الله عليـه وسـلم كان ممن بلغته الدعوة وقـامت عليـه الحجـة، فلهـذا قال: «في النار»، ولـو أنـه كـان من أهـل الفـترة لم يقل له النبي صلى اللـه عليـه وسـلم هـذا الكلام في حقه، وهكذا لمـا اسـتأذن ربـه أن يسـتغفر لأمـه نهي عن ذلك، ولكنه أذن له أن يزورها، ولم يؤذن لــه في الاستغفار لها، فهذا يدل على أنهمـا بلغتهمـا الـدعوة،

وأنهمـا ماتـا على دين الجاهليـة، وعلى دين الكفـر، وهذا هو الأصل في الكفار أنهم في النار، إلا من كان لم تبلغه الدعوة: أعني: دعوة الرسـل عليهم الصـلاة والسلام".

وقـد سـئل أعضـاء اللجنـة الدائمـة للبحـوث العلميـة والإفتاء من هيئة كبار العلمـاء، وهم كـل من: الشـيخ عبـد العزيـز آل الشـيخ، والشـيخ صـالح الفـوزان، والشيخ عبد اللـه بن غـديان، ورئيس اللجنـة الشـيخ: عبد العزيز بن عبد اللـه بن بـاز، ونائبـه الشـيخ: عبـد الرزاق عفيفي (كما في الفتوى رقم: 16426، 2/5 00).

وكـان من إجـابتهم: "وأمـا أبـوا الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم فليسا من أهل الفترة؛ لأن العـرب كـانوا على ملة إبراهيم صـلى اللـه عليـه وسـلم، خصوصـاً في أرض الحجاز، وإنمـا دخـل عليهم الشـرك أخـيراً في عهد عمرو بن لحي الخزاعي، ولكن عندهم بقايا من دين إبـراهيم، مثـل الحج وغـيره، فليسـوا أهـل فـترة؛ لأن أهـل الفـترة عبـارة عن قـوم لم تبلغهم دعوة أحد من الرسل، وقد ثبت عنه صلى الله عليـه وسلم أنه قال لرجل سأله عن أبيـه: «إن أبي وأبـاك في النار»، رواه مسلم في صحيحه.

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه اسـتأذن ربـه أن يزور قبر أمه فأذن له، واستأذن أن يسـتغفر لهـا فلم

يؤذن له، وقد قال الله - عز وجـل -: ﴿مَـا كَـانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُـرْبَى مِنْ بَعْـدِ مَـا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْـحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وهذه الآية نزلت في أبي طـالب وأمثالـه ممن مـات على الشرك بعد الدعوة".

هـذا هـو كلام أهـل العلم وأهـل السـنة، ونحن نـدعو الجزائري بما دعا - هو نفسه - به ولد علوي المالكي بقوله: "ودعوتنـا لـه .."، فكلاهمـا في الهـوى سـوى، فقد تورط هو في حق كتاب الله وسنة رسوله صـلى الله عليه وسلم، وتزوير الدين وتزكية نفسـه وعملـه وكتبه أكثر ممـا تـورط فيـه المـالكي - عـدا مـا عنـد المـالكي من شـركيات ظـاهرة حكم عليـه لأجلهـا العلمـاء بـالكفر بعـد أن ناقشـوه فلم يتب، وفيهم الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبـد اللـه بن حميـد رحمهمـا اللـه -، وهـو شـريك للمـالكي في تزكيـات وخرافـات الصـوفية، ونحـذر المسـلمين من الاغـترار بضلالاته والعمل أو القول بها أكثر مما حذر هو نفسه من ضلالات ولـد علـوي المـالكي مـع ضـلاله وفسـاد مذهبه؛ فهو أشد خطراً على الدين وأهله منـه - عـدا شركياته -؛ لأنـه ينتسـب إلى أهـل السـنة والجماعـة زوراً.

وقال (في: يا علماء الإسلام أفتونا: 1/831) وهو يرد على مصطفى كمال المهداوي صاحب كتـاب (البيـان بالقرآن): "كتبت هـذه الرسـالة ووجهتهـا إلى علمـاء الأمة الإسلامية مطالباً إيـاهم بفتـوى جماعيـة تصـدر

في أقرب وقت وهي: دعوته للتوبة الصادقة بتكـذيب نفسه واعترافه بزلتـه ومحـو كتابـه وإحراقـه ودفنـه, فإن أبا وأصر على موقفه قتـل كفـراً لا حـداً, وجمـع كتابه وأحرق، ثم لا يسمح لأي أحد بإظهاره أو تناوله؛ لما يدعو إليه من الكفر والإفساد والضلال".

كتبه/أبـو بكـر جابر الجزائري

الواعـــــــــظ بالمسجد النبوي الشريف

في: 4/1/ 1413هـ "

وقـال في الخاتمـة: "وأخـيراً! فليعلم كـل ذي علم ويقين أن مطـالبتي علمـاء الإسـلام بإصـدار فتـوى جماعيـة تـدور على مطالبـة صـاحب كتـاب: (البيـان بالقرآن) بالتوبة العاجلة الصادقة, وإحراق كتابـه, وإلا فبإقامة الحد عليه ليقتـل كفـراً, ثم تجمـع كـل نسـخ كتابه وتحرق, ويعلن منع هـذا الكتـاب وقراءتـه منعـاً باتاً, إنها - مطالبتي - غضبة لله ولرسوله صـلى اللـه عليه وسلم حيث سخر هذا الضال المضـل من الكـل وخرج عن تعظيم وتقدير واحترام الكل.

وأحلف بالله! إنه ولو كـان أبـاً لي أو ابنـاً مـا تـرددت في مطالبة علماء الإسلام باستتابته أو إعدامـه, قلت هذا وأقوله حتى لا تأخذ العاطفة النسـبية أو الوطنيـة

أحداً من المسلمين فيستنكر المطالبة بهذه الفتــوى, أو يرى غيرها خيراً منها.

والله على ما أقول وكيل وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه تسليما. أبو بكر جابر الجزائري".

قلت: لقد حكم على نفسه، وهل يلام أحد - إحقاقاً للحق وإنصافاً وغيرة لله ودينه - في حكمه على الجزائري بما حكم به على نفسه، وعلى كتابه؟.

ونقول ماذا سيفتى فيه العلماء لما عنده من بلايا وطوام لا ينتهي العجب منها؟، مع غروره وتزكيته لنفسه وما يقوله ويفعله ويكتبه، وإصراره عليه واستكباره في عدم الرجوع عنه: خديعة لأهل الإسلام حتى يروج بهرج ما ينشره من الضلال, هذا مع استعدائه واستقوائه بالجهلاء - أمثاله - على من يبين باطله ويحذر منه، من باب النصيحة الواجبة شرعاً.

وبعد أن أوقفتك أيها القارئ - وبأمانة - على ضلال هذا الرجل في منهجه ومعتقده ودعاواه لنفسه وتزكياته لها، وتزكياته لكتبه وادعائه لها ولكلامه بتزكية النفوس وتطهيرها، وأنه لا يوجد فيها خطل أو خلل أو باطل البتة، وما تقدم إيراده ليس هو كل ما عنده في هذا الشأن من ضلال مبين وهو من دسائس جهله وصوفيته واعتداده بنفسه، ولا علاقة لها بالعلم والدين، مع ما سوف نبينه في المواضع

التسعة والسبعين، وما يأتي قبل ذلك.

وقد رأيتَ تعقيبه على تفسيره بقوله: "كتبت هذا التفسير في ظروف مختلفة مرة في الطائرة، ومرة في الحضر، وأخرى في السفر، ومرة والبال مشغول وثانية والجسم معلول".

فكيف يكون هذا؟!، ومن المعلوم أن تفسير كتاب الله يكون وفق قواعد يعرفها أهل العلم ويلتزمونها ولايحيدون عنها، فهل من هذا قوله: يسير وفق تلك القواعد؟! وألا ينادي بهذا على نفسه أنه قد استخف بكتاب الله ولم يتحر الصواب - كما يزعم - وألا يكون هذا إسقاطاً للثقة في تفسيره، بل إسقاط له هو نفسه؟.

قال ابن كثير في مقدمة تفسيره عن تفسير القرآن - وهو خلاصة كلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية (كما في مجموع فتاواه: 2/311)ـ -: "إن أصح الطرق في ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له" إلى أن قال: "وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين والأئمة المهديين" إلى أن قال: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين".

ونقل خلاصته مع بعض التفصيل العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - (في الخطب المنبرية: 4/6 9) فقال: "وتفسير القرآن الكريم له قواعد معروفة لدى علماء الشريعة، لا يجوز تجاوزها، وتفسير القرآن بغير مقتضاها، وتلك القواعد هي ما يأتي:

أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في موضع منه فصل في موضع آخر، وما أطلق في موضع قيد في موضع، وما لم يوجد في القرآن تفسيره فإنه يفسر بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن السنة شارحة للقرآن ومبينة له، قال - تعالى - لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وما لم يوجد تفسيره في السنة فإنه يرجع فيه إلى تفسير الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم أدرى بذلك لمصاحبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعلمهم على يديه، وتلقيهم القرآن وتفسيره منه، حتى قال أحدهم: ما كنا نتجاوز عشر آيات حتى نعرف معانيهن والعمل بهن.

وما لم يوجد له تفسير عن الصحابة، فكثير من الأئمة يرجع فيه إلى أقوال التابعين لتلقيهم العلم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلمهم القرآن ومعانيه على أيديهم، فما أجمعوا عليه فهو حجة، وما اختلفوا فيه فإنه يرجع فيه إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن، وتفسير القرآن بغير هذه الأنواع الأربعة لا يجوز".

وإذا عرفت هذا فإني **أقول**:وأنا وإن كنت أكثر من غيري كشفاً لجهالات ودسائس الجزائري فلم أكن في ذلك وحدي، فقد رد عليه أهل العلم في تفسيره وغيره من كتبه التي تنشر وفيها ضلالاته، وممن رد عليه:

الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري في رسالته (تنبيهات على رسالتين للشيخ أبي بكر الجزائري)[1] بتكليف من سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز - رحمه الله -، واطلاعه على الرد وتأييده له وإرساله إلى الجزائري للتصحيح عند طبع الرسالتين، فلم يفعل.

وقد قال الشيخ التويجري ما نصه: "قد كتبت هذه التنبيهات على نسخة بخط المؤلف أبي بكر جابر الجزائري، وقد أرسلها إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز للنظر فيها والتنبيه على ما يكون فيها من الأخطاء، وقد أحالها الشيخ عبد العزيز إليّ، فكتبت عليها التنبيهات المذكورة في هذه الأوراق، وقد طبعت الرسالتان: الطبعة الأولى في مطبعة المعرفة، نشر مكتبة الكليات الأزهرية سنة: 1404هـ، فلم يلحق بهما شيء من التنبيهات، وحيث إن التنبيه على الأخطاء في الرسالتين مهم جداً، فقد رأيت أنه يتعين نشر التنبيهات مفردة ليطلع عليها من كانت عنده النسخة المطبوعة ويعلم وجه

[1]() رسالتا الجزائري إحداهما: (الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة)، والأخرى: (اللقطات في بعض ما ظهر للساعة من علامات).

الصواب فيما ذكره المؤلف".

قلت: وضمن التنبيهات الرد على بعض أخطاء الجزائري في: (أيسر التفاسير), ويأتي بيان التويجري لبعض الأخطاء والمآخذ التي أخذها على الجزائري في رسالتيه، وله فضل في تخصيصه الرد عليه.

وفي الرد عليه في أخطاء كثيرة في كتابه:

(**القـول البليغ** في التحـذير من جماعـة التبليـغ), وضمنها بعض أخطاء في تفسيره: (أيسر التفاسير).

ورد عليه فضيلة الشيخ العلامـة عبـد العزيـز بن عبـد اللـه الـرومي - رحمـه اللـه - في كتابـه: (التبصـير بأخطاء أيسر التفاسير).

وعنـدما طبـع وانتشـر تفسـير الجزائـري عـام: (1407هـ) نبهت إلى ضلالاته وحـذرت منـه فأزعجـه ذلك، ولكنه لم يرعو عنها ولم يصلحها.

ثم اتصل بي الشيخ الـرومي: من الريـاض، وكـان - آنـذاك - مراقبـاً للكتب في إدارات البحـوث العلميـة والإفتاء والـدعوة والإرشـاد، برئاسـة سـماحة شـيخنا الإمام عبدالعزيز بن عبدالله بن بـاز - رحمـه اللـه -، وذكر لي أنه رأى في ذلك التفسير كثيراً من الأخطاء العلميـة والتحريـف والفسـاد العقـدي، وأن شـهرة صاحبه سـرعت برواجـه وانتشـاره ممـا ضـاعف في خطره، والناس لا يعلمون ما فيـه من ضـلال، ممـا لا يسوغ معه السكوت، واستشـارني في بيـان فسـاده؛

نصيحةً للدين والمسلمين، فنصحته بذلك؛ لأهمية الأمر وما فيه من عظيم الضرر بتلك الأمور الخطيرة في المنهج والعقيدة: في التوحيد والصفات وإفساد معاني القرآن، مما يجب على أهل العلم بيانه.

فبدأ الشيخ بالكتابة, وبعد سنوات انتهى من الرد، وعندي صورة من نسخته التي بخط يده.

وقد توفي - رحمه الله - قبل طبعه، وأنقل - في الرجوع إليه - من تلك النسخة وأحيل إليها في كتابي هذا, وقد وصلت إلى نسخة بعد وفاته مطبوعة على الكمبيوتر غير مصححة، وهي منقولة من النسخة التي عندي بخط الشيخ، بعنوان: (التبصير بأخطاء أيسر التفاسير)[1] وله الفضل لتقدمه في التأليف، وقد فاته أشياء تراها في هذا الكتاب.

وفي سؤال ورد على الشيخ عبد الله الجبرين:

"اقتنيت كتاب أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، فكثير يقول: إن هذا التفسير فيه بعض الزلات فلا

---

[1]() وكان الشيخ الرومي - رحمه الله - متردداً بين تسمية الكتاب بـ (التبصير بأخطاء أيسر التفاسير)، وتسميته: (نظرات في أيسر التفاسير)، وقد وصل إليَّ الكتاب أخيراً من أبناء الشيخ مطبوعاً على العنوان الثاني وذلك بعد تأليف كتابي، وكنت قد اعتمدت العنوان الأول المطبوع على الصورة المشار إليها أعلاه باسم: (التبصير بأخطاء أيسر التفاسير)، وأخبرت به ابنه: عبد الله، فقال: هذا الاسم أحسن.
فجزا الله خيراً أبناء الشيخ على برهم بوالدهم بنشر علمه، وطباعة هذا الكتاب الذي فيه نصرة لكتاب الله ودفاع عنه ونصح للمسلمين، وهو من العلم الذي يبقى نفعه بعد الموت، وذلك ما نرجوه له؛ لقوله صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -:«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، نسأل الله الصلاح لأبنائه وأبنائنا وأبناء المسلمين.

يجب قراءته"، فعلى هذا تكون قد انتشـرت أخطـاؤه وكثرت.

وفي تسجيل صـوتي في درس العلامـة عبـد اللـه بن عبـد الـرحمن بن غـديان - رحمـه اللـه - طلب من طلابه أن يحضروا أسماء بعض التفاسير - ليختار لهم منها المفيد - فعرضوا عليه جملة منهـا، ومن ضـمنها (أيسر التفاسير) فحذرهم منه قائلاً: "مـا أنتم بحاجـة إليه خلوكم في التفاسير القيمة"!!، ومثـل لهـا، وهـو حكم عام عليه وأنه ليس قيماً ويحذر منه.

ورد عليـه الشـيخ سـعد بن عبـد الـرحمن الحصـين الملحق الديني - بسفارة المملكة العربيـة السـعودية آنذاك - في الأردن وشـمال الجزيـرة، في رسـالة رد فيهـا على الجزائـري ويوسـف الملاحي بخطـه في تاريخ: 14/10/1407هـ - وأرسـل إلي صـورة منهـا - حـول بيـان أحـوال جماعـة التبليـغ وبـدعهم وتأييـد الشـيخين لهم وجـدالهما عنهم وتزكيتهمـا لهم ودفاعهمـا عنهم، وتحريـف الجزائـري للنصـوص الشـرعية لتـبرير وتحسـين مـا هم عليـه من البـدع، ودعاويهم شرعية ذلك وسنيته، حتى إنـه ليتنـدر على الجزائري فيقول: "**فما أقـرب هـذا الصـنيع إلى تـأويلات الباطنية..، وإذا كـان هـذا هـو العلم فما هو الجهل**؟!!".

وما أورده الشيخ سعد - وله فضـل في المبـادرة في الـرد - في رسـالته من جهـالات وتـأويلات الجزائـري هذا نصها:

"يقول الشيخ أبو بكر - هـدانا اللـه وإيـاه لأقـرب من هذا رشداً - عن تحديد ثلاثة أيام في الشـهر، وأربعين يوماً في السنة، وأربعة أشهر في العمر، للخروج مـع جماعة التبليغ:

أن أصوله وينابيعه في شريعة الإسلام..أما قـال اللـه - تعالى - (قل) ﴿تمتعـوا في داركم ثلاثـة أيـام﴾؟ [1]، وهي مدة القصر في السفر وحفظنا عن أبي القاسم صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: «من صـلى في جماعة أربعين يوماً لا تفوته صلاة كتب الله له بــراءة من النفاق وبراءة من العـذاب»، اختـار الشـارع هـذا العدد؛ لأنـه خلال هـذه الفـترة تتغـير الطبـاع وتتبـدل العادات..؛ لأنها فترة سبق أن اللـه أعطاهـا لموسـى إذ قــال - تعــالى -:﴿ وواعــدنا موســى ثلاثين ليلــة وأتممناهــا بعشــر فتم ميقــات ربــه أربعين ليلة﴾، والأربعة أشـهر: لِمَ من نظـام الـدعوة أربعـة أشـهر؟ عرفنـا أن الإيلاء وهــو أن يحلــف الرجــل أن لا يطــأ امرأته..يحلف..له أن لا يحنث ولا يكفر الشهر **الأول والثاني والثالث والرابع**..

إذا كملت الأربعة أشهر إما أن يكفر عن يمينـه ويطـأ امرأتــه، وإمــا أن تقــول: طلقــني..ووجب طلاقهــا: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَـرَبُّصُ أَرْبَعَـةِ أَشْـهُرٍ فَـإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُـوا الطَّلَاقَ فَـإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .﴾

---

[1]() نص الآية:الكريمة:﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، في سورة هود ، وقد استدركها عليه التويجري، ويأتي.

هذا نص استدلال الشيخ أبي بكر من الكتاب والسـنة على صحة وسنية منهج جماعة التبليـغ..وقـد حمـدت الله أن من أصول الجماعـة عـدم مقاطعـة الخطيب، وإلا لفتح عليه أحدهم بالـدليل الآخـر الـذي يـرد على ألسنة بعضهم لمـدة الأربعـة أشـهر، من قـول اللـه - تعـالى -: ﴿فَسِـيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَـةَ أَشْـهُرٍ﴾، ولا أظنه أسوأ كثيراً من استدلاله من الكتاب على سـنية الخروج ثلاثة أيام..**وإذا كان هـذا هـو العلم فمـا هو الجهل؟!.**

قلت: قال المزني (كمـا في مصـباح الظلام للعلامـة عبد اللطيف ص: 581)، قال الشافعي: "العلم جهـل عند أهل الجهل، كما أن الجهل جهل عند أهـل العلم، وأنشد:

ومنزلـــة الفـقـــيه من السـفيـــه
كـمـنـزلـة السـفيه من الفقـيه

فـهــذا زاهــد في قــرب هــذا وهــذا
فـيـه أزهـد منه فـيــه

إذا غلب الشـقاء على السـفيه تـنـطــع
في مـخالفة الفقيــه"

ونكمل نقل الشـيخ سـعد عن الجزائـري ورده عليـه، قال:

"ثم يأخذ الشيخ في شرح مقصد (الحكيم الذي وضع هذا النظام)، من تحديد هذه الفترات..وإذا كـان ذلـك (الحكيم) قد اقتبس تنظيمه من النصوص التي ذكرها

الشيخ، وأورد مثلها غيره، فما أقرب هـذا الصـنيع من تأويلات الباطنية للنصوص الشرعية..".

ورد الشيخ التويجري عليـه (في كتابـه: القـول البليـغ في التحذير من جماعـة التبليـغ ص: 311، إلى نهايـة الكتاب) يكفي ويشفي، ومنه قوله عطفـاً على النص الذي ذكره الشيخ سعد:

"**والجـواب** أن يقـال: ليس في الأصـول والمصـادر واليـنـابيع الـتي ذكرهـا مـا يـدل لبـدع التبليغـيين وتحديدهم مدة الخروج البتة، وإنما هو محض التكلف والتعسـف في تأويـل الآيـات على غـير تأويلهـا، والاستدلال بهـا وبغيرهـا من الأحكـام الشـرعية على مالا تدل عليه، وما أشد الخطر في هذا!.

فأما **قوله**: (أما قال اللـه **-** تعـالى **-**: (قـل) ﴿تَمَتَّعُـوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾؟).

فجوابه أن يقال: إنه قد أخطـأ في إيـراد هـذه الآيـة خطـأين: الأول: تغيـيره للكلمـة الأولى؛ حيث قـال: (قل) ﴿تَمَتَّعُوا﴾، والصواب: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا﴾.

الخطـأ الثـاني: تطبيقـه عمـل التبليغـيين في تحديدهم مدة الخروج بثلاثة أيام على مدة إنظار الله لثمود ثلاثة أيام قبل العذاب!!.

وهذا **من أغرب الاستدلال، وبينـه وبين الحـق والصواب أبعد ممـا بين السـماء والأرض، ولا يتم له هذا الاستدلال ويكون مطابقاً؛ إلا بعد أن يشـبه التبليغـيين بثمـود، فيقـول لهم:**

تمتعوا بالخروج ثلاثة أيام، ثم ارتقبوا العذاب؛ كما فعل الله بقوم صالح!.

فأما جعل الآية أصلاً ومصدراً وينبوعاً لبدعة التبليغيين؛ فهذا من القول في القرآن بغير علم، وقد جاء في ذلك من الوعيد الشديد ما تقدم ذكره - قريباً -؛ فليراجع، وليراجع - أيضاً - كلام شيخ الإسلام فيمن يتأول القرآن والحديث على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ ففيه أبلغ رد على صاحب المقال الباطل"، وبعد أن نقل نصوصاً من الكتاب والسنة، وذكر كلاماً فيه رد عليه، قال عن تلك النصوص:

"وفيها - أيضاً - أبلغ رد على صاحب المقال الباطل الذي افترى على الشريعة وزعم أن بدع التبليغيين لها أصول ومصادر وينابيع في شريعة الإسلام، وهذا من اتباعه لخطوات الشيطان التي نهى الله عن اتباعها في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، وقوله - تعالى -:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾"، إلى أن قال:

"وأما تحديده مدة قصر الصلاة للمسافر؛ فليس فيه ما يتعلق به صاحب المقال في تحديد خروج التبليغيين بثلاثة أيام، وإنما هو محض التكلف والقول

في الأحكام الشرعية بغير علم، والاستدلال بهـا على ما لا تدل عليه"، وبعـدأن ذكـر حـديث الأربعين صـلاة وأنه غير ثـابت عنـده، وبين ذلـك، وأن الجزائـري قـد غير في لفظه وأنه عند الترمـذي بلفـظ: «من صـلى أربيعن يوماً في جماعة، يدرك التكبـيرة الأولى، كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

وقـال: "ويقـال لـو فرضـنا أن الحـديث الـذي ذكـره صاحب المقال كان صحيحاً ثابتاً عن النبي صلى اللـه عليه وسلم لما كان فيه ما يتعلق به صـاحب المقـال في تأييــد بدعــة التبليغــيين في تحديــدهم الخــروج بـأربعين يومـاً؛ إذ ليس من الأصـول ولا المصـادر ولا الينـابيع الـتي تـدل على هـذه البدعـة: لا بـالنص ولا بالظاهر ولا بالإشارة ولا بالإيمـاء، وإنمـا هـو وارد في الحث على التبكير إلى الصـلاة مـع الجماعـة وإدراك التكبـيرة الأولى مـع الإمـام... وحيث إنـه لا متعلــق لصاحب المقال في هذا الحـديث؛ فـإن اسـتدلاله بـه على بدعـة التبليغـيين ظـاهر في التكلـف والتعسـف وتحريف الكلم عن مواضعه.

وأما استدلاله على تحديد مدة الخروج عند التبليغيين بأربعة أشهر بأنها موافقة لمدة الإيلاء، وهو أن يحلف الرجل أن لا يطأ امرأته؛ فإنه يؤجل أربعة أشهر فـإن فاء بعدها وإلا أمر بالطلاق.

فجوابه أن يقـال: ليس في حكم الإيلاء مـا يتعلـق بـه صاحب المقال الباطل في تأييده لبدعة التبليغيين؛ إذ ليس هـو من الأصـول ولا المصـادر ولا الينـابيع الـتي تـدل على شـيء من بـدعهم البتـة، **وقيـاس مـدة**

الخـروج عنـد التبليغـيين بأربعـة أشـهر على مدة الإيلاء من أفسد القياس، ولو أن صاحب المقال الباطل قاس ذلـك على مـدة تأجيـل المشركين أربعة أشهر يسـيحون في الأرض كما ذكر الله ذلك في أول سورة براءة لكـان أقرب إلى الصواب".

وقال: "ومن أخطائه في مقاله الذي ألقاه في مركـز التبليغيين قوله:) من ترك ذكر الله وشكره؛ فجريمته أنه دمر الملكوت الأعلى بكل ما فيـه وخـرب العـالم السفلي بكل ما فيه(.

والجـواب أن يقـال: هـذا كلام غـير معقـول، وهـو بالهـذيان أشـبه منـه من كلام ذوي العقـول"، إلى أن قال:

"وإنما الله وحده هو القادر على تغيير العالم العلـوي والعالم السفلي، ويكون ذلك يوم القيامة؛ كمـا أخـبر اللـه في آيـات من القـران وأخـبر بـذلك رسـوله في عـدة أحـاديث" وأورد تلـك النصـوص واسـتطرد في ذلك، وليراجع بقيـة كلامـه فإنـه نفيس وفيـه تفصـيل مفيد.

قلت: و**-** أيضاً **-** الله وحده قادر أن يدمر ما شاء في العالم العلوي والسـفلي ومـتى شـاء؛ فهـو على كـل شيء قدير، وإذا أراد شيئاً قال له كن فكان.

وقد رأيتَ زيـف مـا يدعيـه الجزائـري من العلم وأنـه في كتاب الله وسـنة رسـوله وليس هـو فيهمـا، وهـو جهــل وجــرأة على الــتزوير في دين اللــه وتضــليل للناس بما يزعمه تفسيراً للقرآن والسنة وينسبه إلى

الـدين جازمـاً بـه والـدين منـه بـراء، وأن ذلـك على طريقة الصـوفية الباطنيـة، وهـو دليـل على انحرافـه عن الحق وإفلاسه في العلم وعدم ورعه.

وقد جزم الجزائري (في رسـالته: حكم الإسـلام في الموسـيقى والغنـاء أو الإعلام بـأن العـزف والغنـاء حرام، - وبهذا العنـوان أثبتهـا في رسـائله -: 1/299، ط: 3/1415هــ) بـأن أحـد رواة الجماعـة: البخـاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه.

وشـيخ غـيرهم كالإمـام أحمـد: من أصـحاب الأهـواء وماجن وحشاش من الحشاشين، وطعن فيه، وأقـذع في شـتمه والطعن فيـه، وهـو الإمـام **إبـراهيم بن سعد**، ومن ما قال فيه: "يا لضـياع نصـوص الإسـلام تطلب من هذا النوع الرخيص من الناس، ويـا لضـياع سنة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا كـانت تؤخذ من الحشاشين وأصحاب الأهواء والمجون"!!.

ورددت عليه في كتابي في الـرد على عبـد المحسـن العباد: (النشـر لمـا انطـوى بجهـل الجهـال والهـوى) وكتابي: (تنبيه الغافلين..).

ورد عليه محمد محمد حسن شُرّاب (كما في جريـدة المدينة العدد: 7354، يوم الأربعاء: 21/10/1407هـ) في اعتدائـه على شـيخ الجماعـة إبـراهيم بن سـعد، وأنه مغن وحشـاش من الحشاشـين، وكفـره، وتكلم عنه بغاية سوء الأدب، وتقدّم ذكر لهذا قريباً.

وقد ذكرت نص رده عليه في كتابَي آنفي الذكر.

ورددت على تفسيره في كتابي (الإكسير في نقض أيسر التفاسير).

الفصل الثاني عشر.

ما ينبغي اتباعه في تفسير كتاب الله العزيز:

إن تفسير كتاب الله - تعالى - تفسيراً أثرياً سلفياً يتسق مع فقهه وعظيم معانيه وكماله وكريم مقاصده ومراميه والتحري فيه لهو المتعين على العلماء، وهو من أنفع العلوم وأنبل المقاصد وأشرف المطالب وأرفعها منزلة عند الله، وذلك لشرف المفَسَّر ورفيع مكانه، وقد قال عنه من تكلم به ومن أنزله - سبحانه -: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (في مقدمة كتابه:القواعد الحسان لتفسير القرآن): "اعلم أن علم التفسير أجل العلوم على الإطلاق وأفضلها وأوجبها وأحبها إلى الله؛ لأن الله أمر بتدبر كتابه، والتفكر في معانية، والاهتداء بآياته، وأثنى على القائمين بذلك، وجعلهم في أعلى المراتب، ووعدهم أسنى المواهب، فلو أنفق العبد جواهر عمره في هذا الفن لم يكن ذلك كثيراً في جنب ما هو أفضل المطالب، وأعظم المقاصد، وأصل الأصول كلها، وقاعدة أساس السعادة في الدارين، وصلاح أمور الدين والدنيا والآخرة، وبه يتحقق للعبد

حياة زاهرة بالهدى والخير والرحمة، ويهئ الله له أطيب الحياة والباقيات الصالحات".

قلت: وقد كان السلف يحتاطون كثيراً لسلامة التفسير وصحة معانيه والتحري في ذلك وفق قواعد وضوابط لا يجيزون الخروج عنها؛ حتى يكون موافقاً لمراد الله الذي جعله هدى للمكلفين من خلقه: إنسهم وجنهم، وليس مما تزل به قدم، ويضل به مفسره، والمفسر له والمدعو به، ويعظِّمون القول في التفسير بغير علم أو بالرأي المجرد، ويعدونه من التكلف المنهي عنه في الشرع ويشنعون على مرتكبه، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أورد عنه ابن جرير بسنده - من طرق - عن أنس رضي الله عنه قال: قرأ عمر قوله:﴿عَبَسَ وتَوَلَّى﴾، فلما أتى على هذه الآية﴿وفاكِهةً وأَبًّا﴾، قال: "قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟..لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف!".

قال ابن كثير في تفسيره: "إسناد صحيح"، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح.

وقال الشوكاني في مقدمة تفسيره:"..ويا لله العجب من قوم لم يكتفوا بتقصيرهم في علم السنة وإعراضهم عن خير العلوم وأنفعها، حتى كلّفوا أنفسهم التكلم على أحكام الله، **والتجري على تفسير كتاب الله بغير علم ولا هدى، فجاءوا بما يضحك منه تارة ويبكى منه أخرى"**.

وقد تقدم - قريباً - الطريق الضابط الـذي يفسـر بـه القرآن عند أهل العلم سلفهم وخلفهم.

قلت: ومـا أشـبه الليلـة بالبارحـة، فهـا هـو أبـو بكـر الجزائري في كتابه: (أيسـر التفاسـير..) لم يـراع مـا تقدم ولم يقـف عنـده وأخـذ يلعب في تفسـير كتـاب اللـه كلعب الصـبيان بـالجوز، ومن ذلـك خروجـه عن تحـري معـاني الكتـاب وتحقيـق مقاصـده، وإنمـا هـو كحاطب ليـل في تحريفـه لدلالـة آيـات الصـفات عن ظاهرها سالكاً بها مسلك أهل الزيغ والتحريف قبلـه، فتجده متجشماً هذا الخطر سائرًا في ركـابهم جاريـاً وراءهم مبتعـداً عن هـدي الوحـيين كتابـاً وسـنة وعن منهاج أهل السنة في فهمهما.

ولقد قال سماحة شيخنا الإمـام عبـد العزيـز بن عبـد اللــه بن بــاز - رحمــه اللــه - محــذرًا من مغبــة هــذا الطريق ومبيناً عوار سـالكيه: "التأويـل في الصـفات منكــر لا يجــوز، بــل يجب إمرارهــا كمــا جــاءت على ظاهرها اللائق باللـه - عـز وجـل -، بغـير تحريـف ولا تعطيل ولا تكـييف ولا تمثيـل، وأمـا التأويـل للصـفات وصــرفها عن ظاهرهــا فهــو مــذهب أهــل البــدع من الجهمية والمعتزلة ومن سار في ركابهم، وهو مذهب باطــل أنكــره أهــل الســنة والجماعــة وتــبرأوا منــه وحذروا من أهله".

وتجد الجزائري (في تفسيره) جرياناً على مـا ذكرنـا: تارة يدّعي المشروعية والاستحباب، بلا دليل أو حجة من النص المُفَسَّــر أو الكتــاب والســنة أو تفســير

المقتدى بهم من سلف الأمة، من مفسرين وغيرهم، ولـو كـانت تلـك الـدعوى بينـة البطلان؛ كمـا اسـتنتج المشـروعية من كلام عـدو اللـه فرعـون - ويـأتي -، وتـارة يقـع في الغلـط والـوهَم الواضـح في تحديـد الأشـخاص ممـا ينبـني عليـه القـول بإسـلام كـافر أو تكفير مؤمن أو غير ذلك.

كمـا قـال عن ذي القـرنين: إنـه الإسـكندر بـاني الإسكندرية .. وكان عبداً صالحاً.

وهو من الوثنيين عبدة الكواكب والنجـوم!! - ويـأتي -.

وتارة يُخَلِّط في بعض الأصـول والثـوابت في عقيـدة السـلف؛ ومنهـا الحكم بالإيمـان، والكفـر ..الخ، ممـا يخالف عقيدة أهل السنة والجماعـة، ويبـاين منهجهم في هـذا البلـد ومـا هم عليـه من دعـوة قـامت على منهـاج النبـوة وسـارت عليـه ومـا تـزال، وهي دعـوة شيخ الإسلام المصلح المجدد الإمـام: محمـد بن عبـد الوهـاب - رحمـه اللـه - الـذي قـال ناصـحاً ومحـذرًا: "**وإيـــاك وتفاســـير المحـــرفين الكلم عن مواضعه وشروحهم؛ فإنها القاطعة عن اللـه وعن دينه**".

وذلـك النقض من الجزائـري وتلـك المخالفـة بسـبب جهله وعـدم صـفاء مشـربه الـذي قـدم بـه إلى هـذه البلاد، ولم يوفـــق إلى الإفـــادة من دعـــوة الشـــيخ المباركة وعلمائها الفقهاء الأجلاء الأفذاذ كما اســتفاد غيره من الوافدين في الدين والدنيا.

ومن المؤسـف - حقـاً - أن ذلـك الضـلال والإضـلال والهدم الشنيع للدين كـان عن طريـق تفسـير كتـاب اللـه الـذي وصـل في تفسـيره إلى نهايـة الفشـل، واسـتغل في ترويجـه مختلـف الوسـائل؛ منهـا توزيـع ذلك التفسـير على أوسـع نطـاق منـذ طباعتـه عـام: 1407هـ، وتدريسه له في المسجد النبوي، وكـان ولا يــزال يبث بــل وينفث عن طريقــه الســم الزعــاف القاتل عبر الإذاعة والتلفزة، مما كان له الأثر الكبــير في التضــليل والإفســاد والفتنــة، وخصوصــاً في أهم المهمات؛ وهي عقيدة التوحيد؛ التي بعثت لها الرسل وأنزلت عليهم من أجلهـا الكتب وانعقـد عليهـا وقـام على ســاقها الــولاء والــبراء، وارتفعت في ســوقها أسهم الجهاد في سبيل الله، ولأجلهـا كتبت الشـهادة للشــهداء، والأجــور العظيمــة؛ للآمــرين بــالمعروف والناهين عن المنكر.

ولا يوجـد أخطـر وأنكى من دس العقائـد عن طريـق تفسير القرآن الكريم، فكـل أهـل المـذاهب الباطلـة يســتغلونه لنشــر مــذاهبهم ومشــاربهم الفاســدة القاطعــة عن اللــه ودينــه, ومن ذلــك تفســير الزمخشـري المعـتزلي: (الكشـاف)، وغـيره. فاللـه المستعان.

وإن كان دون تفسير المغامسي بمراحل تنقطع فيهـا أعناق الإبل.

الفصل الثالث عشر.

الأسباب التي ساعدت على رواج تفسير الجزائري وخديعة الناس به:

هنا نذكر ما كان عزز وساعد على رواج تفسير الجزائري وانتشاره بين الناس على نطاق واسع، مع الغفلة عما فيه من السوء، والاغترار بشهرة مؤلفه في الوعظ وإشاعته لبعض الكتيبات والنشرات الوعظية الارتجالية وقد احتوت على أخطاء وضلالات - زاعماً بها الإصلاح والدعوة ونصرة الدين -، ولم يبين أحد ما فيها من تلك الهنات أو يرد على ما فيها من تلك السقطات، وعدم كشف حالها أو حال ذلك التفسير مبكراً جعل البلوى تتسع وتعم.

وغير ما أشرنا إليه - مما روج تفسيره، وإن كان متأخراً - هو الآتي:

1- فقد أحال عليه العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - (كما في نور على الدرب، في الشريط: 269، وجه: أ) في ضمن الكتب التي أحال عليها في التفسير بديلاً عن تفسير سيد قطب (في ظلال القرآن), قائلاً في إحالته عليه: "وتفسير أبي بكر الجزائري"!!.

وقد قال تلميذه الشيخ عصام السناني في كتابه: (براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة ص: 41), تعليقاً على قول الشيخ ابن عثيمين المتقدم: "أظن شيخنا لم يقرأ كل التفسير, فقد جاء (في المجموع في ترجمة العلامة حماد بن محمد الأنصاري: 2/771) أن الشيخ حماداً - رحمه الله - ذكر أنه قال للشيخ الجزائري: (كتابك في التفسير

فيه أخطاء تخالف ما كان عليه السلف؛ لأنك لم تنقل من كتبهم)".

قلت: هذا الاعتذار من السناني عن الشيخ غير مقنع فلو قرأ الشيخ المقدمة وبعض أول تفسير الجزائـري لتبين له ما فيـه من بقـائع، وهـو اللائـق بعلم الشـيخ العثيمين، وأجله عن السكوت عنـه، كمـا تحقـق لابن غديان في ما تقدم.

واكتفاء السناني بقول الشيخ حماد فيه قصور ظاهر؛ لأنه - مع صوابه - كلام مجمـل، وإنمـا كـان عليـه أن يراجع تفسير الجزائري ويتبين ما فيه مما أشـار إليـه الشيخ حماد وما لم يشر إليه، ويفصل في رد ما فيـه من أباطيل أو يشـير إليهـا، وكثـير منهـا بين البطلان، وظاهر بطلانه لكل ذي معرفة.

ولكن هذا ما كان ويشـكر الشـيخ السـناني - حفظـه الله - على ما أبداه ممـا كـان قـد اطلـع عليـه، وهـو دليل على منهجية صحيحة وأريحيـة تتلمس الصـواب وترد الخطأ وفق الدليل وأنـه مقـدم على الأشـخاص وإن كان لهم رفيع قدر وكبير منزلة.

2- وسئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين - رحمه الله - (كما في فتواه رقم: 4597, في موقعه الرسمي)، فقـال لـه السـائل: "اقتـنيت كتـاب أيسـر التفاسير لأبي بكر الجزائري، فكثـير يقـول: (إن هـذا التفسـير **فيـه بعض الـزلات فلا يجب قراءته**)، فما رأيكم في هذه القضية جزاكم الله خيرًا؟".

فأجاب: "هـذا الكتـاب كتبـه هـذا العـالم المشـهور الغيور، الذي هو من أهل السنة والجماعة، والذي قد اطلــع على كتب تفاســير المتقــدمين والمتــأخرين، وعرف الحق وتقيد به، فالظن أنه لا يوجـد في كتابـه شيء من الأخطاء الظاهرة؛ لمعرفته بالقرآن. واللــه أعلم"!!.

قد انخدع به كما انخـدع العـوام - للأسـف -، ولاشـك أن هذا الجواب غير صحيح وغـير مقبـول منـه ولا من غيره.

و**قوله**: "كتبه هذا العـالم المشـهور الغيـور"، برهـان شهرته بالعلم وغيرته على الدين ما تقـدم ومـا يـأتي من أباطيله.

ولا شك أن شهرته ليسـت بـالعلم، وإنمـا اشـتُهِر أنـه واعظ وحاطب ليل، بـل خطـره أشـد من مـا يجلبـه حــاطب الليــل على نفســه؛ فهــو يجلب الشــر على نفسه وعلى غيره وعلى الدين، والدليل - إضافة إلى ما ذكرناه: من كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، والعلامــة حمــود التــويجري، والشــيخ ســعد الحصــين وغيرهم - ما يأتي، ولعـل عنـد الجـبرين ميزانـاً للعلم والشهرة والغيرة غير مـا عنـد العلمـاء الـذين يزنـون بمــيزان الشــرع، لا بــالظن الكــاذب والهــوى المتبــع وإطلاق الكلام على عواهنـــــه دون العلم بحقـــــائق الأمور.

و**قوله**: "الذي هو من أهل السنة والجماعة"، ومثلــه قوله: "عرف الحق وتقيد به"!!. تزكيـة لـه بـالعموم،

والبرهان - أيضاً - على أنه عرف الحق ومن أهل السنة والجماعة أو ليس كذلك وكونه لم يعرف الحق وهو من قوم آخرين دليله ما تقدم من أقواله في كتبه: في تفسيره وغيره، وما يأتي من ما في تفسيره وحاشيته عليه؛ فذلك هو الذي يصدق هذا القول أو يكذبه، ويجب المصير إليه والاعتماد عليه.

و**قوله**: "والذي قد اطلع على كتب تفاسير المتقدمين والمتأخرين"!!، هذا على ظن الجبرين، والحال والواقع خلاف ما ذَكَره؛ فالجزائري قد علق في هامش مقدمة تفسيره أن مراجعه أربعة تفاسير فقط: تفسير ابن جرير، وتفسير الجلالين، وتفسير المراغي، وتفسير ابن سعدي، ولم يفد منها عقيدة ولا علماً ولا تحقيقاً علمياً، إلا أنه وافق الجلالين، والمراغي في تأويل الصفات على طريقة الأشاعرة، والتصوف؛ لأن ذلك مشربه، ولم يأخذ عقيدة أهل السنة من ابن جرير ولا من ابن سعدي، ولا من كتب أو تفاسير أهل السنة الأخرى، وهي متوفرة بين يديه.

فأين اطلاعه على كتب تفاسير المتقدمين والمتأخرين؟! اللهم إلا ما نبش عنه في بعضها من الجهالات والتخريفات والشذوذات من ما لم يشر إليه، وترى طرفاً منه فيما يأتي.

وليس اطلاعه على تفاسير المتقدمين والمتأخرين - لو اطلع عليها - حجة أو نافعاً له مع الجهل والتحريف والتخريف، بل يكون ضاراً وسبباً لضلاله وتيهانه لعدم

وجـود الفرقـان وسـلامة المنهج لديـه، ثم مـا يُـدري الجـبرين وهـو يقـول بـالظن؟؛ فهـو لم يقـرأ تفسـير الجزائري ويدري ما فيه!!.

وعجيب أن يـــدعي الجزائـــري أن تفســـيره (أيســـر التفاسير)، ثم يكتفي بأربعة منها!!، ولم يفد من هذه الأربعـة إلا السـيء والأسـوأ، ولا ينقـل من التفاسـير حتى يقتنع القارئ بصحة ما يقـول ويثبت لـه رجوعـه إليها، وهو يقـرر أنـه يكتب تفسـيره وهـو - في بعض الأحوال - بعيد عنها، وفي ظروف لا تتيح لـه التفكـير والتحقيق والتثبت، كما تقدم.

وأهـل السـنة إذا رجعـوا إلى كتب التفسـير يرجعـون أولاً: إلى تفسـير ابن كثـير ضـميمة إلى تفسـير ابن جريـــر، فتفســـير البغـــوي، وتفســـير أبي المظفـــر السمعاني، وتفسير ابن أبي حاتم؛ فلأي معنى أغفـــل الجزائـــري تفســـير ابن كثـــير، وتفســـير البغـــوي، والســـمعاني، وابن أبي حـــاتم، وهي من التفاســـير الأثرية القيمة المعتمدة عند أهل السنة؟!!.

و**قوله** - أيضاً -: "وعرف الحق وتقيـد بـه" برهانـه - مع ما تقدم - ما يأتي من جهالاته وتحريفاتـه، فكيـف يقف عنـده أو يتقيـد بـه وهـو لا يعرفـه؟!!؛ فــ"فاقـد الشيء لا يعطيه"، كما قيل في المثل، ولا يقف عنده ولو عرفه؛ لأنه لا يرجع إذا عُرِّف به أو بين له.

و**قوله**: "فـالظن أنـه لا يوجـد في كتابـه شـيء من الأخطاء الظاهرة " حجة عليه؛ لأنه دليل على أنـه لم يقـرأ تفسـير الجزائـري, وإنمـا اعتمـد على الثقـة

المجردة بالشخص واغتر به كما يغتر العوام، مع الجهل بحقيقة حاله وحال تفسيره، فكلامه هذا أمام الحقائق لا يلتفت إليه ولا يساوي شيئاً، وقد قال الله - تعالى -: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وقال - تعالى -:﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، وقال: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وذلك ليس من الحق، فهو إثم.

و**قوله**: "الظاهرة" وهل يوجد أظهر وأوضح وأبين لذوي العلم والبصيرة المتجردين للحق من أخطائه وزلاته ودسائسه؟!!.

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

و**قوله**: "لمعرفته بالقرآن"، من التخرص والظن الذي تكذبه الحقائق التي بيناها -أيضاً - ومن واقع تفسيره، وأنه جاهل بالقرآن وبالعلم الشرعي.

وفي سؤال السائل له قوله: "كثير يقول: هذا التفسير فيه بعض الزلات فلا يجب قراءته"، ولو لم يكن جواب الجبرين مجازفة وتسرعاً وعن هوى لما أغفل ما في السؤال من إشارة قوية إلى علماء ونقاد بينوا بعض ما في ذلك التفسير وحذروا منه، فلا أقل من أن يقول لا أدري، وينظر فيما قيل، وعند تحقق الزلل يجب عليه التحذير منه ورد الباطل ذياداً عن الدين وبياناً للحق.

ويكفي في عدم الالتفات إلى كلام الجبرين أنه قال ما قال بالظن والظن أكذب الحديث، كما قال وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»، رواه البخاري.

قلت: وقد يكون - بجوابه - ممن قال الله - تعالى - فيهم: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.

3- وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (كما في شرحه لمقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، في تفريغ المكتبة الإلكترونية على الإنترنت) :"كتاب (أيسر التفاسير) للجزائري هو كتاب مختصر، وعليه بعض الملاحظات, لاحظها عليه العلماء؛ لكن في الجملة لا بأس به, ما يحتاج نمثل بأمثلة، موجودة الملاحظات، وهو في الجملة كتاب نافع سليم من البدع؛ لكن ربما نقل أشياء أو ظن أشياء من الحق، وهي من أقوال البدع أو من أقوال أهل العصر في المحدثات وتشبيه ما في القرآن من أخبار بما في العصر من مستجدات ووسائل ونحو ذلك".

قلت: انظر إلى هذا الكلام الذي ينقض بعضه، وكيف يقال عنه مع ذلك (وهو في الجملة كتاب نافع سليم من البدع)؟!!، وما هي البدع إن لم تكن هي ما ذكره المتكلم المجيب في إجابته؟!!، وهي تكفي حجة على المجيب.

ويرى القارئ المتأمل ما في كلامه من التسطيح والإجمال والتهوين والتقليل من شأن ما فيه من

أخطاء وطوام، ومن ما ذكره هو أو أشار إليه من أمور خطيرة, في الشرع وعند أهل العلم، ثم هو يقول فيه مع ذلك: (وهو في الجملة كتاب نافع)!!، وأسوأ منه قوله: (سليم من البدع)؟؟!!؛ فالحكم بالسلامة من البدع مشكل - أيضاً -؟!!.

وعلى أي حال ففي جوابه - على ما فيه من عوز - ما هو كافٍ من ما يُرد به عليه وعلى الجبرين، بل فيه ما يدل على تجهيله وتغفيله للجزائري بقوله: "ربما نقل أشياء أو ظن أشياء من الحق وهي من أقوال البدع..إلخ"، ويقال له: قطعت به عنق صاحبك!!.

و**قوله**: "ما يحتاج نمثل بأمثلة، موجودة الملاحظات"!! لماذا لا يمثل؟، ولماذا هذا الإجمال؟، وهل يكفي قوله بوجود الملاحظات بلا بيان؟، ما هذا الاستعجال؟!!، إنه كما قيل: "أراد أن يعربه فأعجمه"!!، و"..ضر من غير قصد.."، وإن كان كلامه يشير إلى أنها أخطاء واضحة ظاهرة يعرفها الناس.

4- وقال الشيخ عبد الكريم الخضير (كما في موقعه على الإنترنت) عن تفسير الجزائري: "أيسر التَّفاسير لأبي بكر الجزائري كتاب سهل ومُيسَّر ويفهمُهُ العامِّي كما يفهمُهُ طالب العلم ويُستفاد منه"!!.

وبتيسيره وسهولة فهمه يكمن خطره ويعظم شره وضرره وضره، وتلك هي الفائدة الكبيرة!!.

قلت: هذه تزكية للكتاب بالعموم، وأنه صافٍ وخالٍ من الأخطاء, وكل ما فيه حق ولا باطل فيه - كما زعم المؤلف لنفسه -, وأنه حق واضح لكل أحد: العامي وطالب العلم - ولعله أخذه من اسم التفسير -, والبرهان القاطع والحق الساطع على خلاف هذا, وهو ما تراه مفصلاً في هذا الكتاب.

وفي قوله: "سهل ومُيسَّر ويفهمُهُ العامِّي" - أيضاً - يروج ما فيه من ضلالات، سلم الله المسلمين منه ومن هذه التزكية.

وجواب الخضير يتفق مع تزكية الجبرين للتفسير المذكور، بل زاد عليه.

5- وزكى الجزائري وتفسيره تزكية مطلقه الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر (كما في رده على الرفاعي والبوطي)، وكتابي: (النشر لما انطوى بجهل الجهال والهوى) رد عليه.

قلت: والعباد يعلم أنه قال ما قال بالهوى المتبع، وجادل عن الجزائري وتفسيره بالباطل، ويعلم أنه لم يُحط بعلم ما قاله، ولعل الحال بالنسبة لغيره وحاله واحدة سواء, وهو أن هؤلاء لم يقرأوا تفسير الجزائري؛ وإنما لإحسانهم الظن بمؤلفه, وتحيزهم إليه، وهو - مع الأسف - لم يكن عند حسن ظنهم, ومعلوم أنه لا يكفي الاعتماد على الظاهر والثقة والشهرة وتزكية الشخص لنفسه وما يقوله أو يكتبه.

والعباد - أيضاً - فعل ما فعل - في خطابه معي - بهوى، وأسبابه معلومة وهي موقف له مني، ومن ذلك استعداء الجزائري له - عليَّ - لنصحي إياه بالتوبة إلى الله والبراءة من أخطائه وجناياته - بتفسيره - على دين الله.

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن غيه
وخطاب من لا يفهم

6- وفي ما سماه ناشره - على الإنترنت -: عبد العزيز السدحان: (الأربعائية في الرحلة الفوزانية): أن العلامة صالح الفوزان لما سئل عن الجزائري قال عنه: "إنه رجل طيب، وصاحب عقيدة، وقد نفع الله بدرسه في الحرم النبوي"!!؛ فإن صح ما نسبه السدحان إلى الشيخ فالجواب عنه: أنه لم يطلع آنذاك على حاله وحال كتبه، وأحسن الظن به كالآخرين: الذين أحسنوا به الظن، ولو قرأ له لرد أباطيله ولما زكاه وأثنى عليه، أقول: إن صح عن الشيخ؛ لأني سألته عنه في الهاتف وكأنه لا يتذكره.

وما في تفسير الجزائري وكتبه من أمور تحتاج إلى فحص أهل العلم وتدقيقهم فيها, وأنا أعلم زهد العلماء وبعض طلاب العلم في قراءتها؛ لكون صاحبها ليس عالماً محققاً يُحتاج إلى علمه، وإنما هو واعظ يحسن الإلقاء، وإطلاق الكلام على عواهنه دون تدقيق أو تحقيق أو مراجعة، كما يأتي في كلام الشيخ حماد، ولا يجتمع عنده ويستمع إليه في المسجد النبوي إلا العوام وأشباههم، ولم يتخرج

عليه طالب علم أو صاحب سنة، ومن رواد درسه بعض أصحاب البدع: كجماعة التبليغ؛ لتصوفه وتزكيته لهم ودفاعه عنهم وعن بدعهم وتبريرها لهم!!.

وأجوبة أولئك عنه وعن تفسيره جرأة عجيبة غير لائقة بمن يتصدى للفتوى و يُسأل عن دين الله ويكون ناصحاً.

وللأسف أنه قد ابتلي الناس بتدريس تفسيره في بعض المساجد وبعض المؤسسات والمناشط العلمية، ولم يُبَيّن ما فيه من الضلال فحصل به فساد عريض وتضليل خطير.

وكل تلك التزكيات - المتقدمة - باطلة وخداعة بتفسير سيء مفسد مدمر بجميع المقاييس، بل هي بالغة الضرر والسوء بشكل لا مثيل له في التفاسير، وبعضها أسوأ من بعض، كما ترى وخصوصاً تزكية من زكاه في العقيدة وعدم البدعة، ومن زكاه تزكية مطلقة: كابن جبرين والخضير والعباد، وكذلك من زكاه أو زكى تفسيره عدا من ذكرنا، وذلك بالنظر لما بيناه - في هذا الكتاب وغيره - من البراهين القاطعة على الفساد الكبير الذي أحدثه والضرر الفادح الذي ألحقه بالدين عن طريق التفسير وغيره من كتبه.

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ولا يعـذرون في عـدم التحـري؛ لمعاصـرتهم للرجـل ووجـــود تفســـيره وكتبـــه العديـــدة وتســـجيلاته بين أيـديهم؟!!، وأسـوأ تلـك التزكيـات: تزكيـة الجـبرين بالظن - كما هي عبارتـه -، وتزكيـة الخضـير، وأسـوأ منهمـا: تزكيـة عبـد المحسـن العبـاد تزكيـة مطلقـة ومدحه للتفسير وصاحبه، ومجادلتـه عنهمـا بالباطـل، موهماً أنه على معرفة بتفسيره، وأنه على سنة، وأن تفسيره خال من البدع والأخطاء، وكلهم يظنون ظنـاً لا يغـني من الحـق شـيئاً - للأسـف -، وهـو أكـذب الحديث، ولله في خلقه شؤون.

قـال إبـراهيم البليهي (كمـا في مقـال لـه بعنـوان: **سـلطة العـوام أحـد ينـابيع الجهـل والظلم والتخلف**, (كمـــا في جريـــدة الريـــاض، العـــدد: 13334):ـ "**إن الحقائق لا تنجلي إلا للبـاحثين الجادين الـذين يكـافحون من أجـل الوصـول إليها**"؛ فأولئك الذين أسلفنا الكلام عنهم - للأسف - لما لم يكونوا كذلك لم يعرفوا حقيقة الرجل فتكلموا عنه بغير علم وبصيرة، وقـد نهى اللـه - تعـالى - عن ذلك بقوله:﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِـهِ عِلْمٌ﴾، وسـمعة الجزائري خداعة وكونه واعظـاً في المسـجد النبـوي وما كسبه من دعاية وشهرة بين العوام؛ حتى انخـدع به وهابه وهام به غيرهم.

و**قوله**:"سـلطة العـوام..إلخ" منطبـق تمامـاً على صاحب التفسير!!، بل كأنه لا يعني غيره.

وما من شك أنهم بتزكيتهم له ولتفسيره مشاركون له في ذلك الزور وترويجه بين المسلمين - على ما فيه من ضلال وخطر على الدين والمسلمين - ويلزم الأحياء منهم إعلان التوبة النصوح والبراءة وإلا فسيتحملون التبعة ويكونون تحت طائلة عقوبة الله إن لم يتجاوز ويعف.

الفصل الرابع عشر.

عدم انتهاج المؤلف لطريقة أهل العلم في التفسير:

فالجزائري لم يسلك طريق أهل العلم، ولم يرجع فيما يكتبه إلى كتبهم، وكان ينطلق من مشربه البعيد عن العلم والتحقيق، وهو مجرد واعظ جاهل يرتجل بما يسوقه إليه الكلام، وقد أغرم بالجهالات والشذوذات وحشا تفسيره وكتبه - مع ذلك - بالغرائب والأباطيل والضلالات.

وكنا نلاحظ ذلك عليه، وعرفناه عنه من قريب - ولنا معه عشرة طويلة أثناء الطلب في الجامعة، وبعد ذلك -، ولاحظه عليه أهل العلم، ومن ذلك ما أثبتناه في هذا الكتاب وفي غيره، وما نَقَلَ عن الشيخ العلامة حماد الأنصاري - رحمه الله - ابنه عبدالأول مما سمعه منه، كما في ترجمته له، قال: "كنت أنا والشيخ أبو بكر الجزائري في دولة تونس، نتناوب في إلقاء المحاضرات، وفي يوم قلت له: يا شيخ إن لي عليك ملاحظات. قال لي: ما هي؟.

قلت: **يجب عليـك أن تقـرأ في كتب السـلف** في العقيدة حتى تستحضر الجـواب على الإشـكالات في العقيدة عند تدريسك وعند طـرح الأسـئلة عليـك فيها.

و**ثانياً**: قلت لـه: كتابـك في التفسـير فيـه أخطـاء تخـالف مـا كـان عليـه السـلف؛ لأنـك لم تنقـل من كتبهم".

قلت: كلام الشـيخ حمـاد تلخيص - مهم - يشـير إلى تيهان الجزائري في العلم، وهي بلا شك حقيقته، من ناقـد عـالم بصـير، وأن أكـبر مأخـذ يأخـذه عليـه في العقيدة، وأن في تفسيره أخطاء على العموم تخالف ما كان عليه السلف - ولتكن في العقيـدة وغيرهـا -؛ لأنــه لم ينقــل من كتبهم، وأنــه ليس لديــه تأصــيل علمي؛ لأنه لم يقرأ في كتب السلف، وهو ما فصلناه في هذا الكتاب.

والشـيخ حمـاد من أهـل العلم المحققين، من أهـل الحــديث وعلمــاء أهــل الســنة، وأعــرف النــاس بـالجزائري فقـد عرفـه عن قـرب, ولسـنين طـوال وزامله في الوظيفة, ورافقه في السفر وعايشه في الإقامة.

قلت: وعنـدما ذكـرت - قـديمًا - للشـيخ عبـد المحسن بن حمـد العبـاد كـتيب الجزائـري (التـدخين مـادة وحكمـاً) - وهـو (في رسـائله: 2/522)ـ - حين توزيعـه بعـد طبعـه، وأنـه قـرر فيـه نقض الوضـوء بشرب الدخان, طبق أنكره عليه وجَهَّلَه وطبق عليــه

المثل: "دلو مـاء ودلـو طين" ويضـرب مثلاً للتخليـط وعدم التمييز بين الصحيح وغير الصحيح في الأشياء، والصالح والطالح غير الصـالح منهـا؛ فيحصـل منـه أو يجوز عليه هذا وهذا ولا يستغرب منه.

وذلك دليـل على معرفتـه بجهلـه وتخبطـه وتخليطـه، وقال ما قال لما لم يكن لديه حينـذاك سـبب يحملـه على الهوى، وقد تحول طينه عنده - بعـد ذلـك - إلى ماء عذب زلال صافٍ لا طين فيه ولا كدر!!.

فزكـــاه وزكى تفســـيره ونـــافح عنـــه وعن تفســـيره بالباطـــل، كمـــا في رده على الرفـــاعي والبـــوطي - وتقدمت الإشارة إليه -.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللـه - (كمـا في مجمـــوع الفتـــاوى: 13/243) عن تفســـير القـــرآن والحديث: "من فسَّر القرآن أو الحديث، وتأوَّلـه على غير التفسير المعـروف عن الصـحابة والتـابعين فهـو مفتر على الله، ملحـد في آيـات اللـه، محـرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقـة والإلحـاد، وهـو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام".

وقال - أيضًا - (كما في المجموع: 13/361): "من عدل عن مذاهب الصحابة والتـابعين وتفسـيرهم إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئـاً في ذلـك، بـل مبتـدعاً"، وهذا قليل في حق الجزائري.

وقـال الإمـام ابن القيم - رحمـه اللـه - (في إعلام الموقعين: 4/245): "إذا سـئل [يعـني: المفـتي] عن

تفسير آية من كتاب الله أو سـنة رسـول اللـه فليس له أن يخرجها عن ظاهرها بوجوه التأويلات الفاســدة لموافقة نحلته وهواه، ومن فعل ذلـك اسـتحق المنـع من الإفتاء والحجر عليه، وهذا الذي ذكرناه هو الــذي صرح به أئمة الإسلام قديمًا وحديثًا".

وقــال - أيضــاً - (في الإعلام: 4/208): "فمن أقــدم بالجرأة على ما ليس بأهل، فتيا أو قضاء، أو تــدريس استحق اسم الذم، ولم يحل قبول فتيـاه ولا قضـائه، هذا حكم دين الإسلام:

وإن رغمت أنوف من أناس فقل يا رب لا ترغم سواها".

قلت: وقال مجاهد في تفسير قولـه - تعـالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِـدُونَ فِي آَيَاتِنَـا لَا يَخْفَـوْنَ عَلَيْنَا﴾: "الإلحـاد في آيـات اللــه هــو الــذي يفســر الآيــة على حســب عقيدته وبدعته ورأيه".

وقال الجزائري نفسه في تفسـيره، عنـد هـذه الآيـة: "حرمة الإِلحاد في آيات اللـه بالميـل بهـا عن القصـد والخروج بها إلى الباطل، والتهديـد الشـديد لكـل من يحرف آيات الله أو يُؤَوِّلها على غير مراد الله منها".

وهو حجة عليه، وقد قال الله - تعالى -: ﴿لِمَ تَقُولُــونَ مَـا لا تَفْعَلُـونَ ۞ كَبُـرَ مَقْتًـا عِنْـدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُـوا مَـا لا تَفْعَلُونَ﴾، وهو إدانـة لـه من قولـه وكتابتـه وتفسـيره وحكمه ونشره؛ فبكل ذلك يدان.

قال العلامة ابن الوزير اليمـاني - رحمـه اللـه - (في العواصم والقواصم: 7/5): "وأكثر الناس لا يصبر عن الخوض فيمـا لا يعنيـه، ولا يتكلم بتحقيـق مـا يخـوض فيه، وهذا هو الذي أفسد الـدين والـدنيا، فـرحم اللـه من تكلم بعلم أو سـكت بحلم"، وهـذا ينطبـق تمامـاً على العباد وممدوحه ومزكاه الجزائري.

وفي شـرح أحمـد بن عيسـى نونيـة ابن القيم (ص: 156) بعد حديث أبي تميم الداري رضي اللـه عنـه - في صحيح مسلم - أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم قال: «الدين النصيحة». قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسـلمين وعـامتهم»: "مفهـوم مضمون هذا الحديث أنه لا يحـل لمسـلم يسـمع في حق الله ما لا يليق بكماله وعظمته وجلالـه أو يسـمع من يلحد في آياته ويخـوض في معـاني كتابـه العزيـز بباطل تأويلاتـه ويحرفـه عن مواضـعه أو يخرجـه في الأحكام عن مواقعه - كتحليل حرامه أو تحريم حلالـه - أو تغيير كلامه أو مناقضة شيء من أحكامه" وذكـر أشياء عظيمة في غير هذا ثم قال بعد ذلك كله: "**ثم يسكت إن أمكنه الكلام أو يرضى به أحداً من الأنام إن وسعه السكوت**".

وقـال العلامـة إسـماعيل بن عبـد الغـني الـدهلوي - رحمه الله -: "**وكل كلمة تدل على الجهل بالله وإسـاءة الأدب معه لا يحل السكوت عليها**".

وقـال الإمامـان محمـد بن عبـد اللطيـف آل الشـيخ ومحمـد بن إبـراهيم آل الشـيخ -رحمهم اللـه - في

ردهما على أبي الوفاء ثناء الله الهندي - وهما يردان عليه تفسيرات دون ما أخذناه وأخذه أهل العلم على الجزائـري بلا مقارنـة بينهمـا؛ إلا في موضـوع تأويـل آيات الصفات -: "ولم يزل أهل العلم يبينون غلطات من غلط ويردونها، حتى إن بعضهم يرد ذلك ولو بعـد توبة من حدث منه؛ خوفًا أن يغتر بتلك المقالـة، كمـا رد موفق الدين ابن قدامة الحنبلي على غلطـات أبي الوفاء ابن عقيل بعد ما تاب منها.

والذي نوصـيك به تقوى الله - عـز وجـل - ومراقبتـه في السـر والعلانيـة والتوبـة إلى اللـه من تلـك الورطات، والرجوع إلى الحق بكتابـة في ذلـك حـتى يشتهر ذلك عنك.. ونوصيك - أيضاً - بالانكباب على كتب أهـل السـنة وتفاسـيرهم، كالأمهـات السـت وغيرهـا من كتب الحـديث، وتفسـير ابن جريـر وابن كثير والبغـوي وغيرهـا من تفاسـير السـلف من أهـل السـنة، الـذين لا تـروج عليهم إحـداثات المحـدثين وتأويلات الجاهلين".

قلت: وهذا ما راج على (أبو بكر الجزائـري) لمـا لم يرجـع إلى كتب أهـل السـنة ورضـي بجهلـه، واعتمـد على إحداثات المُحْدثين وتأويلات الجـاهلين، وزاد مـا زاد من جهالاتـه بالـدين، واستحسـاناته لضـلالات الضالين وافتراءات المفترين.

ومما رد به الشيخان على ثنـاء اللـه الهنـدي قولهمـا: "هذه المواضع المنقولـة من تفسـير أبي الوفـاء ثنـاء الله، جمهورها، بل كلها خطأ إلا مواضـع يسـيرة ننبـه

عليها - إن شاء الله تعالى -؛ وأعظمها وأكبرها ما يتعلق بصفات الله - تعالى - كإنكاره حقيقة الاستواء بتفسيره إياه بالاستيلاء؛ أو تنفيذ الأحكام والتدبير، فإنه خطأ وضلال، بل دخول فيما عليه أهل التحريف والتعطيل من الجهمية والمعتزلة؛ ونحوهم، ممن ضل عن سواء السبيل، وهو خلاف ما عليه أهل السنة؛ فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة، وقولهم الشامل في هذا الباب: أنهم يصفون الله - تعالى - بما وصف به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، ووصفه به السابقون الأولون، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ولا يتجاوزون القرآن والحديث".

وقالا: "ومما يدخل في أنواع أهل البدع - كالمنكرين الصفات - تفسيره الكتابة في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الألواح مِن كُلِّ شَىْء﴾، **بالأمر بكتابة الأحكام**؛ فإنه من تأويل آيات الصفات، وتحريفها عن ظاهرها الذي أريد بها".

قلت: وهذا بعض ما عند الجزائري، ونسبته قليلة إلى مساوئه الكثيرة والتي يصدق عليها هذا القول:

مساوٍ لو قسمن على الغواني لما أمهرن إلا بالطلاق

الفصل الخامس عشر.

بعض بدع ودسائس وبقائع وبلايا صالح بن عواد المغامسي - في التفسير - التي شابه فيها

الجزائـري في تفسـيره - دون الأخـرى وهي كثـيرة جداً، تصعب على الحصر -، وقد ناسب أن أذكرها هنا في الرد على الجزائري، وهي خمسة عشـر موضـعاً، وإليكها أخي القارئ الكريم:

الموضع الأول.

نسبة المغامسي - زوراً - خطيئـة امـرأة العزيـز إلى النبي (يوسف) عليه الصلاة والسلام:

فلقد رأيته وسمعته في إحدى الفضائيات وهو يفسـر سورة يوسف، وينسب ذلك الزور والفجور الذي وقع من امرأة العزيز إلى نبي اللـه يوسـف عليـه الصـلاة والسلام، كما نسبه إليه الجزائري وأمثاله، فيقـول: " ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، اختلف العلماء هل هي من كلام يوسف أو من كلام امرأة العزيز؟[!!]، والذي يترجح عنـدي أنـه من كلام يوسف[!!]، والمعنى: ذلك الذي دفعـني لأن تُعْرف براءتي حتى يعلم العزيز أنني لم أصـنع شـيئاً: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، نقول: يسـتبعد أن امرأة كافرة تقول مثل هذه العبارات، وهي امرأة ليست مؤمنة أصلاً، صعب أن ينسـب إليهـا مثـل هـذا الكلام، فنقول إن هذا من كلام يوسف".

قلت: صعب عليه أن ينسب ذلك السوء إلى المـرأة الكافرة، ولم يصـعب عليـه أن ينسـبه إلى نـبي اللـه يوسف الكـريم ابن الكـريم ابن الكـريم ابن الكـريم:

ابن يعقــوب بن إســحاق بن إبــراهيم عليهم الصــلاة والسـلام، كمـا في الحـديث الـذي رواه البخـاري في صحيحه.

بل كان سهلاً عليه:

أتانا أن سهلاً ذم جهلاً علوماً ليس يدركهن سهل

علوماً لو دراها ما قلاها ولكن الرضى بالجهل سهل

وذلـك السـهل عنـده وعنـد الجزائـري وأمثالهمـا من الجهال هو الصعب عند أهل التحقيـق من أهـل العلم الذين يعرفون أقدار الأنبياء فيقدرونهم قدرهم:

ابن تيمية، والعلامـة ابن خُمَيْـر قبـل ابن تيميـة، ومـع شيخ الإسـلام الإمـام ابن تيميـة تلميـذاه: الإمـام ابن القيم، والإمام ابن كثير، وغيرهم من الأئمة ومحققي العلماء.

ولم يدر أن إلصاقه عظيم الذنب والفجور بنبي كـريم ذم وأذية له، وقد قال اللـه - تعـالى - ناهيـاً ومحـذراً المؤمنين: ﴿يا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَكُونُـوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَــى﴾، وذلــك ليس غريبــاً على صــاحب مــذهب بدعي وواعظ وحاطب ليل.

وقد قال ابن القيم - رحمه الله -:

وحاطب الليل في الظلماء منتصباً لـكـل داهـيـة تـدنـي مـن العـطـب

وقال السيوطي - رحمه الله -: "فكم من مؤلف حاطب ليل وجارف سيل، وناقد لا يفرق بين الصحيح والضعيف، ويظن كل مدور رغيف!، ويأتي ببعض الحجج الواهية التي تؤديه للهاوية".

وهذا بلا شك منطبق على الجزائري وعلى المغامسي، وهاوية أي هاوية تؤدي به: فكم له من الدواهي والشوارد والأوابد، بل كم له مما تطير خفافاً؛ فهو يهيم في أودية الجهل على طريقة القصاصين وأهل التصوف، والاعتزال، وطالبي الشهرة بجرأة عجيبة لا تليق بمن يتكلم في الدين أو باسمه أو الانتساب إليه، وقد صدق نفسه - لما رأى ما حوله من هالة الجهال والإعلام وأُعْجِب بكلام نفسه - أنه عالم، كما قال عنه أحد أهل العلم.

وقد تمثل هو - قائلاً - مادحاً نفسه بالعلم ومغروراً بجهله:

من كان يحمل بين جوانحه الضحى هانت عليه أشعـــــــــة المصبـــــاح!!.

وهذا لا يناسبه، وإنما الذي يوافق حاله ويناسبه أن يقال:

من كان يحمل بين جوانحه الدجى جــن عليـــــه أشعـــــــةَ المبـــــاح

ويجتمع له - للأسف - شباب الحركيين الإخوانيين وعوامهم، ويستمع إليه كثير من العوام وأشباههم الذين يتأثرون بأسلوب القصاصين، ولا يفرقون بين التبر والتراب ولا بين الشحمة والفحمة ولا بين الجمرة والتمرة، فضلاً عن أن يفرقوا بين العالم والواعظ القاص، ولو استمع إلى كل ما يقوله أو قرأ كل ما يكتبه العلماء لما نفق ما نفق عند العوام من بضاعته المزجاة العفنة، بل لكسدت؛ لأنها فاسدة ضارة مفسدة في الدين وأهله، بل في الدين والدنيا، وما بلغهم من إنتاجه ردوه عليه وصاحوا به ويحك أقصر، ولكن ".. ما لجرح بميت إيلام"

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وعبارته في هذه الضلالة هي عبارة أبي بكر الجزائري في رسيلته: (كشف الستار عن ما يظن أنه عار) - وتأتي -؛ فهو مشترك معه في الجهل والخطأ والخلط والإثم والمأثم.

وإليك كلام شيوخ الإسلام الأئمة: ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير في الرد على شبهة الجزائري، والمغامسي، ومن لف لفهما: من كون المرأة الكافرة لا تصدر عنها تلك العبارات.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية: "فإن قيل: **فهذا كلام من يقر بأن الزنا ذنب، وأن الله قد يغفر لصاحبه**، قلت: نعم، والقرآن قد دل على ذلك، حيث قال زوجها: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا

وَاسْـتَغْفِرِي لِـذَنْبِكِ، **فـأمره لهـا بالاسـتغفار لذنبها دليل على أنهم كانوا يـرون ذلـك ذنبـاً ويسـتغفرون منـه، وإن كـانوا مـع ذلـك مشركين، فقد كـانت العـرب مشـركين وهم يحرمون الفواحش، ويستغفرون الله منها**".

وقـال عنـد قولـه - تعـالى -: وَمَـا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلَّا مَـا رَحِمَ رَبِّي: "فمن كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالـة بينـة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن"، ويأتي كلامه بتمامه.

وقـال الإمـام ابن القيم: "و**لا يسـتبعد أن تقـول المـرأة هـذا وهي على دين الشـرك؛ فـإن القوم كانوا يقرون بالرب - سـبحانه وتعـالى - وبحقه، وإن أشركوا معه غيره**، ولا تنس قول سيدها لهـا في أول الحـال: وَاسْـتَغْفِرِي لِـذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ".

وقال الإمـام ابن كثـير (في قصـص الأنبيـاء: 1/332، والبداية والنهاية) بعد أن ذكر قول الله - تعالى - عن يوسـف: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِـي، وقـول اللـه عن الشاهد في حكمه: إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْـدَكُنَّ عَظِيمٌ: "أي: هـذا الـذي جـرى من مكـركن، أنت راودتيـه عن نفسه ثم اتهمتيه بالباطـل، ثم أضـرب بعلهـا عن هذا صفحاً فقـال: يُوسُـفُ أَعْـرِضْ عَنْ هَـذَا، أي: لا تذكره لأحد؛ لأن كتمان مثـل هـذه الأمـور هـو الأليـق والأحسن، وأمرها بالاستغفار لذنبها الذي صـدر منهـا، والتوبة إلى ربها؛ فإن العبد إذا تاب إلى الله تاب الله عليه.

وأهـل مصـر وإن كـانوا يعبـدون الأصـنام إلا أنهم يعلمون أن الذي يغفـر الـذنوب ويؤاخذ بها هو الله لا شريك له في ذلك؛ ولهذا قال لها بعلها: ﴿وَاسْـتَغْفِرِي لِـذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَـاطِئِينَ﴾، وعذرها من بعض الوجوه؛ لأنهـا رأت مـا لا صـبر لهـا على مثله، إلا أنه عفيـف نزيـه بـريء العـرض سـليم الناحية"، ويأتي.

قلت: وفي التنزيـل قولـه - تعـالى - عن نبيـه لـوط عليـه الصـلاة والسـلام: ﴿فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْـزُونِ فِي ضَيْفِي﴾، وهم كفار.

الموضع الثاني.

ابتــداع المغامســي في الــدعاء في فهم بعض آيــات القرآن - بزعمه - على طريقة باطنيـة الصـوفية، بـل التشريع مع الله؛ لأن ذلك لا يدل له القــرآن ولا يفهم منه، وإنما هو من عنده، وإن شـئت فقـل إنـه تلاعب بالقرآن.

وســمعت ورأيت المغامســي - أيضــاً - يقــول (في موقعـه:الراسـخون في العلم): "وقـد قلت مـراراً في دروس لنا إن الإنسان يقول: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، في السجود أربعين مرة أرجو الله بعد ذلــك أن يرزقه الولد..جربها كثيرون أنا أولهم..ثم قلت في السـجود أربعين مرة على نفسي..كررتها..ثم كتب اللـه، ثم أخـبرت بهـا كـذا كـذا حـتى واللـه بلغت: 16 أو: 19 حالة..كلهم رزقوا..".

لقد هُزلت حتى بدا من هُزالها   كُلاها وحتى سامها كل مفلـس

قلت: وقبل هذا البيت بيتان، وهما:

تصدر للتدريس كل مهـــــوس   بليد تسمى بالفقيـــــه المـدرس

فحــق لأهــل العلــم أن يتمثـــــلوا   بــبيت قديم شاع في كل مجلس

وانظر إلى إصراره على جهله وتحسينه وإلباسه ثوب العلم، ثم اعلم أن هـــذا التفســـير لا يختلـــف عن تفسيرات الباطنية، وإذا كان هـذا هـو العلم فمـا هـو الجهل؟!!.

وأفٍ على العلم الذي تدعونه   إذا كان في عـــلم النفوس رداهـــا

ولقد كان عليه أن يرجع عن هرائه وغرائبـه وتفاهاتـه وسـفاهاته وفلسـفاته وسفسـطاته واعتداءاتـه على الدين وأهله بالابتداع وغـيره، ويقلـع عن سـوء الأدب مع أهل العلم من أهل السنة.

ولكن هيهات، وربما أدركه شؤم البدعة الغليظة، بــل البدع الغليظة المتعددة وليست بدعة واحدة فحسـب أو بـدعاً يحصـيها العـد أو تنتهي إلى حـد؛ فقـد قـال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: «إن اللـه احتجـز التوبة عن صاحب كل بدعة»، وإنه ليصـدق عليـه مـا قاله الأمير شكيب أرسلان - فيمـا تقـدم -: "الجاهـل إذا قيض الله له مرشداً عالماً أطاعـه، ولم يتفلسـف

عليه، فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري، ولا يقتنع بأنه لا يدري، وكما قيل: ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون، وأقول: ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم".

قلت: وهذا الباب الذي سلكه المغامسي مغلق في الشريعة، وعند متبعي السنة من أهل العلم، وفتحه يؤدي إلى متاهات وضلالات وتخبطات وتخليطات وتيه في الدين ومساوئ وسيئات، ومنها البدع في الشريعة، والدين إنما هو وقف على الدليل والحجة الشرعية واتباع السنة، ولا مجال للخرص والتخمين والتجارب فيه، ولا يفعل ذلك إلا الجهلة المخرفون؛ والأمر عظيم وجد خطير، وهو من موروثات الصوفية، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، ويأتي.

ولا يجوز بحال الثقة بما يقوله، ويجب أن يعلم - يقيناً - أنه يحرم نسبة ما ليس من الدين إليه مما قاله هو أو قاله غيره، قال الله - تعالى -:﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾، الآية، وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، الآية.

وحتى لو نسبه إلى أدلة لا تدل عليه، وإنما اعتسفها ولوى أعناقها حسب هواه وفاسد مشربه أو قلد فيها عن جهل وتبعية عمياء مشوبة بنوع من الهوى كتقليده وتبعيته لمحمد الشعراوي الصوفي المشرك الخرافي، ولا يحل بحال تحديد صفة أو أجر أو أي موعود أو عدد أو مكان أو زمان أو شيء مما يتعلق

بالــدين مــا لم يحــدده الشــارع الحكيم كمــا يفعــل المغامسي، ومن فعل شيئاً من ذلـك فإنـه يبتـدع في الدين ما لم يـأذن بـه اللـه، ومن هـذا النـوع: البدعـة الإضـافية الـتي تضـاف إلى مـا لـه أصـل في الـدين وليس من ذلك الأصل.

والآية لا تدل لما ذهب إليه؛ فما ذكره الله عن زكريـا عليه الصلاة والسلام - كما هو نص الآيـة - ليس فيـه تحديد عـدد أو صـفة أو درك مـراد، وغايـة مـا يقـال: الدعاء بها مطلقاً بـدون تحديـد عـدد أو ادعـاء تحقـق مطلب أو مراد، والقول به ونسبته إلى الدين والإفتاء به افتراء وافتيات عليه وتضليل للمسلمين عنه.

وإن صدق هذا الرجل وكان قد تحقق مـا قالـه فإنمـا وافق قدراً، أو هو استدراج، - كمـا قـرر ذلـك علمـاء أهل السنة والتوحيد - وفتنة له، ولمن أضلهم بفتواه، نسأل الله العافية ممـا ابتلـوا بـه، ونحـذر المسـلمين من هــذه الفتنــة وتلــك الفتــوى الزائغــه والــدعوى الزائفة.

وقد رد العلماء المتقدمون والمتأخرون على مثل شوارد وأوابد المغامسي وافتراءاته وجهالاته وفتنته في الدعاء، وإليك ما قالوه:

فقد قال القاضي عياض - رحمه الله - (كما في الفتوحات الربانية لابن علان: 1/17): "أذن الله في دعائه، وعلم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة

للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه صلى الله عليه وسلم، وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام، فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبِي صلى الله عليه وسلم".

وقال القرطبي - رحمه الله : - (في تفسيره: 4/23 1):" فعلى الإنسان أن يستعمل ما في كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه، ولا يقول أختار كذا؛ فإن الله - تعالى - قد اختار لنبيه وأوليائه وعلمهم كيف يدعون ".

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (كما في مجموع فتاواه: 22/510-511) عمن يقول: أنا أعتقد أن من أحدث شيئاً من الأذكار غير ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح عنه أنه قد أساء وأخطأ؛ إذ لو ارتضى أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وإمامه ودليله لاكتفى بما صح عنه من الأذكار.

فعدوله إلى رأيه واختراعه جهل وتزيين من الشيطان وخلاف للسنة؛ إذ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك خيراً إلا دلنا عليه وشرعه لنا، ولم يدخر الله عنه خيراً؛ بدليل إعطائه خير الدنيا والآخرة؛ إذ هو أكرم الخلق على الله فهل الأمر كذلك أم لا؟" .

فأجاب :"الحمد لله، لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف

والاتباع لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلها.

وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس؛ بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء - أحياناً - من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنىً محرماً لم يجز الجزم بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك، والإنسان لا يشعر به..وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي: فهذا مما ينهى عنه.

ومع هـذا ففي الأدعيـة الشـرعية والأذكـار الشـرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصـد العليـة، ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكـار المحدثـة المبتدعـة إلا جاهل أو مفرط أو متعد ".

وقال الشوكاني (في تحفة الذاكرين ص: 140):
"السنة لا تثبت بمجرد التجربة، ولا يخرج بها الفاعل للشيء معتقداً أنه سنة عن كونه مبتدعاً، وقبول الدعاء لا يدل على أن سبب القبول ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد يجيب الله الدعاء

من غير توسل بسنة - وهو أرحم الراحمين -، وقد تكون الاستجابة استدراجاً ".

وقال ابن سعدي (في تفسيره: 1/89) عند تفسير آية السعي بين الصفا والمروة، في سورة البقرة، قال: "﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾، أي: فعل طاعة مخلصاً بها لله - تعالى -: ﴿خَيْرًا﴾، من حج وعمرة وطواف وصلاة وصوم وغير ذلك"، وأضاف قوله - تعالى - في السورة نفسها: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾، ثم قال: "فدل هذا على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله ازداد خيره وكماله ودرجته عند الله لزيادة إيمانه، ودل تقييد التطوع بالخير أن من تطوع بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله أنه لا يحصل له إلا العناء وليس بخير له، بل قد يكون شراً له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية العمل".

وقال المعلّمي (في/ كتاب: العبادة ص: 524): ".. وما أخسر صفقة من يدع الأدعية الثابتة في كتاب الله - عز وجل -، أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يكاد يدعو بها، ثم يعمد إلى غيرِها فيتحراه ويواظب عليه، أليس هذا من الظلم والعدوان؟ ".

وفي جواب لأعضاء اللجنة الدائمة برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (كما في مجلة البحوث الإسلامية: 21/53، وفتاوى إسلامية: 4/17 8): "الأصل في الأذكار والعبادات: التوقيف، وألا يعبد الله إلا بما شرع، وكذلك إطلاقها، أو توقيتها، وبيان كيفياتها، وتحديد عددها، فيما شرعه الله من الأذكار، والأدعية، وسائر العبادات مطلقاً عن التقييد بوقت،

أو عدد، أو مكان، أو كيفية: لا يجوز لنا أن نلتزم فيه بكيفية، أو وقت، أو عدد، بل نعبده به مطلقاً كما ورد، وما ثبت بالأدلة القولية، أو العملية تقييده بوقت، أو عدد، أو تحديد مكان له، أو كيفية: عبدنا الله به، على ما ثبت من الشرع له".

وسئلت اللجنة - أيضاً - (كما في مجلة البحوث..: 21/51، وفتاوى إسلامية: 4/221): "ما حكم الدعاء بصورة جماعية بعد قراءة القرآن مباشرة، يدعو شخص والباقون يؤمنون على دعائه، وهكذا في كل درس بدون انقطاع، وعند تذكيرهم ومطالبتهم بالدليل استدلوا بقوله - تعالى -: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، الآية؟".

فأجابوا بقولهم: "الأصل في الأذكار والعبادات التوقيف وألا يعبد الله إلا بما شرع، وكذلك إطلاقها أو توقيتها وبيان كيفياتها وتحديد عددها في ما شرعه الله من الأذكار والأدعية وسائر العبادات مطلقاً عن التقييد بوقت أو عدد أو مكان أو كيفية لا يجوز لنا أن نلتزم فيه بكيفية أو وقت أو عدد، بل نعبده به مطلقاً كما ورد.

وما ثبت بالأدلة القولية أو العملية تقييده بوقت أو عدد أو تحديد مكان له أو كيفية، عبدنا الله به على ما ثبت من الشرع له، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً الدعاء الجماعي عقب الصلوات، أو قراءة القرآن مباشرة، أو عقب كل درس، سواء كان ذلك بدعاء الإمام وتأمين المأمومين على دعائه، أم كان بدعائهم كلهم جماعة ولم يعرف ذلك - أيضاً - عن الخلفاء الراشدين

وسائر الصحابة رضي الله عنهم، فمن التزم بالدعاء الجماعي عقب الصلوات، أو بعد كل قراءة للقرآن، أو بعد كل درس فقد ابتدع في الدين وأحدث فيه ما ليس منه، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد».
وأما استدلال من ذكرتهم بقوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فلا حجة لهم في ذلك؛ لأنه استدلال بنص مطلق ليس فيه تعيين بالكيفية التي التزمها من سألت عن دعائهم، والمطلق ينبغي أن يراعى في العمل به إطلاقه دون التزام بحالة خاصة، ولو كان التزام كيفية معينة مشروعاً لحافظ عليها النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده، وقد تقدم أنه لم يثبت ذلك عنه، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، والخير كل الخير في اتباع هديه صلى الله عليه وسلم وهدي خلفائه الراشدين رضي الله عنهم، والشر كل الشر في مخالفة هديهم واتباع المحدثات التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»".

وقال أعضاء اللجنة الدائمة - أيضاً - (كما في فتاوى اللجنة: 1/53) : "فيما ثبت في الوحيين من الأدعية والأذكار غنية عن الأدعية والأذكار المخترعة".

وقال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - (كما في المنتقى من فتاواه: 1/46): " وأما ما ذكر من أن فلانًا جربه فوجده صحيحاً، وفلانًا جرَّبه فوجده صحيحاً؛ هذا كله لا يدل على صحة الحديث، فكون الإنسان يُجرب الشيء ويحصل له مقصوده لا يدل

على صحة ما قيل فيه أو ما ورد فيه؛ لأنه قد يصادف حصول هذا الشيء قضاءً وقدراً، أو يصادف ابتلاءً وامتحاناً للفاعل، فحصول الشيء لا يدل على صحة ما ورد به"().

ورد على المغامسي - أيضاً - الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر (في تاريخ: 30/6/1433هـ)، دون ذكر اسمه بما نصه: "جاء في تسجيل له عمن لم يُرزق بالذرية أنه يدعو أربعين مرة في سجوده بدعاء زكريا: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، قال فيه: بالتجربة: (عند الكثير لا نستطيع أن نقول أنه واجب أن من قال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، أربعين مرة بقصد الدعاء في سجوده في إحدى سجداته يعني: صلى ركعتين نافلة وقال في سجوده: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، أربعين مرة أنه يرزق بنية أن يدعو فإن قال قائل من أين أتيتم بالأربعين قلنا الأربعين مذكورة فضلاً في القرآن قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، هذا واحد ثم إن التجربة دلت يعني: من جرب هذا وقالها أربعين مرة دلت التجربة على أنه يرزق).
ولا شك أن خير الدعاء وأحسنه ما جاء منه في الكتاب والسنة المطهرة، وقد جاء الدعاء في ذلك في القرآن عن زكريا عليه الصلاة والسلام في موضعين وعن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في موضع واحد، قال الله - عز وجل - في دعاء زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، وقال في دعاء إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فيدعو المسلم بهذه الأدعية ويكررها لكن بدون

التقيد بعدد معين؛ لأن التقييد بالعدد يحتاج إلى دليل، وفي تكــراره في ســجوده أربعين مــرة انشــغال المصــلي بالعــد في ســجوده أربعين مــرة، وفي الاستدلال بالآية على فضل تكرار الدعاء أربعين مـرة تكلف، وهـو نظـير اسـتدلال جماعـة التبليـغ بهـا على خروجهم لـدعوتهم أربعين يومـاً! قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية - رحمه الله - (كما في مجموع فتاواه: 10 /394-395) عن طائفــة من الصــوفية: "وطائفــة يجعلون الخلوة أربعين يوماً ويعظمون أمر الأربعينيـة ويحتجون فيها بأن الله - تعالى - واعد موسـى عليـه السلام ثلاثين ليلة وأتمها بعشر".

قلت: ولا شــك ولا ريب في صــوفية المغامســي، ومثل قولـه المـردود عليـه قـول أبي بكـر الجزائـري الصوفي في خروج التبليغ الصوفية وتأييـده لبـدعهم، قال: "وحفظنا عن أبي القاسم صلى الله عليه وسلم أنــه قـال: «من صـلى في جماعـة أربعين يومـاً لا تفوتـه صـلاة كتب الله لـه براءة من النفـاق وبـراءة من العـذاب»، **اختــار الشــارع هــذا العــدد؛ لأنــه خلال هــذه الفترة تتغير الطباع وتتبدل العـادات..؛ لأنهـا فترة سـبق أن اللـه أعطاهـا لموسى** إذ قـال - تعالى -:﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْــرٍ فَتَمَّ مِيقَــاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَــةً﴾، وتقــدم رد الشــيخ حمــود التويجري، والشيخ سعد الحصين عليه، والحديث عن أنس بن مالك رضـي اللـه عنـه بهـذا اللفـظ وألفـاظ أخرى كلها ضعاف ومناكير.

وبلفظ: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك تكبـيرة الأولى، كتبت لـه براءتـان: بـراءة من النـار وبــراءة من النفــاق»، من حــديث أنس - أيضــاً -: موقوفــاً عليــه ومرفوعــاً، ولــه أربــع طــرق حســنه بمجموعها الشيخ الألباني، في السلسة الصحيحة.

والمؤاخذة على الجزائري في تأويلـه للآيـة على غـير وجـه صـحيح، وكـذلك تأويلـه للحـديث - على ضـعفه وجزمه بنسـبته إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم - وهو تأويل يشبه تأويل المغامسـي في اسـتنتاج حكم من العدد لا دليل عليه، يشبه تأويل الباطنية.

وللجزائري مقطع صوتي يقول فيه: "حد الكثرة للصلاة على النبي يوم الجمعة أن لا تقل عن (300) صلاة، ومن نقص لم يطع النبي صلى الله عليه وسلم".

وهذا كلام الشعراني وغيره من الصوفية؛ فهم يحددون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: بـ (1000) صلاة، ولا تقل عن: (300) صلاة.

فقد أبى التصوف إلا أن يخرج أعناقه من في الرجلين؛ فهما صوفيان إلى النخاع.

وقوله: "من نقص لم يطع النبي.." افتيات وافتراء على الدين؛ لأنه بلا دليل من الشرع!!، وهكذا تدين الصوفية.

الموضـــــــــع الثالث.

ومن قَبِيْل ما تقدم - عن المغامسي - في الدعاء: زعمه الدعاء بقوله - تعالى -:﴿حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وأن الدعاء بذلك له فضل، وزعم تجريبه وتيسير الأمور الصعبة به، وقد شكك الناس وشغلهم بالسؤال عنه؛ لأن عقولهم لم تقبله، وهو لا يلتفت إليهم وإلى فتنته لهم، وحاله كما قال المتنبي:

أنـــام ملء جفـوني عن شـواردها ويسـهر الخلق جراها ويختصم.

وقد سئل عنه وعن الدعاء بـه سـماحة المفـتي عبـد العزيز بن عبد اللـه آل الشـيخ في برنـامج نـور على الـدرب، فقـال: "أمـا أن يظن دعـاءاً فليس دعـاءاً"، وقال: "ليس هذا دعاءاً مشروعاً".

قلت: وكيف يقبل ذلك منه ولم يكن عليه دليـل ولم يفهم أهل العلم ما زعمه من النص لا من سـياقه ولا لحاقه.
إذاً ليس دعـاءً وليس الـدعاء بـه من العلم الشـرعي ولا من فقـه الـدين - كمـا قـال آل الشـيخ -؟!؛ لأن المقصود بالخطاب في الآية المنافقون، وجواب (لو) فيها مقدر، كما قال ابن عطية (في تفسيره المحـرر الوجـيز: 3/269)، قـال: "قولـه: ﴿ولـو أنهم رضـوا مـا آتاهم الله ورسوله﴾، الآية، وصـف للحـال الـتي ينبغي أن يكون عليها المستقيمون، يقول - تعالى -: ولو أن هؤلاء المنافقين رضـوا قسـمة اللـه الـرزق لهم ومـا أعطاهم على يدي رسوله ورجوا أنفسهم فضل اللـه ورسـوله وأقـروا بالرغبـة إلى اللـه لكـان خـيراً لهم وأفضل مما هم فيه، وحذف الجواب من الآية لدلالـة ظاهر الكلام عليه، وذلك من فصيح الكلام وإيجازه" .
وقـال القرطـبي (في تفسـيره: 8/167): "قولـه - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ﴾، جواب (لـو) محذوف، التقدير لكان خيراً لهم".

وقال أبو السعود - أيضاً - (في تفسيره: 3/179): " ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ﴾، الآيةُ بأسرها في حيز

الشـرطِ، والجـوابُ محـذوفٌ بنـاء على ظهـوره أي: لكان خيراً لهم".

وكذا عنـد الشـوكاني (في تفسـيره: 3/270) قـال: " ﴿وَلَـوْ أَنَّهُمْ رَضُـوْاْ مَـا ءاتـاهم الله﴾، جـواب (لـو) محـذوف، أي: لكـان خـيراً لهم"، وقالـه غـيرهم من المفسرين، وهو ظاهر من سياق الآية، كما قـال أبـو السعود.

إذاً فكونـه دعـاءاً يـدعى اللـه بـه من شـوارد وأوابـد المغامسي ولا عبرة بكلامه.

وفي لقائــه في برنــامج "في الصــميم"، ونشــرته صحيفة سبق الإلكترونية عما زعم أنه دعـاء بقولـه - تعالى -: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.. إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُـونَ﴾، قـال: "وهـو الـدعاء الـذي شـاع عنـد الناس بعـد أن منّ اللـه عليّ بالشـهرة، مـع أن رأيي صـحيح جـداً، وليس خاطئـاً وعلى يقين أنهـا ليسـت بدعة"، وأن هناك من أتاه وقال له أن حاجته قضـيت بعد أن رددوا الدعاء هذا على وجه الخصوص!!.

وليس غريباً عليه وهـو يشـرع ويؤلـف في الـدين في هـذا وغـيره؛ فهـو يقـول: "إذا رأيت نفسـك تعلقت بشيء من أمور الدنيا وأصـبح همـك، ضـع يـدك على قلبك وقل: اللهم زد قلبي حباً وتعلقـاً وإقبـالاً عليـك" وغير ذلك وهو دليل على إفلاسه في العلم واجترائـه وافترائه على الدين.

الموضع الرابع.

من طامـة الطامـات المغامسـي في مـا عُـرَض لـه في فـديو بالصوت والصورة فانتشر وذاع وشاع:

فكأنه سئل عن دعاء معين لكـل مـرض فقـال مـا نصه:" لم يـرد فيما نعلم دعاء بعينه يقال لكـل مـرض، لكن اللـه - عـز وجـل - علمنا أن نستقي من كتابه ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسـلم والموفق من وفقه الله.

إذا كان هذا المرض يتعلق بالعظام فـإن من الخـير لـه أن يضـع يده على عظامه ويقول: قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، بهذه الطريقة[!!].

ولو اختار العدد الأربعين فإنه أحب إلي[!!]، **هذه حالة**.

الحالة الثانية: قد يكون الإنسان فيه شيء يـنزف، يحسـن أن يقرأ عليه قول الله: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ، ولو جعلها سبع مرات وتران [كذا]، أو أربعين مرة، كـل ذلـك من الأعداد المذكورة بخير في القرآن[!!].

أحياناً يكون المرض شيء متجمد [كذا] نريده أن يخرج: كـامرأة مثلاً ثقلت بالدم، دم فساد ولا يخرج، مكثت شـهوراً، عامـاً أكـثر والأمر باق يقرأ عليه مثل قول الله - عز وجل -:وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ،وَأَخْـــرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وأضـــراب ذلـــك من الآيات[!!].

ومن الآيات الجامعـة أن يقـرأ الإنسـان على نفسـه قـول اللـه: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، هذه سبع مرات ينفع اللـه - عـز وجـل - بها".

وشـاع عنـه قولـه - أيضـاً -: "إذا شـكوت ألمـاً أو وجعـاً في أي مكان من جسدك فضع يدك اليمنى على مـا تشـتكي منـه وقـل مراراً هذه الآية: ﴿وَلَهُ مَا سَـكَنَ فِي اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فقد جربنا ذلك ووجدنا عجبـاً في سـرعة سـكون الألم وشفائه بفضله - سبحانه - ثم بعظيم آياته"!!.

قلت: لم يترك من فكر الصوفية وزبـالات عقـولهم شـيئاً، بـل يرى أن مـا يأتيـه من الضـلال توفيقـاً من اللـه وشـهرة نعمـة لا شهرة فتنة!!.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَـإِنَّ اللَّهَ يُضِـلُّ مَنْ يَشَـاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، والله - سبحانه -: ﴿لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِـدِينَ﴾.

وقد رد على نفسه بقوله: "لم يرد"، وقوله: "أحب إلي"، وقوله: "كـل ذلـك من الأعـداد المـذكورة بخـير في القـرآن"، وقولـه: "جربنا .."، وأن الأمور التي يصدرها من قبل نفسه اتباعاً لزعمه في تجاربه التي يلصقها بالدين وينسبها إليه زوراً وبهتاناً وإضلالاً.

وما ادعاه من تأثير الآيـات إنمـا هـو تفسـير صـوفي بـاطني، ولا يؤيـده نقـل ولا عقـل، بـل لا يقبـل عقلاً فضـلاً عن أن يفهم من القـرآن العزيـز؛ وهـو من ضـلال العقـول وغيابهـا عن المنقـول والمعقول.

الموضع الخامس.

شذوذ المغامسي عن أهل العلم في أن: (طه)، اسم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم:

زعمه أن (طه)، اسم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حينما نزعه عرق التصوف والجهل فجعل يتخبط تاركاً فتاوى وتقريرات العلماء، والذي يدل على أن تلك الحروف للإعجاز والتحدي، يتحدى الله - بها العرب - المنكرين والجاحدين للقرآن ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن فتاوى العلماء وتقريراتهم والتي ترد على تخليطه وجهله في هذه المسألة العلمية المهمة التي لا يجوز أن يتصدى لها أمثاله - مدعياً الاجتهاد والترجيح وهو لا يعدو أن يكون من العوام الذين فسدت فطرتهم - ما يأتي:

قال ابن القيم - رحمه الله - (في تحفة الودود بأحكام المولود ص: 116): "وأما ما يذكره العوام أن: (يس)، و(طه)، من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صحابي، وإنما هذه الحروف مثل: (الم)، و(حم)، و(الر)، ونحوها".

وقال من علق عليه: "واختار هذا القول أبو حيان في البحر المحيط: 6/224، وابن عاشور في تفسير

التحرير والتنـوير: 16/183، وانظـر: معجم المنـاهي اللفظية لبكر أبو زيد ص: 360".

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (في مجموع فتاواه: 18/54): "وليس (طه)، و(يس)، من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في أصح قولي العلماء، بل هما من الحروف المقطعة في أوائل السور مثل: (ص)، و(ق)، و(ن)، ونحوها". وفي إجابة له (كما في موقعه الرسمي بصوته): ")يس)، ليست من أسمائه صلى الله عليه وسلم على الصحيح، وهكذا: (طه)، ليست من أسمائه، بعض الناس يظن ذلك، وليست من أسمائه عليه الصلاة والسلام لا (طه)، ولا (يس)، ولا غيرها من فواتح السور، وإنما الحروف المقطعة مثل: (الم)، ومثل: (حم)، ومثل: (المص)، وأشباهها، كلها حروف مقطعة في أوائل السور لله فيها الحكمة العظيمة - سبحانه وتعالى -، وليست أسماءاً للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن يقال: سورة: (طه)، سورة : (يس)، سورة: (المص)، سورة: (حم)، كذا لا بأس، وأما أسماؤه فهي كثيرة عليه الصلاة والسلام، لكن أشهرها محمد وأحمد، والماحي، والحاشر، والمقفي[1]، كما جاء في الأحاديث: «نبي التوبة»،

[1] لم يذكر الشيخ (العاقب)، وهو من أسمائه صلى عليه وسلم، فقد قال - كما في البخاري ومسلم - «إن لي أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بِي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على

«نبي الرحمة»، «نبي الملحمة»، كل هذه من أسمائه عليه الصلاة والسلام، وأشهرها محمد، وأحمد".

وسئل العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - (كما في موقعه الرسمي بالصوت): "هل (طه)، و(يس)، من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم؟".

فأجاب بقوله: "هذا عند الجهال، وإلا (طـه)، حـروف مقطعـة: (ط، هــ)، (يس)، حـروف مقطعـة: (ي، س)، مثـل: (حم)، مثـل: (الم)، مثـل: (طس)، (طسـم)، هـذه حـروف مقطعـة؛ لكن هم جعلوهـا أسماءاً للرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم، الرسـول أسـماؤه معروفـة ثابتـة مـا فيهـا: (طـه)، ولا فيهـا: (يس)".

وقال العلامة محمد بن عثيمين - رحمه الله - (في شرح رياض الصالحين، باب الاقتصاد في الطاعة(: "(طه)، هذا حرفان من حروف الهجاء أحدهما: (ط)، والثاني: (هـ)، وليست اسماً من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما زعمه بعضهم؛ بل هي من الحروف الهجائية التي ابتدأ [الله] بها في بعض السور الكريمة من كتابه العزيز، وهي حروف ليس لها معنى؛ لأن القرآن نزل باللغة العربية، واللغة

قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»، أي: من الأنبياء، ولا يمنع أن له أسماءً أخرى، كما قاله الشيخ هنا، وقاله غيره من أهل العلم.

العربية لا تجعل للحروف الهجائية معنى؛ بل لا يكون لها معنى إلا إذا ركبت وكانت كلمة، ولكن لها مغزى عظيم، هذا المغزى العظيم هو التحدي الظاهر لهؤلاء المكذبين للرسول عليه الصلاة والسلام، هؤلاء المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم عجزوا أن يأتوا بشيء مثل القرآن، لا بعشر سور، ولا بسورة، ولا بآية، ومع هذا فإن هذا القرآن الذي أعجزهم لم يأت بحروف غريبة لم يكونوا يعرفونها بل أتى بالحروف التي يركبون منها كلامهم .

ولهذا لا تكاد تجد سورة ابتدأت بهذه الحروف إلا وجدت بعدها ذكر القرآن في سورة البقرة ﴿ :الم ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿الم ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿المص ﴾ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾، وفي سورة يونس: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، وهكذا نجد بعد كل حروف هجائية في بداية السورة يأتي ذكر القرآن وذلك إشارة إلى أن هذا القرآن كان من هذه الحروف التي يتركب منها كلام العرب ومع ذلك أعجز العرب هذا هو الصحيح في معنى المراد من هذه الحروف الهجائية".

وقــال في شــرحه لقــول مؤلــف نظم الورقــات في أصول الفقه:

أفعال طه صاحب الشريعة جميعــها
مرضــية بديـــــعة

: "وهنا نناقش المؤلف - رحمه الله تعالى - في قوله : (طـــه)، حيث جعل: (طه)، من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يصح نظراً ولا أثراً .

أما عدم صحته أثراً: فلعدم النقل، فإنه لم يأت حديث صحيح ولا ضعيف أن من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم (طه)، أبداً .

وأما النظر: فلأن: (طه)، مركب من حرفين مهملين هجائيين، والحروف الهجائية ليس لها معنى، ومن المعلوم أن أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم كلها تحمل معاني، فليس له اسم صلى الله عليه وسلم هو علم محض، بل أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم كلها أعلام وألقاب، أما أعلامنا نحن فهي مجرد علم، ولهذا نسمي ابننا مثلاً عبدالله، وهو من أفجر عباد الله، إذاً صار الاسم هذا مجرد علم، كأنه حجر على رأس جبل يدل على الطريق فقط

أما أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم كلها فهي أعلام وأوصاف، وكذلك أسماء الله - تعالى -، وكذلك أسماء القرآن كلها أعلام وأوصاف.

وكلمة: (طه)، لا تجد فيها شيئاً من الوصف .

إذن لا يصح نظراً أن تكون: (طه)، من أسماء

الرسول صلى الله عليه وسلم .
فإن قال قائل : كيف تقول هذا الكلام؟ وقد قال الله - تعالى -: ﴿طــه ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.
وهذا خطاب يقول : يا طه، ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى.﴾
قلنا: إذاً سم الرسول صلى الله عليه وسلم (المص)؛ لأن الله - تعالى - قال: ﴿المص ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾، وهل أحد سماه: (المص)؟!!﴾.
وسمه: (الر)؛ لأن الله يقول: ﴿الر كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، فهل سيسميه أم لا؟.
الجواب: لا، لن يسميه، إذن انتقضت قاعدته.
فالمهم أن: (طه)، ليس من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم .﴾
ولا يصح أن يكون اسماً له، لا أثراً ولا نظراً".

الموضع السادس.

مخالفــة المغامســي للمحققين، وجمــاهير العلمــاء، وموافقته لليهود فيمــا حرفــوه في كتبهم: أن الــذبيح إنمــا هــو إسـحاق، وليس إسـماعيل عليهمــا الصـلاة والسلام:

فقـد تكـرر إصـراره وتعـددت مناقشـاته ومماحكاتـه على أن إسـماعيل عليـه الصـلاة والسـلام ليس هـو الذبيح، وإنما هو إسحاق عليه الصلاة والسـلام شـاذاً بـذلك عن جمهـور العلمـاء، إن لم يكن عن عـامتهم، وموافقـاً لليهـود فيمـا حرفـوه في التـوراة؛ لأجـل الشهرة بالمخالفة مع وضوح الحق.

وقد روى ابن جرير (في تفسيره)، روايات كثيرة عن السلف: الصحابة فمن بعدهم: أن الـذبيح أو المَفْـدِي إنما هو إسماعيل.

وقال ابن القيم (في زاد المعاد: 1/70): "وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عنـد علمـاء الصـحابة والتابعين ومن بعدهم.

وأما القول بأنـه إسـحاق فباطـل بـأكثر من عشـرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قـدس اللـه روحه - يقول: هـذا القـول إنمـا هـو متلقى عن أهـل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم فـإن فيـه: إن اللـه أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفي لفظ: وحيده، ولا يشك أهل الكتـاب مـع المسـلمين أن إسـماعيل هـو بكـر أولاده، والـذي غـر أصـحاب هـذا القـول أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسـحاق قـال: وهـذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قولـه: اذبح بكرك ووحيدك ولكن اليهود حسـدت بـني إسـماعيل

على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم وأن يسوقوه إليهم ويحتازوه لأنفسهم دون العرب، ويـأبى اللـه إلا أن يجعل فضله لأهله"، إلى أن قال:

"وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كـان بمكـة، ولـذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السـعي بين الصـفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسـماعيل وأمـه وإقامة لذكر اللـه، ومعلـوم أن إسـماعيل وأمـه همـا اللـذان كانـا بمكـة دون إسـحاق وأمـه، ولهـذا اتصـل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الـذي اشـترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل، وكان النحر بمكة من تمــام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إســماعيل زماناً ومكاناً، ولو كان الذبح بالشام كمـا يـزعم أهـل الكتــاب ومن تلقى عنهم لكــانت القــرابين والنحــر بالشام لا بمكة".

وقــال ابن كثــير (في تفســيره: 7/27) عنــد قولــه - تعـالى -: ﴿ فَبَشَّـرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾: "وهـذا الغلام هـو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المســلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتـابهم أن إسـماعيل ولـد ولإبـراهيم عليـه السـلام سـت وثمـانون سـنة، وولـد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسـعون سـنة، وعنـدهم أن الله - تعالى - أمر إبراهيم أن يـذبح ابنـه وحيـده، وفي نســخة: بكــره، فــأقحموا هاهنــا كــذباً وبهتانــاً

(إسحاق)، ولا يجوز هـذا؛ لأنـه مخـالف لنص كتـابهم، وإنما أقحموا (إسحاق)؛ لأنـه أبـوهم، وإسـماعيل أبـو العـرب، فحسـدوهم، فـزادوا ذلـك وحَرّفـوا وحيـدك، بمعنى الذي ليس عندك غـيره، فـإن إسـماعيل كـان ذهب به وبأمه إلى حيث مكة، وهـذا تأويـل وتحريـف باطل، فإنه لا يقال: (وحيـد) إلا لمن ليس لـه غـيره، وأيضاً فإن أول ولد له معزة مـا ليس لمن بعـده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وقد ذهب جماعـة من أهـل العلم إلى أن الـذبيح هـو إسـحاق، وحكي ذلـك عن طائفـة من السـلف، حـتى نقــل عن بعض الصــحابة - أيضــاً -، وليس ذلــك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة. وهـذا كتـاب اللــه شــاهد ومرشــد إلى أنــه إســماعيل، فإنــه ذكــر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعـد ذلك: ﴿وَبَشَّـرْنَاهُ بِإِسْـحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّـالِحِينَ﴾، ولمـا بشرت الملائكة إبراهيم بإسـحاق قـالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّـرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَبَشَّـرْنَاهَا بِإِسْـحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، أي: يولد له في حياتهمـا ولـد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسـل. وقـد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحـه وهـو صغير؛ لأن الله -تعالى - قد وعدهما بأنـه سـيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه

صغيراً، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام".

ورد ما ذهب إليه ابن جرير أنه إسحاق فقال بعــد أن ذكر ما استدل به: "هذا ما اعتمد عليه في تفســيره، وليس مـاذهب إليـه بمـذهب، ولا لازم، بـل هـو بعيـد جداً, والذي استدل به محمد بن كعب القــرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى". **قلت**: وقـد ذكـره ابن جرير ضمن ما ذكـر من الأسـانيد والآثـار، ونصـه بعد أن ساق السند: "عن ابن إسحاق، قال: سـمعت محمد بن كعب القُـرَظِيّ وهـو يقـول: إن الـذي أمـر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلـك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبـراهيم ومـا أُمـر به من ذبح ابنه إسماعيل، وذلك أن اللـه يقـول: حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم، قـال: ﴿وَبَشَّـرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، يقول: بشرناه بإسـحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيـه من اللـه الموعـود ما وعده الله، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل".

قلت: ومـع كـون الابتلا بـذبح إسـماعيل أدعى؛ لأنـه اسـتجابة لـدعوة إبـراهيم فيجب الاعتبـار - أيضـاً - بالسياق الكريم الذي يـدل بوضـوح لا يجـوز العـدول عنه إلى غيره وأن القائـل بخلافـه قائـل بالجهـل: أن المَعْنِي بالذبح إنما هو إسماعيل كما ذكـر القـرظي -

رحمه الله -، قال - تعالى -: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، إلى أن قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.﴾

فعلى الرغم من أنف المغامسي وأنوف اليهود: الذبيح إنما هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، ونبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ابن الذبيحين والمَفْدِيين: إسماعيل فداه الله بذبح عظيم، أي: كبش، وعبد الله فداه أبوه عبد المطلب بمئة من الإبل.

الموضع السابع.

الاجتماع - عند المغامسي - مع الشرك أهم من إنكاره والافتراق مع التوحيد:

فقد قال (في محاضرته: مواقف من حياة الصديق): "فالأهم في المقام الأول أن توجد أمة، فهارون عليه الصلاة والسلام لما استخلفه أخوه موسى في قومه قال: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، فلما نجم الشرك في بني إسرائيل كان هارون حريصاً -رغم أن الشرك أعظم الكبائر - على ألا يتفكك المجتمع ولا تتفكك الأمة، فتركهم

على حـالهم حـتى يـأتي موسـى، فلمـا قـدم موسـى مغضباً أخذ برأس أخيه يجره إليـه، فـبين لـه هـارون حجتـه: قَـالَ: ﴿يَبْنَـؤُمَّ لا تَأْخُـذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِـي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَـوْلِي﴾، فسـكت عن موسـى الغضـب، وأقـر لأخيـه بالفضل؛ لأنه حفظ اللحمة مجتمعة".

قلت: كلامـه هـذا يـدل على أن إيجـاد الأمـة مقـدم على التوحيد وإنكار الشرك، وأن هـارون سـكت ولم ينكر الشرك على بني إسرائيل، وهذا باطل، بل غاية في البطلان والزور؛ ففي سورة الأعـراف ذاتهـا بعـد الموضع الذي ذكره بسبع آيات فقط قوله - تعـالى - عنه: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾، وهـو دليـل قـاطع على أن هـارون أمـرهم بالبقـاء على التوحيد وأنكر عليهم الشرك، وقد وقـف المغامسـي دونه ولم يـذكره، بـل تجـاوزه إلى سـورة:طـه؛ لأنـه يفضـحه وحجـة عليـه تبطـل دعـواه؛ فاستضـعافهم لـ(هارون) عليه الصلاة والسلام وقد كاد الحال يصـل بهم إلى قتله لإنكاره عبادة العجل على بني إسـرائل وزعم السامري أنه إلههم وإلـه موسـى؛ ولكن الأهم عند المغامسي- **أولاً** - الحفاظ على اللحمة ووجـود أمة ولو مع الشـرك، وأهميـة التوحيـد - عنـده - أمـر ثان.

ومما ينقض دعواه ويرد باطله؛ بل يزهقه ويبرئ نبي الله هارون عليه الصلاة والسلام مما افتراه عليه، قوله - تعالى - في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.

ولقد كذب على موسى من أنه أنكر على هارون لأنه لم ينكر على بني إسرائيل الشرك ثم عذره وأقر له بالفضل لذلك، لأجل الاجتماع وعدم الافتراق مع بقائهم على الشرك.

وإنما عاتبه على سياسته في عدم مفارقتهم حتى بين له هارون ما خشيه على بني إسرائيل انتظار مجيئه فعذره موسى.

قلت: وقد رُد على ما يشبه كلامه (كما في موقع صوت السلف)، تحت عنوان:الرد على من زعم سكوت هارون عن الشرك لأجل الوحدة والتئام الصف:

وكان الرد على السؤال والنقل الآتي: "يزعم بعضهم أن هارون عليه السلام لم يُنكِر على قومه عبادتهم العجل من دون الله، وسكت مؤقتاً حتى لا يسبب فرقة في بني إسرائيل، ويقول:

(من أجل وحدة القوم وسد بـاب الفرقـة والشـقاق، سـكت هـارون عليـه السـلام على هـذا المظهـر من مظاهر الشرك بالله، وهى حجة قدرها النبي موسـى عليه السلام وأقرهـا؛ إذ لم يشـر النص القـرآني إلى أنه رد الحجة أو اعترض عليها!

أي: أن هـارون عليـه السـلام عنـدما خيِّر بين إحبـاط الدعوة إلى الشرك باللـه واحتمـال تفـتيت المجتمـع وشـق وحدتـه، وبين السـكوت المـؤقت على بـادرة الشرك في سبيل دوام الوحدة والتئام الصـف؛ فإنـه اختار الموقف الثاني، ولم يعترض عليه النبي موسى عليه السلام!).

فما رأيكم بهذا الكلام؟".

والجواب: "هذا كلام باطل ومنكر، وكذب على نــبي الله هارون عليه السلام الـذي بـرَّأه اللـه من جهالـة هؤلاء الجهال بقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْـلُ يَـا قَـوْمِ إِنَّمَـا فُتِنْتُمْ بِـهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الـرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْـرِي﴾، فقـد نهـاهم عن الشـرك وأمرهم بالتوحيد حتى كادوا يقتلونه، قـال - تعـالى - عنه: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾.

وإنما أنكـر موسـى عليـه السـلام على هـارون عليـه السـلام أنــه لم يزايــل الكفــار ويتبــع موســى عليــه السلام ليخبره بما وقع، وبما كان موسـى يريـده من

مزايلـة الكفـار ومفـارقتهم؛ فاعتـذر لـه هـارون بأنـه خشي التفريق بين بني إسـرائيل، وقـد قـام بالإنكـار عليهم حتى هموا بقتله.

ولم يستدل عـالم قـط بمـا ذكـره هـذا الجاهـل على سكوت هارون عليه السلام عن الشرك!".

قلت: وقال المغامسي (كما في سلسلة محاسن التأويل: تفسير سورة طه: - 6 -): "فلما رآهم هارون ازدحم في ذهنه أمران: الأمر الأول: أنه كان بإمكانه عليه السلام أن ينكر عليهم إنكاراً ينجم عنه أن يأخذ الفرقة التي لم تؤمن بالعجل فيذهب ويتبع موسى، وهذا غلب على ظن هارون أنه لو فعله لتشتت بنو إسرائيل الباقون وتفرقوا، فإذا عاد موسى لا يجد طريقاً لجمعهم حتى يردهم إلى الحق. الأمر الثاني: أن يبقى الأمر على ما هو عليه وينكر عليهم بقوة، ويحاول أن يأخذ ويعطي معهم حتى يأتي موسى فيبين لهم؛ لأن السامري اتكأ على غياب موسى، فإذا جاء موسى لم يبق للسامري حجة..
هذا الذي أراده هارون فيما أفهمه أنا من القرآن، وإن لم يصرح به أحد؛ لكنه لما حصل هذا أنكر عليهم موسى، وقد أنكر عليهم هارون، وقد برأ الله بنص كتابه ساحة هارون، قال الله - جل وعلا -: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ

وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾؛ فبدأ بالتخلية، وهو: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ﴾، ودعا إلى التوحيد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾، ودعا إلى الرسالة: ﴿فَاتَّبِعُونِي ﴾، ودعا إلى الشريعة كلها عليه الصلاة والسلام".

ونقول له عن قوله: "هذا الذي أراده هـارون في مـا أفهمه أنا من القرآن".

هذا هو الحق، وكيف هذا الـذي أراده هـارون في مـا يفهمه، وقـد فهم ضـده ومـا ينقضـه ولم يعلن توبـة؛ فبأي فهميه يأخذ الناس؟!!؛ حـتى القاعـدة الباطلـة: "تعارضا فتساقطا" لا تنطبق عليهما.

وقال المغامسـي (كمـا في أعلام القـرآن على قنـاة صـفا، والراسـخون في العلم): "مـع أن هـارون قـام بواجب النصح على أكمل وجه، وحذرهم من الشـرك بالرب - تبارك وتعالى - ونصـحهم، كمـا أخـبر - جـل وعلا - في القرآن".

قلت: قـال الطـبري (في تفسـيره: 18/358) عنـد الآية السابقة: "يقول: لقد قال لعبدة العجل من بني إسـرائيل هـارون - من قبـل رجـوع موسـى إليهم - وقيله لهم ما قال مما أخبر الله عنه: ﴿إِنَّمَـا فُتِنْتُمْ بِـهِ ﴾، يقول: إنما اختبر اللـه إيمـانكم ومحـافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيه الخـوار، ليعلم بــه

الصـحيح الإيمـان منكم من المـريض القلب، الشـاكّ في دينه".

وقال ابن كثـير (في تفسـيره: 5/312) عنـد قولـه - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَـوْمِ إِنَّمَـا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْـرِي ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَـى﴾: "يخبر - تعالى - عمـا كـان من نَهْي هـارون عليـه السلام لهم عن عبادة العجـل، وإخبـاره إيـاهم: إنمـا هذا فتنة لكم: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾، الذي خلـق كـل شيء فقدره تقديرًا، ذو العرش المجيد، الفعـال لمـا يريد: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾، أي: فيمـا آمـركم بـه، واتركـوا مـا أنهاكم عنه:﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَـاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِـعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾، أي: لا نترك عبادتـه حـتى نسـمع كلام موسى فيه، وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه".

قلت: يجب على المغامسـي أن يعلن توبتـه كمـا أعلن الباطل، ولا يكفي التناقض وعـدم إعلان التوبـة أو الـتراجع - كمـا يسـمونه - حـتى لا يكتشـف جهلـه فيفقد الشعبية والأتباع والشهرة المزيفـة والـتي هي فتنة، وكأنه يقول: خذ هذا أو هذا، كمـا لـو وضـع لـه إناء السم جنب إناء العسل وهو لا يفرق بينهما، ومن لم ير أو يسمع قوله الثاني كمـا لـو وضـع لـه السـم وقال: إنه عسل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إيـاك إيــاك أن تبتـــل بالمـــاء

فالله - تعالى - يقـول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُـونَ مَـا أَنْزَلْنَـا مِنَ الْبَيِّنَــاتِ وَالْهُــدَى مِنْ بَعْــدِ مَــا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُـونَ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَـا التَّوَّابُ الــرَّحِيمُ﴾، والأهم أن يتـــوب من المنهج والمـــذهب الفاسد مع توبته في هذه المسألة؛ فلـو تـاب منهـا - فقط - تكون توبته جزئية.

الموضع الثامن.

خرافــة عقليــة - عنــد المغامســي - بخصــوص أن الدجال هو سامري بني إسـرائيل، نسـبها إلى النظـر الخاص به وتأملاته في القرآن، فقال: "أقول الــدجال غيب ولا يمكن أن يقطع بهذا التأمل، لكن التأمل هذا يــدل على أن هنــاك حظــاً من النظــر والتأمــل في القرآن؛ فهو غير مقبول، لكنه لا يستبعد"!!:

فقد قال في موقعه (الراسخون في العلم): بعــد أن ذكر القول: إن السامري صاحب عجل بني اســرائيل هـو المسـيح الـدجال، وأطلـق الكلام على عواهنـه - كعادتــه - قــال: "أقــول: الــدجال غيب ولا يمكن أن يقطـع بهـذا التأمـل، لكن التأمـل هـذا يـدل على أن

هناك حظاً من النظر والتأمل في القـرآن؛ فهـو غـير مقبول، لكنه لا يستبعد"!!.

وهذا تشكيك للمسلمين في عقيدتهم، وهم - للأسف - يثقــون بمــا يقولــه ويحســبونه من العلم أو من الرسـوخ في العلم وهـو من أتفـه الجهـل ومن أبعـد البعـد عن الهـدى والعلم الشـرعي والنظـر الصـحيح المتفق مع الشرع، وهو غـير مقبـول ومسـتبعد عنـد العلماء؛ لما ورد من النصـوص القطعيـة في الـدجال الــتي تنص على مــا يُجْــرَى على يــدي الــدجال من الأحــوال والأعمــال والأوصــاف مــا يفـترق فيــه عن السامري ولا مجال للنظـر والتأمـل إطلاقـاً، ولـو لم يكن من القطعيات إلا ما سنذكره لكـان كافيـاً، فقـد قال الله عن السامري: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَـدًا لَـهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾.

والدجال يدعي أنه هو اللـه، ولم يـدع السـامري أنـه يحيي ويميت كما يدعي الدجال، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسـلم مـا ذكـر من أحوالـه وأعمالـه وأوصـافه ومـا يجريـه اللـه على يديـه من الفتنـة - تحذيراً - مـا لم يـأتي في حـق السـامري، وقـد ذكـر رسول الله صلى الله عليه وسلم - أيضاً - أنـه خـارج في هذه الأمة وليس قبلها؛ إذ لو كـان خـرج قبلهـا لـذكر ذلك، ولذكره موسـى وحـذره عينـاً؛ فمـا من نـبي إلا

حذره قومه، ولم يدع السامري شيئاً من ما يدعيه الدجال.

ويستحسن أن نقتطف ما أردناه - ملخصاً - من إجابة للرد على من يقول السامري هو الدجال لفضيلة الشيخ عبد الرحمن السحيم، وهو الآتي: ذلك مِن التكهنات والقول على الله بغير علم، وأصله مما أخذ عن بعض أهل الكِتاب، مما لا أصل له.

والزعم بأن المسيح الدجال هو السامري باطِل لم يقل به أحد من العلماء - فيما أعلم -، وجاء في صِفة المسيح الدجال أنه أعور العين اليمنى، ولم يأتِ ذلك في صفة السامري، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال، فقال: «إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»، رواه البخاري ومسلم.

قال - تعالى - حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾.

وجماهير المفسرين على أنه نال العقاب في الدنيا بأن لا يطيق أن يُمَسّ ولا أن يَمَسّ أحداً، وأن الموعد الذي ينتظره ولن يُخلَفَه هو ما ينتظره من

العذاب الأخروي، هذا قول جماهير المفسرين، فـأين هي حجة القول بأن معـنى: ﴿لا مِسَـاس﴾، أي: أنـه لا يمسّه إلاّ عيسى عليه الصلاة والسلام؟!.

والأنبياء قد عرفوا صفة المسيح الدجال، وقد حـذروا أممهم فتنته، كمـا قـال عليـه الصـلاة والسـلام: «إن اللـه لم يبعث نبِيـاً إلا حـذر أمتـه الـدجال، وأنـا آخـر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خـارج فيكم لا محالة»، رواه ابن ماجـــه مِن حـــديث أبي أمامـــة، وصـــححه الألبـاني، ورواه أحمـد من حـديث جـابر وأبي سـعيد وعائشـــة، ورواه النســائي في الكــبرى من حــديث فاطمة بنت قيس.

فكيف يخفى على موسى عليـه الصـلاة والسـلام أن السامري هو المسيح الدجال؟! فيـذهب ويتركـه بين الناس ولا يحذرهم فتنته؟!.

والسامري لم يزعم أنه إله، كما لم يزعم أنـه يحـيي ويميت كما سيكون من الدجال، ولا أنه يأمر السـماء فتمطر - بأمر الله - ولا أنه يأمر الأرض فتنبت.

وإنما زعم السامري أن العجل هو إله بـني إسـرائيل وإله موسى!، ومع ذلك لم يكن العجـل يتكلم، وإنمـا كان يصدر منه صوت: فـالسامري صور صـورة على شكل العجل، وجعل فيها منافذ وخروقاً؛ بحيث تدخل فيها الرياح؛ فيخرج صوت يشبه صـوت العجـل، كمـا

قـال - تعـالى -: ﴿وَاتَّخَـذَ قَـوْمُ مُوسَـى مِنْ بَعْـدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

قال ابن عباس رضـي اللـه عنهمـا: لا واللـه مـا كـان خواره إلا أن يدخل الريح في دُبُره فيخـرج من فمـه، فَيُسْمَع له صوت.

والدجال مربـوط في جزيـرة لا يُفَـكّ إلاّ إذا أراد اللـه خروجه.

وفي صــحيح مســلم من حــديث فاطمــة بنت قيس رضــي اللــه عنهــا أن تميمــاً الــداري أخــبر أنــه رأى الدجال، قال تميم الداري رضي اللـه عنـه: فانطلقنـا سِــراعاً حــتى دخلنــا الــدَّير، فــإذا فيــه أعظم إنســان رأيناه قـط خلقـاً، وأشـده وثاقـاً، مجموعـة يـداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

وقد صدّق النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم خـبر تميم، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن هـذا الخـبر وافـق مـا كان عليه الصلاة والسلام يحدث به أصحابه.

والمسـيح الـدجال إذا خـرج يكـون خروجـه من جهـة المشرق، ثم يتبعه سـبعون ألفـاً من يهـود أصـفهان: (إيران)، ثم يكثر أتباعه مما يجري الله على يديه من الخوارق بلاءاً وفتنة.

وقد ثبت في صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام: يتبع الدجال مِن يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة.

وقد أخبر عن حقيقة فتنة الدجال، وأنها فيما يعطيه الله - تعالى - مما يبتلي به عباده، ومن ذلك: أن الدجال يأمر السماء فتُمْطِر، والأرض فتُنبت، والخراب فتُخرِج كنوزها.

ويأتيه رجل فيقتله ويشقه نصفين ثم يعيده.

كل ذلك بأمر الله وما مكنه الله - تبارك وتعالى - من ذلك فتنة وابتلاءاً للناس.

ولله - عز وجل - أن يبتلي عباده بِما شاء.

قال عليه الصلاة والسلام في خبر حقيقة فتنة الدجال: «فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون مُمْحِلِين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بِالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً

فيضربه بالسيف فيقطعه جزلـتين رميـة الغـرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك». رواه مسلم.

وفي الحديث نفسه خبر مقتل الدجال على يد مسيح الحق عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.

قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «يخـرج الـدجال فيتوجـه قِبَلَـه رجـل من المؤمـنين فتلقـاه المسالح - مسالح الـدجال - فيقولـون لـه أين تعمـد فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج - قال - فيقولون له أومـا تـؤمن بربنـا فيقـول مـا بربنـا خفـاء، فيقولـون اقتلوه؛ فيقول بعضـهم لبعض أليس قـد نهـاكم ربكم أن تقتلـوا أحـداً دونـه - قـال - فينطلقـون بـه إلى الـدجال فـإذا رآه المـؤمن قـال يـا أيهـا النـاس هـذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليـه وسـلم - قـال - فيـأمر الـدجال بـه فَيُشَـبَّح فيقـول خـذوه وشجوه؛ فيوسع ظهره وبطنه ضرباً - قـال - فيقـول أوما تؤمن بي؟ - قال - فيقول أنت المسيح الكـذاب - قال - فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقـه حـتى يفـرق بين رجليـه - قـال - ثم يمشـى الـدجال بين القطعتين ثم يقول له قم؛ فيستوي قائماً - قال - ثم يقـول لـه أتـؤمن بى؟، فيقـول مـا ازددت فيـك إلا بصيرة - قال - ثم يقول: يا أيهـا النـاس إنـه لا يفعـل بعدى بأحد من الناس - قال - فيأخذه الدجال ليذبحه فَيُجْعَل ما بين رقبته إلى تَرْقُوَته نحاسـاً فلا يسـتطيع

إليه سبيلاً - قال - فيأخـذ بيديـه ورجليـه فَيَقْـذِف بـه فيحسب الناس أنما قذفـه إلى النـار وإنمـا ألقى في الجنة». رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام عن بني تميم: «هم أشــد أمتي على الدجال»، رواه البخاري.

وفي الحديث الآخر إخباره صلى الله عليه وسلم عن أشدّ رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسـلم على الدجال.

ولا يجـوز لأحـد أن يتكلم في مسـائل عظيمـة مُغيّبـة عن الناس إلا بِما جاء به الشرع، فيقــف حيث وقفت النصوص ولا يتعدى ذلك.

قلت: جزى الله أخانا الشيخ السحيم خيراً لقد أجــاد فأفاد.

الموضع التاسع.

ادعاء المغامسي أن عذاب الكافرين في القبر متقطع وهو مالم يقل به أحد من أهل العلم، وكيف يقول بقول أهل العلم من ليس منهم، ولا يعلم علمهم أو يحترمهم وعلمهم؟:

فقد انتشر بين الناس مقطع في موقع المغامسي (الراسخون في العلم)، إجابة له على السؤال الآتي:

"هـل يتعـارض قـول اللـه - عـز وجـل - على لسـان الكـافرين في سـورة (يس): ﴿قَـالُوا يَاوَيْلَنَـا مَنْ بَعَثَنَـا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، هل هذا يعني المرقد هنا: أنهم في حالة نوم وسـبات ما فيه عذاب قبر".

وأجاب بقوله: "الذي يظهر أن عذاب القبر نعيماً كان أو عذاباً ينقطع، يبقى مدة ثم ينقطع وإلا كلام الله - عز وجل - وكلام رسوله محـال أن يتعـارض، يصـدق بعضه بعضاً، لكن يظهر أن الناس يمكثون ينعمون إن كانوا من أهل الطاعات ما شاء اللـه لهم أن ينعمـوا، ويعذبوا ما شـاء اللـه لهم أن يعـذبوا، ثم ينقطـع هـذا الأمر، ثم يقولون هذا الأمر كما قال الله - عز وجل - هذا الأمر: ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَـا مِنْ مَرْقَـدِنَا﴾، قـال الله: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَـلُونَ﴾، على هذا تجمع الآيات بعضها إلى بعض".

قال الإمام ابن القيم (في/ الروح: 89، في/ المسـألة الرابعة عشرة).

عن هـذه المسـألة اسـتمرار العـذاب والنعيم وعـدم استمراره: جوابها أنه نوعان:

النوع الأول: نـوع دائم: ويـدل على دوامـه قولـه - تعالى -: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُـدُوًّا وَعَشِـيًّا﴾، ويـدل

عليه ما تقدم في حديث جابر بن سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فيه: «فهو يُفعل به ذلك إلى يوم القيامة».

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الجريدتين: «لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا»، فجعل التخفيف مقيدًا بمدة رطوبتهما فقط.

وفي حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ثم أتى على قوم تُرضَخ رؤوسهم بالصَّخر، كلما رُضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء» وقد تقدم.

وفي "الصحيح" في قصة الذي لبِس بُردَين وجعل يمشي يتبختر فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة».

رواه الإمام أحمد، في بعض طرقه: «ثم يخرق له خرق إلى النار، فيأتيه مِن غمها ودخانها إلى يوم القيامة».

النوع الثاني: إلى مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفَّف عنه كما يعذب في النار مدة، ثم يزول عنه العذاب، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقةٍ، أو استغفارٍ، أو ثواب حج، أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم، وهذا كما يشفع الشافع في المعذب في الدنيا، فيخلص من العذاب بشفاعته، ولكن هذه شفاعة قد لا تكون بذلك بإذن المشفوع

عنــده، واللــه - ســبحانه وتعــالى - لا يتقــدم أحــد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهـو الـذي يـأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشـفوع لـه، ولا تغتر بغير هذا، فإنه شـرك وباطـل يتعـالى اللـه عنـه، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْـدَهُ إِلَّا بِإِذْنِـهِ﴾ ،﴿وَلَا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ،﴿مَـا مِنْ شَـفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْـدِ إِذْنِـهِ﴾ ﴿وَلَا تَنفَـعُ الشَّــفَاعَةُ عِنـدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ ،﴿قُـلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾".

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه اللــه - (في/ الفتح): "والعذاب يستمر إذا كان العبد كافرًا أو منافقًا نِفــاق كفر.

وإن كــان مســلمًا عاصــيًا فيخلتــف بــاختلاف كِــبر المعصية وصغرها، وحصول العفـوِ عن بعض العصـاة دون بعض، فقد يعذب بعض العصـاة، وقـد لا يسـتمر التعذيب على بعض العصاة، وقد يرفع عن بعض".

وقال ابن أبي العز (في/ شـرح الطحاويـة ص: 401) قـــال في جوابـــه عن اســـتمرار العـــذاب وعـــدم استمراره: "نوعان: **الأول**: منه ما هو دائم، كما قال - تعالى -: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَـا غُـدُوًّا وَعَشِـيًّا وَيَـوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصـة الكـافر: «ثم يفتح له باب إلى النار، فينظـر إلى مقعـده فيهـا حتى تقوم الساعة»؛ رواه أحمد في بعض طرقه.

الثاني: أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الــذين خفت جــرائمهم، فيعــذب بحســب جرمــه ثم يخفف عنه".

قلت: وما تقدم لا يتعارض مع قوله - تعالى - حكاية عن الكافرين: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، الذي أوهمه المغامسي لجهله - وعدم رجوعه إلى أهل العلم - واستقلاله بفهمه الخاطئ؛ فقد قال أهل العلم: إن هذه نومة تكون بين النفختين؛ لما ورد في ذلك من الأخبار والآثار.

فقد قال الإمام الطبري - رحمه الله - (في/ تفسيره: 10/450): "هؤلاء المشركون لما نُفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فرُدَّت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها، وذلك قوله - تعالى - حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا﴾، وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين".

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (في/ أضواء البيان: 6/489): "والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالةً لا لَبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث، كما قال غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت، يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، أي: هذا البعث بعد الموت" اهـ.

وقد أخذه أهل العلم من قول النبي النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أَبَيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجب ذَنَبه، فيه يُركَّب الخَلق".

وفي هـــذا الحـــديث دلالـــة على أنهم يموتـــون بين النَّفخــتين أربعين، ولا يــدرى تحديــد الأربعين نوعــا؛ أسنة أم شهراً أم يوماً؟.

ويــدل على ذلــك - أيضًــا - الحــديث الــذي أخرجــه البخاري ومسلم من حـديث أبي هريـرة رضـي اللـه عنــه أن النــبي صــلى اللــه عليــه وســلم قــال: «لا تُخـيروني على موسـى، فـإن النـاس يصـعقون يـوم القيامة، فأصـعق معهم، فـأكون أول من يفيـق، فـإذا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكــان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله».

قلت: فمع ما في السـؤال من الإشـارة إلى الإجابـة الصحيحة التي دلت لها السنة، قد أخطـأ المغامسـي خطأين:

الأول أنه خـالف مـا في الأحـاديث من حـال خاصـة وهو ماذهب إليه أهـل العلم فتـوهم المعارضـة ولجـأ إلى الجمع الذي لا يصـار إليـه في مثـل هـذه الحـال، وأخــذ يتكلــف في المقــال؛ فأخطــأ في جوابــه عن السؤال.

الثاني: أنه زعم أن الذي قال: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، هو الله، وهـذا لم يقـل بـه أحـد من أهل العلم، وكل ما قيل هو أنـه قالـه: المؤمنـون أو الملائكة أو الكفار.

الموضع العاشر.

طعن المغامسـي في أبينـا آدم واسـتخفافه بـه: أنه اتبع اغراء زوجه حـواء بالأكـل من الشـجرة، والافتراء على أمنا حواء بذلك، وأن اللـه عاقبهـا

بالحيض، ويلزم منه معاقبة بناتها بغـير ذنب إلى قيـام السـاعة، وأن اللـه يعـاقب بغـير ذنب، وأسـطورة: أن الشـيطان دخـل الجنـة في خياشـيم الحيـة وهـو من بـاب الافـتراء والـرجم بالغيب تاركاً الأدلة:

فقد قال المغامسي (كما في موقعه: الراسخون في العلم): "وحواء كما دل على هذا السنة: ظاهر الأمـر هي التي أشارت على أبينا آدم أن يأكل من الشجرة فعاقبها الله بدم الحيض، وبقي آدم على ما هو عليه.

هـذه أمـور مجملـة لهـا شـواهد من القـرآن والسـنة وبعض الآثار، لا يجزم الإنسـان بهـا، وأن الغيب يبقى لا يحكم عليه بعقل".

قلت:ويمكن أن يستعار لحـواء مـا قالـه شـوقي في دمشق الشام، فيقال:

ألسـت الأم للآبـاء ظـئراً؟ ومرضـعة الأبـوة لا تـعق

والمغامسي يشـير إلى مـا ورد في الصـحيحين من قولـه صـلى اللـه علي وسـلم:« ولـولا حـواء لم تخن أنـثى زوجهـا الـدهر»، ولا دليـل - فيـه - ظـاهراً ولا مستنبطاً على ما يذهبون إليـه في تفسـير الحـديث: أنه يعني حواء في قصة الأكل من الشجرة.

وما أجمله وعزاه إلى القرآن والسنة والآثار - تلبيساً منه - لا يقـوم على سـاق حجج ولا بـراهين وقواطـع

الأدلة من الكتاب والسنة، ومعها تفسيرها من الآثار تدفع بمثل هذا.

وفي **قوله**: "لا يجزم الإنسان بها، وأن الغيب يبقى لا يحكم عليه بعقل"، دليل على أنه ليس واثقاً مما قاله وإنما قلد وحدس وتخرص بالعقل.

وفي تفسيرهم نسبة إغواء آدم وتحريضه على المعصية إلى أمنا (حواء) وأنها مسئولة بدءاً عن الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض وإنزال العقوبة بها وبزوجها وبذريتهما، وخصوصاً بناتها بالحيض باطل، وفيه طعن واستخفاف بأبي البشرية والنبي والرسول الكريم آدم، وطعن في زوجته - أمنا حواء - وتجريم لها، وافتراء على الله أنه يعاقب بغير ذنب.

ولم ترد آية واحدة في كتاب الله - تعالى - تنص أوتشير إلى إغواء حواء لآدم في كل نصوص القرآن، ولم يرد شيء من ذلك في كل نصوص الحديث، بل على العكس: فجميع النصوص تبرئ ساحتهما غاية البراءة.

ولقد أساء هذا الرجل واعتدى وتعدى وظلم حين تجاوز ما ذكرته النصوص عن الأبوين عليهما الصلاة والسلام.

وقد قال الله - تعالى - في سورة البقرة: ﴿وقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ

شِئْتُمَا ولَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ.

وقال - تعالى - في سورة الأعراف: فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ.

وقال - تبارك وتعالى - في سورة (طه): وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا.

وفي السورة نفسها قال - تعالى -: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى.

وقال فيها - أيضاً -: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى.

ففي هذا السياق الكريم الأمر موجه إليهما، والوسوسة متجهة إليهما على حد سواء ومتوجهة إلى آدم بمفرده والعهد إلى آدم والإغواء في الأكل من الشجرة والعصيان والغواية والإزلال من الجنة لهما جميعاً، والاجتباء والتوبة والهداية، كل ذلك له وحده، و هي تبع له غير متبوعة.

فأبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام بريئان مما رميا به براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام؛ إذ آدم هو الذي عُهد إليه وهو الذي نسي ولم يوجد له عزم، وهو الذي وسوس إليه الشيطان فأغواه، وليست حواء هي التي أغوته، وهو الذي عصى وحواء تابعة له ومشاركة له في التأثر بالوسوسة

وفي الغواية وفي العصيان وفي الإزلال عن الجنة، وليس هو تابعاً لزوجته ومطيعاً لها في الغواية وفي غيرها، كما يفعل من ليس له قِوامة من آحاد الناس دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن رسول الله صلى عليه وسلم في محاجة موسى وآدم عليهما الصلاة والسلام احتجاج موسى على آدم بقوله: «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة»، فاحتج عليه آدم بأن الله كتبه عليه وأن موسى يجده مقدراً في التوراة قبل أن يخلق آدم بأربعين سنة، فحج آدم موسى.

وفي ذلك من الدلالة:

أولاً: احتجاج موسى وهو نبي ورسول كريم على - أبيه النبي والرسول الكريم - آدم عيناً عليهما الصلاة والسلام لكونه هو السبب.

ثانياً: احتجاج آدم بأن الله كتبه عليه: اعتراف واضح بأنه هو السبب، ولم يأت على ذكر لحواء.

وذلك دليل قاطع إضافة إلى الأدلة القطعية من القرآن على براءة الأبوين عليهما الصلاة والسلام.

واعتماد المفسرين في هذا وأمثاله على الإسرائيليات وعلى تصديقهم أهل الكتاب فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - في ما رواه البخاري ومسلم -: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا

تكذبوهم»، الحديث.

قال العلامة الشيخ عبد العزيز الراجحي في شرح البخاري: "هذا في الأشياء التي لا يعلم صدقها من كذبها، أما ما علم صدقه فيصدق، وما علم كذبه فيكذب، فأخبار بني إسرائيل على ثلاثة أقسام:

1- القسم الأول: ما جاء شرعنا بتصديقه فيصدق.

2- القسم الثاني: ما جاء شرعنا بتكذيبه فيكذب.

3- القسم الثالث: ما لم يأت شرعنا بتصديقه، ولا تكذيبه، فلا يصدق ولا يكذب، وهو المراد بهذا الحديث، فلا يصدقون خشية أن يكون كذبًا، ولا يكذبون خشية أن يكون صدقًا".

قلت:وما ابتلي به المغامسي هو **القسم الثاني**: الذي جاء شرعنا بكذبه فيجب تكذيبه.

وقال الإمام ابن كثير (في مقدمة تفسيره: 1/31) بعد أن ذَكر حديث: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، الحديث: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد؛ فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذّبه، وتجوز حكايته

لمـا تقـدّم [أي: في الحـديث: «.. وحـدثوا عن بـني إسرائيل ولا حرج ..»]، وغالب ذلك مما لا فائدة فيـه تعود إلى أمرٍ دينيّ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتـاب في مثـل هـذا كثـيرًا، ويـأتي عن المفسـرين خلاف بسبب ذلك"، إلى أن قال: "ممـا لا فائـدة في تعيينـه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. ولكن نقلُ الخلاف عنهم في ذلـك جـائز، كمـا قـال - تعـالى -: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، إلى آخر الآية".

فهـذا الـذي أتـاه المغامسـي في حـق أبوينـا عليهمـا السلام هو **القسم الثاني**: الـذي علمنـا كذبَـه بمـا عندنا من ما يخالفه في كتاب ربنا وسـنة نبينـا صـلى الله عليه وسلم، وهو من ما يتعين علينا تكذيبه.

وسئل الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي:

هل صحيح أن أمنا حواء هي السبب في إخراج أبينا آدم من الجنة؛ لأنها هي التي أغرته بالأكل من الشجرة الممنوعة، فكانت بذلك سببًا في حرماننا من الجنة، وشقائنا - نحن ذرية آدم - بدنيانا هذه التي نعاني بؤسها وويلاتها؟، إن هذه المقولة تتخذ تكأة للحملة على المرأة والنيل من مكانتها، وأنها وراء كل مصيبة حدثت في الأولين، أو تحدث في الآخرين.

فهل في الإسلام ما يدل على ذلك، أو على

خلافه؟.

فأجاب - وهي إجابة حق، ورد على المغامسي وأشكاله، وهو من أهل مذهبه، فهو (شاهد من أهلها)، ولكنه عالم منحرف ضال وليس جاهلاً جهلاً مركباً: على شاكلة المغامسي، والعلماء يفرقون بين هذا وهذا، أي: بين العالم الضال بانحرافه وزيغه والجاهل الضال بجهله -:

"بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فهذه المقولة التي يسأل عنها الأخ، والتي تحمّل المرأة ممثلة في أمنا حواء مسئولية شقاء البشرية، وتعزو إليها أنها التي أغوت آدم حتى أكل من الشجرة المنهي عنها ..إلخ.

مقولة غير إسلامية بلا ريب: إن مصدرها هو التوراة وأسفارها وملحقاتها، وهو ما يؤمن به اليهود والنصارى، ويتحدث عنه مفكروهم وشعراؤهم وكتابهم، وقلدهم في ذلك **بعض كتاب المسلمين تقليدًا ببغاويًا**، دون نقد ولا تمحيص.

والذي يقرأ قصة آدم في القرآن الكريم، ويجمع بين آياتها المتفرقة في عدد من سوره الشريفة، يتبين له ما يأتي:

1- أن التكليف الإلهي بعدم الأكل من الشجرة المعنية كان لكل من آدم وزوجه: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، سورة: (البقرة).

2- أن الذي أغرى الاثنين وأزلهما وأغواهما بالخداع والحيلة والقسم الكاذب هو الشيطان، كما قال - تعالى - في سورة: (البقرة): ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.

وفي سورة: (الأعراف) تفصيل أوفى لما قام به الشيطان من كيد وإغراء كما قال - تعالى -:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا

وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
وفي سورة: (طه) ما ينبئ بأن آدم عليه السلام هو المسئول الأول عن المعصية، وليس حواء، ولذا كان التحذير من الله - تعالى - موجهًا إليه أساسًا وعلى الخصوص، وكان التقصير منسوبًا إليه، وكان العصيان محسوبًا عليه، وإن شاركته زوجه في المخالفة، ولكن دلالة الآيات الكريمة ناطقة بأن دورها ليس كدوره، وكأنها أكلت وخالفت تبعًا له.

يقول - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۝ فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾، سورة: (طه).

3- أن القرآن مصرح بأن آدم قد خلقه الله لمهمة حددت له من قبل أن يخلق، وهي المهمة التي

تطلعت إليها الملائكة، وحسبوا أنهم أولى بها من آدم، وهذا ما نطقت به آيات سورة: (البقرة) التي ذكرها الله - تعالى - قبل الآيات التي تحدثت عن سكنى الجنة والأكل من الشجرة..إلخ.
يقول - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾"، وذكر الآيات إلى قوله: " ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، سورة: (البقرة)".

ثم قال: "وقد صح في الحديث أن آدم وموسى عليهما السلام التقيا في عالم الغيب، وأن موسى أراد أن يحمل آدم ما تعانيه البشرية بسبب أكله من الشجرة، ولكن آدم حج موسى ..بأن هذا كان أمرًا رتبه القدر الإلهي قبل أن يخلق ليقوم بعمارة الأرض، وأن موسى يجد هذا مكتوبًا عنده في التوراة.
وهذا الحديث يفيدنا فائدتين:
الأولى: أن موسى وجه اللوم إلى آدم، ولم يوجهه إلى حواء، وهذا يدل على أن ما في التوراة من تحميل حواء عليها السلام تبعة الأكل من الشجرة المحرمة غير صحيح، وهو من التحريفات التي أدخلت على التوراة.
الثانية: أن إهباط آدم وذريته إلى الأرض أمر

سبق به القدر الأعلى، وسطره القلم الإلهي في أم الكتاب، ليقوم هذا النوع المكلف المبتلى المختار برسالته فوق هذا الكوكب، كما أراد الله، فكان لا بد أن يقع..".

قلت: أما الافتراء على أمنا حواء في عقوبة الله لها: فحواء من بنات آدم، ويرد عليه أهل العلم بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أورده الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده (في صحيحه، باب كيف كان بدء الحيض؟): "وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا شيء كتبه الله على بنات آدم»، وقال بعضهم: كان أول ما أرسل الحيض على بني إسرائيل، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم أكثر".
قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - (في فتح الباري: 2/11) بعدما نقله: "أما من قال: (أول ما أرسل الحيض على بني إسرائيل) فقد روي ذلك عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: إنما سلطت الحيضة على نساء بني إسرائيل؛ لأنهن كن اتخذن أرجلاً من خشب يتطاولن بها في المساجد.
وأما ما رجحه البخاري من أن الحيض لم يزل في النساء منذ خلقهن الله، فهو المروي عن جمهور السلف..
وقد استدل البخاري لذلك بعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا شيء كتبه الله على بنات آدم»، وهو استدلال ظاهر حسن، ونظيره: استدلال الحسن على إبطال قول من قال: أول من رأى الشيب إبراهيم عليه السلام، بعموم قول الله - عز وجل -:]اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً[".

قلت: ثم ذكر السند إلى عائشة رضي الله عنها، تقول: "(خرجنا لا نرى إلا الحج ، فلما كنت بسرف حضت، فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقال: «مالك! أنفست؟»، قلت: نعم، قال: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم، فاقضي ما يقضي الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت»، ..)".

ثم قال: "هذا إسناد شريف جداً؛ لجلالة رواته، وتصريحهم كلهم بسماع بعضهم من بعض؛ فلهذا صدر بهِ البخاري (كتاب: الحيض)، وفيه اللفظة التي استدل بها البخاري على أن الحيض لازم للنساء منذ خلقهن الله، وأنه لم يحدث في بني إسرائيل - كما تقدم -.

وقد رويت هذه اللفظة - أيضاً - عن جابر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك لعائشة في الحج: بمعنى حديث عائشة.

خرجه مسلم في صحيحه.

ورويت - أيضاً - عن أم سلمة، من رواية محمد بن عمرو: نا أبو سلمة، عن أم سلمة، قالت: (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في لحافه، فوجدت ما تجد النساء من الحيضة، فانسللت من اللحاف، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنفست؟»، قلت: وجدت ما تجد النساء من الحيضة، قال: «ذاك ما كتب الله على بنات آدم»، قالت: فانسللت فأصلحت من شأني، ثم رجعت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعالي فادخلي معي في اللحاف»، قالت: فدخلت معه)، خرجه ابن ماجه.

ومعنى (كتب الله على بنات آدم): أنه قضى به عليهن وألزمهن إياه، فهن متعبدات بالصبر عليه.

وجاء في رواية للإمام أحمد مِن رواية الأوزاعي، عن أبي عبيد، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في هذا الحديث: أن عائشة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (لا أحسب النساء خلقن إلا للشر، قال: «لا، ولكنه شيء ابتلي به نساء بني آدم»).

ولفظ: (الكتابة) يدل على اللزوم والثبوت، إما شرعاً كقوله - تعالى -:]كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ[، أو قدراً كقوله:]كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي[، وهذا الحديث مِن هَذا القبيل".

قلت: ومن الحكمة في وجود الحيض وإخراجه: التخلص من الإفرازات الدموية التي جعلها الله - تعالى - في جسم المرأة ليتغذي بها الجنين أثناء الحمل عن طريق السرة، فيتخلل الدم الطبعي عروقه يتغذى به، وعند عدم الحمل تخرج إلى الرحم فتتجمع فيه فتتغير عما كانت عليه، أي: عن طبيعتها فتكون ضارة فتخرج - طبعاً - إلى الخارج حتى لا تؤذي المرأة، والحال هذه هو ما يسمى حيضاً، كل ذلك رحمة من ربك؛ فإذا حملت المرأة انقطع الحيض عنها، فلا تحيض إلا نادراً، والمرضعات يقل من تحيض منهن لا سيما في أول زمن الإرضاع؛ لعلاقة ما للإرضاع بالحيض.

وهذا دليل قاطع على أن الحيض من الطبع وأصل الخلقة، وليس لسبب من الأسباب العارضة.

وهناك حكم أخرى منها: أنه من علامات البلوغ عند المرأة، ويعلم به البينونة من الطلاق وصحة النكاح والرجعة، وغير ذلك من بالغ الحِكَم.

ولقد غر المغامسي جهله عن قوله - تعالى -: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، وقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

حَاضِـرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَـدًا﴾، وغـيره، فضـلاً عن مـا ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فالله - جــل جلالــه - لا يظلم مــع قدرتــه على الظلم، ولكنــه لا يفعله **لكمال عدله** وفضله وجوده وكرمه وإحســانه إلى عباده، وقد جاءت نصوص الكتاب في ذلـك كمـا في هذه الآية وغيرها، وكذلك السـنة، وقـد نـزه اللـه نفسه عنه ومنعها منه وحرمه عليها، مع قدرتـه عليـه لو أراده، بل هو - جل وعلا - أقدر عليه.

وفي الحــديث القدســي - الــذي رواه مســلم في صـحيحه - عن أبي ذر جنـدب بن جنـادة رضـي اللـه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويــه عن ربه - تبارك وتعالى - أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفســـي وجعلتـــه بينكم محرمـــاً فلا تظالموا»، الحديث، وغيره من النصوص كمـا سـيأتي عند العلماء.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة - رحمـه اللـه - (في منهــاج الســنة: 1/135) بعــد كلام ســبق: "وقــالت طائفة: بل الظلم مقدور ممكن والله - تعالى - منزه لا يفعله **لعدله** ولهذا مدح الله نفسه حيث أخـبر أنـه لا يظلم النـاس شـيئاً, **والمدح إنمـا يكـون بـترك المقدور عليه لا بترك الممتنع**، قالوا وقـد قـال - تعالى -:
﴿وَمَنْ يَعْمَـلْ مِنَ الصَّـالِحَاتِ وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَلَا يَخَـافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره، والهضم أن يهضم حسناته، وقـال - تعـالى -:﴿

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بل أهلكهم بذنوبهم, وقال - تعالى -: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم والله منزه عنه، وقال - تعالى -: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، أي: لا تنقص من حسناتها، ولا تعاقب بغير سيئاتها؛ فدل على أن ذلك ظلم ينزه الله عنه، وقال - تعالى -:

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"﴾، إلى أن قال: "ومثل هذا في القرآن في غير موضع مما يبين أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل، وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزه الله عنه، وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره، وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، فإن ذلك ينزه الله عنه، بل لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أن الله - تعالى - يقول في الحديث القدسي:

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»، فقد حرم على نفسه الظلم، كما كتب على نفسه الرحمة في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ".

وقال (في رسالته: في معنى كون الرب عادلاً وفي تنزهه عن الظلم، ضمن جامع الرسائل: المجموعة

الأولى ص: 129): "وأهـل السـنة أثبتـوا مـا أثبتـه لنفسه: له الملك والحمد، فهو على كل شيء قـدير، وما شاء كـان ومـا لم يشـأ لم يكن، وهـو خـالق كـل شيء، وهو عادل في كل مـا خلقـه، وواضـع للأشـياء مواضـعها، **وهـو قـادر على أن يظلم لكنـه -** سبحانه **- منـزه عن ذلك لا يفعله**؛ لأنـه السـلام القدوس المستحق للتنـزيه عن السوء".

و قال الحافـظ ابن رجب - رحمـه اللـه - (في جـامع العلـوم والحكم: 2/34) عنـد قولـه - تعـالى - في الحديث القدسي السابق:

«إني حـرمت الظلم على نفسـي..»: "يعـني: **أنـه منـع نفسـه من الظلم لعبـاده** كمـا قـال - عـز وجل - : ﴿وَمَا أَنَـا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ﴾، وقـال: ﴿وَمَـا اللَّهُ يُرِيـدُ ظُلْمًـا لِلْعِبَـادِ﴾، وقـال:﴿ وَمَـا اللَّهُ يُرِيـدُ ظُلْمًـا لِلْعَالَمِينَ﴾، وقال: ﴿وَمَـا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ﴾، وقـال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَـيْئًا﴾، وقـال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ﴾، وقـال: ﴿وَمَنْ يَعْمَـلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُـؤْمِنٌ فَلَا يَخَـافُ ظُلْمًـا وَلَا هَضْـمًا﴾, والهضـم: أن ينقص من جـزاء حسـناته، والظلم: أن يعاقب بذنوب غيره، ومثل هذا كثير في القرآن، وهو **ممـا يـدل على أن اللـه قـادر على الظلم، ولكنـه لا يفعلـه فضـلاً منـه وجـودًا وكرمًـا وإحسانًا إلى عباده**".

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين (كما في نهاية كتاب أحكام القرآن) عند قولـه - تعـالى -:

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: "إثبات صــفات النفي في حق اللــه، ولكن يجب أن نعلم أن النفي المحض في صــفات اللــه لا يوجــد؛ لأن النفي المحض عــدمٌ محض، والعــدم ليس بشــيء، ولكن لا توجــد صــفة منفية عن الله إلا لتضـمنها نقصاً، ولهـذا نقـول: كـل صفة نفاها الله عن نفسه فإنها متضمنة لشيئين:

أولهما: نفي تلك الصفة المذكورة.

و**ثانيهما**: إثبات كمال ضدها، فمثلاً قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَــداً ﴾ ، فنفى الظلم عن نفســه لمــاذا؟؛ لكمــال عدلــه - عــز وجــل - لا لعجــزه عن الظلم، ولكن **لكمال عدله** لم يظلم أحداً".

وقال (في عقيدة أهل السنة والجماعة): "ونؤمن أن الله لايظلم أحداً **لكمال عدله**".

قلت: وربمــا يقــال الظلم غــير جــائز عليــه يريــد بــه الجهال مدح الرب - سبحانه وتعـالى - وتنزيهـه وهـو ليس مدحاً ولا تنزيهـاً في الحقيقـة، وغـير لائـق؛ لمـا يلـزم عليــه من معــنى فاســد، وإنمــا يقــال: لا يظلم **لعدله** وتنزهه عنه وهو اللائق به - تعالى -.

وتقريــري هــذا يــأتي بعضــه في (**الموضع الثـامن عشر**)، في الاستدراكات على الجزائري.

قلت: وأوردت مــا تقــدم ليعلم علم يقين أن اللــه لا يعاقب الإنسان بما لم يقترف من الذنب؟!!، وهو مـا زعمه المغامسي من معاقبة النســاء لمــا افــتراه من عقوبــة أمهن حــواء وأنهــا منهــا ســرت إليهن، وهي جناية وجرم ارتكبه في حقهن وحق أمه وأمهن!!.

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبــلغ الجاهـل مـن نـفسه

وأمـا أسطورة: أن الشـيطان دخـل الجنـة في خياشيم الحية: فقد قال عنه سماحة شـيخنا الإمـام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (كما في جـواب لـه في نور على الدرب) على هذا السـؤال: "نعـرف أن إبليس اللعين أبى الســجود لســيدنا آدم واســتكبر وأصبح من الكافرين، كيف دخل إبليس الجنــة فـأزل سيدنا آدم وحواء عنهـا وأخرجهمـا من مـا كانـا فيـه، مادام عصى إبليس أمر ربه؟.

فأجاب: "هذه المسـألة للنـاس فيهـا كلام، والجـواب عنهـا أن يقـال اللــه أعلم بالمقصــود، إنــه وســوس بالطريقة التي يعلمها الله - سـبحانه وتعـالى -، فهـو وسوس لآدم حتى وقع ما وقع من أكله من الشـجرة هــو وزوجتــه حــواء، ثم أهبطــوا جميعــاً، هبــط آدم وهبطت حواء وهبـط إبليس، كلهم هبطـوا كمـا قـال اللــه: ﴿وَقُلْنَـا اهْبِطُـواْ بَعْضُـكُمْ لِبَعْضٍ عَـدُوٌّ﴾، فاللــه أهبطهم جميعــاً بســبب عصــيان إبليس أمــر ربــه واسـتكباره عن السـجود لآدم، وبسـبب عصـيان آدم وزوجته حواء بأكلهما من الشـجرة الـتي منعـا منهـا، أما الطريقة التي حصل بهـا والوسوسـة لآدم وحـواء فالله أعلم بها، لا مانع من أن يكون دخل الجنة؛ لأنها حـرمت على الكفـار بعـد البعث والنشـور، مـا الآن حرمت على الكفار، حرمت يوم البعث والنشور حين الجزاء، أمـا الآن فليس هنـاك دليـل يـدل على منعـه من دخولهـا؛ لأنهـا مـا صـارت بعـد محلاً للجـزاء، هي الآن معــدة للجــزاء، معــدة لأهلهــا، فكونــه دخــل ووسوس وتمكن، ليس هناك مـانع شـرعي - في مـا نعلم - يمنع من الدخول لها ذاك الوقت، وإنمـا يمنـع

الكفار يوم القيامة، لا يـدخلونها، يسـاقون إلى النـار، وقد تكون هناك طريقة - أيضاً - استعملها للوسوسة غير الدخول: بالمكاتبة، بشيء آخر، بكلام؛ فالحاصـل أنها حصلت الوسوسة وحصل التأثر بها من آدم ومن حـواء، ثم تـاب اللـه عليهمـا كمـا قـال - تعـالى -: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَـاتٍ فَتَـابَ عَلَيْـهِ ﴾، وقـال - سـبحانه -: ﴿وَعَصَـى آدَمُ رَبَّهُ فَغَـوَى ۝ ثُمَّ اجْتَبَـاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾".

قلت: هذا كلام أهـل العلم بعيـداً عن أسـاطير أهـل الكتاب الـتي هم أعلم بهـا من المغامسـي وأشـباهه من الجهال، وقد تركوها عن عمـد؛ لأنهـا ليسـت من الدين، ومضلة للمسلمين، وليسوا من الذين يريـدون الاشـتهار بالأسـاطير والأكـاذيب والغـرائب: شـأن المفلسين في العلم والورع، الذي يحجزهم عن هدم الدين.

وبعيداً عن التخريف وزبـالات العقـول والأفكـار؛ فهم يعرفـون الحـدود الـتي يقفـون عنـدها، ولا ينطقهم العوام والجهال، أو ينطقهم الهـوى، وطلب الشـهرة، كما قيل:

ولـو أن قـومي أنطقتـني رمـاحهم نطقـت ولكـن الرمـاح أجـرت

بل علمهم هو رماحهم وسلاحهم، وهو الـذي ينطقهم أو يسكتهم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله، ربنـا ﴿سُـبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَـا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

الموضع الحادي عشر.

قول المغامسي قولاً قبيحاً وقحاً - لم يقله أحد ولا يسوغ قوله لأحد - عن نبي الله لوط علي الصلاة

والسلام، وهو أنه عرض بناته على الذين جاءوا إليه يهرعون بدون زواج؟!!، أي: بالزنا، ورجح ذلك - جازماً به؟!! - .
ولو قيل عن أحد من آحاد الناس فضلاً عن أن يقال عن نبي كريم لمجه واستبشعه جميع العقلاء، وعدوه من فساد الذوق، وخوارم المروءة، ورقة الدين:
فقد قال المغامسي عند قوله - تعالى - الآية: (78)، في سورة هود: ﴿يا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُم﴾، ما نصه:
"﴿هَـؤُلاء بَنَاتِي﴾، كثير من أهل التفسير يقولون: إنه قصد بقوله هؤلاء **بناتي بنات القرية**، وإنه أراد بالمعنى الحرفي أنه يتشفع لهؤلاء الرجال في أن يتزوجوا بنات القرية حتى يكون ذلك دفعاً لهم عن الفاحشة وقالوا إن النبي - أي: نبي - يعتبر كالأب لمن؟ لأمته هذا حجة من قال معنى هذه الآية، هذا الكلام أن هؤلاء بناتي عائدة على من؟ على بنات القرية، وأن كلمة: بناتي، مردها إلى أن النبي يعتبر كالأب لأمته هذا قول.
قول آخر قالوا إن: ﴿هَـؤُلاء بَنَاتِي﴾، أراد بناته الذين عنده، بناته لصلبه و:﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، أراد أن يزوجهم بناته.
ونحن نقول - والله أعلم -: كلا هذين الرأيين صعب أن يقال به؛ لأن القرآن نزل باللغة على ما يوافق العقل، والكلام هذا لا يوافق اللغة ولا يوافق العقل، وسنقول الرأي الراجح - إن شاء الله تعالى - أما لماذا لا يوافق اللغة فإن كلمة هؤلاء في اللغة تكون على الحاضر الشاهد؛ للإشارة على الشيء الحاضر، ولا تكون على الشيء الغائب، كلمة هؤلاء لا تطلق على شخص غير موجود تطلق على شخص حاضر؛

فانتفى بذلك القول أنه قصد من؟ **بنات القرية**، فهذا **الأمر الأول**، ويُدفع كذلك أن النبي يعتبر كالأب للبنات المؤمنات، لكن لا يعتبر كالأب للبنات الكافرات والقرية كلها كافرة إلا من كان في بيت لوط، الله قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، هو بيت من؟، هو بيت لوط، فلا يوجد في القرية أصلاً أحد مؤمن حتى نقول إن لوط [كذا] أباً لهم.[ما سبق فيه فسفطة لا طائل تحتها].

القول الثالث وهو الذي نختاره - والله أعلم - وقد نسبه العلامة الآلوسي - رحمه الله - في (روح المعاني) إلى غير أحد، قال: قال به أجلاء المفسرين.

ونص عليه العلامة ابن سعدي - رحمه الله - في كتابه قصص الأنبياء، أي: أن هذا القول قول من؟.

وهذا القول يقول إنه قصد بناته عيناً وقصد أن يأذن لهم بزواج أو **بدون زواج** [؟؟!!]، أن يأتوا بناته، فيقول عاقل كيف يعقل أن نبي [كذا] يعرض بناته لمن؟، لأهل فواحش، هذا من باب إقامة العذر وإقامة الحجة على المعاند ومن باب علمه اليقيني أن هذا لن يكون، من باب العلم اليقيني، أن هذا لا يكون".

قلت: سبحان الله حقاً أن ماقاله لا يقوله عاقل؟! - على ركاكته -، وما قاله أحد من العقلاء، وما صعب عليه وأنه لا يوافق القرآن ولا يوفق اللغة! ولا يوافق العقل! هو الذي قاله العلماء: من المفسرين وغيرهم ووجهوه في اللغة، بلا هوى، وبعقول سليمة كما سترى عند الآلوسي الذي كذب عليه المغامسي.

وعمد إلى القول الذي لم يعزه الآلوسي إلى قائل، بل نسبه إلى بعض أجلة المفسرين، وفَرْق بين عبارته وعبارة الآلوسي وهو قول صحيح ولا حجة له

فيه، بل حجة على كذبه وتلبيسه وتدليسه؛ لأن ما ادعاه - من كون نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام عرض بناته بالزنا، أي: بدون زواج - لم يكن فيه، ولا يقوله مسلم؛ لأنه رمي لنبي الله لوط عليه الصلاة والسلام بالدياثة!!، حتى لو افترض استحالة وقوعه؛ فقد قال الآلوسي - رحمه الله - (في/ تفسيره: 8/3 16) ما نصه: "وقال الحسن بن الفضل: إنه عليه السلام عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وإلى ذلك ذهب الزجاج، وهو مبني على أن تزويج المسلمات من الكفار لم يكن جائزاً إذ ذاك، وقيل: كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه ولم يكن له عليه السلام سواهما..، وقيل: كان له عليه السلام ثلاث بنات، وأخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس، ويؤيده ظاهر الجمع، وإن جاء إطلاقه على اثنين، وأياً ما كان فقد أراد عليه السلام بذلك وقاية ضيفه وهو غاية الكرم، فلا يقال: كيف يليق به عليه السلام أن يعرض بناته على أعدائه ليزوجهن إياهم؟!، نعم استُشْكِل عرض بناته بناءاً على أنهن اثنتان كما هو المشهور، أو ثلاث، كما قيل على أولئك المهرعين ليتزوجوهن، مع القول بأنهم أكثر منهن، إذ لا يسوغ القول بحل تزوج الجماعة بأقل منهم، في زمان واحد، ومن هنا قال بعض أجلة المفسرين : إن ذلك القول لم يكن منه عليه السلام مجرياً على الحقيقة من إرادة النكاح، بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم وإظهاراً لشدة امتعاضه من ما أوردوا عليه طمعاً في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم، وهو الأنسب بجوابهم الآتي، وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس . وابن أبي حاتم عن ابن جبير . ومجاهد . وابن أبي

الدنيا . وابن عساكر عن السدي أن المراد ببناته عليه السلام نساء أمته، والإشارة بهؤلاء لتنزيلهن منزلة الحاضر عنده وإضافتهن إليه؛ لأن كل نبي أب لأمته، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله - تعالى - عنه: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.

وقرأ أبي رضي الله - تعالى - عنه مثل ذلك لكنه قدم: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ، علي: (وهو أب لهم)".

فقد كذب المغامسي على الآلوسي، كما كذب للشعراوي وعليه، وسيأتي بيانه.

فنص الشاهد من كلام الآلوسي - كما رأيتَ - قوله: "نعم استُشْكِل عرض بناته - بناءاً على أنهن اثنتان كما هو المشهور، أو ثلاث، كما قيل - على أولئك المهرعين ليتزوجوهن، مع القول بأنهم أكثر منهن، إذ لا يسوغ القول بحل تزوج الجماعة بأقل منهم، في زمان واحد، ومن هنا قال **بعض أجلة المفسرين** : إن ذلك القول لم يكن منه عليه السلام مجرياً على الحقيقة من إرادة النكاح، بل كان ذلك مبالغة في التواضع..إلخ".

فهو كله في الزواج، جواباً على الاستشكال، فأين قول المغامسي: "بدون زواج"؟!!

، بل افتراؤه وجرأته على الأنبياء والعلم وأهله.

وكذلك كذب على ابن سعدي، وقول ابن سعدي كقول الآلوسي، بل زاد الأمر إيضاحاً.

فقد قال العلامة ابن سعدي - رحمه الله - (في/ قصص الأنبياء: 1/380) وهو مقتطع من كتابه (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) وهذا نصه: "فجاءه قومه يهرعون إليه يريدون فعل الفاحشة بأضياف لوط، فقال : يا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ؛ لعلمه أنه لا حق لهم فيهن، كما

عرض سليمان للمرأتين حين اختصمتا في الولد فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، ومن المعلوم أنه لا يقع ذلك، وهذا مثله، ولهذا قال قومه :
 لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ.
و- أيضاً - يريد بعض العذر من أضيافه، وعلى هذا التأويل لا حاجة إلى العدول إلى قول بعض المفسرين: هَؤُلَاءِ بَنَاتِي، يعني: زوجاتهم، يعني: لأن النبي أب لأمته، فإن هذا يمنعه أمران :
أحدهما: قوله: هَؤُلَاءِ بَنَاتِي، يشير إليهن إشارة الحاضر .
ثانياً: هذا الإطلاق على زوجاتهم لا نظير له، و- أيضاً - النبي إنما هو بمنزلة الأب للمؤمنين به، لا للكفار، والمحذور الذي توهموه يزول بما ذكرنا، وأنه يعلم أنه لا حق لهم فيهن، وإنما يريد مدافعتهم بكل طريق".
قلت: فما يحله العلماء من إشكال أو يرجحونه لا محذور فيه، وما يزعمه المغامسي خالف فيه جميع المفسرين وضرب بإجماعهم عرض الحائط، وأتى بما لم يكن فيه إشكال أو يخطر لمسلم ببال.
وقد رأيت في موقع في الشبكة العنكبوتية لأحد الغيورين - جزاه الله خيراً - قوله: "هل أخطأ المغامسي في تفسير: قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ، كلنا يعرف قصة لوط عليه السلام مع قومه عندما أتته الملائكة، فعلم قومه وأرادوا فعل الفاحشة بالرجال فقال لهم لوط عليه السلام: قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ.
استمعت لتفسير الشيخ المغامسي في (تأملات قرانية) وأراه قد جانب الصواب
حيث يقول في ما معناه: إن لوطاً عرض على قومه

بناته بزواج أو بدون زواج، فداء لأضيافه، وهو يعلم يقيناً أن قومه لن يفعلوا، كالشخص الذي يكون لديه ضيف فيأتي من يريد قتل الضيف؛ فيقول الرجل للقاتل: اقتلني بدلاً عن ضيفي وهو يعلم أن من يريد القتل لا يريده، وإنما يريد ضيفه؟.

وهذا حقيقة أحزنني كثيراً واستغربت ذلك التأويل مما استدعاني للبحث والتفتيش في الأمر؛ فوجدت أن أراء العلماء والمفسرين أجمعت على أنه عرض البنات للتزويج واختلفوا فيما يلي :

1- ما المقصود بـ﴿بَنَاتِي﴾: هل هن بناته الحقيقيات **-** قيل اثنتين وقيل ثلاث بنات **-** أم المقصود بنات قومه؟؛ لأن كل نبي بمقام الأب لقومه وقاسوها على الاية: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، ولعل فيه ضعفاً؛ لأن الخطاب في الاية للمؤمنين.

أما قوم لوط فكفار، ولم يكن فيهم مسلم إلا أهل بيته باستثناء زوجته فلا يكون والداً للكفار.

2- إشكال: كيف يزوج النبي بناته للكفار؟.

والجواب: لعل الزواج جائز في وقتهم كما كان في بداية الاسلام فقد زوج نبينا محمد إحدى بناته من عتبة بن أبي لهب وكان كافراً[1]

خلاصة اراء المفسرين في بناته:

1- بنات قومه زواجاً.

2- بناته من صلبه زواجاً وهو الاقرب.

3- رأي شاذ منكر: بناته سفاحاً.

وللأسف أن الشيخ نفى الرأي الأول وحجته ماذكر أعلاه وهو توجيه جيد، لكنه للأسف رجح القول الثالث، ولم يفند القول الثاني، ويبدي أسباب عدم قبوله له،

[1] وزوج صلى الله عليه وسلم ابنته: زينب من أبي العاص بن الربيع، وقت أن كان كافراً، ولما نزل التحريم، طلب إرسالها إليه إلى المدينة فأرسلها إليه، وردها إليه لما أسلم رضي الله عنه وعنها.

ولكني سأثبت مايدل على صحة الثاني، وإن كان لايحتاج إلى إثبات لإجماع العلماء عليه.
1- قوله: أَطْهَرُ لَكُمْ، لو كان المقصود سفاحاً لم يقل: أَطْهَرُ لَكُمْ، وليست الهمزة في أطهر همزة تفضيل بل كهمزة أكبر في قولك الله أكبر، وعليه فلا تعني أن اللواط طاهر ولكن الزواج أطهر منه.
2- قوله: فَاتَّقُوا اللَّهَ، يدل على أن لوطاً يخاطبهم بلغة الشرع، فها هو يأمرهم بتقوى الله مع أنهم كفار.
ولم ينصرف للخطاب العقلي الذي كان أولى مع الكفار وبنى عليه الشيخ رأيه
3- أن قوم لوط لم يكونوا يعارضوا الزواج حتى يعرض عليهم لوط الزنا، بل كان المانع أصلاً تفضيلهم الرجال على النساء.
4- إجماع المفسرين على أن المراد الزواج".
قلت: والأخ قد أجاد فأفاد، لكنه لم يتنبه إلى كذب المغامسي على الآلوسي وابن سعدي، ولم ينتبه إلى أن هذا القول بالتعليل قال به بعض أجلة المفسرين كما قال الآلوسي وقال به ابن سعدي، وهو أحد التعليلين للعلماء لعرض لوط عليه الصلاة والسلام بناته - لصلبه - على المهرعين بالزواج.

الموضع الثاني عشر.

نفى المغامسي أن يكون كيد النساء عظيماً كما جاء في القرآن والسنة, وأن القول به غير صحيح، وإنما هو مجرد دعوى غير صحيحة:

فقد رأيت على شبكة التواصل العنكبوتية من يرد على آخر - جزاه الله خيراً - في قوله عن

المغامسي : "ذكرتَ أن الشيخ المغامسي (قد عُلم) أنه من المؤهلين بالقول بالرأي, وهذه مسألة مهمة، فمن أين جاء العلم بذلك التأهيل؟.
تذكرت وأنا أقرأ تأكيدك أن الشيخ مؤهل للقول بالرأي, يوم كنت أستمع للشيخ وفقه الله - تعالى - يتحدث عن قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، فنفى أن يكون كيد النساء عظيماً, وأن القول بهذا مجرد دعوى - غير صحيحة -، وحجته أن الآية تحكي كلام العزيز وتصوّره عن النساء، وليست تقرر حكماً إلهياً. رأيت وقتها أن الشيخ تحدث بما تحدث واضعاً ذهنه على هذه الآية وحدها, غافلاً عن ربطها بنصوص الشرع الأخرى!.
فهو منه اجتهاد لحظة، لا اجتهاد تأمل ودراسة ونظر فاحص .
فلو تمعّن في هذا الأمر للحظات قبل أن يتبنى هذا القول لعرف سريعاً أنه قول ساقط، ذلك أن الآية مؤيدة بنصوص غيرها تدل على تأييد الشريعة لهذا المعنى (عظم كيد النساء).
ومن نصوص الشريعة مثلاً, ما روى مسلم عن عائشة قالت: "لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس», قالت فقلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف, إنه متى يقم مقامك لا يُسمِع الناس، فلو أمرت عمر! فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس», قالت فقلت لحفصة: قولى له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر!، فقالت له, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس».

ذلك أن أم المؤمنين الذكية ذات الفطنة خافت أن يكره الناس أباها لكونه سيقوم في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ولكنها أخفت هذا في نفسها الطاهرة, واتخذت الحيلة لتغيير القرار النبوي الحكيم بأمر أبيها أن يصلي بالناس.
فاعتذرت عنه بأنه رجل يكثر خشوعه وبكاؤه فإذا صلى بالناس فلن يستطيع أن يسمعهم القرآن والصلاة لكثرة خشوعه وبكائه!.
وعرف المصطفى صلى الله عليه وسلم حيلتها وكيدها, فأكد أنها طبيعة النساء مشيراً إلى قول العزيز لزوجته بنص الآية: إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ، بل لو ترك الشيخ لنفسه فسحة ثوان يتأمل فيها سياق الآيات التي يفسرها لوجد خطأه جلياً وما قال ما قال؛ إذ في بقية القصة ورد قوله - تعالى -: فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ، تأمل كيف أن نبي الله عليه السلام أراد بيان كيدهن بعد مدة, ووصفه بما يدل على استعظامه له!".

قلت: وبقي في السورة نفسها قوله - تعالى - في سؤال يوسف له وفي استجابته له: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي **كَيْدَهُنَّ** أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ، فقال - تعالى - بعدها مباشرة: فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ **كَيْدَهُنَّ** إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

وهما والآية - السابقة الثانية - التي أوردها: هو الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم وهو الأقرب والأولى المتبادر إلى الفهم، قال الله - تعالى - عن يوسف: إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ، وقال: وَإِلَّا تَصْرِفْ

عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾، وقال عن صرف كيدهن عنه: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾، وأراد صلى عليه وسلم قصتهن في الكيد مع نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام، ولو لم يأت دليلاً على كيد النساء إلا قول العزيز لزوجته الذي ذكره الله مقراً له - والذي رده المغامسي بسفسطته وفلسفته، ومن سبقه إليه من من سبقه، ومن تبعه فيه ولحقه - لكان كافياً؛ فهو حكم شرعي إلهي وإن رغم أنف المغامسي ومن سبقه - من من قلده في الباطل - ومن لحقه.

وما تلك المظلمة التي أراد المغامسي دفعها عن النساء نصرة لهن؟!!.وهذا غريب منه لو كان أول جهالاته وتخليطاته وتخبطاته، أما وهو ديدنه وهِجِّيراه فلا يستغرب؛ لأنه معدنه، ويقال: "الشيء من معدنه لا يستغرب".

وقوله: "من المؤهلين بالرأي"، أي: في تفسير كتاب الله.

أقول: هذا أمدح أم ذم؟!.

خاط لي عمر قباء ليت عينيه سواء

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء؟

إذا قيل في من إحدى عينيه معطوبة بعور أو حول أوغيره من مرض أو فقء أو عمى؛ فلا يفهم المراد من مجرد اللفظ - إلا أن ينظر إلى الحال أو السبب إن عرف - أدعاء له أم دعاء عليه؟، هل يريد أن تسلم المعطوبة أو تعطب السليمة؟.

والحق الذي لا مراء فيه أنه - عند علماء أهل السنة والجماعة - ذم وليس مدحاً؛ فالعقل والرأي لا مجال له في تفسير القرآن، ولم يذكر العلماء أهل الرأي والعقلانيين - الذين يفسرون كتاب الله بآرائهم وعقولهم المجردة - إلا على سبيل الذم لهم والتحذير منهم والعيب عليهم.

والمغامسي قد أعجب بالرأي وفتن به وبأهله بلا علم وبصيرة، وأدخله في الدين وفسر به نصوص القرآن والسنة؛ فأدخله ذلك في متاهات ومجازفات وضلا لات وجرأة على الله ودينه وحملة شرعه، وحتى الأنبياء: كآدم ولوط ويوسف، وأتى بالهدم الماحق لصرح الولاء والبراء، الذي هو ذروة في الإسلام، وقد قام على ساق أكثر من مئة آية في كتاب الله - تعالى -، وعلى المتكاثر والمتواتر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الموضع الثالث عشر.

ادعاء المغامسي أن منسأة سليمان ليست العصا، مع اعترافه أن المفسرين جميعاً يفسرونها بالعصا، بحجة أن موسى عليه الصلاة والسلام راعي غنم، وسليمان عليه الصلاة والسلام ملك، وتناسى أن سليمان عليه السلام ملك نبي وما من نبي إلا ورعى الغنم:

فقد قال الله - تعالى - عن نبيه سليمان: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾، قال الإمام ابن كثير (في/ تفسيره: 6/501):

"مكث متوكئًا على عصاه - وهي مِنسأته - كما قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغير واحد".

وقال: "منسأته: العصا بلسان الحبشة".

قلت: وذكره ابن جرير في تفسيره بلا خلاف في: أنها العصا".

وقال القرطبي (14/277): "﴿مَـا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِـهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾، وذلـك أنـه كـان متكئـا على المنســأة - وهي العصــا بلســان الحبشــة، في قــول السدي.

وقيل: هي بلغة اليمن، ذكره القشيري -".

وقال البغوي (6/392): "﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾، يعني: عصاه، قرأ أهل المدينة، وأبو عمرو: (منساته)، بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز، وهما لغتان، ويسكن ابن عامر الهمز، وأصلها من: نسأت الغنم، أي: زجرتها وسقتها، ومنه: نسأ الله في أجله، أي: أخره".

وقال الشوكاني (6/96): "ومعنى تأكل منسأته: تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها ، والمنسأة : العصا بلغة الحبشة، أو هي مأخوذة من نسأت الغنم، أي: زجرتها . قال الزجاج: المنسأة التي ينسأ بها: أي: يطرد.

قرأ الجمهور: ﴿مِنْسَأَتَهُ﴾ بهمزة مفتوحة.

وقرأ ابن ذكوان بهمزة ساكنة.

وقرأ نافع، وأبو عمرو بألف محضة.

قال المبرد: بعض العرب يبدل من همزتها ألفاً، وأنشد :

إذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل

ومثل قراءة الجمهور قول الشاعر :

ضربنا بمنسأة وجهه فصار بذاك مهيناً ذليلا

ومثله:

أمن أجل حبل لا أباك ضربته بمنسأَة قد جرّ حبلك أحبلا

ومما يدلّ على قراءة ابن ذكوان قول طرفة:

أمون كألواح الأران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد

وذكر هذا ابن جرير وابن كثير وغيرهما من المفسرين.

أما رعي الأنبياء للغنم فقد جاء فيه حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم»، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، كنت أرعاها بالقراريط لأهل مكة»، رواه البخاري.

وعن جابر، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران نجتني الكَبَاث[1]، فقال: عليكم بالأسود منه فإنه أطيب»، قلنا: وكنت ترعى الغنم يا رسول الله؟ قال: «نعم وهل من نبي إلا قد رعاها»، رواه البخاري ومسلم.

ومن الحكمة في كون الأنبياء رعوا الغنم ما قاله الحافظ ابن حجر في شرحه في الفتح: "قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بامر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة.. لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح

[1] الكباث: ثمر شجر الأراك.

إلى مسـرح أحسـن، ودفـع عـدوها من سـبع وغـيره كالسارق.. وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مـع ضـعفها واحتياجهـا إلى المعاهـدة.. ألفـوا من ذلـك الصبر على الأمة، وعرفـوا اختلاف طباعهـا، وتفـاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقـوا بضـعيفها، وأحسـنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلـك أسـهل ممـا لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة".

وكونه يتوكأ عليها وتأكلها الأرضة دليل على أنها عصـا على الحقيقة، وذلك من المآرب التي ذكرهـا موسـى لما قال الله له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَـى﴾، قـال: ﴿هِيَ عَصَـايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَـا وَأَهُشُّ بِهَـا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.

ويأتي قريباً ما قلناه عن المغامسي، ومنه : "هذا الرجل جاهل بالقواعد التي يعرفها أهل العلم وطلابه **-** كما بينا فيما تقدم **-**؛ فعند العلماء لا يصح بحال إذا انحصرت أقوال السلف وتابعيهم في مسألة أن يزاد فيها على أقوالهم**..**"، و منه قول زفر بن الهذيل ما معناه**:** "**إني لا أناظر أحداً حتى يسكت، بل أناظره حتى يجن، قالوا: كيف ذلك؟ قال: يقول بما لم يقل به أحد**"!!**.**

وقول أبي جعفر إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره**،** بعد أن ذكر الأوجه التي يفسر بها القرآن**:** "..كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما

تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين، وعلماء الأمة".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة التفسير : "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا".

فهل يلتفت بعد هذا إلى ادعاءات المغامسي بهواه وجهله وشغفه بالمخالفة لأجل الشهرة التي هي نقمة وفتنة ومحنة له - ولغيره من من ابتلي به - وقد رآها منة ونعمة!!.

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

الموضع الرابع عشر.

مخالفته للعلماء وشذوذه عنهم في تعيين) اسم الله الأعظم، وقوله لم يقل به أحد، وهو دليل قاطع على بطلانه:
لصالح المغامسي في مقطع منشور في الشبكة :خلط فيه كعادته في التخبط والتخرص في القرآن عند قوله - تعالى -:﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. ﴾
فقال: "نحن نذهب - والعلم عند الله - أن الواحد القهار هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى, وإن كان في المسألة خلاف معروف بين العلماء والجمهور على أنه الحي القيوم .

لكن إن صح تحرينا لآيات القرآن, فإن الواحد القهار هو اسم الله الأعظم, وذلك أنك لو تأملت هذا الاسم لوجدت التالي :
عندما نقول إن الله رحيم, نحن كذلك منا من يرحم من هو دونه, وعندما نقول إن الله رؤوف, نحن كذلك منا من يرأف بمن هو دونه .
ونقول إن الله **-** جل وعلا **-** يحسن, وكذلك منا من هو يحسن إلى غيره, مع الفارق العظيم ما بين صفات الخالق وصفات المخلوقين**.**
لكن لا أحد يمكن أن يطلق عليه أنه الواحد لا شيء يماثله إلا الله، ثم كل المخلوقين مقهورون من وجه ما, قهر الله خلقه كلهم بالموت فكل أحد يصدق عليه قول مقهور ولو كان جبرائيل أو محمد أو أولي العزم من الرسل عليهم السلام جميعاً, لكن لا يمكن أن يكون هذا في حقه"**.**
رد عليه عبد الله الخليفي وقال في اختصار رده **-** على شبكة البينة **-:** "أقول : كلامه هذا باطل من وجوه:
أولها : أنه لم يصح عن أحد من المتقدمين أنه قال أن اسم الله الأعظم الواحد القهار فالأقوال المنقولة عن السلف
1- الحي القيوم وهو قول القاسم أبو عبد الرحمن.
قال الفريابي (في فضائل القرآن**:** 45) :(حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، نا الوليد بن مسلم، نا عبد الله بن العلاء، حدثني القاسم أبو عبد الرحمن قال :
إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن، في سورة البقرة، وآل عمران، وطه.
قال الشيخ**:** التمستها، فوجدت في البقرة: اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وفاتحة آل عمران: الم اللَّهُ لا

إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وفي طه: وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) .

2- ذو الجلال والإكرام وهو قول مجاهد بن جبر.

قال ابن أبي حاتم (في تفسيره: 16384: ((حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء ، عن ابن أَبِي نجِيح، عن مجاهد قوله: الذي عنده علم من الكتاب الاسم الذي إِذا دُعِيَ بِهِ أجاب وهو يا ذا الجلال والإكرامِ).

3- رب رب، وهو مروي عن ابن عباس وأبي الدرداء ولا يصح عنهما .

4- الله، وهو قول جابر بن زيد أبي الشعثاء ومروي عن الشعبي .

قال ابن أبي شيبة (في المصنف: 29979): (حدثنا وكيع، عن أَبِي هلال، عن حيان الأعرج، عن جابِر بن زيد قال: اسم الله الأعظم الله).

أقول : حيان وثقه ابن معين كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وبه يثبت الخبر عن جابر بن زيد.

فهل كل هؤلاء لم يصح تدبرهم للقرآن والمغامسي وحده الذي صحت عنايته وتدبره للقرآن ؟!.

قال شيخ الإسلام في مقدمة التفسير :

(وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا، وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه).

إنما يكون مجتهداً مغفوراً له خطؤه، إذا كان من أهل الاجتهاد، أما إذا كان جريئاً يتوسع في تفسير القرآن برأيه كالمغامسي فهذا ينبغي أن يعاقب على جرأته على كتاب الله - عز وجل - وليست بأولى عوراته.
ثانيها : أن السيوطي صنف رسالة في اسم الله الأعظم اسمها (الدر المنظم في اسم الله الأعظم)، ذكر فيها عشرين قولاً عن السلف والخلف في اسم الله الأعظم، لم يذكر فيها قول المغامسي هذا وهو أن اسم الله الأعظم (الواحد القهار)
فالمغامسي أغرب حتى على أهل البدع .
فالعلماء على مدى أربعة عشر قرناً ليس فيهم من صح تدبره للقرآن إلا المغامسي .!

ثالثها : الأحاديث الواردة في اسم الله الأعظم صحيحها ومعلولها ليس فيها ذكر اسم القهار، وقد بسطت الكلام عليها في مقال مستقل بعنوان (بحث في الأحاديث والآثار التي وردت في اسم الله الأعظم).
ولا ينبغي أن يشتغل بالتفسير من ليس له كبير عناية بالسنة، فإنه بذلك يكون معرضاً عن تفسير خير المفسرين وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام .
رابعها : قوله أن الخلق يرحم بعضهم بعضاً، ولكن اسم القهار لا ينطبق عليه ذلك فيه مكابرة للحس .

فالخلق يقهر بعضهم بعضاً، والخلق لا يخلق بعضهم بعضاً فلماذا لا يكون اسم الله الأعظم (الخالق)؟!.

خامسها : قوله بأنه ما من مخلوق إلا وهو تحت قهر رب العالمين، صحيح ولكن ليس هذا من خصائص هذا الاسم فما من عبد إلا وهو مخلوق لله .

فلماذا لا يكون الخالق اسم الله الأعظم؟.

وما من مخلوق إلا والله - عز وجل - يعلم به :أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، فلماذا لا يكون العليم هو اسم الله الأعظم**؟.**

وكلهم خلقوا بقدرة الله - عز وجل - فلماذا لا يكون (القدير) هو اسم الله الأعظم مع ما فيه من الدلالة على البعث هو واسم العليم؟.

وهكذا يورد على تعليله الكثير من الإيرادات.

فهذه هي حقيقة تدبر المغامسي المزعوم والله المستعان، والخلاصة أن الرجل غير مؤتمن، يتوسع في التفسير بالرأي" انتهى.

قلت: وهذا الرجل جاهل بالقواعد التي يعرفها أهل العلم وطلابه - كما بيناه في ما تقدم -؛ فعند العلماء لا يصح بحال إذا انحصرت أقوال السلف وتابعيهم في مسألة أن يزاد فيها على أقوالهم، وقد قال زفر بن الهذيل ما معناه: "**إني لا أناظر أحداً حتى يسكت، بل أناظره حتى يجن، قالوا: كيف ذلك؟ قال: يقول بما لم يقل به أحد**"!!.

وقال أبو الحسين الملطي (في التنبيه والرد ص: 12): "ولا تتبع هواك فليس على وجه الأرض شخص يعدل عن السنة والجماعة والألفة إلا كان **متبعاً لهواه**، **ناقصاً عقله**، **خارجاً عن العلم والتعارف**، فالزم الحق ترشد - إن شاء الله -".

وقال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية - كما سبق - في مقدمة التفسير : "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا".

وقال (في الرد على الأخنائي ص: 161): "فيقال ..: المستحق للطعن في عقله وفي دينه من جعل المستقيم أعوج، وزاغ عن سواء المنهج .. ".

وقال: أبو جعفر إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (في مقدمة تفسيره: 1/41) بعد أن ذكر الأوجه التي يفسر بها القرآن: "..كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين، وعلماء الأمة".

وقول المغامسي في هذه المسألة شاذ وينطبق عليه قول ابن القيم (في طريق الهجرتين: 2/906) عن الجن: "ذهب **شذوذ من الناس** إلى أن فيهم الرسل

والأنبياء..وهذا قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعرف به سلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام"**.**

وقول الحافظ ابن رجب (في جامع العلوم والحكم: 1/ 283، الحديث الحادي عشر) عن مسألة**:** "وكذا لو كان قد عمل **بها شذوذ من الناس**، واشتهر في الأمة العمل بخلافها في أمصار المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم؛ فإن الأخذ بما عليه عمل المسلمين هو المتعين؛ فإن **هذه الأمة قد أجارها الله أن يظهر أهل باطلها على أهل حقها**، فما ظهر العمل به في القرون الثلاثة المفضلة فهو الحق، وما عداه فهو باطل".

فهذه آية من آيات الله: فأين ظهور باطل المغامسي على أهل الحق، وقد ذلقوه وأزهقوا باطله، ولم يأت بأية حجة إلا وهي داحضة: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ولا يأتي المبطلون بباطل إلا في كتاب الله ما يزهقه: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

الموضع الخامس عشر.

دعوى المغامسي أن الشعراوي أتى بفريدة من فرائد العلم؛ فانفرد بتفسيره لما ورد في الحديث القدسي: «إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به»، والشعراوي لم

ينفرد به لقوله في تفسيره : "**قالوا**"، وهـو قطعي في نقله عن غيره:

فقد قال محمد متولي الشعراوي - في ما عناه المغامسي - عند قوله - تعالى - الآية: (35)، في سورة الأحزاب: ﴿..وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾: "ثم ذكر الحق - سبحانه - تكليف الصوم : ﴿..وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾، والصوم أخذ حُكْماً فريداً من بين أحكام التكاليف كلها، والحق - سبحانه - جعل لكل تكليف من التكاليف (كادر خاص) [كذا] في الجزاء إلا الصوم، فليس له (كادر) محدد، لذلك قال عنه الحق - سبحانه -: «إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به»، يعني: قرار عالٍ فوق الجميع، فلماذا أخذ الصوم هذه المنزلة؟!. **قالوا**: **لأن الصوم هو العبادة الوحيدة التي لم يعبد بها بشرٌ بشراً أبداً**".

فالخطـأ هنـا ليس خطـأ الشـعراوي بحـال - فقـد قـال: "قـالوا"، كمـا تـرى -، في تفسـيره للحـديث القدسـي تحت تفسـير الآيـة، وإنمـا يتحملـه صـالح بن عـواد المغامسي الـذي افـترى عليـه وغلا فيـه وادعى لـه من الإنفراد عن غيره ما ليس له؛ فقد قال عن الشـعراوي: ".. من أعظم من منّ اللـه عليـه بهـذا الأمـر [أي: التفسـير] الشـيخ الشـعراوي - رحمـه اللـه تعـالى - **وبعض الناس يأخذ على الشعراوي ملاحظـات، لا يوجد أحد ما عليه ملاحظات، وإن أصـاب في**

أشياء؛ ففي أشياء كل الناس عنـدهم إصـابات وأخطــاء، ونحن لا نتكلم في عقيــدة إنســان ميت أو في عقيدة إنسان موجود أو غائب، أنـا أتكلم عن علم!!.

الرجل إذا فسر القرآن يفسره بأشياء عجيبة، وأنا أذكـر لكم موقـف [كـذا] حصـل لي السـنة هـذي في الحج.. فسـألني أحـدهم عن المفسـرين.. قلت - هـذا دين لـو جـاني واحـد لا أخشـاه -: من من اللـه عليـه بتفسـير القــرآن الشــعراوي، الرجــل إذا تكلم شــيء عجيب - كأنهم تغيرت.. مـا هم راضـين [كـذا]-، فسـألته سـؤال [كذا]، قلت له يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنـا أجـزي به»، مـا تفسـير هـذا الكلام قـال: «إلا الصـوم» يعـني: عبـادة مـا فيهـا ريـاء وإخلاص، قلت: **مـا فيـه يدخلها الرياء مثل الصـوم**..[؟!!]، فســكت، فقلت له - عمداً أنا.. - أقول لـك مـا قالـه الشـعراوي فيهـا؟، قال: ماذا قال؟، قلت: قال الشعراوي: (أن [كـذا] اللـه خص الصوم؛ لأنه عبادة لم يعبد غير الله بها) .."، وأخـذ المغامسي - الكاذب - يتفلسـف وأطـال في الكلام في واد سحيق بعيداً عن العلم والعلماء، بما لا طائـل تحتـه إلا التيـه في الجهالـة؛ لـيرد على كـل من قـال بخلاف جهله، وليس معه على قولـه أحـد من أهـل العلم، ومـا ادعاه لممدوحه قال به العلماء وممدوحه لم ينفـرد بـه،

بل - هو نفسه -نفى انفراده به - كما رأيت - فقال: "**قالوا**"، أي: العلماء.

وقال عن السائل المسئول - الجاهل في المسألة -: "من أدبه - رجل فاضل - أخذ ورقة وكتبها وقال هذه والله فريدة من فرائد العلم"!!.

وقال المغامسي في موضع آخر: هذا الذي يعتقده ويدين به ولم ينسبه إلى الشعراوي، وبعد ما ذكر المشهور عند العلماء من تفسيرهم لقوله - تعالى -: «.. إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»، قال: "وهذا وإن اشتهر بين العامة والخاصة إلا أنه غير صحيح"، هكذا ضرب بأقوال العلماء عرض الحائط!!، ولم يلتفت إلى تفسير الحديث القدسي لنفسه، وهو قوله - تعالى - فيه: «يدع شهوته وطعامه من أجلي».

وهذا الذي قاله عن الشعراوي لم يكن من فرائد أحد، بل قال به الأقدمون قبل الآخِرين، وإن زعم زوراً أنه قال به ممدوحه الشعراوي وحده منفرداً به - على ما تقدم وما سنبينه -.

أيها المائح دلوي دونكا إني رأيت الناس يمدحونكا

فإن يك جثماني بأرض سواكم فإن فؤادي عندكِ الدهرَ أجمعُ

وهو قد مات الآن:

ولست أبالي بعد فقدي مالكاً أموتي ناء أم هو الآن واقع

□ □ □

لا تنه عن خلق وتأتي مثلـه عار عليك إذا فعلت عظيم

□ □ □

إذا رضـيت علي بنـو قشـير لعمـر أبيـك أعجبني رضاها

ولــو صــح مــا قالــه المغامســي: من قولــه أو قــول الشعراوي لقلنـا: "جـوهرة في مزبلـة"، ومن اللطـائف التي رواها ابن عبد ربه (في/ العقـد الفريـد) أن الإمـام عبد الله بن المبارك سمع

سكراناً يغني ويقول:

أذلني الهوى فأنا الذليل وليس إلى الـذي أهوى سبيل

فأخرج ورقـة وكتب الـبيت، وحين قيـل لـه: أتكتب بيت شـعر سـمعته من سـكران، قـال: أمـا سـمعتم المثـل: "رب جــوهرة في مزبلــة"، قــالوا: بلى، قــال: فهــذه جوهرة في مزبلة.

ولا أنت ولا هو لا يقال فيكما:

فمن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرأ نبلاً أن تعد معائبه

لأن الذي تعد معائبه قليلة معائبه إلى جانب نبله الكثير، أما أنتما فمعائبكما لا تعد لكثرتها.

وقد أعجب بالشعراوي؛ لأنه يفسر القرآن بعقله كما هي حاله هو، ولذلك أخذ مسلكه ومسلك محمد الغزالي؛ لأنهما على طريقة المعتزلة العقلانيين.

وكما يقال في الأمثال: "وافق شن طبقة"، و"شبه الشيء منجذب إليه".

قلت: فيجب على المسلم الضنين بدينه أن يحذر هذا الرجل، وأن لا يثق بشيء ينسبه إلى الدين؛ فإنه لا يعرفه إلا من عرفه ولا يخبره إلا من خبره، ولا يجوز أن يغتر أو يعتد بمدحه للأشخاص؛ فهو لا يمدح ممدوحاً في دينه ومنهجه، وقد يذم ممدوحاً في دينه ومذهبه، بل يجب الحذر من مدحه للشخص فهو لا يرد يد لامس في مدح أهل الضلال.

أما كلام العلماء في عبارة الحديث القدسي الشريف - الذي ادعى المغامسي تفرد الشعراوي به دون غيره - فهو الآتي:

فقـد قـال النـووي **-** رحمـه اللـه **-** (في/ شـرحه على صحيح مسلم)**:** "قوله صـلى اللـه عليـه وسـلم**:** «قـال الله - تعالى -: كل عمل ابن آدم لـه إلا الصـيام هـو لي وأنا أجزي به».

اختلف العلماء في معناه، مع كون جميع الطاعات لله **-** تعالى **-**:

[**1**] **فقيل**: سبب إضـافته إلى اللـه **-** تعـالى **-** أنـه **لم يعبد أحد غـير الله -** تعـالى **- به**، فلم يعظم الكفـار في عصر من الأعصار معبـوداً لهم بالصـيام، وإن كـانوا يعظمونه: بصورة الصلاة، والسـجود، والصـدقة والـذكر وغير ذلك.

[2] و**قيل**: لأن الصوم بعيد من الرياء؛ لخفائــه، بخلاف الصلاة، والحج، والغزو، والصدقة وغيرهـا من العبـادات الظاهرة.

[3] و**قيل**: لأنه ليس للصـائم ونفسـه فيـه حـظ، قالـه الخطـابي، قـال: وقيـل: إن الاسـتغناء عن الطعـام من صفات الله **-** تعالى **-**، فتقرب الصائم بمـا يتعلـق بهـذه الصـفة، وإن كـانت صـفات اللـه **-** تعـالى **-** لا يشـبهها شيء.

[4] و**قيل**: معنـاه: أنـا المنفـرد بعلم مقـدار ثوابـه أو تضعيف حسناته، وغيره من العبادات أظهر **-** سـبحانه **-** بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها.

[5] **وقيل**: هي إضافة تشريف، كقوله - تعالى -: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾، مع أن العالم كله لله - تعالى -.

وفي هذا الحديث بيان عظم فضل الصوم وحث إليه".

وقـال الحافـظ ابن حجـر - رحمـه اللـه - (في/ فتح البـاري): "قـال القرطـبي: لمـا كـانت الأعمـال يـدخلها الريـاء والصـوم لا يطلـع عليـه بمجـرد فعلـه إلا اللـه فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحـديث: «يـدع شهوته من أجلي» وقال ابن الجـوزي: جميـع العبـادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شـوب، بخلاف الصوم. وارتضى هذا الجواب المازري، وقرره القرطبي بأن أعمال بني آدم لما كانت يمكن دخـول الريـاء فيهـا أضيفت إليهم، بخلاف الصوم فإن حال الممسـك شـبعاً مثل حال الممسك تقرباً يعني في الصورة الظاهرة.

ثانيها: أن المراد بقولـه: «وأنـا أجـزي بـه»، أني أنفـرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته.

وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس.

قال القرطبي: معناه: أن الأعمـال قـد كشـفت مقـادير ثوابها للنـاس وأنهـا تضـاعف من عشـرة إلى سـبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن اللـه يـثيب عليـه بغـير تقدير.

ويشـهد لهـذا السـياق الروايـة الأخـرى، يعـني: روايـة الموطـأ، وكـذلك روايـة الأعمش عن أبي صـالح حيث

قال: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله - قال الله - إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»، أي: أجازي عليه جزاء كثيراً من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ثالثها: معنى قوله: «الصوم لي»، أي: أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي، وقد تقدم قول ابن عبد البر: كفى بقوله: «الصوم لي» فضلاً للصيام على سائر العبادات، وروى النسائي وغيره من حديث أبي أمامة مرفوعاً: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له»، لكن يعكر على هذا الحديث الصحيح: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة».

رابعها: الإضافة إضافة تشريف وتعظيم كما يقال: (بيت الله)، وإن كانت البيوت كلها لله.

قال الزين بن المنير: التخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يفهم منه إلا التعظيم والتشريف.

خامسها: أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب - جل جلاله -، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه.

وقال القرطبي: معناه: أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات

الحـق، كأنـه يقـول: إن الصـائم يتقـرب إلي بـأمر هـو متعلق بصفة من صفاتي.

سادسـها: أن المعـنى: كـذلك، لكن بالنسـبة إلى الملائكة؛ لأن ذلك من صفاتهم.

سابعها: أنه خـالص لله وليس للعبـد فيـه حـظ، قالـه الخطابي، هكذا نقله عياض وغيره، فإن أراد بالحـظ مـا يحصل من الثناء عليه لأجـل العبـادة رجـع إلى المعـنى الأول، وقـد أفصـح بـذلك ابن الجـوزي فقـال: المعـنى: ليس لنفس الصائم فيه حظ بخلاف غيره؛ فإن لـه فيـه حظاً لثناء الناس عليه لعبادته.

ثامنها: سبب الإضافة إلى الله: أن **الصيام لم يعبـد به غير الله**، بخلاف الصلاة، والصدقة، والطواف ونحو ذلك.

واعترض على هذا بما يقـع من عبـاد النجـوم وأصـحاب الهياكل والاستخدامات، فإنهم يتعبدون لها بالصيام.

وأجيب بأنهم لا يعتقدون إلهية الكواكب، وإنما يعتقـدون أنها فعالة بأنفسها، وهـذا الجـواب عنـدي ليس بطائـل؛ لأنهم طائفتان، **إحداهما** كـانت تعتقـد إلهيـة الكـواكب وهم من كـان قبـل ظهـور الإسـلام، واسـتمر منهم من استمر على كفره.

والأخـرى من دخـل منهم في الإسـلام واسـتمر على تعظيم الكواكب وهم الذين أشير إليهم.

تاسعها: أن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام.

عاشرها: أن الصوم لا يظهر فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال.

واتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولاً وفعلاً.

هذا ما وقفت عليه من الأجوبة، وقد بلغني أن بعض العلماء بلغها إلى أكثر من هذا..

وأقرب الأجوبة التي ذكرتها إلى الصواب: **الأول**، و**الثاني**، ويقرب منهما: **الثامن**، و**التاسع**".

قلت: وسئل العلامة صالح بن فوزان الفوزان عن معنى قول الله - تعالى - في الحديث القدسي - الذي رواه البخاري ومسلم -: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»، لفظ البخاري، وعنده: «الصيام» - أيضاً -، موافقاً لمسلم.

فأجاب: "هذا حديث عظيم وثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه - عز وجل - أنه قال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»؛ فهذا الحديث فيه فضيلة الصيام ومزيته من بين سائر الأعمال، وأن الله اختصه لنفسه من بين أعمال العبد. وقد أجاب أهل العلم عن قوله: «الصوم لي وأنا أجزي به» بعدة أجوبة:

منهم من قال: إن معنى قوله - تعالى -: «الصوم لي وأنا أجزي به»: إن أعمال ابن آدم قد يجري فيها القصاص بينه وبين المظلومين، فالمظلومين يقتصون منه يوم القيامة بأخذ شيء من أعماله وحسناته كما في الحديث أن الرجل يأتي يوم القيامة بأعمال صالحة أمثال الجبال ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا أو أكل مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى إذا فنيت حسناته ولم يبق شيء فإنه يؤخذ من سيئات المظلومين وتطرح عليه ويطرح في النار إلا الصيام فإنه لا يؤخذ للغرماء يوم القيامة وإنما يدخره الله - عز وجل - للعامل يجزيه به ويدل على هذا قوله: «كل عمل ابن آدم له كفارة إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»، أي: أن أعمال بني آدم يجري فيها القصاص ويأخذها الغرماء يوم القيامة إذا كان ظلمهم إلا الصيام فإن الله يحفظه ولا يتسلط عليه الغرماء ويكون لصاحبه عند الله - عز وجل -.

وقيل: إن معنى قوله - تعالى -: «الصوم لي وأنا أجزي به» إن الصوم عمل باطني لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - فهو نية قلبية بخلاف سائر الأعمال فإنها تظهر ويراها الناس أما الصيام فإنه عمل سري بين العبد وبين ربه - عز وجل -؛ ولهذا يقول: «الصوم لي وأنا أجزي به إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»، وكونه ترك شهوته وطعامه من أجل الله هذا عمل باطني ونية خفية لا يعلمها إلا الله - سبحانه

وتعالى - بخلاف الصدقة مثلاً، والصلاة، والحج، والأعمال الظاهرة هذه يراها الناس، أما الصيام فلا يراه أحد؛ لأنه ليس معنى الصيام ترك الطعام والشراب فقط أو ترك المفطرات؛ لكن مع ذلك لابد أن يكون خالصًا لله - عز وجل - وهذا لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى -.

ويكون قوله: «إنه ترك..إلى آخره» تفسيرًا لقوله: «الصوم لي وأنا أجزي به».

ومن العلماء من يقول إن معنى قوله - تعالى -: «الصوم لي وأنا أجزي به» إن الصوم لا يدخله شرك بخلاف سائر الأعمال فإن المشركين يقدمونها لمعبوداتهم كالذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة، وكذلك الدعاء، والخوف، والرجاء، فإن كثيرًا من المشركين يتقربون إلى الأصنام ومعبوداتهم بهذه الأشياء، بخلاف الصوم فما ذكر أن المشركين كانوا يصومون لأوثانهم ولمعبوداتهم فالصوم إنما هو خاص لله - عز وجل - فعلى هذا يكون معنى قوله: «الصوم لي وأنا أجزي به» أنه **لا يدخله شرك**؛ لأنه **لم يكن المشركون يتقربون به إلى أوثانهم**، وإنما يتقرب بالصوم إلى الله - عز وجل -".

قلت: والمغامسي لنفيه هذا القول عن العلماء وجعله للشعراوي وحده وأنه من فرائده وانفراداته في العلم عن العلماء ومدحه له به، هو لجهله قد هضم العلماء حقهم وافترى عليهم، وتشبع للشعراوي بما ليس له

بحق، فصار هو المتشبع والمزور ولابس ثوبي زور، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»، رواه البخاري ومسلم.

وذكـره الشـيخ عبـد اللـه بن محمـد بن زاحم مسـاعد رئيس المحاكم بالمدينة - رحمه اللـه - وإمـام وخطيب المسجد النبوي (في/ خطب الجمع والأعياد التي ألقيت على منبر خير العباد).

هذا ما يرد على ما ادعاه المغامسـي للشـعراوي لأجـل الغلو فيه ومدحه والتشيع له والتشبع لـه بمـا لم يعـط، والشعراوي قد ذكر أن ذلك القول للعلماء ولم يدعه أو ينسبه لنفسه، وإنما قال: "**قالوا**.."، أي: العلماء،فغايـة ما يقال: إنه تخيره من أقوالهم أو اكتفى به، كما نوهنـا به من قبل.

ونص كلام الشعراوي - الذي قـدمناه ونعيـده تأكيـداً - قـال: "ثم ذكـر الحـق - سـبحانه - تكليـف الصـوم :..وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ، والصوم أخذ حُكْماً فريـداً من بين أحكام التكاليف كلها، والحق - سـبحانه - جعـل لكل تكليف من التكاليف (كادر خاص) [كذا] في الجزاء إلا الصوم، فليس لـه (كـادر) محـدد، لـذلك قـال عنـه الحـق - سـبحانه -: «إلا الصـوم، فإنـه لي، وأنـا أجـزي به»، يعني: قرار عالٍ فوق الجميع، فلمـاذا أخـذ الصـوم هذه المنزلة؟!.

قالوا: لأن الصوم هو العبادة الوحيـدة الـتي لم يعبد بها بشرٌ بشراً أبداً".

فهو كذب على الله بـدعواه أن من أعظم من من اللـه عليـه بـالعلم بالتفسـير الشـعراوي: "إذا فسـر القـرآن شـيء عجيب"، مـع ضـلاله فيـه، وهي مثيـل قـول المغامسـي عن نفسـه: "**بعـد أن منّ اللـه عليّ بالشهرة**"!!، وهي فتنة بينـة: يحكم بكونهـا فتنـة أهـل العلم والحـق، وكـذب - في ادعائـه للشـعراوي - على السائل وخدعه وضلله، وضلل المسـلمين، وكـذب على الشعراوي وكذب له!!.

على أن الشعراوي قد أخطأ في قوله: " **لم يعبد بهـا بشرٌ بشراً أبداً**"؛ فهو يخص البشر والذين نقلـوا هـذا القول لم يخصوا البشر دون المعبودات الأخـرى، وإنمـا قـالوا: لم يعبـد بـه غـير اللـه، أي: لم يتقـرب بـه، أي: الصوم إلى المعبودات، وهو غـير صـحيح، وقـد رُدَّ عليـه في ما سبق، وأنه وُجِد من تقرب به إلى معبوداتهم.

قلت: والمغامسـي - كمـا رأيت - يمتـدح الشـعراوي ويثني على علمه - في التفسـير - ويشـيد بـه ويـدافع عنـه ويـترحم عليـه، وهـو الـذي يعتقـد البـدع والشـرك ويدعو إليها، بل والوثنية ويفعلها،ويهـون من شـأن ذلـك ويحمل على أهـل السـنة والجماعـة وأهـل التوحيـد من أجل كلامهم على القبور وعبادها وكلامهم في التوحيـد، وقد رد عليه، أي: على الشعراوي سماحة الشيخ الإمام

عبـد العزيـز بن بـاز وغـيره من أهـل العلم، وهـو على ضـلاله في الشـرك إلى آخـر لحظـات حياتـه، وذلـك بشهادة ابنه عبد الرحيم، وقـد بينت كـل ذلـك تفصـيلاً في كتابي: (نبل القسـي في درء فتنـة صـالح بن عـواد المغامسي).

وهو ما يشير إليـه المغامسـي **بقوله**: " وبعض النـاس يأخذ على الشعراوي ملاحظات، لا يوجـد أحـد مـا عليـه ملاحظـات، وإن أصـاب في أشـياء؛ ففي أشـياء كـل الناس عندهم إصابات وأخطاء"!!.

وليس الواقع كذلك؛ بـل هـذه شـهادة زور؛ فـإن هـذا لا يقال في من هذه حاله، وإذا قيل فيه: كان تمييعاً للولاء والبراء في الدين، وتهويناً من أمر العظـائم في الـدين: التوحيد والعقيدة في ما فيه الشرك، وقد قـال - تعـالى -: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾, وآيات الـولاء والـبراء في كتاب الله أكثر من مئة آية؛ فهو تدليس وضلال وتضليل مبين وضياع من هذا المغامسـي، أرى اللـه المسـلمين فيه ما يجعله عبرة لكل معتبر.

وقوله:"ونحن لا نتكلم في عقيـدة إنسـان ميت أو في عقيدة إنسان موجـود أو غـائب، أنـا أتكلم عن علم!!."، وهو يتكلم عن جهـل وهـوى ولا يفـرق - لجهلـه وفسـاد مشـربه - بين الكلام الـذي لا يجـوز في الأمـوات وبين بيان ضلالهم الـذي لا يمـوت معهم ويُنَسَـب إلى الـدين؛ بياناً للحق وخدمة للشريعة ونصيحة للأمة، وهو من باب

الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر، الـذي من أجلـه أرسـلت الرسـل وأنـزلت الكتب، وهـو بهـذا يـرد عليهم وعلى رسـالاتهم، وقولـه تـوهين وتهـوين لهـذا الأمـر، وتلبيس على الناس من العامة وتجهيل للعلماء.

ومـا **قوله**: "أنـا أتكلم عن علم"!!، إلا من بـاب "كـاد المريب أن يقول خذوني"!!.

وقد رد على المغامسي - صوتياً - الشـيخ عبـد اللـه بن محمـد الغنيمـان لترحمـه على البوصـيري، وأنـه مثلـه ولاشـــك في تصـــوفه، أي: تصـــوف المغامســـي، والشعراوي حاله كحال البوصيري، وهو شـيخه وقدوتـه في شركياته وكفرياته.

ورد عليـه - أيضـاً - كـذلك - صـوتياً - لترحمـه على البوصيري الدكتور عبد اللـه بن عبـد الـرحمن الجربـوع ورد عليه غيرهما من أهل العلم.

وقـد فصـلت القـول في الـرد عليـه في ترحمـه على البوصيري في كتابي (نبل القسي..).

ومنذ سـنوات كنت أُلقي دروسـاً ومحاضـرات في دورة في حفر الباطن وسـجل عـني حـديثاً في الشـعراوي - وكـان آنـذاك حيـاً - وفي الحـديث بيـان لبعض بدعـه وشـركياته ووثنياتـه والتحـذير منهـا وأنـه طـاغوت من الطـواغيت، وقـد ذهب بالشـريط أخـوة من الكويتـيين ونشروه هناك فاستغرب الناس من ما فيه.

ثم في مـا بعـد، وبعـد هلاك الشـعراوي عرضـت في الكـويت - في شـهر رمضـان - تمثيليـة تحكي حياتـه، وتبين منها للعامة ما كنت ذكرته عنه فقـال النـاس لقـد صدق الشيخ فالح في ما قال؛ فاتصل بي أحد الأخـوة - من الكويت أثناء العرض - يخبرني بذلك.

وكان سماحة شيخنا عبد العزيز بن عبد الله بن بـاز قـد دعاني على الغداء في بيته - لما جئت من المدينـة إلى الرياض - فأعطيتـه نسـخة مصـورة عن مـا في كتـاب: (الشعراوي يبوح بأسراره مع السـيدة زينب والحسـين، لسـعيد أبـو العيـنين)، وفيـه شـرك جلي في الربوبيـة والألوهية وتخريفات عجيبة، من ما ذكرته في مـا سـبق وما سأذكره في ما يلحق.

وحضر الغداء العلامة ابن عثيمين فسلمته نسخة أخـرى - أيضاً -؛ ولذلك لما هلك الشـعراوي لم يعـز الشـيخان فيه؛ لما رأياه - في ذلك الكتاب - من شركياته ووثنياته وتخريفاته.

وفي آخر أعداد صحيفة (المسلمون) الـتي أوقفت منـذ سـنوات - وكـان يـرأس تحريرهـا حين أوقفت الـدكتور عبد الله الرفاعي - نشر أحد مشايخ الأزهر مقـالاً ينكـر فيـه إعلان مجـالس الصـوفية في مصـر أن الشـعراوي من الأوليـاء، وأنكـر تقـريب القـرابين من أنحـاء مصـر لقبره الذي في قريته (دقادوس) بجانب مسجده الـذي بناه في حياته وأوصى أن يدفن هناك.

ويقول: عبدالرحيم ابن الشيخ الشعراوي - متحدثاً عن والده عند وفاته - في حواره مع مجلة الوطن الكويتية: "جـاءت السـاعة الموعـودة .. **وفجـأة نظـر إلى السقف محيياً بالأسياد والأئمة** [وقال] **مدد يا أهل البيت**[!!] ثم قال فجـأة: **أنت جاي ليه**: أشـهد أن لا إله إلا الله **وأنك محمد رسول الله**"؛ فقضى.

وهذا سوء خاتمة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالخواتيم»، بل أسوأ الخاتمة؛ فإنه لم يلهم الشهادة الحقة: (شهادة أن محمداً رسول الله) فآخر ما قاله في حضرة الشياطين التي هي معبوداته التي يعبدها طول حياته ويدعوها من دون الله ويقدم القرابين لها، لا لله، ووصفها: بأهل البيت، وطلب منها: المدد، الذي لا يطلب في هذه الحال وفي مالا يقدر عليه المخلوق إلا من الله، وفي ما سمعه منه ابنه عبد الرحيم - وصوتياً - في شهادته لذلك الشيطان الذي ظهر له وزعم أنه النبي: "أنت جاي ليه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك محمد رسول الله"، والنبي لا يأتي في اليقظة، والشيطان لا يتمثل به في المنام.

فالذي كان يشير إليه الشعراوي لم يكن إلا شيطاناً تمثل له وخلط عليه عند موته، ولم يكن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعاً، ولما رآه قال: "أشهد أنك محمد رسول الله"، ولم يقل: أشهد أن محمداً رسول الله؛ إذاً فهو شهد لغير رسول الله أنه رسول الله.

وصدق الله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

وقد رأيت على الشبكة العنكبوتية رداً على المغامسي في هذه المسألة، نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم.
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد: فإن من قواعد الدين وأصوله، تبيين الحق للخلق، ورد الباطل ودفع لبسه بالحق.
وهذا من أعظم الجهاد في سبيل الله؛ وليس هذا كما يظنه البعض من أكل لحوم الناس، ومن الغيبة المحرمة.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم، واجب باتفاق المسلمين؛ حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم و يصلي ويعتكف، أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام واعتكف فإنما هو لنفسه، و إذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله إذ تطهير سبيل الله و دينه و منهاجه و شرعته و دفع بغي هؤلاء و عدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ..إلى آخر كلامه). [مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٣١ -٢٣٢]

ومن هنا أحب أن أبين فساد مقطع منتشر للداعية: صالح بن عواد المغامسي، قال فيه ما قال من

باطل، وانتشر هذا في وسائل التواصل، فكان واجبًا على من عنده المعرفة، البيان والتبيين، والنصيحة للمسلمين.
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة. قيل لمن يارسول الله؟ قال:لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».
أخرجه مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري.

فهذا البيان من أجل النصح والإرشاد، والدلالة على الخير، والتحذير من الشر، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وقبل الشروع في الرد نأخذ ماقاله المغامسي وملخص ذلك:

أنه أثنى على تفسير الشعراوي وأنه ممن فتح الله عليه في هذا الباب، وأنه - أي: المغامسي- لا يتكلم في عقائد الناس سواءً كانوا أحياءً أو أمواتًا! ثم ذكر قصة حصلت له في الحج، وهي: أن رجلاً جاءه يسأله عن المفسرين فمدح المغامسي للرجل السائل الشعراوي - وجعل هذا من باب الصدع بالحق - فتغير وجه الرجل كأنه غير راض!!.
فتوجه المغامسي بالسؤال لهذا الرجل عن معنى الحديث القدسي: «إلاَّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» فأجاب الرجل بأن معناه: عدم دخول الرياء فيه.
فاعترض عليه المغامسي بأن الصوم أكثر عبادة يدخل فيها الرياء!!.
وضرب على ذلك أمثلة منها:
أن الرجل يكون في دوامه في الأيام البيض مثلاً، فيؤتى له بالطعام فلا يأكل ولا يشرب، فيعرفون أنه صائم لأنه لم يأكل، واليوم يوم صيام..الخ
ثم ذكر قول الشعراوي في الحديث مظهراً براعة

الشعراوي في الاستنباط قائلاً: الشعراوي فسره بأن الصوم عبادة لم يعبد بها غير الله خلاف الصلاة والزكاة والطواف وغيرها.
فأخذ الرجل ورقة وكتب:هذه فريدة من فرائد العلم!!.

فالرد على المغامسي في هذا الكلام من عدة وجوه، فأقول مستعينًا برب العباد، راجيًا منه التوفيق والسداد:
أولاً: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، رواه البخاري ومسلم.
فكل يحن إلى صنفه وجنسه من الخير والشر، والحق والباطل.
فالمغامسي ثناؤه على المتصوفة وغلاتهم، ليس وليد الليلة، فالرجل له ثناءات على الصوفية، فقد أثنى على الهالك البوطي، وأحمد الكبيسي - عامله الله بعدله - وأثنى على البوصيري صاحب قصيدة البردة التي فيها الشرك الأكبر الصراح، والكفر الأكبر البواح!!.
وترحم المغامسي عليه، وبعد مناصحته أصر وترحم عليه مرةً ثانيةً!!.
وهذا الثناء على الصوفي المعروف الشعراوي، ليس هو الثناء الوحيد منه عليه، فقد أثنى عليه أكثر من مرة، مع علمه بصوفيته وانحرافه؛ فالأرواح جنود مجندة، وهذا غير تقريرات المغامسي التي فيها من التصوف وأنكرها عليه أهل العلم؛ نسأل الله العافية.
وهذا الشعراوي معروف بعدائه لدعوة التوحيد والسنة، وقدحه فيها وفي أهلها، وذلك لأنها قطعت دابر المشركين والمبتدعين، بالكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

وليس المقام بيان ماهو عليه من الضلال، لكنها إشارة يعرفها من عرف الحق وأهله.
ثانيًا: لو كان المغامسي في جوابه ناصحًا لعباد الله، لأوصى السائل بالمفسرين الثقات، الذين خلت تفاسيرهم من البدع والخرافات، والانحراف والضلالات، كتفسير الطبري، والبغوي، وابن كثير، وغيرهم من السابقين.
ومن المعاصرين من العلماء الربانيين، السالمين من الضلالات والانحرافات، كتفسير السعدي، وتفسير الشنقيطي، وتفسير العثيمين، وتفسير الفوزان، وإن كانت بعض هذه التفاسير لم تكتمل، لكن فيها خير عظيم، وعلم غزير، وتقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة، والبراءة من ضدها.
فسبحان الله لم يجد المغامسي إلاَّ الشعرواي فيثني على تفسيره!!.

ثالثًا: قوله: إنه لا يتكلم في عقيدة أحد!!.
فهذا قول فاسد، وتضييع للعقيدة، فالكلام في العقائد تكلم فيه الأئمة، وألفوا المؤلفات من أجله، وبدعوا، وضللوا، وكفروا، كل على حسبه؛ فجزاهم الله خير الجزاء.
لكنه على غير سبيل خير الأنام، وطريق الأئمة الأعلام.

رابعًا: ما نقله عن الشعراوي في تفسير الحديث مظهرًا براعته في الاستنباط، مروجًا له، بأن الحديث معناه: أن الصوم عبادة لم يعبد بها غير الله.
فيرد عليه من وجهين:
الأول: هذا القول قال به أناس قبل الشعراوي، فليس قوله استنباطًا جديدًا حتى يمدح به!!.
الوجه الثاني: هذا القول غير صحيح أصلاً، وإن قال

به البعضُ؛
وذلك: لأن عباد الكواكب يصومون من أجلها!.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري في شرحه لهذا الحديث، وقد ذكر عشرة أقوال، وذكر أن الأقوال أكثر مما ذكر، ولكن هذا ما وقف عليه قال:

ثامنها: سبب الإضافة إلى الله أن الصيام لم يعبد به غير الله، بخلاف الصلاة والصدقة والطواف ونحو ذلك.
واعترض على هذا بما يقع من عبّاد النجوم وأصحاب الهياكل والاستخدامات، فإنهم يتعبدون لها بالصيام...الخ. [فتح الباري: ٤/٦٠٠ - ٦٠١].

إذاً تبين لنا: أن القول ليس من الشعراوي، بل هناك من سبقه، وتبين أن هذا القول غير صحيح، لوجود من يعبد غير الله بالصيام.

فانتقض ماقاله المغامسي وأثنى به على الشعراوي.

خامسًا: أما ما أنكره على السائل في تفسيره للحديث بأن الصيام لا يدخل فيه الرياء، فما ذكره السائل قول معتبرـ عند أهل العلم، وذكره ابن حجر في مقدمة الأقوال التي ساقها رحمه اللهُ.
وأما ما اعترض به المغامسي على السائل بأن الصيام أظهر عبادة يقع فيها الرياء، فهذا غير صحيح، ومخالف للواقع.
وماضربه من أمثلة فهي عوارض، لا يقصد بها أهل العلم في قولهم ما فهمه المغامسي.

قال الحافظ ُابن حجر - رحمه الله -: (ومعنى قوله: لا رياء في الصوم، أنه لا يدخله الرياء بفعله، وإن

كان قد يدخله الرياء بالقول، كمن يصوم ثم يخبر أنه صائم فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية، فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار، بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء يدخلها بمجرد فعلها. [فتح الباري: ٤/٥٩٩]

سادسًا: أنه مهما كانت عند الشعراوي من فوائد، فليس معنى ذلك عدم التحذير منه، ومن باطله وتصوفه وضلاله العظيم.
وليس معنى ذلك: أن نوصي الناس به، بسبب فوائد عنده.

فكم من رجل غزير العلم، لايبلغ الشعراوي مبلغه، عنده من الفوائد الكثيرة، ومع ذلك لم يوص العلماء به، وذلك: بسبب ضلاله وانحرافه، وحتى لا ينخدع الناس به، فيتشربوا بدعته وضلاله خاصةً العامة منهم.
لذلك كما ذكر المغامسي أن السائل الذي أتاه أخرج ورقة وسجل هذه الفريدة العلمية - كما ظن - فهذا بسبب تغرير المغامسي له، لقلة علم السائل وثقته به، فالله المستعان.
سابعًا: أن الشعراوي أفسد في التفسير، وقلل شأنه، بإدخاله العامية فيه، فكلام الله شأنه أرفع وأكبر من تفسيره بالعامية، وليس معنى ذلك أن نقول للمفسرين: تنطعوا في الكلام، وهاتوا غرائب الألفاظ، ولكن لزوم الطريقة الصحيحة، والجادة السوية، التي سلكها الأئمة المهديون، والعلماء المرضيون.
وهذا فضلاً عن ضلالاته في التفسير، فكيف يمدح بما أفسد؟!.نسأل الله العافية.
كما أن للمغامسي أخطاءً كثيرة في غير هذا

المقطع، تحتاج إلى بيان، لعل الله يقيض من يوضحها دفاعاً عن دين الله.

فهذا ردٌ مختصرٌ، أردتُ به بيان الحق للخلق، والله الهادي إلى سواء السبيل.

وكتبه:
مبارك بن خليفة العساف.
عشاء السبت ٢١ صفر ١٤٣٦هـ.

وقد رددت على المغامسي هنا وفي كتابي (نبل القسي..) الذي احتوى على سبعة وثلاثين موضعاً من أخطاء المغامسي، في التفسير وغيره بما تقر به عين الأخ مبارك وعين كل سني.

والمغامسي يتبع الشعراوي ويقلده كيثراً في ضلالاته وعقلياته في التفسير؛ لأنه معجب به وعلى منهجه ومذهبه وطريقته، ولكنه لا ينسبها إليه، مثل ما ذكره الله - تعالى - من معاقبته لبني إسرائيل على علوهم مرتين كما في أول سورة: (الإسراء) وقد كان ذلك عند المفسرين: أن الإفسادين في ما مضى قبل الإسلام، الإفساد الأول: في قصة طالوت وجالوت، والإفساد الثاني: في قصة بختنصر، وهو يرى أن الإفسادين في الوقت الحاضر أو المستقبل، أي: في الإسلام, وقد تبعية - بعد توقف منه - للشعراوي، كما في المجلد: (14، من تفسيره: خواطر الشعراوي).

فليضف هذا إلى ما ما مضى.

ولم يتنبه الأخ مبارك - جزاه الله خيراً - أن المغامسي قد كذب على الشعراوي وله، كما بيناه، وأن سوى ما ذكره: هو عقلاني والشعراوي عقلاني،

ومن ضلالاته التي أشار إليها في التفسير أنه أشعري يؤول الصفات، وينكر عذاب القبر، على طريقة المعتزلة، وغير ذلك من المساوي والبلايا:

ومكلف الأيام ضد طباعها   مـتـطـلـب في المـاء جذوة نار

ومن الافتتان بالمغامسي أنه صاحب فذلكة وتفاصح، وفي بلاد علماؤ ها سلفيون يحضون هم ودولتهم على العلم وسؤال العلماء؛ فتعود الناس على ذلك ولذلك ظنوا أن المغامسي عالم على شاكلة أولائك العلماء، مع تباكيه وإظهاره الورع!!.

فيجب أن يعلم أنه لا علاقة له بعلم العلماء، ولا منهج أهل السنة والجماعة، بل هو عدو ألد حاقد كاشح على أهل السنة كشيخه وصاحب مشربه ومكرعه الصوفي محمد متولي الشعراوي.

ولا يعرفه إلا من عرفه ولا يخبره إلا من خبره، كما قال الإمام أحمد في حارث القصير، أي: المحاسبي (ففي/ طبقات الحنابلة: 1/234): "

وأخيراً أقول: إن للمغامسي أشياء قبيحة كثيرة جداً غاية في القبح في تفسيره للقرآن - تفسيراً باطلاً - والتي يُري أنه بها أتى بما لم يأت به الأوائل - غير ما تقدم -، وقد رُدَّ على بعضها ردود مفردة، ومنها ما لم يرد عليه.

والذي ذكرنـاه من تلـك الضـلالات مجـرد تنبيـه: حمايـة للشريعة ونصـيحة للأمـة، وبقي الكثـير والكثـير، ويـأتي

المغامسي في كل حين بالجديد من الضلال وفضيحة نفسه، بدومومة واستمرار، منطبقاً عليه قول الحطيئة:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً بسوء فما أدري لمن أنا قائله

وقد انفضح جهله وفساد معتقده وضلاله البعيد عن طريق الإعلام؛ حتى ينكشف أمره ويتبين حاله وتخرج خبيئته على رؤوس الأشهاد، وهذه آية من آيات الله لحفظ دينه والإمكان ممن يحرفه ويجترئ عليه.

جاء شقيق عارضاً رمحه إن بني عمك فيهم رماح

فالمغامسي لا يعرف سنة الله في حفظ هذا الدين وهتك ستر من يتجرأ عليه ويطهره من أوضاره ومكائده وإلا لما تبع جهله وشيطانه وتعدى على الدين، ولكنها سنة الله - تعالى - وقد قال - سبحانه -: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

تلك الفتنة التي افتتن وفتن بها المغامسي وهي الشهرة التي قال عنها (في لقائه في برنامج/ في الصميم، ونشرته صحيفة سبق الإلكترونية): ".. **بعد أن منّ الله عليّ بالشهرة**"!!.

ومن ما أتي منه المغامسي وأمثاله، وتستطيع إخراجه من طـرحهم وتقريـراتهم، مـا قالـه شـيخ الإسـلام ابن تيمية (كما في/ مجموع الفتاوى: 2/102): "وقد عدلت (المرجئة) في هـذا الأصـل [الإيمـان] عن بيـان الكتـاب والسـنة، وأقـوال الصـحابة والتـابعين لهم بإحسـان، واعتمـدوا على رأيهم وعلى مـا تـأولوه بفهمهم اللغـة، وهذه طريقة أهل البدع؛ ولهذا كان الإمام أحمد يقول : أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس.

ولهذا تجد المعتزلة، والمرجئة، والرافضة، وغـيرهم من أهـل البـدع يفسـرون القـرآن بـرأيهم ومعقـولهم ومـا تأولوه من اللغة؛ ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين وأئمـة المسلمين؛ فلا يعتمدون لا على السـنة ولا على إجمـاع السـلف وآثـارهم؛ وإنمـا يعتمـدون على العقـل واللغـة، وتجـدهم لا يعتمـدون على كتب التفسـير المـأثورة والحـديث؛ وآثـار السـلف، وإنمـا يعتمـدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رءوسهم وهذه طريقة الملاحدة - أيضاً -؛ إنمـا يأخـذون مـا في كتب الفلسـفة وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثـار؛ فلا يلتفتون إليها.

هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء إذ هي عندهم لا تفيد العلم، وأولئك يتـأولون القـرآن بـرأيهم وفهمهم بلا آثـار

عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه"، وهذا ما بلونا المغامسي فوجدناه عنده.

وما ذكرناه كافٍ في التحذير من جهالاته وخزعبلاته وأطروحاته البعيدة في التيه بمنأى عن العلم والدين، بل - وأحياناً - عن العقل، وهو منشور ومشهود، ودليل على جهل وسوء معتقد وفساد مشرب، وعظيم فتنته أنه يتكلم في العلم!!؛ فيصدق فيه: "من دخل في غير فنه أتى بالعجائب"، والمبتدع يأتي بما هو أعجب، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل البدع، بعد أن ذكر افتراق الأمة: «..وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله».

ولقد أفسد وأساء كثيراً، وضل وأضل كثيراً وأحل الناس دارالبوار.

مساوٍ لو قسمن على الغواني لما أمهرن إلا بالطلاق

وهذه التخبيطات والتخليطات والجهالات والشذوذات من شأن الجزائري والمغامسي.

وقد قال الحسن البصري - رحمه الله -: "أدركتُ قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون:

من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر من مـا يصلحه".

وقال: "رأيت أقواماً من أصحاب رسول الله صلى اللـه عليه وسلم **يقولون: من عمل بغير علم كـان مـا يفسده أكثر من ما يصلحه، والعامل بغـير علم كالسائر على غير طريق، فـاطلبوا العلم طلبـاً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلبـاً لا يضـر بالعلم**".

وقـال الخليفـة الراشـد والملحـق بالخلفـاء الراشـدين الأربعة: عمر بن عبد العزيز **-** رحمه الله **-**: "**من عمِل في غـير علمٍ، كـان مـا يفسـده أكـثر من مـا يصلحه**" **-** وقد تقدم **-**، وورث هـذا عن السـلف، كمـا نقل عنهم القول به الحسن البصري، وغيره.

وقال الإمام أبو سعيد عبـد السـلام الملقب بسـحنون **-** رحمـه اللـه **-** (كمـا في تـرتيب المـدارك ص: 611)ـ **-** مستفهماً استفهام تقريـر؛ جوابـاً لمن قـال لـه: البدعـة فاشية وأهلها أعزاء **-**: "**أما علمت أن اللـه إذا أراد قطع بدعة أظهرها**؟!!".

وقـال الإمـام ابن بطـة (في الإبانـة الكـبرى: 2/596): "فـإن هـذه الفتن والأهـواء قـد فضـحت خلقـاً كثـيراً، وكشفت أستارهم عن أصول قبيحة".

وكان مما كتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في سجنه (كما في العقود الدرية ص: 287): "**ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**".

وقال - رحمه الله - (كما في مجموع الفتاوى: 11/434) عن أهل الكتابين: اليهود والنصارى: "لبسوا الحق بالباطل، وهذا هو التبديل والتحريف الذي وقع في دينهم، ولهذا **يتغير الدين بالتبديل تارة وبالنسخ أخرى، وهذا الدين لا يُنسخ أبداً، لكن يكون فيه من يُدخل من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفاً عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فيحق الله الحق ويبطل الباطل، ولو كره المشركون.**

فالكتب المنزلة من السماء، والأثارة من العلم المأثورة عن خاتم الأنبياء يميز الله بها الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه".

وقال العلامة عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - (في تفسيره: 5/218)، عند قوله - تعالى -: ﴿بَلْ نَقْذِفُ

بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، الآية: "يخبر - تعالى - أنـه تكفـل بإحقـاق الحـق وإبطـال الباطـل، وإن كـل باطـل قيـل وجودل به فإن الله يـنزل من الحـق والعلم والبيـان مـا يدمغه فيضـمحل، ويتـبين لكـل أحـد بطلانـه: فَـإِذَا هُـوَ زَاهِــقٌ، أي: مضــمحل فــانٍ، وهــذا عــام في جميــع المسائل الدينية، لا يورد مبطل شـبهة عقليـة ولا نقليـة في إحقــاق باطــل أو رد حــق إلا وفي أدلــة اللــه من القواطع العقلية والنقلية ما يذهب ذلـك القـول الباطـل ويقمعه فإذا هـو متـبين بطلانـه لكـل أحـد، وهـذا يتـبين باستقراء المسائل مسألة مسألة فإنك تجدها كذلك".

قلت: ولقد سلك أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع النصوص الشرعية في تقرير مسـائل الاعتقـاد مسـلكاً قويماً ومنهجاً سديداً مبنياً على الكتاب والسنة وإجمــاع السلف الصالح، فكانت ثمراته اعتقاداً سليماً نقياً، وثباتاً على الحق، ومجانبة للأهواء المضلة، والبدع المهلكة.

ولما سلك أهـل الأهـواء والبـدع طريقـاً غـيره وخـالفوه وقعـوا فيمـا وقعـوا فيـه من الآراء الشـاذة والشـبهات، ومنهم هذا المغامسي، بل هـو من قـادة الضـلالة، كفى الله شره.

يقــول الشــاطبي - رحمــه اللــه - (في الاعتصــام ص: 107):ـ "**إن للراسـخين طريقـاً يسـلكونها في اتبــاع الحــق، وإن الــزائغين على طريــق غــير**

طـريقهم"، وهـو مـا يدعيـه المغامسـي ادعـاءاً دون حقيقة.

ويقــول شــيخ الإســلام ابن تيميــة (كمــا في مجمــوع الفتــاوى: 19/5):ـ "**الكتــاب والســنة والإجمــاع، وبإزائه لقوم آخـرين المنامـات والإسـرائيليات والحكايات**".

وهـو مـا ينتهجـه المغامسـي من جعجعـة، خادعـاً بهـا وبإظهاره للخشوع والورع، مبدياً المهارة بالتباكي.

إذا اشتبكت دمـوع في خـدود تـبين مــن بكى مـن مـن تـباكى

مع مخالفته للسنة وأهلهـا، وقـد قـال عنهم أبـو الظفـر السمعاني (في الانتصار: 1/45): إنهم على الحق وإنهم متفقون غير مختلفين، ونصه: "ومما يدل على أن أهــل الحـديث هم على الحـق: أنـك لـو طـالعت جميـع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قـديمهم وحـديثهم مـع اختلاف بلــدانهم وزمــانهم وتباعــد مــا بينهم في الــديار وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار وجــدتهم في بيان الاعتقاد:ـ

على وتــيرة واحــدة ونمــط واحــد، يجــرون فيــه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافــاً ولا تفرقــاً في

شيء ما وإن قل، بـل لـو جمعت جميـع مـا جـرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم:

وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليـل أبين من هـذا؟، قـال - تعـالى -: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَـدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾، وقال - تعـالى -: ﴿وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْـلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَـةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْـدَاءً فَـأَلَّفَ بَيْنَ قُلُـوبِكُمْ فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِـهِ إِخْوَانًا﴾"، وبين أن أهل البدع على العكس من ذلك.

قال الإمام أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي السجزيّ في رسالته لأهل زبيد في الرد على من أنكـر الحرف والصـوت (ص: 101): "ولا خلاف - أيضـاً - في أن الأمة ممنوعون من الإحداث في الدين، ومعلـوم أن القائل بما ثبت من طريق النقل الصـحيح عن الرسـول صلى الله عليه وسلم لا يسمى محدثاً؛ بل يسمى سـنياً متبعاً، وأن من قال في نفسه قـولاً وزعم أنـه مقتضـى عقله وأن الحديث المخالف له لا ينبغي أن يلتفت إليـه؛ لكونـه من أخبـار الآحـاد وهي لا تـوجب علمـاً، وعقلـه موجب للعلم يستحق أن يسمى محدثاً مبتـدعاً مخالفـاً، ومن كان لـه أدنى تحصـيل أمكنـه أن يفـرق بيننـا وبين مخالفينـا بتأمـل هـذا الفصـل في أول وهلـة، ويعلم أن أهل السنة نحن دونهم، وأن المبتدعة خصومنا دوننا".

وقال أبو المظفر السمعاني (في الانتصار لأصحاب الحديث: 1/82): "واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة: هو مسألة العقل: فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة، قالوا: الأصل في الدين: الاتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستسلاماً، وهذا معنى قول القائل من أهل السنة إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم".

وقد فصلت القول في الرد عليه - في التفسير وغيره - في كتابي: (نبل القِسي في درء فتنة صالح بن عواد المغامسي).

لقد هلك المغامسي بجهله وظلمه - إلا أن يتوب إلى الله - ولا شك أنه قد أهلك ويهلك، فانتبه أيها المسلم أن تنغمس مع المغامسي في انحرافه وضلاله، وأحذرك أن تنخدع بمعسول كلامه الذي ينطبق عليه:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها   عند التقلب في أنيابها العطب

قلت: وهذه نصيحة ثمينة تتوجه بالخصوص إلى من غرهم المغامسي من سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله -: "نقص العلم يسبب

وقوع المجتمع في أخطاء كثيرة. والواجب على العلماء في كل مكان بذل الدعوة وبـذل النصـيحة ونشـر العلم بين النـاس ولا سـيما بين الشـباب الـذين يرغبـون في العلم ويدعون إلى الله - عز وجل -.

وعلى طـــالب العلم أن يقبـــل العلم ويســـعى إلى أن يتبصر ولا يعجل، والواجب على الشـباب وعلى غـيرهم ممن ليس عنـدهم العلم الكـافي ألا يعجلـوا في الأمـور وأن يتفقهوا في الدين ويسـتمعوا لتوجيـه العلمـاء ممـا يقال ويكتب حتى يكونوا على بينـة، وعليهم أن يتـدبروا ما يطلعون عليه أو يقال لهم أو يسمعونه في إذاعــة أو غيرها، ويعرضوه على الأدلة الشرعية، وأن يسألوا أهل العلم عما أشكل عليهم وممن يوثق فيهم، حتى يكونــوا على بينة، ويتحروا أهل العلم الذين يعرفون بنشر الحق والعناية به وإقامة الأدلة عليه ويستفيدوا من علمهم.

أما الاندفاع مع الشعارات التي يــروج لهـا فلان أو فلان أو يؤيدها فلان أو فلان فهذا لا ينبغي لعاقــل، وإن كـثرة الكلام والبلاغة ليست دليلا على الحق، بل الــدليل على الحق هو ما قال الله - سبحانه - وما قال رسوله صـلى الله عليه وسلم مع العنايـة بدراسـة القواعـد الشـرعية والأسس المرعية التي دل عليها قول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي المعيار الـذي يسـتنبط منه ويؤخذ عن طريقه الحق عند عـدم وجـود النص من الكتاب أو السنة.

أما قول فلان وما أذاعته الإذاعة الفلانيـة فهـذا لا ينبغي لعاقل أن يغتر به، بـل ينبغي للعاقـل أن يكـون الكتـاب والسـنة والقواعـد الشـرعية هي الـتي يبـني عليهـا مـا يختاره وما يرده، وينبغي - أيضاً - ألا يستقل بنفسه في بعض المسائل التي تخفى عليـه، بـل ينبغي أن يسـتفيد من إخوانه، وأن يسأل من يثـق بـه من أهـل العلم، وألا يعجل في الأمور حتى يطمئن إلى أن هذا هـو الحـق، لا لأنه قاله فلان أو الحـاكم الفلاني أو الـرئيس الفلاني أو الزعيم الفلاني".

الفصـل السادس عشر.

وإليك أيهـا المسـلم - المحب للحـق، والبـاحث عنـه، والغيـور عليـه وعلى كتـاب اللـه ودينـه وسـنة نبيـه - بعض ما يحويه تفسير الجزائـري من مآخـذ خطـيرة, وبلايا كبيرة وانحرافات وأخطاء وضـلالات وتحريفـات - تثير حفيظة وغيرة المسلم وتسـتدعي حميتـه على الـدين -, وتصـحيفات وتحريفـات، وزيـادة ونقص في الآيات، كما في فصل الجدول المضاف، وقد وقع بهـا الظلم على الـدين، بـل والجنايـة على كتـاب اللـه المبين، وفيها تضليل وإضلال المسلمين.

وما في تفسيره من بلايا ودسائس وخبايـا يكـذب مـا ادعاه لنفسه ومـا نفـاه عنهـا, ويثبت من أن تفسـيره الموسوم بـ (أيسر التفاسير) - بعمومه - لا علاقة لـه بالتفسير، وإنما هو أفكار وعقيـدة وتخريفـات كاتبـه،

وتزكياته لنفسه وما يكتبـه، ومـا أخـذه من خـزعبلات وشذوذات وجهالات استحسـنها وافتتن بهـا من بعض جهال المفسرين - أمثالـه - فاستحسـنها ودسـها في التفسير ونسبها إلى الدين وسماها تفسيراً، بل أيسر التفاسير.

وتَرُدُّ تلك الحقائق على المزكين له ولتفسـيره، ممن لم يحيطوا بعلم ما ادعوه في تزكيـاتهم، وقـد سـاعد ذلك على ترويج أباطيله - كما تقدم -.

وقد قال الشيخ سعد بن عبـد الـرحمن الحصـين في مقال له أرسله إلي - وتأتي الإشارة إليه -: "وتفسير القـرآن الكـريم إمـا أن يكـون بعلم أو بغـير علم، ولا يكـون بعلم إلا إذا كـان ملتزمـاً بمـا ثبت عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه من المهـاجرين والأنصار والذين تبعوهم بإحسان في القرون الخـيرة رضي اللـه عنهم وأرضـاهم، وهم الـذين أثـنى عليهم النبي صلى اللـه عليـه وسـلم ولم يطـل الأمـد بينهم وبين عهـد النبـوة: وحيـه وعلمـه ولغتـه، ولا ثقـة في تفسير من بعدهم ولا حاجـة إليـه إلا من نقـل عنهم" ومثل بتفسير ابن جريـر وابن كثـير، ثم قـال: "ولقـد ساءني إقدام الشيخ أبي بكر الجزائري على الخـوض في بحر القول على الله ومراده من كلامه، وخشـيت أن يطغى أسلوبه الوعظي - بما لازمه من تسـاهل - على أسلوب العلماء بدقتـه واحتياطـه والتزامـه بنص الوحي والفقه فيه من أهله الأول، ووقـع مـا خشـيت من وقوعه: فسر الشـيخ القـرآن بأسـلوبه الـوعظي

الخَلَفِي لقرّاء لا يفرقون بين الوعـظ والواعـظ، وبين العلم والعالم؛ فتسابقت دور النشر على نشره".

وما ساء الشيخ سعداً والعلمـاء من إقـدام الجزائـري على تفسـير كتـاب اللـه وتعـيين مـراده - سـبحانه - بجهله المركب هو الذي ساءني وأتعبني وقـد فصـلت الرد عليه بالآتي - وليس هو كل ما فيـه - في تسـعة وسبعين موضعاً، والتاسـع والسـبعون يتضـمن سـتين خطأً، وهي الآتية في ما سترونه وإليكموها تباعاً:

الموضع الأول.

مخالفته لعقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/24) عند قولـه - تعالى - الآيـة: (14)، في سـورة البقـرة: ﴿وَإِذَا لَقُـوا الَّذِينَ آَمَنُـوا قَـالُوا آَمَنَّا﴾: "آمنـوا: الإيمـان الشرعي:التصديق بالله وبكل ما جاء به رسـول اللـه عن الله، **وأهله هم المؤمنون بحق**".

قلت: تفسير الإيمان بالتصـديق المجـرد هـو عقيـدة المؤلف ومـا سـار عليـه في جميـع تفسـيره: (أيسـر التفاسـير)، وفي كتبـه، وهنـا كمـا تـراه قـد أكـد أنـه الإيمان الشرعي وأهله هم المؤمنون بحق، وهو بهـذا يـرد على أهـل السـنة ويعانـدهم في عقيـدتهم وأن إيمانهم ليس شرعياً وأنهم مؤمنون بباطل, بل يتنـدر بهم وينكت عليهم؛ لأن عقيـدتهم أن الإيمـان: اعتقـاد بالقلب, ونطـق باللسـان, وعمـل بـالجوارح, لا يصـح

الإيمان عندهم إلا بهذه الأركان الثلاثة، وهي متلازمة لا تنفك عن بعضها.

ومما قاله عن الإيمان ما في كتابه: (هذا هو الإسلام، ضمن الرسائل: 2/9): "إنه التصديق الجازم بوجود الله - تعالى - رباً وإلهاً أي: معبوداً لا يستحق العبادة غيره هو الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء..إلخ".

فأنت ترى أنه - في هذا وما قبله - لم يتطرق إلى العمل، وإنما تطرق إلى التصديق فحسب، بل لم يتطرق إلى النطق باللسان.

ورأيت كيف تخليطه، وأنه لم يثبت الإيمان كما يثبته أهل السنة والجماعة، واعتقاد بقاء الإيمان دون النطق والعمل، والاكتفاء بالتصديق المجرد: إرجاء الجهمية الذي كفرهم به أهل السنة، وبقاؤه دون العمل والاكتفاء بالتصديق أو الإقرار والنطق: إرجاء مرجئة الفقهاء وقد بدعهم به أهل السنة.

و مبنى الإيمان عند أهل السنة والجماعة على ثلاثة الأركان - كما سبق -: **اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان, وعمل بالجوارح** أو الأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء، وهو مقتضى عقيدتهم في تجزئ الإيمان - الأصل عندهم في زيادة الإيمان ونقصانه -؛ فلا إيمان - عندهم - بلا **اعتقاد ونطق وعمل**.

وقد حققت (في كتابي: سواطع البرهان..) إجماع أهل السنة والجماعة على زيادة الإيمان إلى ما شاء

الله، ونقصانه حتى لا يبقى منـه شـيء، على أصـلهم في تجـزء الإيمــان، رداً على مرجئــة العصــر أتبــاع المرجئـة الأقـدمين: أمثـال الألبـاني وأتباعـه، ومنهم: ربيـع المـدخلي وأتباعـه، ومن لـف لفهم، ويمكن أن نســميهم منهجيــاً - لخلافهم منهج أهــل الســنة - (شـوكانية العصـر) نسـبة إلى منهج محمـد بن علي الشوكاني صاحب فتح القدير، ونيل الأوطار، والسيل الجرار وغيرها - رحمه الله -؛ لنزعته الاستقلالية عن طريقة علمـاء أهـل السـنة والجماعـة، بعـد أن تـرك المذهب الزيدي وترك التقليد.

وقال الشيخ العلامـة عبـد اللطيـف بن عبـد الـرحمن (في مصــباح الظلام ص: 595) عن بقــاء الإيمــان وزيادته ونقصانه: "وأئمـة الإسـلام يقولـون:يزيـد مـع بقاء أصله الذي دلت عليه شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه، وينقص حتى لا يبقى منه شيء، فإذا ثبت الإسلام زاد الإيمان ونقص، ومـع عـدم الإسـلام وانهـدام أصـله لا يعتد بما أُتي به من شعبه".

وكون الإيمان عند أهل السنة: اعتقاد وقــول وعمــل، هو ما عليه إجماع الصحابة والتابعين، وأهل العلم من الأئمة المهديين من بعدهم: من الفقهـاء والمحـدثين، وما كان يفتي بـه جميـع المفـتين في جميـع الأمصـار ومُخْتَلِف الديار.

وقد نقـل إجمـاعهم على ذلـك اللالكـائي (في شـرح أصول اعتقاد أهل السنة: 5/886) عن الشـافعي أنـه قــال: "وكــان الإجمــاع من الصــحابة والتــابعين من

بعدهم ممن أدركناهم: أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر".
ونقله كذلك ابن بطة (في الإبانة: 2/760) حيث قال: "اعلموا - رحمكم الله - أن الله - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه - فرض على القلب المعرفة به والتصديق له ولرسله ولكتبه وبكل ما جاءت به السنة، وعلى الألسن النطق بذلك والإقرار به قولاً، وعلى الأبدان والجوارح العمل بكل ما أمر به وفرضه من الأعمال، لا تجزئ واحدة من هذه إلا بصاحبتها، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بأن يجمعها كلها حتى يكون مؤمناً بقلبه مقراً بلسانه عاملاً مجتهداً بجوارحه ..، وبكل ما شرحته لكم نزل به القرآن ومضت به السنة وأجمع عليه علماء الأمة"، إلى أن قال: (ص: 779): "واعلموا - رحمكم الله - أن الله - عز وجل - لم يثن على المؤمنين ولم يصف ما أعد لهم من النعيم المقيم والنجاة من العذاب الأليم، ولم يخبرهم برضاه عنهم إلا بالعمل الصالح والسعي الرابح، وقَرْنِ القول بالعمل والنية بالإخلاص حتى صار اسم الإسلام مشتملاً على المعاني الثلاثة لا ينفصل بعضها عن بعض ولا ينفع بعضها دون بعض، حتى صار الإيمان قولاً باللسان وعملاً بالجوارح ومعرفة بالقلب، خلافاً لقول المرجئة الضالة الذين زاغت قلوبهم وتلاعبت الشياطين بعقولهم وذكر الله - عز وجل - ذلك كله في كتابه والرسول صلى الله عليه وسلم في سنته".

وقال الإمام البخاري - رحمه الله -: "لقيت أكـثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحــداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص".

وقد أورد الجزائري (في كتابه: نداءات الرحمن لأهـل الإيمان) كلمة: "آمنوا" في تسعة وثمانين موضـعاً لم يفسر الإيمان فيها بتفسيره الحق وفق عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة؟!!.

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله الـرومي - رحمه الله - (في رده على تفسيره:التبصـير بأخطـاء أيسـر التفاسـير: الموضع/1): "قلت:الحـق أن معـنى الإيمان الشـرعي أوسـع ممـا ذكـره المؤلـف؛ فليس الإيمان الشرعي هو مجرد التصديق؛ بل الإيمان قول وعمـل واعتقـاد، وكمـا يعـبر عنـه بعض أهـل السـنة بقــولهم: الإيمــان قــول باللســان وعمــل بالأركــان واعتقاد بالجَنَان.

قــال شــيخ الإســلام ابن تيميــة (كمــا في مجمــوع الفتاوى: 7/638): (ومعلوم أن الإيمان هـو الإقـرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هــو التصـديق، وعمـل القلب الـذي هـو الانقيـاد: تصـديق الرسول فيمـا أخـبر والانقيـاد لـه فيمـا أمـر، كمـا أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له).

ومن من ذكـر معـنى الإيمـان أبـو عبيـد القاسـم بن سـلاَّم - رحمـه اللـه - قـال بعـد سـياقه الخلاف في تعريـف الإيمـان: (وإن نظرنـا في اختلاف الطـائفتين فوجدنا الكتاب والسنة تصدقان الطائفة الــتي جعلت

الإيمان بالنية والقول والعمل وينفيان ما قالت الطائفة الأخرى)، ثم ساق الأدلة على ذلك.

وقال (في: 7/308) بعد كلام سبق: (ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر أهل السنة).

وقال - أيضاً - (في: 7/642): (اسم الإيمان يستعمل مطلقاً ويستعمل مقيداً، وإذا استعمل مطلقاً فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين يجعلون الإيمان قولاً وعملاً يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات - فرضها ونفلها - في مسماه، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه، من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم).

وقال - أيضاً - (كما في: 7/140): (وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فإنه لا يُعَلَّق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾).

وقد حكى ابن القيم - رحمه الله - (في كتابه الفوائد ص: 121) أقوالاً في الإيمان، ثم نفاها وقال بعدها: (والإيمان وراء ذلك كله، وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول علماً، والتصديق به عَقْداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله والبغض في الله

والعطاء لله والمنع لله، وأن يكـون اللـه وحـده إلهـه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظـاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلي سـوى الله ورسوله).

وقـال الشـيخ صـالح الفـوزان: (تفسـير الإيمـان بالتصديق بوجود الله تفسير قاصر ومخالف لما عليـه أهـل السـنة: من أن الإيمـان تصـديق بـالقلب وقـول باللسان وعمل بالجوارح).

ويتضح مما تقدم:أن التصديق جزء من الإيمان وليس الإيمان هو التصديق فحسب؛ بل هناك مقومات أخرى للإيمان هي: القول والعمل".

قلت:وقـد فصـلت ذلـك في كتـابي: (حقيقـة الانتصـار..)، وكتـابي: (سـواطع البرهـان في ضـوابط أهل السنة في الإرجاء و الإيمان).

الموضع الثاني.

مخالفته لعقيدة أهل السنة والجماعة - أيضاً - في الأسماء والصفات:

لم يثبت الجزائري: الأسماء والصفات كما يثبتها أهـل السنة والجماعة؛ بل أخطأ في معـاني بعض الأسـماء وقصر في بعضها وأول بعضها، وأول الصفات.

تأويله لصفة الاستواء والعلو: فقد أوله بالقهر، فقال (في تفسيره: 1/34) عند قوله - تعالى - الآية: (29)، في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾" :﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾، علا وارتفع قهراً لها فكَوَّنها سبع سماوات".

قلت: قال الرومي (في: م/2): "أقول: لو توقف المؤلف عند قوله: علا وارتفع لسلم من الزلل، ولكن قوله: قهراً لها فيه حصر للعلو بنوع واحد من أنواعه، وهو علو القهر؛ بل قد يفهم منه البعض إنكار علو الذات الثابت لله - سبحانه وتعالى - مع أن هذه الآية الكريمة وأمثالها هي من أدلة العلو بأنواعه الثلاثة، وهي: علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر.

قال الشيخ صالح الفوزان (في شرح الواسطية: 26): (وهو العلي أي: له العلو المطلق: **علو الذات**؛ لكونه فوق جميع المخلوقات، على العرش استوى.

و**علو القدر**: فله كل صفات الكمال ونعوت الجلال.

و**علو القهر**: فهو القادر على كل شيء والمتصرّف في كل شيء لا يمتنع عليه شيء).

والمؤلف عند تفسيره لقوله - تعالى -:﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، في الآية الحادية عشرة من سورة فصلت قال: (أي: قصد بإرادته الربانية إلى السماء).

فاختلف التفسير مع اتحاد النص، والسبب في ذلك الاضطراب هو عدم الرجوع إلى كلام أهل الحق والسنة والاعتماد على الفهم الشخصي.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية (كما في مجموع فتاواه: 5/518) أقوال علماء السلف في معنى هذه

الآية:﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، فنقل عن ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي العالية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، يقول: ارتفع.

والبخاري - في صحيحه في كتاب التوحيد - قال: قال أبو العالية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي: ارتفع فسوى خلقهن، ثم نقل شيخ الإسلام (كما في الفتاوى: 5/520) قول الفرّاء وجماعة أن معنى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، عمد إلى خلق السماء، وقال بعد نقله: (وهذا الوجه من أضعف الوجوه؛ فإنه قد أخبر أن العرش كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض، وكذلك ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»، فإذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السماوات والأرض، فكيف يكون استواؤه عمده إلى خلقه له؟ لو كان هذا يعرف في اللغة: أن استوى على كذا بمعنى أنه عمد إلى فعله، وهذا لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً، لا في نظم ولا في نثر.

ومن قال استوى بمعنى عمد ذكره في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾؛ لأنه عُدي بحرف الغاية كما يقال: عمدت إلى كذا وقصدت إلى كذا، ولا يقال عمدت على كذا ولا قصدت عليه، مع أن ما ذكره في تلك الآية لا يعرف في اللغة -أيضاً - ولا هو

قول أحد من مفسرّي السلف، بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك كما قدمناه عن بعضهم، وإنما هذا القول وأمثاله ابتدع في الإسلام لما ظهر إنكار أفعال الرب التي تقوم به، ويفعلها بقدرته ومشيئته واختياره؛ فحينئذ صار يفسر القرآن من يفسره بما ينافي ذلك، كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على ما يوافق أقاويلهم، وأما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف فلا؛ بل أقوال السلف الثابتة عنهم متفقة في هذا الباب، لا يعرف لهم فيها قولان، كما قد يختلفون - أحياناً - في بعض الآيات، وإن اختلفت عباراتهم فمقصودهم واحد وهو إثبات علو الله على العرش).

وقال الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية في سياق رده على مؤول الاستواء (مختصر الصواعق المرسلة: 306): (إن لفظ الاستواء في كلام العرب الذين خاطبنا الله بلغتهم وأنزل كلامه بها نوعان: **مطلق ومقيد**، **المطلق** لم يوصل معناه بـ(حرف)، مثل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾، وهذا معناه كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام، وأما المقيد فثلاثة أضرب: أحدها مقيد بـ(إلى)، كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر - سبحانه - هذا المعَدَّى بـ(إلى في موضعين من كتابه، في البقرة في قوله - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾.

والثاني في سورة السجدة [فصلت]: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

والثالث: مقيد بـ (على)، كقوله: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾، وقوله: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾، وقوله: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾.

وهذا - أيضاً - معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

انتهى المقصود من كلامه - رحمه الله -).

قلت: يتحصل من كلام هذين الشيخين الإمامين أن معنى: استوى إلى السماء: (ارتفع)، وردا قول من قال إن معنى استوى: (عمد)، والحكم عليه بأنه من أضعف الوجوه، والقول إنه لا يُعرف في اللغة: لا على سبيل الحقيقة، ولا على سبيل المجاز.

كما أنه لا يوجد في مأثور كلام العرب من النظم والنثر، وهذا الكلام المردود وهو تفسير استوى بمعنى: (عمد)، هو ما سار عليه المؤلف في هذا التفسير، وقد رأيت التنبيه على أنه مردود منقوض عند أهل العلم".

وقال الرومي - أيضاً - (في: م/62) عند قوله - تعالى - الآية: (2)، في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، قال المؤلف (في: 2/256): "

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، أي: استواءاً يليق بذاته - عز وجل - فلا يقال كيف".

: "قلت: الاستواء عند أهل السنة يطلق على أربعة معاني هي: الاستقرار، والعلو، والارتفاع، والصعود.

ولا شك أن هذه المعاني على ما يليق بجلال الله وعظمته.

قال الإمام ابن القيم في قصيدته:

فلهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان

وهي: استقر، وقد على، وكذا ارتفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن

وقد نقل شارح هذه القصيدة[1] في كتابه توضيح المقاصد والقواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم أقوال بعض العلماء في معنى الاستواء ومنها:

حكى الفراء عن ابن عباس، ثم استوى: صعد.

وعن مقاتل والكلبي، استوى على العرش: استقر.

قال أبو عبيدة، استوى على العرش: صعد.

---

(1) أحمد بن إبراهيم بن عيسى.

وقال الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشـيد في كتابـه: (التنبيهــات الســنية على العقيــدة الواســطية ص: 129): (أما معنى الاستواء في اللغة فله أربع معـان، تـأتي بمعـنى: علا، وبمعـنى: ارتفـع، وبمعـنى: صـعد، وبمعنى: استقر).

وقال الشيخ زيـد بن عبـدالعزيز الفيـاض في كتابـه: (الروضة النديه شرح العقيدة الواسـطية ص: 232): (والاســتواء صــفة فعليــة، ومعــنى الاســتواء:العلــو، والارتفاع، والاستقرار، والصعود).

وقـد فسـر الشـيخ محمـد علي الصـابوني الاسـتواء بقولــه: (اســتواء يليــق بجلالــه من غــير تكــييف ولا تمثيل)، فقـال الشـيخ صـالح الفـوزان: (في تعقيباتـه وملاحظاته عليه): (وقد كرر هذه العبـارة على جميـع آيــات الاســتواء الســبع، ومعناهــا التفــويض حيث لم يفسر الاستواء بما فسره به السلف من أنـه: العلـو، والارتفـــاع، مـــع تفـــويض الكيفيـــة، وهـــذه طريقـــة الأشاعرة: المفوضة منهم) أ.هـ.

قلت [الرومي]: جميع ما تقدم من النقول يـدور على أن معاني الاستواء أربعة وهي: الاستقرار، والصـعود، والعلو، والارتفاع، وأن التعبـير بعبـارة: اسـتواء يليـق بجلالـه بـدون زيـادة إيضـاح، هـو من قبيـل التفـويض المردود عند علماء أهل السنة والجماعة".

وقــد كــرر الــرومي الكلام (في: م/65) عنــد قولــه - تعــالى - في ســورة الرعــد: "﴿ثُمَّ اسْـتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، (في: 2/436)، فقال عند قـول الجزائـري:

"ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، استواءاً يليق به - عز وجل -".

فذكر في الرد عليه نحواً مما تقدم ونصه: "قلت تكرر مراراً أن السلف الصالح - رحمهم الله - لا يكتفون بعبارة: (استواء يليق به - عز وجل -) تفسيراً للاستواء، وأنهم يرون هذا من باب التفويض لأسماء الله وصفاته، وهو مسلك ممنوع مردود؛ بل إنهم يفسرون الاستواء بمعناه اللغوي، وهو يجيء على أربعة وجوه: فيأتي بمعنى: علا، ويأتي بمعنى: صعد، ويأتي بمعنى: ارتفع، ويأتي بمعنى: استقر" .

الموضع الثالث.

تأويله لصفة الرحمة بالإنعام والجنة، خلاف معتقد أهل السنة والجماعة؛ فهي صفة ثبوتية على حقيقتها كما في كتاب الله وسنة نبيه:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/110) عند قوله - تعالى - الآية: (157)، في سورة البقرة: أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ" :وَرَحْمَةٌ، الرحمة: الإنعام"، وقال (في تفسيره: 1/491) عند قوله - تعالى -الآية:(175)، في سورة النساء: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ" :فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ، الجنة".

قلت: وهذا كله تأويل باطل، يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، وما فسر به الجزائري الرحمة:

ســواءاً تفســيرها: بالإنعــام أو الجنــة فليس إثباتــاً للصفات - والصـفات بـاب واحـد -، وإنمـا هـو إثبـات للوازمهـا ومقتضـياتها، فمثلاً تأويـل الرحمـة بالجنـة: الجنة من لوازم الرحمة وآثارها وليس إثباتـاً للصـفة، وذلك خلاف تفسير السـلف فهم يثبتـون الصـفة أولاً، ثم قد يثبتون لوازمها وآثارها أو يتكلمون عنهـا، وهـذا يحدث كثيراً.

فقد قال الإمـام ابن جريـر (في تفسـيره: 6/40): " ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْـلٍ﴾، يقـول فسـوف تنالهم رحمتـه الـتي تنجيهم من عقابـه، وتـوجب لهم ثوابه ورحمتـه وجنتـه، ويلحقهم من فضـله مـا ألحـق أهل الإيمان به والتصديق برسله".

وقـال: الإمـام ابن كثـير (في تفسـيره: 1/592): " ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَـةٍ مِنْـهُ وَفَضْـلٍ﴾، أي: يـرحمهم ويدخلهم الجنة ويزيـدهم ثوابـاً ومضـاعفة ورفعـاً في درجتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم".

وقال العلامة عبد الرحمن بن سـعدي (في تفسـيره: 2/230): "﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾، أي: فسـيتغمدهم بالرحمـة الخاصـة فيـوفقهم للخـيرات ويجزل لهم المثوبات ويدفع عنهم البليات".

قال الشـيخ عبداللـه بن محمـد الغنيمـان (في كتابـه: شــرح كتــاب التوحيــد من صــحيح البخــاري: 1/78): "وقد علم من دين الرسـل وكتب اللـه - تعـالى - أن الله متصف بالرحمن، وليست رحمتـه ثوابـه وجـزاؤه

[كـــذا]، كمـــا يقولـــه أهـــل التحريـــف المؤولـــة، من الأشعرية وغيرهم.

وقد قال اللـه - تعـالى -: ﴿قُـلْ بِفَضْـلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِـهِ فَبِـذَلِكَ فَلْيَفْرَحُـوا هُـوَ خَيْـرٌ مِمَّا يَجْمَعُـونَ﴾، فعطـف الرحمة على الفضل يدل على المغايرة، وفضل اللــه - تعالى - الذي هو الثواب والجزاء مخلوق، ليس من صفات الله - تعالى - القائمة به.

وإذا كان الإجماع حاصلاً بين الأمة؛ بأن اللـه - تبـارك وتعــالى - ليس كمثلــه شــيء في ذاتــه المقدّســة؛ فيجب أن تكـون صـفاته ليسـت كصـفات خلقـه؛ لأن الصفة تتبع الموصـوف، فصـفات اللـه - تعـالى - من الرحمة والرضـا والغضـب وغـير ذلـك تليـق بعظمتـه وتناســبه، وصــفة المخلــوق من ذلــك وغــيره تليــق بضعفه وعجـزه وفقـره، وإن من الضـلال والبعـد عن كتاب الله وهـدي رسـوله وسـبيل المؤمـنين - حقـاً - نفي صفات الله - تعالى - وتعطيله منهـا اعتلالاً بأنهـا تفيد التشـبيه؛ لأن المخلـوق يوصـف بتلـك الصـفات، وهل هذا إلا مثل من يقول: أنـا لا أقـر بوجـود اللــه - تعالى -؛ لأن المخلوق موجود، وقد تقـدّمت الإشـارة إلى أن مجـرد الاشـتراك في الاسـم أو في المعـاني العامة لا يقتضي تشبيهاً".

وقال - أيضاً - (2/185): "الرحمة المضافة إلى اللــه - تعـالى - تكـون صـفة لـه ذاتيـة كقولـه - تعـالى -: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِـعَتْ كُـلَّ شَـيْءٍ﴾، وقولـه - تعـالى -: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَـةِ﴾، وقولـه - تعـالى -: ﴿فَـإِنْ

كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُــونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُــورٌ رَحِيمٌ﴾، ونحو ذلك وهو كثير.

وتكون مفعولاً له مخلوقاً وهي من أثر صفة الرحمة الذاتية كقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾، وقوله - تعالى -:﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، وهو - أيضاً - كثير.

ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه وخبأ عنده مائة إلا واحدة» رواه مسلم".

ومثله ما يأتي من قوله: «فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء».

ومراده: بيان أن الرحمة تطلق على المخلوق فتكون مخلوقة لله مفعولاً له، وذلك من آثار رحمته التي هي صفته - تعالى - كما في قوله صلى الله عليه وسلم جواباً لسعد بن عبادة لما قال له: ما هذا؟، قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان (في الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص: 429):

"صفات الله - تعالى - تنقسم إلى قسمين: صفات ذات، وصفات فعل، وضابط صفات الذات هي التي لا تنفك عن الله - عز وجل -، وضابط صفات الفعل هي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة، مثال صفات الذات: النفس، العلم، الحياة، القدرة، السمع، البصر، الوجه، اليد، الرجل، الملك، العظمة، الكبرياء، العلو، الإصبع، العين، الغنى، القدم، الرحمة، الحكمة، القوة، العزة، الخبرة، الوحدانية، الجلال.

ومثال صفات الفعل: الاستواء، النزول، الضحك، المجيء، العَجَب، الفرح، الرضى، الحب، الكره، السخط، والإتيان والمقت والأسف، وهذه يقال لها: قديمة النوع حادثة الآحاد، ويصلح أن تقول قبلها إذا شاء".

وفي كتاب الرومي: (م/69) عند قوله - تعالى - في سورة التوبة, الآية:(99):ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾, عند قول المؤلف (في: 1/232): "﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يؤكد وعد الله - تعالى - لهم بإدخالهم في رحمته؛ التي هي الجنة".

قوله رداً على الجزائري: "تفسير الرحمة بالجنة تأويل لصفة الرحمة الثابتة لله - عز وجل -؛ فالجنة من ثواب الله للمؤمنين المترتب على رحمته - تعالى - لهم.

وقد تكلم الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان على تأويل صفة الرحمة في كتابة (الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: 205) فقال: (وبعضهم تأول

الرحمة بمعنى: إرادة الإحسان؛ والحق إثبات صفة الرحمة حقيقة على ما يليق بجلاله, كما يقال في سائر الصفات, والرحمة لا تنفك عن إرادة الإحسان,فهي مستلزمة للإحسان, أو إرادته,استلزام الخاص للعام؛ فكما يستحيل وجود الخاص بدون العام, فكذلك الرحمة بدون الإحسان أو إرادته.

ومنهم من تأول الرحمة بمعنى: الثواب, والله - سبحانه - فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل فقال - تعالى -: يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ، الآية؛ فالرحمة والرضوان صفته، والجنة ثوابه,وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان ثواباً منفصلاً مخلوقاً, وقول من قال: هي إرادة الإحسان؛فإن إرادة الإحسان من لوازم رحمته، فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان, وكذلك لفظ: اللعنة والغضب والمقت هي أمور مستلزمة للعقوبة؛ فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفى لازمها, فإن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع؛ فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها).

قلت [الرومي]: ويتحصل من كلام العلماء والمحققين - المتقدم - بعض النتائج ومنها:

أولاً: إثبات صفة الرحمة لله - عز وجل - بما يليق بجلاله وأنها، أي: الرحمة غير الإحسان أو إرادة الإحسان؛ بل الإحسان أو إرادته من لوازم الرحمة التي لا تنفك عنها, ولكنها ليست هي.

ثانياً: أن الرحمة الثابتة لله - عز وجل - هي - أيضاً - غير الثواب؛ فالثواب نتيجة للرحمة, فمن قال إن الرحمة هي الجنة فقد أول صفة الرحمة بالثواب, وهو تأويل غير سليم ولا مقبول. ولا شك أن الجنة لا يدخلها أحد إلا برحمة الله - سبحانه - ولكن لا يقتضي أن تكون الجنة هي الرحمة.

ومما يوضح ذلك, وهو التصريح بأن دخول الجنة من لوازم الرحمة, بعض الأحاديث الثابتة, ومنها ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله: قال: «ولا أنا, إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة».صحيح مسلم باب لن يدخل أحد الجنة بعمله.

وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار, ولا أنا إلا برحمة من الله». صحيح مسلم باب لن يدخل أحد الجنة بعمله.

وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها أنها كانت تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«سددوا وقاربوا وأبشروا, فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله», قالوا:ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا

أن يتغمدني الله منه برحمة, واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»، صحيح مسلم".

الموضع الرابع.

تأويله: لـ صفة الوجه الثابتة لله على حقيقتها في الكتاب والسنة؛ فقد أولها: بلفظ الجلالة: الله أو الذات، خلاف معتقد أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 3/426) عند قوله - تعالى - في آخر آية، في سورة القصص: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾" :﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾، أي: إلا الله - سبحانه وتعالى - فلا يهلك كما يهلك سواه"، وقال: (في تفسيره: 4/377) عند قوله - تعالى - الآية: (27)، في سورة الرحمن: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾" ،﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، أي: ذاته ووجهه - سبحانه وتعالى -"

قلت: المؤلف في تفسيره جمع بين التفسير بالذات الذي يفسر به الوجه عند المؤولة هروباً من الإثبات, وبين التفسير بالوجه دون بيان أنه صفة ثبوتية لله على مذهب أهل السنة, وكان عليه - وهو يدعي أنه على معتقد أهل السنة - أن يفسر الوجه على طريقة أهل السنة لا يفسره بإعادة لفظ الجلالة: الله أو بالذات أو إعادة لفظ الوجه على طريقة أهل البدعة, وأن يبين أن الوجه صفة من صفات الباري على ما يليق به بلا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل, وما يلزمه في لفظ: الجلالة والوجه يلزمه في لفظ: الذات.

قال الإمـام شـمس الـدين ابن القيم (في الصـواعق المرسـلة على غـزو الجهميـة والمعطلـة: 1/235): "المتأوِّل يفر من أمر فيقع في نظيره؛ مثاله إذا تأول الوجه بالذات قيل لـه فيلزمـك في الـذات مـا لزمـك في الوجــه؛ فــإن لفــظ الــذات يقــع على القــديم والمحــدث؛ كمــا يقــع لفــظ الوجــه على القــديم والمحدث".

وقال الشيخ صالح بن عبدالله الفوزان (في تعقيباتــه على كتــاب صــفوة التفاســير لعلي الصــابوني ص: 9):"تأويل الوجه بالذات تأويل باطل لأنه نفي لصــفة ثابتة لله -تعالى -".

ونقل الرومي (في: م/163) ما تقدم وما هـو أبسـط منه، أي: أوسع، من كلام ابن القيم، فليراجع.

الموضع الخامس.

تأويل صفة اليد: بـ القوة، وهي ثابتة للـه - تعـالى - بالكتاب والسنة، وتأويله لها خلاف معتقد أهل السـنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/546) عنـد قولـه - تعـالى - الآيـة: (45)، في سـورة الحاقـة: ﴿لَأَخَـذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾" ،﴿لَأَخَـذْنَا مِنْـهُ بِـالْيَمِينِ﴾، أي: بـالقوة، أو:﴿ لَأَخَذْنَا﴾ بيمينه لنقتله".

قلت: هذا تأويـل باطـل، وإثبـات صـفة اليـد اليمين، واليدين الاثنـتين للـه - تعـالى - على مـا يليـق بـه، لا

يشبه فيها خلقه، يدل له قوله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم-:

«إن المقسطين عند الله على مَنَابرَ من نور عن يمين الرحمن - عز وجل -، وكلتا يديه يمين».

قال سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (في مجموع فتاواه: 5/51) في إثبات اليدين والقدرة: "ما ورد في هذا من الأحاديث والآثار يراد به إثبات اليد والقدرة جميعًا، فهي تدل على أن بيده كل شيء - سبحانه - وله القدرة الكاملة، كما تدل على إثبات اليد له - سبحانه - على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته.

وقد دل على هذا المعنى قوله - تعالى - في سورة المائدة: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان﴾، الآية، وقوله - سبحانه - في سورة ص: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىّ﴾. وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول:أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون؟، ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون؟»، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة".

هذا ما يرد به على تأويلات الجزائري، وعدم إثباته للصفات على طريقة أهل السنة والجماعة، وإنما

سـار في ذلـك على طريقـة المؤولـة المبتدعـة، من الأشاعرة وغيرهم.

وقـال سـماحته - رحمـه اللـه - في رده على علي الصـابوني (مجلـة البحـوث الاسـلامية: 10/289، ومجمـوع فتـاواه: 3/65): "قـد أحسـنت في اختيـار مذهب السلف الصالح واعتقـاد أنـه الأسـلم والأحكم والأعلم، ولكنك لم تثبت عليه، بل تارة تختار مـذهب التأويل وتارة تختار مذهب التفـويض، والـواجب على المؤمن الثبات على الحق وعدم التحـول عنـه"، إلى أن قال (في: 3/68): "وقد أنكر أهل السنة على من تـأول نصـوص الصـفات وبـدعوه؛ لمـا يـترتب على تأويلهـا من أنـواع الباطـل وتحريـف الكلم عن مواضـعه، وتجريـد الـرب - سـبحانه - من صـفات الكمـال، وسـوء الظن بـه، وأنـه خـاطب عبـاده بمـا ظاهره تشبيه وتمثيـل، وأن المـراد غـيره، وهـذا هـو التأويل المذموم، وهذا هـو الـذي سـلكه أهـل الكلام وأنكره عليهم أهل السنة وضللوهم في ذلك؛ لكونهم أولـوا النصـوص عن ظاهرهـا وصـرفوها عن الحـق الـذي دلت عليـه بلا حجـة ولا برهـان من كتـاب ولا سـنة، بـل بمقتضـى عقـولهم وآرائهم الـتي لم يـنزل الله بها من حجة ولا قام عليها برهان، وقد ألزمـوهم فيما أثبتوا نظير ما فروا منـه فيمـا تـأولوه وهـو لازم لهم بلا شك، ولا يسلم من التناقض واللوازم الباطلة إلا من أثبت ما أثبته الله ورسوله ونفى ما نفـاه اللـه ورسـوله، وهم أهـل السـنة والجماعـة، واللـه المستعان".

فما قاله سماحته مما رد بـه على الصـابوني ينطبـق تماماً على الجزائري، فهو رد عليـه كمـا هـو رد على أمثاله.

والجزائري يدعي أنه سـلفي - كمـا ادعى الصـابوني اختيـاره لمـذهب السـلف -، وأنــه على منهج أهــل السنة والجماعة وهو - كما تقدم - يسـير على خلاف مذهبهم، بل يخالفه قاصداً، وهي عقيدتـه، فلا تفيـده دعواه وقد قامت البينة - من كلامـه في كتبـه - على خلافها، فهو على مذهب أهل الكلام الذي أخـذه عبـد المحســن بن حمــد العبــاد على الجلالين - في رده على الرفاعي والبوطي، وهو يدافع عن الجزائـري -، مما يفهم منه تبرئة الجزائري من سيره على طريقة أهل الكلام.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينـــات
أبنــاؤها أدعيـــاء

وهـذا وغـيره يـدل على أن العبـاد لم يقـرأ تفسـير الجزائري، وداهنه في دفاعه عنه وعن تفسيره بدافع الهـوى، ولـو قـرأه لتـبين لـه مـا فيـه من الأمـور الخطيرة، والتي مثله لا يجهلها، والظن فيه أنـه - لـو رآها - لا يسكت عنها.

والمشكلة - أيضاً - في رفضه لمـا أردت بيانهـا لـه،- في اتصال هاتفي بيـني وبينـه - أو دلالتـه عليهـا في مواضعها - في كتاب الجزئري - ليراجعها.

والجزائري الضال في صفات الله حينما يؤولها ويحرفها عن ظاهرها، ويدعي أنه سني سلفي يكذب في ذلك؛ فأهل السنة السلفيون مذهبهم ما قاله شيخ الإسلام بن تيمية (في مقدمة التفسير ص: 94)، عند قوله - تعالى -: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾: "لم ينف عنهم علم معناه، بل قال ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾، وثبت أن اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات، ولا أعلم أن أحداً من السلف جعلها من المتشابه الداخل في هذه الآية.

وعندهم قراءتها تفسيرها، وتمر كما جاءت دالة على ما فيها من المعاني لا تحرف".

ومما يزيد في الإيضاح ما في كتاب العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى - رحمه الله - (في تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراسي والحلبي ص: 165) قال:

"وأما قوله - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾، الآية، فاعلم أن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع مفرد كقوله - تعالى -: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، وجاء مثنى كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وجاء مجموعاً كقوله - تعالى -: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾، فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى الفعل إليها بالباء فقال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾،

وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعد الفعل بالباء، فلا يحتمل: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، من المجاز ما يحتمله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾، فإن كل أحد يفهم من قوله:﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾، ما يفهمه من قوله عملنا وخلقنا كما يفهم ذلك من قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

وأما قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى، وكيف وقد دخلت الباء فالفعل قد يضاف إلى ذي اليد، والمراد: الإضافة إليه كقوله : ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عدى الباء إلى يد مفردة أو مثناة فهو ما باشرته يده؛ ولهذا قال عبدالله بن عمرو بن العاص: إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده، فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة، وقال عبدالعزيز بن يحيى المالكي الكناني جليس الشافعي والخصيص به (في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة) قال: (يقال للجهمي أتقول إن لله وجهاً وله نفس وله يد؟، فيقول ولكن معنى وجه الله هو الله ومعنى نفسه عينه ومعنى يده نعمته، قال والجواب أن يقال له فذكر كلاماً يتعلق بالوجه والنفس إلى أن قال: واعلم - رحمك الله - أن قائل هذه المقالة يعني: القائل أن معنى اليد النعمة جاهل بلغة القرآن ولغة العرب ومعانيها وكلامها وذلك أن الله إذا افتتح الخبر

عن نفسه بلفظ الجمع ختم الكلام بلفظ الجمـع، وإذا افتتح الكلام بلفظ واحد ختم الكلام بلفظ واحد، وإنما المعنى الخبر نفسه وإن كـان اللفـظ جمعـاً فأمـا مـا كان من لفظ الواحد فهو قولـه - تعـالى -: وَقَضَـى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، فـافتتح الخـبر عن نفسـه بلفظ واحد، وبمثله ختم الكلام فقـال:أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وقال: رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَـغِيرًا، وقال: رَبُّكُمْ أعْلَمُ، وأما ما افتتحه بلفظ الجمع فهو قولـه: وَقَضَـيْنَا إِلَى بَنِي إِسْـرَائِيلَ فِي الْكِتَـابِ، فافتتحه بلفظ الجمـع ثم ختمـه بمثـل مـا افتتحـه بـه فقال: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَـا بَعَثْنَـا عَلَيْكُمْ عِبَـادًا لَنَا، وإنمـا عـنى بـذلك نفسـه؛ لأنهـا كلمـة ملوكيـة تقولهـا العــرب، وروي أن ابن عبــاس لقي أعرابيــاً ومعـه ناقـة فقـال: لمن هـذه؟ فقـال الأعـرابي :لنـا، فقال له ابن عباس: كم أنتم؟، فقال: إنا واحد، فقال ابن عباس:

هكذا قولـه - تعـالى - نحن، وخلقنـا، وقضـينا، يعـني: نفســه، والمبهم يــرد إلى المحكم فكــل كلمــة في القرآن من لفظ جمـع قبلهـا محكم من التوحيـد تـرد إليه فمن ذلك قوله: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، يرد إلى قوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُـدُوا إلا إِيَّاهُ، وقولـه: وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، يـرد إلى قولـه: إِنَّمَـا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وقواه: لَمَّا جَـاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، وكـذلك قولـه: أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّا خَلَقْنَـا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْـدِينَا أنعَامـاً، يـرد إلى قولـه: لِمَـا خَلَقْتُ بِيَـدَيَّ، فلمـا افتتح الكلام بلفـظ الجمـع،

فقال:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ قال: ﴿أَيْدِينَا﴾، ولما افتتح بقوله:﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ختم الكلام على ما افتتحه به.

فهذا بيان لقوم يفقهون، وقد كان أكثر قسم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أقسم:

«لا والذي نفس محمد بيده»، وهذا لا يليق به النعمة، وهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم يصدق كتاب الله) انتهى كلامه.

ويقال للحلبي قد نقل الحافظ بن عساكر عن إمامك أبي الحسن الأشعري أنه أثبت اليدين صفة لله - تعالى - وذلك في آخر كتبه وعليه اعتمد ابن عساكر في ذكر مناقبه واعتقاده، قال: ابن عساكر قال: يعني: أبا الحسن الأشعري فإن سألنا سائل فقال: أتقولون إن لله يدين؟ قيل نعم نقول ذلك لقول الله - تعالى -: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده»، وقال - تعالى -: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وفي الحديث: «كلتا يديه يمين»، وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا وكذا بيدي، وهو بمعنى: النعمة، إذا كان الله خاطب العرب بلغاتها وما تجد مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها، وإذ لا يجوز في خطابها أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني: النعمة، بطل أن يكون معنى: بيدي النعمة، وساق الكلام في

إنكار هذا التأويل، وأطاله جداً، وبين أن اللغة التي نزل بها القرآن لا تحتمل ما تأولته الجهمية، وقال لسان أصحابه وأجلهم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (في كتاب التمهيد وهو من أشهر كتبه):

"فإن قال قائل فما الحجة في أن لله وجهاً، ويدين، قيل له قوله - تعالى -:﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وقوله:﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فأثبت لنفسه وجهاً ويدين، فإن قالوا بما أنكرتم أن يكون المعنى خلقت بيدي: أنه خلقه بقدرته أو بنعمته: أن اليدين في اللغة يكون بمعنى: النعمة وبمعنى: القدرة كما يقال: لفلان عندي يد بيضاء، وهذا الشيء في يد فلان، وتحت يده، ويقال: رجل أيْد: إذا كان قادراً كما قال - تعالى -:﴿ خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾، يريد عملنا بقدرتنا، كما قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

وكذلك قوله:﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، يعني: بقدرته ونعمته، قال: فيقال له هذا باطل؛ لأن قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾، يقتضي إثبات يدين، هما صفة له؛ فلو كان المراد بهما القدرة؛ لوجب أن يكون له قدرة، ولا تزعمون أن لله - تعالى - قدرة واحدة، فكيف يجوز أن تثبتوا قدرتين؟، وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات، والنافون لها، على أنه لا يجوز أن يكون لله - تعالى - قدرتان: فبطل ما قلتم، وكذلك لا يجوز أن يكون

خلق الله آدم بنعمـتين؛ لأن نعم اللـه - تعـالى - على آدم وغيره لا تحصى، ولأن القائل: لا يجوز أن يقــول: رفعت الشيء أو وضعته بيدي أو توليتـه، وهـو يريـد: نعمته، وكذلك لا يجـوز أن يقـال: لي عنـد فلان يـدان يعنى: نعمتين، وإنما يقال: لي عنـده يـدان بيضـاوان، ولأن فعلتـه بيـدي لا يسـتعمل إلا في اليـد الـتي هي صفة الذات، ويدل على فساد تـأويلهم - أيضـاً - أنـه لو كان الأمر على ما قالوه لم يغفل عن ذلك إبليس، وأن يقول: وأي فضل لآدم عليَّ يقتضي أن أسجد لـه وأنا - أيضاً - بيدك خلقتني، وفي العلم بأن الله فضل آدم عليه بخلقه بيديه دليل على فساد ما قالوه..".

الموضـــــــع السادس.

عقيدته في الإيمان بالقدر هو مـا كـان عليـه القدريـة المجبرة، وهو خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/126، 127) عند قوله - تعالى - الآية: (17)، في سورة الأنفـال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُـوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَـا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: "**لم يقتلـــوا المشـــركين على الحقيقة وإنمـا الـذي قتلهم هـو الله**"، وقـال: "تقرير مبدأ أن الله - تعالى - خالق كـل شـيء وأنـه خلق العبـد وخلـق فعلـه، إذ لمـا كـان العبـد مخلوقـاً وقدرته مخلوقة، ومأموراً ومنهياً ولا يصدر منـه فعـل ولا قول إلا بإقدار اللـه - تعـالى - لـه كـان **الفاعل الحقيقي هــو الله، ومــا للعبــد إلا الكســب**

بجوارحه، وبذلك يجزى الخير بالخير والشر بمثله، عدل الله ورحمته".

وقال: "آية وصول حثية التراب من كف الرسول صلى الله عليه وسلم **إلى أغلب عيون المشركين** في المعركة".

قلت: قال ابن جرير الطبري (في تفسيره: 9/104): "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، ممن شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين، أيها المؤمنون، أنتم، ولكن الله قتلهم.

وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبِّب قتلهم، وعن أمره كان قتالُ المؤمنين إياهم. ففي ذلك أدلُّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صُنْعٌ به وَصَلوا إليها.

وكذلك قوله لنبيه عليه السلام:

 وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى، فأضاف الرميَّ إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرميَّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبِّب الرمية لرسوله.

فيقال للمنكرين ما ذكرنا قد علمتم إضافة الله رَمْيِ نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه، بعد وصفه نبيَّه به، وإضافته إليه، وذلك فعلٌ واحد، كان من الله تسبيبه وتسديده، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذفُ والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتسابُ بالقُوى؟

فلن يقولـوا في أحـدهما قـولاً إلا ألزمـوا في الآخـر مثله".
فقد أثبت الإمام ابن جرير الرمي للرسول صلى الله عليـه وسـلم على حقيقتـه، وأثبت الـرمي للـه - عـز وجــل - على حقيقتــه، ورد على القدريـــة: النفـــاة والمجبرة، وذكر الآثار في ذلك، وليس مـا ذهب إليـه الجزائري وشَرَحَه، وهو ما يوافق مـا يسـمى بكسـب الأشعري .
وكـون الفاعـل على الحقيقـة لفعـل العبـد هـو اللـه والعبد كاسب بجوارحـه فقـط، وليس فـاعلاً حقيقـة: أي: أنه مجرد آلة، هذه عقيدة القدرية المُجَبِّرة الذين يعتقدون أن العبد مجبور غـير مختـار ولا ينسـب إليـه فعل، وإنما الفاعل هو الله وحده، وهو غلو في إثبات القدر، مقابل للغلـو في نفيـه عن اللـه عنـد القدريـة النفاة، وذلك ضلال مبين.

وقـد رد عليهم شـيخ الإسـلام ابن تيميـة (في منهـاج السنة: 2/298)، وأن القول بـأن أفعـال العبـاد فعـل للــه لا لعبــاده عقيــدة الجهم بن صــفوان الترمــذي، فقال:

"وأما جمهور أهـل السـنة المتبعـون للسـلف والأئمة فيقولون:إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق للـه ومفعـول للـه؛ لا يقولـون هـو نفس فعـل اللـه، ويفرقون بين الخلـق والمخلـوق والفعـل والمفعـول، وهـذا الفـرق الـذي حكـاه البخـاري في كتـاب خلـق أفعال العباد عن العلماء قاطبة، وهو الذي ذكره غـير واحد من السلف والأئمة، وهو قول الحنفية، وجمهور

المالكيـة، والشـافعية والحنبليـة، وحكـاه البغـوي عن أهل السنة قاطبة.."

وقال (في تلخيص الاستغاثة ص: 315):

"هو في الأصل قـول جهم بن صـفوان، وهـو أول من عرف في الإسـلام أنـه قـال: إن العبـد ليس بفاعـل، لكن جمهـور أهـل السـنة من أتبـاع الأئمـة الأربعـة، وغيرهم يقولـون:إنـه فاعـل حقيقـة، وجمهـور هـؤلاء يقولون: إن فعله مفعول للـرب بنـاء على أن الخلـق غير المخلوق؛ كمـا هـو قـول الأكـثرين، وهـو مـذهب السلف وأهل الحديث والفقهاء".

وقال في مقدمة التفسير (كما في مجموع الفتاوى: 13/ 225) في كلام طويل يحسن الرجوع إليه:

"والمقصـــود هنـــا أن (القدريـــة المجـــبرة) من جنس المشـركين كمـا أن (النافيـة) من جنس المجـوس، وأن المجـبرة مـا عنـدهم سـوى القـدرة والمشـيئة في نفس الأمـر، والنافيـة تنفي القـدرة العامـة والمشـيئة التامـة، وتزعم أنها تثبت الحكمة والعـدل، وفي الحقيقـة كلاهمـا ناف للحكمة والعدل والمشيئة والقدرة - كما قـد بسـط في مواضـع -، وأولئـك يتعلقـون بقولـه: ﴿لَا يُسْـأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، و: ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، وهذا ذكـره اللـه إثباتـاً لقدرته لا نفيـاً لحكمتـه وعدلـه؛ بـل بين - سـبحانه - أنـه يفعل ما يشاء فلا أحد يمكنه أن يعارضـه إذا شـاء شـيئاً، بل هو قادر على فعل مـا يشـاء؛ بخلاف المخلـوق الـذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ؛ ولهذا قال النـبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:

«لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ؛ فإن الله لا مكره له، ولكن ليعزم المسـألة»، وذلك أنه إنما يقال: افعل كـذا إن شـئت لمن قـد يفعلـه مكرها فيفعل ما لا يريد لدفع ضرر الإكراه عنـه، واللـه - تعالى - لا مكره له فلا يفعل إلا ما يشاء فقولـه - تعـالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، و:﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَـاءُ وَيُعَـذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾، ونحو ذلك هو لإثبـات قدرتـه على مـا يشـاء، وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون: إنـه لم يشـأ كل ما كان، بل لا يشاء إلا الطاعة، ومع هذا فقـد شـاءها ولم تكن ممن عصـاه، وليس هـو قـادراً عنـدهم على أن يجعل العبد لا مطيعاً ولا عاصياً.

فهذه الآيات التي تحتج بها المجبرة تدل على فســاد مذهب النفـاة، كمـا أن الآيـات الـتي يحتج بهـا النفـاة التي تـدل على أنـه حكم عـادل لا يظلم مثقـال ذرة، وأنه لم يخلق الخلق عبثاً، ونحو ذلك تدل على فسـاد قـول المجـبرة، وليس في هـذه الآيـات، ولا هـذه مـا يدل على صحة قـول واحـدة من الطـائفتين؛ بـل مـا تحتج به كل طائفة يـدل على فسـاد مـذهب الأخـرى وكلا القولين باطل، وهـذا هـو الـذي نهى عنـه النـبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في المســند وغـيره وبعضـه في صـحيح مسـلم عن عبـد اللـه بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه خرج على أصحابه وهم يتمارون في القدر، هـذا يقـول ألم يقـل الله كذا ؟ وهذا يقول ألم يقل الله كذا ؟ فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال:

«أبهذا أمرتم؟، أم إلى هـذا دعيتم أن تضـربوا كتـاب اللــه بعضــه ببعض»؟، ولهــذا قــال أحمــد في بعض مناظراته لمن صار يضرب الآيات بعضـها ببعض: (إنـا قد نهينا عن هذا).

فمن دفع نصوصـاً يحتج بهـا غـيره لم يـؤمن بهـا، بـل آمن بما يحتج، صار ممن يؤمن ببعض الكتـاب ويكفـر ببعض.

وهذا حـال أهـل الأهـواء فهم مختلفـون في الكتـاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، وقـد تركــوا كلهم بعض النصــوص وهــو مــا يجمــع تلــك الأقوال، فصاروا كما قال عن أهل الكتاب:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَـالُوا إِنَّا نَصَـارَى أَخَـذْنَا مِيثَـاقَهُمْ فَنَسُـوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِـهِ فَأَغْرَيْنَـا بَيْنَهُمُ الْعَـدَاوَةَ وَالْبَغْضَـاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فـإذا تـرك النـاس بعض مـا أنـزل اللـه وقعت بينهم العـداوة والبغضـاء؛ إذ لم يبـق هنـا حق جامع يشتركون فيه؛ بل: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُـرًا كُـلُّ حِـزْبٍ بِمَـا لَـدَيْهِمْ فَرِحُـونَ﴾، وهـؤلاء كلهم ليس معهم من الحق إلا ما وافقوا فيه الرسول، وهو ما تمسكوا به من شرعه، مما أخبر به ومـا أمـر بـه، وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال صلى الله عليـه وسلم:

«وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»، وقد تكون تلك البدعة أعظم - عندهم - مما أخذوا به من الشــرعة، يجعلــون تلــك هي (الأصــول العقليــة)، كالقدرية المجبرة والنفاة، فكلاهما يجعل مـا أحـدثوه

من الكلام في الأصول - وهو الذي يسمونه العقليات - أعظم عندهم - مما تلقوه من الشرع؛ فالمعتزلة يجعلون العقليات هي الخبريات والأمريات جميعاً كالواجبات الشرعية، لكن يقولون - أيضاً - إن الشرع أوجبها ولكن لهم فيها تخليط ليس هذا موضعه، وكذلك ما ابتدعوه في الخبريات، كإثبات حدوث العالم بطريقة الأعراض واستلزامها للأجسام وهم ينفون الصفات والقدر، ويسمون ذلك: (التوحيد والعدل).

وجهم بن صفوان وأتباعه هم أعظم نفياً منهم؛ فإنهم ينفون الأسماء مع الصفات، وهم رءوس المجبرة، والأشعرية وافقتهم في الجبر؛ لكن نازعوهم نزاعاً لفظياً في **إثبات الكسب والقدرة عليه،** وهم يرون أن هذه الأصول العقلية - وهي العلم بما يجب للرب ويمتنع عليه وما يجوز عليه من الأفعال - هي أعظم العلوم وأشرفها، وأنهم برزوا بها على الصحابة، وأن النبي لم يعلمها الصحابة : إما لكونه وكلها إلى استنباط الأمة، وإما لكون الصحابة كانوا مشغولين عنها بالجهاد، وإما لكونه قال لهم في ذلك ما لم يبلغوه، ولم يشغلهم بالأدلة لاشتغالهم بالجهاد" .

وقال ابن القيم (في مدارج السالكين: 1/405) في القدرية المجبرة: "وهؤلاء شر من القدرية النفاة وأشد منهم عداوة لله ومناقضة لكتبه ورسله ودينه،

وهــؤلاء أعــداء اللــه حقــاً وأوليــاء إبليس وأحبــاؤه وإخوانه.

ورأيت من ظلمهم الأقدار واتهـامهم الجبـار مـا يبـدو على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم، وتسـمع من أحـدهم من التظلم والتوجـع مـا تسـمعه من الخصـم المغلوب العاجز عن خصـمه، فهـؤلاء هم الـذين قـال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تائيته:

ويدعى خصوم الله يوم معادهم   إلـى النـــار طُـراً فرقــة القــدريــة".

وقـال سـماحة شـيخنا الأمـام عبـد العزيـز بن بـاز - رحمه الله - (في مجمـوع فتـاواه: 3/36): "القدريـة المجبرة غلوا في إثبات القدر حتى قـالوا ليس للعبـد إرادة ولا مشيئة، وقد أخطأوا في ذلك".

والغلو الذي أشـار إليـه سـماحة الشـيخ ينطبـق على قول الجزائري: "**الفاعل الحقيقي هو الله، وما للعبد إلا الكسب بجوارحه**، وبـذلك يجـزى الخـير بالخير والشر بمثله، عدل الله ورحمته"!!.

قلت: كيف يستحق الثواب والعقاب وهو مجبور غير مختـار؟!، واللــه لا شـك أعـدل العـادلين؛ ولكن أين محل عدل اللـه هنـا؟!! فعـدل اللـه محلـه أن يعمـل العبد مختاراً بمشيئة وإرادة يستطيع بهـا أن يفعـل أو يمتنع من الفعل غير مجبور على فعلـه وبهـذا يتعلـق التكليف، وهـو على عبـارة الجزائـري مجبـور، وذلـك قولـه :"**ليس للعبـد إلا الكسب بجوارحه**" وهـذا

ما يسمى بـ(كسب الأشعري)، وهـو أن العبـد مختـار في الظاهر مَجَازاً، مجبور في الباطن، وينسـب إليـه الفعـل كسـباً ويحاسـب أو يثـاب عليـه كسـباً وهـو مجبور؛ وهذا غير مفهوم؛ إذ كيف يثاب ويحاسب وهو مجبور، ولذلك قيل فيه: "عجائب الكلام ثلاثة: طفرة النظام[1]، وأحوال أبي هاشم[2]، وكسب الأشـعري[3]، وأنشدوا في ذلك:

مما يقال ولا حقيـقة تحـته   معقولـة تـدنو إلى الأفـــــهام

الكســب عنــد الأشــعري والحــا   ل عنــد البهشمي وطفرة النظام".

وتقدم في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الأشعرية وافقوا الجهمية في الجـبر، ونـازعوهم نزاعـاً لفظيـاً في إثبـات الكسـب والقـدرة عليـه؛ فأصـل مـذهب القدريـة المجـبرة مـذهب الجهميـة، وهم من جنس المشركين.

قلت: وهو مذهب الجزائري،كما رأيتَ تحقيقـه - في ما تقدم -.

---

[1]() إبراهيم بن سيار بن هاني أبو إسحاق البصري النظام من رؤوس المعتزلة.

[2]() عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائي شيخ المعتزلة.

[3]() أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بشر - إسحاق - ابن سالم الأشعري، وهذا مذهبه في طوره الثاني، قبل أن يرجع إلى ما عليه أهل السنة والجماعة إجمالاً، وكان في طوره الأول معتزلياً لا يثبت شيئاً من الأسماء ولا الصفات بمعانيها، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن (في مصباح الظلام ص: 410): "قال - تعالى -: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، فأثبت الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من الرمي ما يليق بحال البشر، وأما التأثير والإصابة والهزيمة بذلك الرمي وإيصاله إليهم فالله - تعالى - هو الفاعل له والرامي في الحقيقة".

وهكذا علماء أهل السنة يثبتون الرمي حقيقة والفعل حقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينفونه عنه، كما فعل الجزائري، وأنه لا حقيقة لرميه صلى الله عليه وسلم، وأن الرامي هو الله وحده، وإنما النبي رام على الحقيقة بمباشرة الرمي، والله رام على الحقيقة بتأثير الرمي ووصوله إلى الكفار وإصابته.

وقوله: "وبذلك يجزى الخير بالخير والشر بمثله"، جهل عظيم؛ بل انحراف معتقد خطير - أيضاً -؛ ففي عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله قد يغفر للمؤمن، ولا تلزم مجازاته بالشر فيما دون الشرك، فقد قال الله - تعالى -:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

أما الكافر فقد يجازى على الخير في الدنيا،كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

وأما في الآخرة فلا ينتفع بشيء من عمله أبـداً؛ لهـذا الحديث؛ ولأن الله - تعالى - قال:

 وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ، وقـال: وَالَّذِينَ كَفَـرُوا أَعْمَـالُهُمْ كَسَـرَابٍ بِقِيعَـةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَـاءً حَتَّى إِذَا جَـاءَهُ لَمْ يَجِـدْهُ شَـيْئًا، وقال: مَثَـلُ الَّذِينَ كَفَـرُوا بِـرَبِّهِمْ أَعْمَـالُهُمْ كَرَمَـادٍ اشْـتَدَّتْ بِـهِ الـرِّيحُ فِي يَـوْمٍ عَاصِـفٍ لَا يَقْـدِرُونَ مِمَّا كَسَـبُوا عَلَى شَـيْءٍ، وقـال: فَحَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا، وهذا يقع من الجزائــري في مواضع وذلك لجهله بالكتاب والسنة، ويأتي مزيد في المسألة.

 وقد فصل في هذه القضية - أيضـاً - العلامـة محمـد بن صالح العثيمين (في تفسير القرآن الكـريم: 2/15 2) عند قوله - تعالى - في سـورة البقـرة: وَمَـا اللَّهُ بِغَافِــلٍ عَمَّا تَعْمَلُــونَ، فقــال:"إضــافة العمــل إلى الإنسان فيه رد على الجبرية؛ لقوله - تعالى - : عَمَّا تَعْمَلُـونَ؛ ولا شـك أن الإنسـان يضـاف إليـه عملـه؛ وعمله: كسبه - إن كان في الخير، واكتسابه إن كـان في الشـر -، كمـا قـال - تعـالى - :لَهَـا مَـا كَسَـبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.

والنـاس في هـذه المسـألة - أعـني مسـألة أعمـال العباد - ينقسمون إلى **ثلاثة أقسام**:

القسـم الأول: من يـرون أن الإنسـان مجـبر على العمـل؛ لا يفعـل شـيئاً باختيـار - أبـداً -؛ ومـا فعلـه الاختيــاري إلا كفعلـــه الاضـــطراري: فمن نـــزل من

السطح على الدرج درجة درجة هو كمن سقط بدون علمه من أعلى السطح؛ وهذا مذهب الجبرية من الجهمية؛ وهو مذهب باطل ترده الأدلة السمعية، والعقلية.

و**القسم الثاني**: من يرون أن الإنسان مستقل بعمله، وأن الله - سبحانه وتعالى - لا يصرف العبد إطلاقاً؛ فالعبد له الحرية الكاملة في عمله، ولا تعلق لمشيئة الله به، ولا تعلق لتقدير الله وخلقه بعمل الإنسان، وهذا مذهب المعتزلة القدرية؛ وهو مذهب باطل للأدلة السمعية، والعقلية. وكلا القسمين مع بطلانهما يلزم عليهما لوازم باطلة.

القسم الثالث: يرون أن فعل العبد باختياره؛ وله تعلق بمشيئة الله؛ فمتى فعل العبد الفعل علمنا أن الله - تعالى - قد شاءه وقدره؛ وأنه لا يمكن أن يقع في ملك الله ما لا يريد؛ بل كل ما وقع فهو مراد لله مخلوق له؛ ووجه كون فعل العبد مخلوقاً لله: أن الإنسان مخلوق له؛ وفعله كائن بأمرين: بعزيمة صادقة وقدرة؛ والله - عز وجل - هو الذي خلق العزيمة الصادقة والقدرة؛ فالإنسان بصفاته وأجزائه وجميع ما فيه كله مخلوق لله - عز وجل -.

هذا القول الوسط هو الذي تجتمع فيه الأدلة جميعاً؛ لأن الذين قالوا (إن الإنسان مجبر) أخذوا بدليل واحد وأطلقوا من أيديهم الدليل الآخر؛ والذين قالوا: (إنه مستقل) أخذوا بدليل واحد وأطلقوا الدليل الثاني من أيديهم؛ لكن أهل السنة والجماعة - والحمد لله - أخذوا بأيديهم بالدليلين؛ وقالوا: الإنسان يفعل

باختياره؛ولكن تصرفه تحت مشيئة الله - عز وجل -؛ ولهذا الأمر بغير اختياره رفع عنه حكمه: فالنائم لا حكم لفعله ولا لقوله، والمكره على الشيء لا حكم لفعله ولا لقوله".

وقول الجزائري: "آية وصول حثية التراب من كف الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أغلب عيون المشركين"، قصره وصول حثية التراب على الأغلب جهل وخطأ بين، والله قادر أن يوصها إلى عيونهم جميعاً؛ فقصرها على الأغلب تحكم والدليل على خلافه؛ فقد أسند ابن جرير الطبري (في تفسيره: 9 /205) إلى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر فقال:
«يا رب: إن تُهْلِكْ هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً!»، فقال له جبريل: «خذ قبضة من التراب!»: فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم، **فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة**، فولّوا مدبرين.
وأسند آثاراً أخرى في هذا المعنى على أنها سبب نزول الآية.
وقال العماد ابن كثير (في تفسيره: 3/295)ـ - بعد كلام سبق -:
"ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم - أيضاً - في شأن القبضة من التراب، التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر، حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها وقال: «شاهت الوجوه»، ثم أمر الصحابة أن يصدقوا الحملة إثرها، ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، **فلم يبق أحد منهم إلا ناله**

منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال - تعالى - : وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ، أي: هو الذي بلّغ ذلك إليهم، وكبتهم بها لا أنت"، ثم ذكر حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السابق بنصه.
وذكر آثاراً أخرى: أن ذلك سبب نزول الآية، ثم قال: "وقد روي في هذه القصة عن عروة ومجاهد وعكرمة وقتادة، وغير واحد من الأئمة أنها نزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر".
قلت: اكتفيت بحديث ابن عباس؛ لأن أصح طرق التفسير طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه: (العجاب في بيان الأسباب)، وذكره غيره.

الموضع السابع.

تكفيره بكبائر الذنوب التي لا تخرج من الملة عند أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري(في تفسيره: 2/342) عند قوله - تعالى - الآية: (42)، في سورة هود: وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ: "عقوق الوالدين كثيراً ما يسبب الهلاك في الدنيا، أما عذاب الآخرة فهو لازم له".

قلت: زعم المؤلف بأن هلاك ابن نوح وغرقه - في الطوفان - مع المغرقين بسبب

العقوق غير صحيح، وهو جمـود على الظـاهر لجهلـه، ونص الآية بَيِّنٌ جداً يَعْرف

المعنى المراد منه كل من تدبرها من ذوي البصـيرة؛ إذ ابن نوح لا يلتفت إلى نداء

أبيه: وهو رسول من أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مما

يـدل على أن هلاكـه إنمـا هـو بـالكفر والزندقـة، لا بالعقوق، كما ادعى هذا المفسر،

وهو دليل على تخليطه بسبب جهله، - وإن كان ذلـك عقوقاً - والعقوق من كبائر

الذنوب عند أهل السنة إلا أنه لا يخرج من الملة.

قـال الشـافعي - رحمـه اللـه - (في الأم:بـاب المواريث): "قال الله - تبارك وتعالى

-: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾، الآية، وقـال - عز وجل -: ﴿وَإِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيـهِ آَزَرَ﴾، الآيـة، فنسـب إبـراهيم إلى أبيـه وأبوه كافر، ونسب ابن نوح إلى

أبيه نوح وابنه كافر"

وقال (في الأم - أيضاً -: باب الولاء والحِلف): "وقال - تبارك وتعالى -: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْـزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَـآَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَـوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَـالَ بَيْنَهُمَـا الْمَـوْجُ فَكَـانَ مِنَ

الْمُغْرَقِينَ، الآيتـان، فمـيز اللـه - عـز وجـل - بينهم بالدين ولم يقطع الأنساب بينهم، فدل ذلـك على أن: الأنساب ليست من الدين في شي، الأنساب ثابتـة لا تزول، والـدين شـي يـدخلون فيـه أو يخرجـون منـه، ونسـب ابن نـوح إلى أبيـه وابنـه كـافر"، وقـال (في مختصر المزني:في الولاء): "ولا يقطع اختلاف الدين الولاء،كما لا يقطع النسب، قال اللـه - جـل ثنـاؤه -: وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، الآية، فلم يقطع النسـب بـاختلاف الدين، فكذلك الولاء لمن أعتـق سـائبة، قـال اللـه - عــز وجــل -: إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْـدَكَ الْحَـقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَـاكِمِينَ ۝ قَـالَ يَـا نُـوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِـكَ إِنَّهُ عَمَـلٌ غَيْـرُ صَـالِحٍ، وقـال: (في أحكـام القران:فصل

فيما يؤثر عنه من التفسير والمعـاني في الطهـارات والصلوات): "وحكى الله - تعالى - على لسـان نـوح عليه السلام، فقال:

إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْـــدَكَ الْحَـــقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يَا نُـوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِـكَ إِنَّهُ عَمَـلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، الآيتان، فأخرجه بالشـرك عن أن يكـون من أهل نوح عليه الصلاة والسـلام - قـال -: والـذي نذهب إليه في معنى هـذه الآيـة:أن قـول اللـه - عـز وجل -:إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْـرُ صَـالِحٍ، إنــه ليس من أهلـك، يعني: الذين أمرناك بحملهم معك.

فإن قال قائل:وما دليل ما وصفت ؟ قيل: قال الله - عز وجل -:

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، الآية، فأعلمه أنــه أمره:بأن يحمل من أهله من

لم يسبق عليه القـول: أنـه أهـل معصـية، ثم بين لـه فقال: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، لآية [نقلاً عن تفسير الإمام الشافعي: جمع أحمد الفران]

وتقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ونوح نبي كريم وابنه المغرق كافر، وإبراهيم

خليل الرحمن وأبوه آزر كافر".

وقوله: "عقوق الوالدين.."، إلى قوله: "أمـا عـذاب الآخرة فهو لازم له"!!؛ فإن

العذاب - في معتقد أهل السنة - لا يكـون لازمـاً في الآخرة إلا في حق الكفار، أما

المؤمنون فتحت مشيئة الله في الدنيا والآخـرة، وإن عذبوا فيخرجون متى ما شاء الله

بشـفاعة، أو بـدونها وإنمـا برحمتـه، أو يطهـرون في النار بقدر معاصيهم ثم يخرجون،

خلاف ما توهمه عبارة المؤلف من خلودهم في النار مع الكفار؛ فهي عبارة مجملة،

ويفسر الإجمال فيها ما يأتي من كلامه.

قال الله - تعالى -:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذَلِـكَ لِمَنْ يَشَاءُ, فالمؤمنون تحت مشيئة اللـه, ويجـازون على أعمالهم الصالحة, وتوزن لهم يوم القيامة.

وكمـا في حـديث البطاقـة الصـحيح المشـهور الـذي رواه الترمذي وابن ماجه، وغيرهما عن عبـد اللـه بن عمرو بن العاص رضـي اللـه عنهمـا، وغـير ذلـك من أدلة الكتاب والسنة.

وأما الكفار فقد قال - تعالى - عنهم:

فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا, وقال: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا, وقال: وَلَا يَـدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَـلُ فِي سَـمِّ الْخِيَـاطِ, وقـال: وَمَـا هُمْ بِخَـارِجِينَ مِنَ النَّارِ, وغيرهـا من الآيـات، وقـد ذكرنـا مـا ورد في حقهم من الأحـاديث فيما تقدم.

ومثـــل قـــول الجزائـــري هـــذا قولـــه: (في رســالته:الأحــاديث النبويــة الشــريفة في أعــاجيب المخترعات الحديثة، ضمن الرسائل: 3/473): "وأما كون النساء من أهـل النـار فـالأمر ظـاهر إذ المـرأة التي تـترك الحجـاب.. وتخـرج متبرجـة كاسـية بعض جسـمها كاشـفة عن بعض آخـر للإغـراء بهـا والفتنـة امرأة **لم يبق لها من الإيمان حبة خردل**".

وهكـذا تكفـيره بشـرب الخمـر أو بفعـل العـزف أو سماع المعازف وغير ذلـك من المعاصـي، مـدعياً أن ذلك استحلال لهـا، كمـا في الرسـالة نفسـها: (3/48

8)، وغيرهـــا، ويـــأتي مزيـــد في (**الموضـــع الخمسون**).

وكذلك تكفيره بالحكم بغير ما أنزل الله بـالعموم بلا تفصيل - كما يفصل المحققون

من أهل العلم -، وذلك في مقدمة تفسيره.

الموضع الثامن.

نسبته مقالة امرأة العزيز إلى نبي الله يوسـف عليـه الصلاة والسلام خلاف تبرئته من تلك المقالة وهو مـا جرى عليـه المحققـون المتقـدمون والمتـأخرون من أهل العلم.:

فقد ادعى الجزائري: أن قول امرأة العزيز في قصة يوسف عليـه الصـلاة والسـلام، في قولـه - تعـالى -: ﴿ذَلِـكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْـهُ بِـالْغَيْبِ﴾، الآيـة: (52)، أنـه من قول يوسف وليس من قول امرأة العزيز.

فقد قال: (في تفسيره: 2/406)، عند قولـه - تعـالى - الآية: (53)، في سورة يوسف: ﴿وَمَا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّـــوءِ إِلا مَـــا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، في معنى الآيات: "مـازال السـياق في الحديث على يوسف عليه السلام، فقوله - تعــالى -: ﴿وَمَـا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلا مَـا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هذا من قول يوسف عليه الصلاة والسلام، إذ قال لما طلب إلى الملك أن يحقق في قضية النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة

العزيز، وتم التحقيق بالإعلان عن براءة يوسف عليه الصلاة والسلام مما اتهم به، قال: ﴿ذَلِكَ﴾، أي: فعلت ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، وهضماً لنفسه من جهة، ومن جهة أخرى فقد هم بضرب زليخا،- كما تقدم - قال:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، وعلل لذلك فقال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾، أي: البشرية: ﴿لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، إلا نفس رحمها ربي بتوفيقها إلى تزكيتها وتطهيرها بالإيمان وصالح الأعمال؛ فإنها تصبح نفساً مطمئنة تأمر بالخير وتنهى عن الشر، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ذكر هذه الجملة تعليلاً لقوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، ذكر **وإن حصل مني هم بضرب وهو سوء** فإني تبت إلى الله والله غفور، أي: يعفو ويصفح فلا يؤاخذ من تاب إليه ويرحمه، فإنه رحيم بالمؤمنين من عباده، **هذا ما دلت عليه الآية الأولى**: (53)".

وفيما وصفه بهداية الآيات التي قبلها: (2/605) الآية: (51-52)، قال: "**شرف زليخا** بإقرارها بذنبها رفعها **مقاماً سامياً** وأنزلها درجة عالية، فقد تصبح بعد قليل زوجة لصفي الله يوسف الصديق، زوجة له في الدنيا وزوجة له في الآخرة، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم".

قلت: مع كل ما فعلته بنبي الله يوسف كانت - عند الجزائري - أهلاً لهذا التكريم والفضل العظيم، وهي قد لا تستحقه ولو كانت مسلمة مؤمنة، فكيف وهي

مشركة كـافرة؛ إذ لا برهـان على إيمانهـا، واعترافهـا بذنبها وتبرئتها ليوسف وقول الله عنها:

﴿وَمَـا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلَّا مَـا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، لا يدل على إيمانها.

ففي رسيلة هزيلة أغلب ظني أنـه افتعلهـا ليصـرف بهـا الأنظـار عن تفسـيره لمـا كـثرت فيـه الطعـون وتكاثرت عليه الردود التي تكشف جرأته على الدين، وهجمتـــه الشرســـة عليـــه عن طريـــق كتـــاب رب العـــالمين، وســـطحيته العلميـــة وجهلـــه وانحرافاتـــه الخطيرة، والتي والله وتالله لو اتبعهـا النـاس لكـانت ديناً آخر غير دين الإسلام، وتبين تلـك الـردود مـا في تفسيره من تغرير وفساد كبير.

ويُذْكَر في الرسيلة أشياء لا تعد ملاحظات ذات بـــال إلى جانب ما في التفسـير من البلايـا، وهـو باختيـاره لهـا أو من اختارهـا يظن أنهـا لا خطـورة لهـا - مـع خطورتها الكبـيرة -؛ لأن فيهـا مـا يمس عصـمة نـبي كريم وهو يوسـف عليـه الصـلاة والسـلام لايصـح مـا طبقــه عليــه: ﴿وَمَـا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾؛ ولأنها صـرف لظـاهر كتـاب اللـه إلى مـا لا يدل عليه مما ينقل عن بني إسـرائيل، ويعـرف ذلـك كل من يرى تلـك الملاحظـات، ويعـرف أن الرجـل لا يحترم عقـول النـاس وقـد سـمى رسـيلته - الهزيلـة التي زعم الرد بها على تلك الملاحظـات -: (**كشـف الستار عن ما يظن أنه عار**)!!، (ضمن الرسائل: 5/317)، وعنـد مـا ورد من مـا لوحـظ في تفسـيره

للآيــة الســابقة: ﴿وَمَــا أُبَــرِّئُ نَفْسِــي﴾، الآيــة، قــال الجزائــري: "وقــال الملاحــظ: هــذا من قــول امــرأة العزيــز وليس من قــول يوســف؛ لأنــه مــازال في السجن، وذكر ابن القيم أنــه من قــول المــرأة لا من قول يوسف".

قال الجزائري: "والرد على هذه الملاحظة هـو:عجبـاً كيـف يكـون هـذا القـول من امـرأة كـافرة مشـركة فاجرة قبل أن تهتدي وتسلم وتسـتقيم، وحسـبنا في الرد على هذه العجيبة أن **يردها إمام المفسرين ويرفضها رفضاً باتاً**، ويقرر أنـه من قـول يوسـف عليه السلام معللاً به عدم استجابة الدعوة؛ إذ قال:

﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْـأَلْهُ مَـا بَـالُ النِّسْـوَةِ﴾، هـذا من اللــه - تعــالى - وتوفيقــه، إذ هــو يريــد ألا يخــرج من السجن حتى تبطل الفرية التي افترتها امرأة العزيز، ولما أحضـر الملـك النسـوة و:﴿قَـالَتِ امْـرَأَةُ الْعَزِيـزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَـقُّ أَنَـا رَاوَدْتُـهُ عَنْ نَفْسِـهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، قال يوسف: تـأخرت عن الحضـور ليعلم الملـك: ﴿ذَلِـكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْـهُ بِـالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْـدِي كَيْـدَ الْخَـائِنِينَ وَمَـا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، فأنى للمرأة المشـركة الفـاجرة أن تقول هذا القول، أو يقولـه غيرهـا من غـير العـارفين بمحاب الله - تعالى - ومكارهه، العابدين له".

ويأتي رد شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذيه: ابن القيم وابن كثير، وبيانهم في ذلك.

ثم يمضــي فيقــول: "وأمــا مــا نقلــه عن ابن القيم -

رحمه الله تعالى - فإن ابن القيم ليس معصــوماً من الوقوع في الخطـأ، إنـه كغـيره من غـير المصـطفين يصيب ويخطئ، وليس من المعقول المقبول أن يـرد قول إمام المفسـرين ويقبـل قـول غـيره من علمـاء المســلمين في **القــرون المظلمة**"!!، أي: قــول الإمام ابن القيم.

قلت: ونعود إلى سياقه الذي فيه قوله: "وإن حصـل مني هم بضرب وهو سوء فـإني تبت إلى اللـه"، هـذا كلام رده المحققون من أهل العلم، وهو من خرافات بني إسرائيل أعـداء الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام، ويرده الظاهر والسياق واللحاق.

قال العلامة عبد الـرحمن بن سـعدي - رحمـه اللـه - (في فوائــد مســتنبطة من قصــة يوســف ص: 23): "ومن الأقــوال الباطلــة مــا قالــه بعضــهم في قولــه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾، أي: هم أن يضـربها، وهـذا تحريف ظاهر، وصـاحب هـذا القـول أراد الفـرار من الهم المعـروف خشـية أن يكـون فيـه نقص وتنقيص للأنبياء محذور في ذلك؛ فإن الهم والهوى ونحوها إذا قاومه العبد وقدم عليه الخوف والإيمان فهــو كمــال، كما قال - تعالى -:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾.

وكما ثبت في الصحيح مرفوعاً: «من هم بســيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة

فإنه إنما تركها من جرائي» أن تركـه لهـا لأجـل اللـه خوفاً من عقابه و رجاءً لثوابه من أكبر العبادات".

وقال سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (في نور على الدرب: 27/212) عن الآية: "على ظاهرها، لما اشتدت المراودة منها: هم بها وهمت به، لكن عصمه الله وحفظه عليه الصلاة والسلام، ورأى برهاناً منعه من ذلك، فهذا من فضل الله عليه، أما **قول بعض الناس أنه هم بضربها**، **هذا ما له أصل**، **ليس بشيء**، هم بها، يعني: بالفاحشة إلا أن الله حفظه وصانه؛ لأنه من عباد الله المخلصين، وسلم من شرها والحمد لله"[1].

و**قوله** في السياق - أيضاً - في تفسير الآية: (53): "هذا ما دلت عليه الآية .." جرأة غريبة عجيبة، فكيف يجزم مع وضوح بطلان هذا القول؟!، إن هذا الجزم لدليل على فِرط الجهل والإعجاب بالرأي، وأنه لا يرجع إلى كلام أهل العلم.

و**قوله**: "عجباً كيف يكون هذا القول من امرأة كافرة مشركة فاجرة، وحسبنا في الرد على هذه العجيبة أن يردها إمام المفسرين ويرفضها رفضاً باتاً".

أقول: عجباً لهذا الرجل يقول عن امرأة العزيز: "شرف زليخا بإقرارها بذنبها رفعها مقاماً سامياً، وأنزلها درجة عالية الخ"، ويقول عنها :"عجباً كيف يكون هذا القول من امرأة كافرة مشركة فاجرة"،

---

[1] قال الله - تعالى - عن الشيطان: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾؛ فالمخلصون الأنبياء.

ويقول: "فـأنى للمـرأة المشـركة الفـاجرة أن تقـول هذا القول".

انظر إلى هذا الجهل الـذي لا ينقضـي منـه العجب!؛ فبمجرد إقرار المـرأة رفعت مقامـاً سـامياً، وأنـزلت درجــةً عاليــةً، وزوجت يوســف الصــديق في الــدنيا والآخرة!!،

وزعمـه توبتهـا وإسـلامها وهـو تكهن منـه؛ إذ لا دليـل يــدل على تغـير حالهـا من الشـرك والكفـر، ولا من ماضيها السيء إلى الإسلام فضلاً عن الإيمـان، وبعـد ما فعلته بيوسف وما حملت عليه صاحباتها هل تكون أهلاً للاقتران بنبي اللـه يوسـف الصـديق الكـريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم عليهم الصلاة والسلام حتى ولو أسلمت أو آمنت؟ اللهم لا، ويـأتي - بعـده - في (**الموضع التاسع**) مزيد.

و**قوله**: "فــإن ابن القيم ليس معصــوماً، وليس من المعقــول المقبــول أن يــرد قــول إمــام المفســرين ويقبل قول غيره من علماء المسلمين في **القـرون المظلمة**"؟!!.

هذه خلاصة سيئة لكلامه الكثير مع نكارته.

وانظـر إلى مــا قالــه الإمــام ابن القيم الــذي وصــفه بالجهــل وكونــه في القــرون المظلمــة!! عن تلــك المرأة (في إغاثة اللهفان: 2/109):

"**وثالثها**: كيـد امـرأة العزيـز لـه [يعـني: نـبي اللـه يوسف عليه الصلاة والسلام] بتغليق الأبواب ودعائــه

إلى نفسها.

ورابعها: كيدها له بقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فكادته بالمراودة أولاً، وكادته بالكذب عليه ثانياً، ولهذا قال: لها الشاهد لما تبين له براءة يوسف عليه السلام :﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

وخامسها: كيدها له حيث جمعت له النسوة وأخرجته عليهن، تستعين بهن عليه، و تستعذر إليهن من شغفها به.

وسادسها: كيد النسوة له؛ حتى استجار بالله - تعالى - من كيدهن فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

ولهذا لما جاء الرسول بالخروج من السجن قال له: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَابَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، فإن قيل: فما كان مكر النسوة اللاتي مكرن به، وسمعت به امرأة العزيز، فإن الله - سبحانه - لم يقصه في كتابه، قيل: بلى قد أشار إليه بقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾، وهذا الكلام متضمن لوجوه من المكر:

أحدها: قولهن: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾، ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادى

عليها بقبيح فعلها، بكونها ذات بعل؛ فصدور الفاحشة منها أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثـاني: أن زوجهـا عزيـز مصـر ورئيسـها وكبيرهـا، وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملـوك لا حـر، وذلـك أبلـغ في القبح**.**

الرابع: أنـه فتاهـا الـذي هـو في بيتهـا وتحت كنفهـا، فحكمه حكم أهـل الـبيت، بخلاف من طلب ذلـك من الأجنبي البعيد. **الخامس**: أنها هي المراودة الطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ، حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السـابع: أن في ضـمن هـذا أنـه أعـف منهـا وأبـر وأوفى؛ حيث كـانت هي المـراودة الطالبـة، وهـو الممتنع، عفافاً وكرماً وحياء، وهذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع، حـالاً واسـتقبالاً: وأن هـذا شـأنها؛ ولم يقلن: راودت فتاهـا، وفـرق بين قولـك: فلان أضـاف ضـيفاً، وفلان يَقـري الضـيف، ويطعم الطعام، ويحمل الكل؛ فإن هذا يـدل على أن هذا شأنه وعادته.

التاسع: قولهن: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾، أي: إنا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقباح فنسـبن الاسـتقباح إليهن، ومن شـأنهن مسـاعدة بعضـهن بعضـاً على الهوى، ولا يكدن يرين ذلك قبيحاً، كما يساعد الرجال

بعضهم بعضاً على ذلـك، فحيث اسـتقبحن منهـا ذلـك كان هذا دليلاً على أنـه من أقبح الأمـور، وأنـه ممـا لا ينبغي أن تساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه.

العاشر: أنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشـق المفـرط والطلب المفـرط؛ فلم تقتصـد في حبها، ولا في طلبها، أما العشق فقولهن: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، أي وصل حبه إلى شـغاف قلبهـا، وأمـا الطلب المفرط فقولهن:﴿ تُـرَاوِدُ فَتَاهَا﴾، والمـراودة: الطلب مرة بعـد مـرة، فنسـبوها إلى شـدة العشـق، وشـدة الحـرص على الفاحشـة، فلمـا سـمعت بهـذا المكـر منهن هيأت لهن مكراً أبلغ منه، فهيأت لهن متكـأ، ثم أرسلت إليهن فجمعتهن وخبأت يوسف عليـه السـلام عنهن، وقيل إنها جملته وألبسته أحسن ما تقدر عليه وأخرجته عليهن فجأة، فلم يـرعهن إلا وأحسـن خلـق اللـه وأجملهم قـد طلـع عليهن بغتـة فـراعهن ذلـك المنظـر البهي، وفي أيـديهن مـدى يقطعن بهـا مـا يأكلنه فدهشن حـتى قطعن أيـديهن وهن لا يشـعرن، وقـد قيـل: إنهن أبن أيـديهن، والظـاهر خلاف ذلـك، وإنمـا تقطيعهن: أيـديهن جرحهـاً وشـقهاً بالمـدى لدهشـهن بمـا رأين، فقـابلت مكـرهن القـولي بهـذا المكـر الفعلي، وكـانت هـذه في النسـاء غايـة في المكر".

وقد قال محمد رشيد رضا: صاحب تفسير المنار عن تلك المرأة: "امرأة العزيز الـتي اشـتهرت في نسـاء

مصـر، بـل نسـاء العـالم بسـوء القـدوة، في التـاريخ القديم والحديث".

وانظر - أيضاً - ما يأتي من كلام أهل العلم في بيـان حال هذه المرأة، وعدم تعرضهم لسفسطة وفلسـفة الجزائري.

وليس مجرد الاعتراف دليلاً على التوبة بإجماع أهـل العلم، فقد قال يحيى بن شرف النووي - رحمه اللـه - (في شرحه على صحيح مسلم: 2/181) في شرح حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنـه في شـأن الرجل الذي قال فيه سـعد لرسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم: "ما لك عن فلان إني لأراه مؤمناً، قال : [صلى اللـه عليـه وسـلم] «أو مسـلماً»: "فيـه دلالـة لمذهب أهل الحق في قولهم: إن الإقرار باللسـان لا ينفع إلا إذا اقترن به الاعتقـاد بـالقلب، وهـذا[1] خطـأ ظاهر يرده إجماع المسـلمين، والنصـوص في إكفـار المنافقين وهذه صفتهم".

وقـال العلامـة زين الـدين عبـد الـرحيم بن الحسـين العراقي - رحمـه اللـه - (في طـرح التـثريب: 8/66) عند شرحه لقوله صلى اللـه عليـه وسـلم: «إن كُنتِ ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه فإن العبـد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه» : "فيه قبول التوبة والحث عليها، وفيه أن مجرد الاعتراف لا يغني عن التوبة، بل إذا اعـترف بـه متفصـلاً نادمـاً، وليس

---

[1] () أي: الاكتفاء بالإقرار باللسان.

المراد الاعـتراف بـذلك للنـاس، بـل الاعـتراف للـه **-** تعالى **-**؛ فإن الإنسان مأمور بالستر".

أما كونها تقول الحق وهي كـافرة، وهـو مـا شُـبه بـه على الجزائري أو شبه هـو بـه، وقـد جعلـه حجـة لـه على رد الحق الذي يبرئ ساحة نبي الله يوسف عليه الصلاة والسـلام: من ظـاهر كتـاب اللـه، وفقـه سـنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد أجاب عن هذه الشبهة وردهـا الأئمـة ابن تيميـة، وابن القيم، وابن كثير.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية: "فإن قيل: **فهذا كلام من يقـر بـأن الزنـا ذنب، وأن اللـه قـد يغفـر لصـاحبه**، قلت: نعم، والقـرآن قـد دل على ذلـك، حيث قـال زوجهـا: ﴿يُوسُـفُ أَعْـرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْـتَغْفِرِي لِـذَنْبِكِ﴾، **فـأمره لهـا بالاسـتغفار لذنبها دليل على أنهم كانوا يـرون ذلـك ذنبـاً ويسـتغفرون منـه، وإن كـانوا مـع ذلـك مشركين، فقد كـانت العـرب مشـركين وهم يحرمون الفواحش، ويستغفرون الله منها**".

وقـال الإمـام ابن القيم: "و**لا يسـتبعد أن تقـول المـرأة هـذا وهي على دين الشـرك؛ فـإن القوم كانوا يقرون بالرب - سـبحانه وتعـالى - وبحقه، وإن أشركوا معه غيره**، ولا تنس قول سيدها لهـا في أول الحـال: ﴿وَاسْـتَغْفِرِي لِـذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾".

وقال الإمـام ابن كثـير (في قصـص الأنبيـاء: 1/332، والبداية والنهاية) - بعد أن ذكـر قـول اللـه **-** تعـالى **-** عن يوسـف: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِـي﴾، وقـول اللـه عن الشـاهد في حكمـه: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْـدِكُنَّ إِنَّ كَيْـدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ **-**: "أي: هـذا الـذي جـرى من مكـركن، أنت راودتيـه عن نفسـه ثم اتهمتيـه بالباطـل، ثم أضـرب بعلها عن هذا صفحاً فقال: ﴿يُوسُـفُ أَعْـرِضْ عَنْ هَـذَا﴾، أي: لا تذكره لأحد؛ لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن، وأمرها بالاستغفار لذنبها الذي صدر منها، والتوبة إلى ربهـا؛ فـإن العبـد إذا تـاب إلى اللـه تاب الله عليه.

وأهـل مصـر وإن كـانوا يعبـدون الأصـنام إلا أنهم يعلمون أن الذي يغفـر الـذنوب ويؤاخذ بها هو الله لا شريك له في ذلك؛ ولهذا قال لها بعلها: ﴿وَاسْـتَغْفِرِي لِـذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَـاطِئِينَ﴾، وعذرها من بعض الوجوه؛ لأنهـا رأت مـا لا صـبر لهـا على مثله، إلا أنه عفيـف نزيـه بـريء العـرض سـليم الناحية".

قلت: وفي التنزيـل قولـه **-** تعـالى **-** عن نبيـه لـوط عليـه الصـلاة والسـلام: ﴿فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْـزُونِ فِي ضَيْفِي﴾، وهم كفار.

وأما قوله: "وحسبنا في الرد على هذه العجيبة أن يردها إمام المفسرين ويرفضها رفضاً باتاً"؛ فإنه من الزور والبهتان، فالطبري **-** رحمه الله **-** لم يردها ولم يرفضها كما زعم الجزائري، بل لم يتعرض لغير أنها من قول يوسف عليه الصلاة والسلام، وهو بدون شك ولا ريب ولا منازع إمام المفسرين، ولكن ليس كما يدعي الجزائري أنه: ليس من المعقول أو المقبول أن يرد كلامه؛ لأنه بدعواه قد بالغ فغلا غلواً

بيناً فجعله بمنزلة الأنبياء والرسل المصطفين المعصومين من الخطأ - بعصمة الله لهم في ما أرسلوا به -، وهذا لم يكن معقولاً ولا مقبولاً عند أهل العلم، بل وعند عقلاء المؤمنين، والمخالف إنما هو الجزائري وحده بمعقوله هو ومقبوله!!.

وقد قال في ما تقدم عن ابن القيم: " فإن ابن القيم ليس معصوماً من الوقوع في الخطأ، إنه كغيره من غير المصطفين يصيب ويخطئ"، فكيف لا ينطبق هذا على الطبري وغيره؟!!، إنه لتناقض خطير.

ورد كلام الطبري - حقيقة وواقعاً - معقول ومقبول عنده؛ لأنه لم يعرج على كلامه ولم يقم له وزناً وخالفه في كثير مما عنده من الحق: في عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان والأسماء والصفات والقدر و غيرها - من العلم - كثير، وهذا تناقض منه عجيب!!.

وعند أهل العلم أن الطبري - على علو كعبه وإمامته في العلم و جلالته وكبير شأنه - يخطئ ويصيب؛ فيردون ما يخطئ فيه، ويعذرونه - وهو بالنسبة لصوابه قليل - ويأخذون صوابه - وهو الكثير الكثير -، ولا يقولون فيه مقولة الجزائري.

أما بخصوص نيله من ابن القيم فنقول له:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل، ولا ذي الرأي والجدل

***

وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى يد النقص عنه بانتقاص الأفاضل

***

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

***

وإن أشد النقص أن يرمي الفتى قذى العين عنه بانتقاص الأفاضل

وغريب أن يرمي ابن القيم بالجهل مثل الجزائري.

أصبحتُ هزءاً لراعي الضأن يهزأ بي ماذا يريبك مني راعيَ الضأن

ولكن كما قد قيل:

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

أليس عجيباً أن يقول هذا عن إمام من أئمة المسلمين في العلم والدين: صحفي من الصحفيين وواعظ من الواعظين لا يحسن العلم كما يحسنه الثقات العالمين، ويفسر بجهله كتاب الله الحق المبين؛ فيدس فيه الباطل والمين؟!!.

و ابن جرير - رحمه الله - في هذه المسألة اتبع الرواية عن بني إسرائيل واقتصر عليها بلا تمحيص ونقد، - كما هو معروف عنه -.

وقد جرى على طريقة السابقين: وهي إثبات ما يجدونه من رواية بسندها؛ للخروج من العهدة والمسئولية، وقد أفصح هو أنها منهجه وطريقته فقال (في مقدمة تاريخه)، وهي ما سار عليه في تفسيره، فقال: "فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما ينكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنّا إنما أدينا ذلك عن نحو ما أدي إلينا"؛ فهو مجتهد بين أجر وأجرين؛ لأن المجتهد - وهو أهل للاجتهاد - إذا أصاب فله أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإذا أخطأ فله أجر واحد:أجر الاجتهاد، وخطؤه معفو عنه، وقد اغتر بالأخبار الإسرائيلية التي نقلها بأسانيدها، - واغتر به من اغتر فتبعه - ولعله لم يبلغه غيرها، فذلك مبلغه من العلم في هذه القضية، وقد رد عليه من حقق من أهل العلم لما ظهر له الصواب فيها.

فأين ذكر الطبري أنها من قول امرأة العزيز؟!!، وأين رده ورفضه لها رفضاً باتاً؟!! - كما زعم الجزائري -، ولم يذكر الطبري إلا وجهاً واحداً، وهو أن ذلك من قول يوسف، ويأتي عند الماوردي ثلاثة أوجه.

إن هذا لمن الكذب الواضح الذي لا يروج إلا على الذين لا يمحصون الأقوال بعلم، والسذج المغرورين

من أمثاله أو السذج المغرورين به وبأمثاله.

وشتان ما بينه و بين الطبري، وما بين أمثاله من الجهال المغرورين المغرمين بالشذوذات والخرافات والأباطيل من الإسرائيليات وما يشبهها، من أمثال صالح ابن عواد المغامسي، ولو هدي الجزائري إلى رشده لتاب بعد بيان أهل العلم واطلاعه على كلامهم، ولم يصر على ضلاله ويهاجم علماء الإسلام وأئمة الدين والحق والعدل، ويجادل بالباطل عن باطله.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - كما سيأتي - أن من لم ينقل أنه من قول امرأة العزيز إنما أخذه من اليهود، ولم ينقل عن نبينا منه حرف واحد.

وأن القول: **إنه من قول يوسف في غاية الفساد**.

وليس الإمام ابن القيم وحده هو الذي انتصر لكتاب الله, ولنبي الله يوسف، وإنما معه من المتقدمين القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (المتوفى سنة: 450هـ)، فقد اختار (في تفسيره: النكت والعيون: 3/47) نسبة القول إلى امرأة العزيز بتقديمه له، ونصه: "قوله - عز وجل -: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قول امرأة العزيز عطفًا على ما تقدم، ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، يعني الآن في غيبه بالكذب عليه وإضافة السوء إليه؛ لأن الله لا

يهدي كيد الخائنين، حكاه ابن عيسى.

الثاني:أنه قول يوسف بعد أن علم بظهور صدقه، وذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب عنه في زوجته، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك .

الثالث:أن هذا القول من قول العزيز".

وهذا الوجه قال عنه الشوكاني (في تفسيره: فتح القدير: 3/35): "هو بعيد جداً".

قلت: والوجه الثاني أبعد منه، وقد دلت الأدلة وأقوال المحققين من أهل العلم على بعدهما جميعاً، فيبقى القول الأول الذي قدمه الماوردي، هو الحق بلا ريب ولا شك ولا مرية.

وأنت ترى أنه أورد ثلاثة أوجه، وهذا الوجه حكاه من قبله، ولم يقتصر على أحدها - كما فعل الطبري - على طريقته بنقل ما يبلغه من الأسانيد، وربما يقتصر عليها بلا تحقيق أو نقد تاركاً العهدة على الإسناد، كما بيناه في ما تقدم.

و مع ابن القيم أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بـ (ابن خُمَيْر) المتوفى سنة: 614هـ. وهو - أيضاً - موافق لشيخه، شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلماء وأئمة كبار - كما يأتي من قول ابن كثير في تاريخه -، بل ابن القيم متبع وليس مبتدعاً، ومعتصم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يضل من اعتصم بهما، وقد قال

صلى الله عليه وسلم:

«إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه».

وهذا نص كلام أبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي, المعروف بـ (ابن خُمَيْر), (في كتابه: تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ص: 44) في شرحه لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام وقد حقق في الهم، ثم وما أبرئ نفسي وأنه من قول امرأة العزيز، فقال:

"في إضافة الله - تعالى - له الهم عند مراودة امرأة العزيز له عن نفسه، والذي ينبغي أن نقدم أولاً: الإعلام بأن يوسف عليه السلام كان نبياً قبل المراودة والهم؛ والدليل على ذلك أنه لو لم تثبت نبوته قبل ذلك لم تهتم الأمة بذكر همه؛ لأن العصمة المجمع عليها لا تشترط للنبي إلا بعد ثبوت نبوته لا قبلها، ومع ذلك فإن النبي لا تثبت له معصية مشروع تركها قبل النبوة ولا بعدها.

وأما إثبات نبوته قبل همه من الكتاب فمن قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

وأجمعوا على أن هذا الحكم والعلم في حق يوسف عليه السلام أنهما النبوة، ثم قال - تعالى - بعدما ذكر الحكم والعلم: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾، الآية.

وأما همه فأول ما ينبغي أن نقدم أن الهم في اللسان: الإرادة لا غير، فإن سمي الفعل هماً فمجاز من باب تسمية الشيء باسم الشيء إذا قاربه أو كان منه بسبب، فلما كانت الأفعال مرتبطة بالإرادة التي هي الهم سميت هماً فيقال لمن نصب أواني الخمر وما يحتاج إليه شرّابها هم، وكذلك يقال لمن خلا بامرأة فلاعبها؛ وذلك لأن الهم الحقيقي محله القلب؛ وهو غير محسوس، فلما لم ندركه بالحواس لم نعلمه، فإذا أدركنا أسبابه الدالة عليه بالحواس قلنا: هم، أي: فعل أفعالاً دلت على همه بها في باطنه، فثبت أن الهم الحقيقي هو الإرادة لا الفعل.

جاء في الصحيح[1] عنه عليه السلام أنه قال:

«من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة» الحديث.

فهذا أدل على أن الهم غير الفعل. قال الشاعر :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكي حلائله!!

فأخبر أنه هم ولم يفعل"، إلى أن قال: "الهم في اللسان هو الخاطر الأول، فإذا تمادى سمي إرادة وعزماً، فإن لم يعترضه نقيض سمي نية، ثم إن الله

---

[1]() في البخاري، ومسلم.

- تعالى - وصفه بالخاطر الأول فقال: (هم)، وهُمْ يقولون: فعل وصنع! لا لعاً لعثرتهم ولا سلامة![1].

فإن قيل فما الحق الذي يعول عليه في هذا الهم؟!.

فنقول: **أولاً**: إن بعض الأئمة ذكروا أن الإجماع منعقد على عصمة بواطنهم من كل خاطر وقع فيه النهي، وللمحققين أقوال في هذا الهم نذكر المختار منها - إن شاء الله تعالى-:

فمنهم من قال: إن في الكلام تقديماً وتأخيراً، وترتيبه أن يكون: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ويكون البرهان هنا النبوة والعصمة وما كاشف من الآيات وخوارق العادات، والتقديم والتأخير في لسان العرب سائغ.

ومنهم من قال: هم بحكم البشرية مع الغفلة عن ارتكاب النهي ثم ذكره الله -تعالى - الإيمان وتحريم المعصية وشؤمها والوعيد عليها، وهو البرهان الأعظم فصرف عنه السوء والفحشاء، ولذا قال بعضهم: هم وما تم؛ لأن العناية من ثم! ومنهم من قال: كاد أن يهم لولا العصمة السابقة، فيكون الهم هنا مجازاً.

ومنهم من قال: هم، هم الفحولية؛ وذلك أنه كان عليه السلام فحلاً شاباً خلت به امرأة ذات جمال وغنج، وطالبته تلك المطالبة، فاهتز هِزة الفحل بهز

[1]() يشير إلى نسبة أشياء إلى نبي الله يوسف غير لائقة، وقد ذكر شيئاً منها من قبل،
تركتها وأمثالها – عند غيره – حتى لا أكون طرفاً في إشاعة الباطل.

ضروري غير مكتسب، فسمي ذلك الاهتزاز هماً لكونه من أسباب الهم كما تقدم، ويكون الهم على هذا التفسير ضرورياً، ولا طلب في الضروريات.

وأقول: إنه إن كان هم مكتسباً لهمه ولم يفعل فلا لوم ولا ذنب؛ بدليل الحديث المتقدم الذي منه قوله عليه السلام:

«ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً» معناه لم يكتب له صغيرة ولا كبيرة، وجاء في حديث آخر أن تارك الخطيئة من أجل الله تكتب له حسنة؛ بدليل قوله - تعالى - للملائكة: «اكتبوها له حسنة فإنما تركها من جراي»، أي من أجلي، وهذا ينظر إلى قول الله - تعالى -: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، وإذا كان هذا في حق الرعية، فالأنبياء عليهم السلام أولى بهذا الترك لا محالة، كيف وقد أثنى الله - تعالى - عليه ونزهه بقوله عند ما قالت: ﴿هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، فهذا مما يدل على أنه تركها من أجل الله، وأنه مأجور في تركها، وإذا كان هذا فلا ذنب ولا عتب يلحق يوسف عليه السلام صغيراً ولا كبيراً، بل يكون مأجوراً في الترك.

فهذه أقوال تشاكه الصواب وتليق بالأكابر.

والأظهر القول الأخير من هذه الأقوال؛ لكونه معضوداً بالخبر والآية.. والله أعلم.

فإن قيل فإذا لم يتصور في حق يوسف عليه السلام ذنب ولا عتب فلأي شيء قال: بعدما أنصفته امرأة العزيز وأقرت بفعلها ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قلنا: ومن أين لك أن تقول: إنه قالها؟، والآية تقتضي أنها من قول امرأة العزيز؛ وذلك أنه لما تأدب معها بآداب الأحرار حيث قال لرسول الملك:

﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾؛ فخلطها معهن وذكر فعلهن وأضرب عن ذكر فعلها تناصفت هي، وأقرت بأنها راودته فقالت: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾.

على أنه لو ثبت أنه قالها لخرجت له أحسن مخرج؛ وذلك أنه لما أنصفته بإقرارها وتبرئته قال هو: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، على أصل الحوار لا على نفس الوقوع، كما قال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأصْنَامَ﴾، وهو قد أمن بالعصمة من عبادتها، وقال - تعالى - لنبينا عليه الصلاة و السلام: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، وهو - تعالى - قد شاء ألا يذهبه والعصمة والنزاهة له على كمالها.

فليت شعري إذا كان للتأويل في هذه القصة وأمثالها مجرى سحب ومجال للسلامة رحب فما بالهم يضيقون هذا الواسع لولا الفضول؟!".

ومما قاله ابن الجوزي (في تفسيره زاد المسير 4/203) عند قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا

لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾: "قوله تعالى: ﴿لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، الهم بالشيء في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يواقع.."

وقال عن هم يوسف: "أنه كان من جنس همِّها، فلولا أن الله - تعالى - عصمه لفعل، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير ، وابن الأنباري، وقال ابن قتيبة: لا يجوز في اللغة: هممت بفلان وهم بي، وأنت تريد: اختلاف الهمين.

واحتج من نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلماء الأكابر - ويدل عليه ما سنذكره من أمر البرهان الذي رآه - قالوا: ورجوعه عما هم به من ذلك خوفاً من الله - تعالى - يمحو عنه سيء الهم ، ويوجب له علو المنازل، ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ثلاثة خرجوا فلجأوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة، فقالوا: ليذكر كل واحد منكم أفضل عمله، فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فراودتها عن نفسها فأبت إلا بمائة دينار، فلما أتيتها بها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة، أُرعدتْ وقالت: إن هذا لعمل ما عملته قط[1]، فقمت عنها وأعطيتها المائة الدينار، فإن كنتَ تعلم

[1]() في صحيح البخاري، وفي غيره: "اتق اللّه ولا تفض الخاتم إلا بِحقه"، لا تفض الخاتم، أي: لا تكسره، وهو كناية عن افتضاض عذرة البكر، وكنّت عن الفرج بالخاتم، وحقه: النكاح المشروع في الدين، أي: الحلال.

أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فـافرِج عنـا، فـزال ثلث الحجر، والحديث معروف، وقد ذكرته في (الحـدائق) فعلى هــذا نقــول: إنما همت، فــترقت همتهــا إلى العزيمة، فصارت مصرة على الزنا.

فأمـا هـو فعارضـه مـا يعـارض البشـر من خَطَـرَات القلب وحديث النفس من غير عزم، فلم يُلْزِمْـه هـذا الهم ذنباً، فإن الرجل الصـالح قـد يخطـر بقلبـه وهـو صائم شرب الماء البـارد، فـإذا لم يشـرب لم يؤاخـذ بمـا هجس في نفسـه، وقـد قـال صـلى اللـه عليـه وسلم: «عفي لأمـتي عمـا حـدثت بـه أنفسـها مـا لم تتكلم أو تعمل»، وقال صلى الله عليه وسلم: «هلـك المصـرون»[1]، وليس الإصـرار إلا عـزم القلب، فقـد فرَّق بين حديث النفس وعزم القلب.

وسئل سفيان الثوري: أيؤاخذ العبد بالهمة؟ فقال: إذا كانت عزماً، ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله - تعالى -: إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها عليه سيئة» واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾، وقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾، وكل ذلك إخبار ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية.
فإن قيل: فقد سوّى القرآن بين الهمتين، فلِمَ فرقتم؟.

---

[1]() لم أجده عند غير الطبري، وهو عنده من قول قتادة موقوفاً عليه؛ فلعل ابن الجوزي وهَمَ في رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو كان ناقلاً له.

فـالجواب: أن الاسـتواء وقـع في بدايـة الهمـة، ثم ترقت همتها إِلى العزيمة، بدليل مراودتهـا، ولم تتعـد همته مقامها، بل نزلت عن رتبتها، وانحـل معقودهـا، بـدليل هربـه منهـا، وقولِـه: ﴿مَعَـاذَ اللَّهِ﴾، وعلى هـذا تكـون همتـه مجـرد خـاطر لم يخـرج إِلى العـزم..، والأنبياء معصومون من العزم على الزنا".

وجه ابن حزم (في/ الفصل في الملل: 4/27) هم يوسف عليه الصلاة والسلام ورؤيته برهان ربه، بقوله: "وأما قوله: ﴿هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، فليس كما ظن من لم ينعم النظر"، إلى أن قال بعد أن ذكر أن معنى الآية لا يعدو وجهين..: "والوجه الثاني: أن الكلام تم عند قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، ثم ابتدأ - تعالى - خبراً آخر، فقال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، أي: أنه كان يهم بها لولا أن رأى برهان ربه، وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تأويل"، إلى أن قال: "وبرهان ربه ها هنا هو النبوة وعصمة الله - عز وجل إياه - ولولا البرهان لكان يهم بالفاحشة، وهذا لا شك فيه، ولعل من ينسب هذا إلى النبي المقدس يوسف ينزه نفسه الرذلة عن مثل المقام فيهلك، وقد خشي النبي صلى الله عليه و سلم الهلاك على من ظن به ذلك الظن إذ قال للأنصاريين حين لقيهما هذه صفية.

قال أبو محمد ومن الباطـل الممتنـع أن يظن ظـان أن يوسف عليه السـلام هم بالزنـا وهـو يسـمع قـول الله - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَـاءَ﴾، فنسأل من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو أم غير سوء؟، فلا بد من أنه سوء، ولو قال: إنه ليس بسـوء لعاند الإجماع؛ فإذاً هو سوء، وقد صرف عنه السـوء؛

فقد صرف عنه الهم بيقين، وأيضاً فإنها قالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، وأنكر هو ذلك، فشهد الصادق المصدق: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فصح أنها كذبت، وإذ كذبت بنص القرآن فما أراد بها قط سوءاً فما هم بالزنا قط، ولو أراد بها الزنا لكانت من الصادقين، وهذا بين جداً.

وكذلك قوله - تعالى - عنه إنه قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾، فصح عنه أنه قط لم يصب إليها".

وقال (في: 3/56): "وقال - تعالى - حاكياً عن يوسف عليه السلام ومصدقاً له؛ إذ يقول: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فنص - تعالى - على أن رسوله صلى الله عليه وسلم، إن لم يعنه بصرف الكيد عنه صبا وجهل، وأنه - تعالى - صرف الكيد عنه فسلم، وهذا نص جلي على أنه إذا وفقه اعتصم واهتدى".

قلت: قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - (في الفتاوى الكبرى: 2/339، وهو في مجموع التفسير الكبير: 5/77)، فيما نصره من أن المراد بقوله :﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، وقوله : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، من قول امرأة العزيز وليس من قول نبي الله الصديق يوسف عليه الصلاة

والسـلام: "وأمـا مـا ينقـل من أنه000 [كلام لا يليـق ذكره] وأمثـال ذلـك فكلـه ممـا لم يخـبر اللـه بـه ولا رسوله، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبيـاء وقـدحاً فيهم، وكل من نقلـه من المسـلمين فعنهم نقلـه، لم ينقل من ذلك أحد عن نبينـا صـلى اللـه عليـه وسـلم حرفاً واحداً.

وقوله:

﴿وَمَـا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلَّا مَـا رَحِمَ رَبِّي﴾، فمن كلام امرأة العزيز كما يدل القــرآن على ذلك دلالة بينـة لا يرتـاب فيهـا من تـدبر القـرآن حيث قال - تعالى -:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْـدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْـدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَـالَ مَـا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَـا عَلِمْنَـا عَلَيْـهِ مِنْ سُوءٍ قَـالَتِ امْـرَأَتُ الْعَزِيـزِ الْآنَ حَصْـحَصَ الْحَـقُّ أَنَـا رَاوَدْتُـهُ عَنْ نَفْسِـهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّـادِقِينَ ۝ ذَلِـكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْـدَ الْخَـائِنِينَ ۝ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُــورٌ رَحِيمٌ﴾، فهــذا كلــه كلام امــرأة العزيـز، ويوسـف إذ ذاك في السـجن لم يحضـر بعـد إلى الملك، ولا سمع كلامه ولا رآه.

ولكن لما ظهرت براءته في غيبته، كما قـالت امـرأة العزيز:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، أي: لم أخنه في حال مغيبه عني، وإن كنت في حال شهوده راودته، وقد قال كثير من المفسرين:إن هذا من كلام يوسف،ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول، وهو في غاية الفساد ولا دليل عليه، بل الأدلة تدل على نقيضه، وقد بسط الكلام على هذه الأمور في غير هذا الموضع".

قلت: بسطه له فيما افرده بتصنيف على حدة (كما في مجموع التفسير الكبير: 5/83).

وقد قال - أيضاً - (كما في مجموع التفسير: 5/84): "قول القائل: إن قوله:

﴿ذَلِكَ﴾، **من قول يوسف، مع أنه لم يتقدّم منه هنا قول ولا عمل لا يصح بحال"**.

وقال (كما في الرجع نفسه: 5/91): "أن الله لم يذكر في كتابه عن نبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر توبته منه، كما ذكر في قصة آدم وموسى، وداود وغيرهم من الأنبياء، ويوسف عليه الصلاة والسلام لم يذكر الله - تعالى - عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه أو يستغفر منه أصلاً، وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مستند لهم إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضبهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، **فلو لم يكن**

معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيـف نصـدقهم فيمـا قـد دل القرآن على خلافه.

والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظـيره، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصـراً وإمـا تائبـاً، والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائباً، والله لم يـذكر عنه توبة في هذا ولا استغفاراً كما ذكر عن غيره من الأنبياء، فدل ذلك على أن ما فعلـه يوسـف كـان من الحسنات المبرورة، والمساعي المشكورة، كما أخبر الله عنه بقوله - تعالى -:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِـنِينَ﴾، وإذا كان الأمر في يوسف كذلك، كان ما ذكـر من قولـه: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلَّا مَـا رَحِمَ رَبِّي﴾، إنما يناسب حال امرأة العزيز لا يناسب حال يوسف، فإضافة الذنوب إلى يوسـف في هـذه القضـية فريـة على الكتــاب والرســول، وفيــه تحريــف للكلم عن مواضعه، وفيه الاغتيـاب لنـبي كـريم، وقـول الباطـل فيه بلا دليل، ونسـبته إلى مـا نزهـه اللـه منـه، وغـير مستبعد أن يكـون أصـل هـذا من اليهـود أهـل البهت الذين كانوا يرمون موسى بما برأه الله منـه، فكيـف بغـيره من الأنبيـاء؟ وقـد تلقى نقلهم من أحسـن بـه الظن، وجعل تفسير القرآن تابعاً لهذا الاعتقاد".

وقال ابن كثير (في البداية والنهاية): "**وهذا القول هو الذي نصره طائفة كثيرة من أئمة**

المتأخرين وغيرهم".

وقال الإمام ابن القيم **-** رحمه الله **-** (كما في التفسير القيم ص: 316) تفسيراً لقوله **-** تعالى **-**: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: "فإن قيل: فكيف قالت وقت ظهور براءته: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾؟.

قيل: هذا قد قاله جماعة من المفسرين **وخالفهم في ذلك آخرون أجل منهم، وقالوا إن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسف عليه السلام، والصواب معهم** لوجوه:

أحدها: أنه متصل بكلام المرأة: وهو قولها: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ۝ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ۝ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، ومن جعله من قوله: فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه، والقول في مثل هذا لا يحذف؛ لئلا يوقع في اللبس؛ فإن غايته أن يحتمل الأمرين، فالكلام الأول: أولى به قطعاً.

الثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها:

﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾، والسياق صحيح صريح في ذلك؛ فإنه لما أرسل الملك إليه يدعوه قال للرسول: ﴿ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، فأرسل إليهم الملك وأحضرهن وسألهن وفيهن امرأته، فشهدن ببراءته ونزاهته في غيبته، ولم يمكنهن إلا قول الحق، فقال النسوة: ﴿حَاشَ لِلَّهِ

مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، وقالت امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

فإن قيل لكن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، الأحسن أن يكون من كلام يوسف عليه السلام أي: إنما كان تأخيري عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أني لم أخنه في امرأته في حال غيبته، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، ثم إنه قال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وهذا من تمام معرفته بربه ونفسه؛ فإنه لما أظهر براءته ونزاهته مما قذف به أخبر عن حال نفسه، وأنه لا يزكيها ولا يبرئها؛ فإنها أمارة بالسوء لكن رحمة ربه وفضله هو الذي عصمه فرد الأمر إلى الله بعد أن أظهر براءته، قيل: هذا وإن كان قد قاله طائفة **فالصواب أنه من تمام كلامها**؛ فإن الضمائر كلها في نسق واحد يدل عليه، وهو قول النسوة: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، وقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

فهذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر، ثم اتصل بها قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، فهذا هو المذكور أولاً بعينه فلا شيء يفصل الكلام عن نظمه ويُضْمَرُ فيه قول لا دليل عليه، فإن قيل: فما معنى قولها: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾؟.

قيل: هذا من تمام الاعتذار، قرنت الاعتذار بالاعتراف، فقالت: ذلك، أي قولي هذا وإقراري ببراءته ليعلم أني لم أخنه بالكذب عليه في غيبته،

وإن خنتـه في وجهـه في أول الأمـر، فـالآن يعلم أني لم أخنـه في غيبتـه، ثم اعتـذرت عن نفسـها بقولهـا: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، ثم ذكرت السبب الذي لأجلـه لم تبر نفسها وهي أن النفس أمارة بالسوء.

فتأمـل مـا أعجب أمـر هـذه المـرأة، أقـرت بـالحق واعتـذرت عن محبوبهـا، ثم اعتـذرت عن نفسـها، ثم ذكرت السبب الحامل لهـا على مـا فعلت، ثم ختمت ذلـك بـالطمع في مغفـرة اللـه ورحمتـه، وأنـه إن لم يرحم عبده وإلا فهـو عرضـة للشـر، فـوازن بين هـذا وبين تقدير كون هذا الكلام كلام يوسف عليه السـلام لفظاً ومعنى.

وتأمل ما بين التقديرين من التفاوت، ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي على دين الشرك؛ فإن القوم كانوا يقرون بالرب - سبحانه وتعالى -، وبحقه، وإن أشركوا معه غيره، ولا تنس قول سيدها لها في أول الحال: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾".

قلت: وعلى ما قدمنا يكون كلام الجزائري لا وزن له ولا قيمة في ميزان النقد العلمي في هذه القضية الخطيرة، وإن كان قد لان، بل ميع المسألة، وربما تلمح هزيمته من طرف خفي فيما أثبته في حاشية تفسيره المسمى: (نهر الخير: 2/621)، فقال - معلقاً على قوله المتقدم - (شرف زليخا..): "ذهبت إلى هذا مرجحًا، ومع هذا فمن رجح أن يكون القول قول زليخا، كابن القيم - رحمه الله تعالى - فلا بأس، ويجب على الجميع أن يقول الله أعلم، إذ قولنا مجرد **ارتئاء رأيناه**، والعلم الحق لله وحده

لا شريك له" ولم يصرح بتوبته ورجوعه عن الخطأ.

فانظر كيف يريد أن يخرج من ورطته؟!؛ فلينه لين الأفعى، كما قيل:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها عند التقلب في أنيابها العطب

وكأن القول لابن القيم وحده وهو غير صحيح.

وفي الحاشية - أيضاً - (في: 2/622) على قوله - المتقدم -: "هذا من قول يوسف"، عند قوله - تعالى -: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، الآية.

قال: "على ما رجحته في التفسير، وعلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم فهو من قول امرأة العزيز".

وكأنه قول لابن تيمية وابن القيم وحدهما وهو غير صحيح - أيضاً -.

وانظر إلى مماحكته وعناده مع وضوح الحق وظهوره لكل ذي بصيرة، وما بعد الحق إلا الضلال؟.

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احـتـاج الـنهار إلى دليل

فالمسألة كانت عنده - من قبل - قولاً واحداً، جازماً به وما عداه عنده باطل، ويصارع دونه مصارعة رهيبة، مستميتاً دونه:

ترى الملوك حوله مغربله يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

وليس عنده من المعقول ولا المقبول رد كلام ابن جرير فيها.

أما أخيراً - وبعد أن مضى ما بين طبعة أيسر التفاسير الأولى عام: 1407هـ والطبعة الثالثة الذي بهامشها نهر الخير عام: 1410 هـ - صارت المسألة عنده مائعة ومتذبذبة ما بين راجح ومرجوح، ولم يرجع عن كلامه السوء، وطعنه في ابن القيم، ورد خطأ نفسه في قوله عن رد كلام ابن جرير: ليس معقولاً ولا مقبولاً:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استـوت عنده الأنوار والظلم

ومهما ظهر الحق واضحاً وضوح شمس النهار ليس دونها حجاب؛ فالهروب منه في قول: "الله اعلم"؟!!، "والعلم الحق لله وحده لا شريك له".

ونحن نقول ذلك، ولكن ليس هذا موضعه، وصدق من قال - بعد أن نقل كلاماً له، كما سيأتي -: "إذا كان هذا هو العلم فما هو الجهل"!! ونعوذ بالله من الجهل والجاهلين, والحكم بلا علم على كلام الله الحق المبين، وعلى كلام العلماء الربانيين.

وانظر لطافته ولينه مع ابن القيم - فيما تقدم - في حاشيته: نهر الخير، وقوله في ابن القيم المتقدم - أيضاً - ونصه: "فإن ابن القيم ليس معصوماً من الوقوع في الخطأ، إنه كغيره من غير المصطفين يصيب ويخطئ، وليس من المعقول المقبول أن يرد

قول إمام المفسرين ويقبل قول غيره من علماء المسلمين في **القرون المظلمة**" - يعني: ابن القيم - وانسلاله - من هذا القول - هارباً، إنه لإجحاف مشين في حق هذا الإمام العلم الذي نفع الله الأمة بعلمه، وكما قيل: "..ومرضعة الأبوة لا تعق".

وقوله في معرض تخطئته وتجهيله: "ابن القيم ليس معصوماً"، ينطوي على ما ذكرنا وعلى عقوقه، وإلا فمن يقول: إن ابن القيم وأمثاله وغيرهم - من أهل العلم والدين - معصومون؛ حتى يتجه هذا الكلام ويقبل ويسلم له؟.

و**قوله**: "ويقبل كلام غيره [الطبري] من علماء المسلمين في القرون المظلمة"، تجهيل واستخفاف ظاهر بالإمام ابن القيم: (وليس قولك من هذا بضائره ؟..) فحسيبه الله من ظالم يتردد بين ظلمه وظلامه، هو ومن أضلهم ويضلهم بغير علم، ويجهدُ في الضلال والإضلال، ناهيك عن خطورة كون الضلال والتضليل يدس في تفسير كتاب الله وكلامه.

أما ابن القيم وشيخه ونظراؤهما من أهل العلم؛ فهم بدورٌ يُستضاء بعلمهم في حياتهم وبعد مماتهم، وهم رجومٌ للشياطين في الأرض، من الجاهلين واللاعبين والهازلين في دين الله، كما أن النجوم رجومٌ للشياطين في السماء.

الموضع التاسع.

دعواه أن يوسف عليه الصلاة والسلام قد تزوج امرأة العزيز - كما تقدم - التي ابتلته هي وصاحباتها، ويصر عليه!!:

وهي دعوى باطله ادعاها الجزائري، فقد قال (في تفسيره: 2/405) عند قوله - تعالى - الآية: (51-52)، في سورة يوسف: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقّ﴾، في ما وصفه بهداية الآيات: "فقد تصبح بعد قليل زوجة لصفي الله يوسف الصديق، زوجة له في الدنيا وزوجة له في الآخرة"!!.

قلت: إضافة إلى ما تقدم قبله: في (**الموضع الثامن**)؛ فإن هذا - بلا شك ولا ريب - من خرافات بني إسرائيل ولم يأت عليه برهان، وتأييده من تخريفات الجزائري؛ فقد قال الماوردي (في تفسيره: النكت والعيون: 3/52) عن زواج نبي الله يوسف عليه الصلاة و السلام: "ثم مات إظفير[1] فزوجه[2] الملك بامرأة إظفير: راعيل"، إلى أن قال:

---

(1) في تفسير الطبري 13/237 – في مواضع منه –، وفي التاريخ: (1/346): "إطفير، وعليه عامة المفسرين".

(2) قال محمد طاهر البرزنجي (في صحيح تاريخ الطبري: 1/310)، عن قصة تزويج يوسف عليه الصلاة والسلام بامرأة إطفير"لم ترد في خبر صحيح".

قلت: وهو كذلك، كما عند الماوردي، والألوسى، والجبرين.

وقال البرزنجي عن قوله – تعالى –: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، تعليقاً على ذكر الطبري له في التاريخ وأنه من قول يوسف: "معنى هذا التفسير صحيح"؟!!.

قلت: ليس صحيحاً - أبداً -، وكل ما ذكرناه في هذا الكتاب فيما يخص نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام من دلالة الكتاب ومن تفسير أهل العلم وكلامهم، وما حققناه يدل على عدم اعتبار هذا التفسير، وعدم صحته: معنى وسنداً ومتناً.

"ومن زعم أنها زليخا قال لم يتزوجها يوسف"، وهـذا مما يرد به على الجزائري؛ فحتى من قال: إن امـرأة إظفير زليخا قال: لم يتزوجها نبي الله يوسف.

وقال الألوسي - رحمه الله - (في تفسيره روح المعاني: 13/5): "وخبر تزوجه [أي: نبي الله يوسف من زليخا] مما لا يعول عليه عند المحدثين".

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين - رحمه الله - (في فتاوى إسلامية: 4/64) وقد سئل عن اسم زوجة يوسف عليه الصلاة و السلام وزواجه من امرأة العزيز التي حكى الله عنها في القرآن.

فأجاب: "ذكر في كتب القصص و التفاسير التي تنقل عن كتب بني إسرائيل أن امرأة العزيز اسمها: زليخا، وقيل غير ذلك، وذكروا - أيضاً - أن يوسف عليه السلام تزوجها بعد أن خرج من السجن، وبعد أن طلقها العزيز، أو مات عنها، وكل ذلك مأخوذ من الإسرائيليات".

يشير بقوله: "مأخوذ من الإسرائيليات" أنه لا يصدق؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم..»، إذاً فلا نحكم بزواج نبي الله يوسف من امرأة العزيز إلا بدليل - من غير أخبار بني إسرائيل - ولا دليل يصار إليه، والقرائن وفقه المسألة يدل على أن ذلك لم يحدث، وهو اللائق بقصة امرأة العزيز مع نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام لما جرى وحدث منها في حقه.

وإثباته من جهالات هذا الرجل ومجازفاته وتخريفاته، وما أكثر هذا النوع في تفسيره وكتبه!، وكأنه قد سلط على أمة الإسلام؛ ليفسدها ويفسد عليها دينها. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفتوى الجبرين هذه تعتبر رداً على الجزائري وتفسيره، وقد زكاه وزكى تفسيره، وذكرنا ذلك في ما تقدم.

الموضع العاشر.

ضلاله في قوله عن نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام إن الشيطان أنساه ذكر الله، وإنه التفت بقلبه إلى غير الله، وأن الله عاقبه على ذلك بالسجن، اعتماداً على خبر لا يصح!!:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/398-400) عند قوله - تعالى - الآية: (42)، في سورة يوسف: وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ، في شرح الكلمات: " فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، أي: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه - تعالى -"، وقال في معنى الآيات: "أي: أنسى الشيطان يوسف عليه السلام ذكر ربه - تعالى - حيث التفت بقلبه إلى الخادم والملك ونسي الله - تعالى - فعاقبه ربه الحق فلبث في السجن بضع سنين أي: سبع سنوات عداً"، وقال في هداية الآيات: "غفلة يوسف عليه السلام بإقباله على الفتى وقوله له: اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ، ناسياً مولاه الحق ووليه الذي أنجاه من القتل وغيابة

الجب, وفتنة النساء جعلته يحبس في السجن سبع سنين".

قلت: وصفه لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام بالغفلة لقوله للفتى:

﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، غير لائق وسيء، وأعظم منه سوءاً ما نَسَبَ إليه من أنه نسي مولاه - تعالى - وأنه من إنساء الشيطان له، وهو باطل، وإنما أنسى الشيطان الذي نجا من الفتيين، وإن كان الجزائري - لغفلته وجهله - قد تبع من ذكر ذلك قبله، ممن يتكلمون عن نبي الله يوسف وكأنه من آحاد الناس الذين تتلاعب بهم الشياطين!! بإسرائليات وآثار لم تثبت، كما نسبوا إليه كلام امرأة العزيز!!، غافلين عما تجب مراعاته من أقدار الأنبياء وتوقيرهم وما يليق بهم، وغافلين عن أنه نهج وأخلاق اليهود.

وقد قال الإمام أبو محمد ابن حزم (في الفصل في الملل والنحل: 4/27): "وأما قوله عليه السلام للذي كان معه في السجن: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، فما علمنا الرغبة في الانطلاق من السجن محظورة على أحد، وليس في قوله ذلك دليل على أنه أغفل الدعاء إلى الله - عز و جل -؛ لكنه رَغَّب هذا الذي كان معه في السجن في فعل الخير وحضه عليه، وهذا فرض من وجهين: **أحدهما**: وجوب السعي في كف الظلم عنه.

والثاني: دعاؤه إلى الخير والحسنات.

وأما قوله - تعالى -: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾،

فالضـمير الـذي في أنسـاه وهـو (الهـاء) راجـع إلى الفتي الذي كان معـه في السـجن أي: أن الشـيطان أنساه أن يُذَكِّر ربه أمر يوسف عليه السلام، ويحتمل - أيضا - أن يكون أنساه الشيطان ذكر الله - تعالى - ولو ذكر الله - عز و جل - لذكر حاجـة يوسـف عليـه السلام.

وبرهان ذلك قول الله - عز و جل -: ﴿وَادَّكَرَ بَعْـدَ أُمَّةٍ ﴾، فصح يقيناً أن المـدكر بعـد أمـة هـو الـذي أنسـاه الشـيطان ذكـر ربـه حـتى تـذكر، وحـتى لـو صـح أن الضمير من أنساه راجع إلى يوسف عليه السلام لمـا كان في ذلك نقص ولا ذنب اذ مـا كـان بالنسـيان فلا يبعد عن الانبياء".

وقــد رد عليهم من واقــع الآيــات وســياقها الكــريم وفقهها العظيم شيخ الإسـلام الإمـام ابن تيميـة، بعـد ذكره لما نسبوه إلى يوسـف عليـه الصـلاة والسـلام، وأن لبثـه في السـجن ليس لـذنب أتـاه، وإنمـا كـان كرامة لـه، وأن يوسـف لم ينس ذكـر ربـه؛ بـل كـان ذاكراً له.

وكذلك رد عليهم تلميذه ابن كثـير، وأن مـا رُوِيَ على أنه حديث عن النبي صلى الله عليـه وسـلم لم يثبت؛ بل ضعيف جداً.

قال شيخ الإسلام (كما في مجمـوع الفتـاوى: 15/11 2): "قال - تعالى -: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّـيْطَانُ ذِكْـرَ رَبِّهِ﴾، قيل: أُنْسِىَ يوسف ذكر ربه، لَمَّا قال : ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ.

وقيل: بل الشيطان أَنْسَى الذي نجا منهما ذكـر ربـه، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله: اذْكُـرْنِي عِنـدَ رَبِّكَ، قال - تعالى -: فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْـرَ رَبِّهِ، والضـمير يعـود إلى القـريب إذا لم يكن هنـاك دليـل على خلاف ذلك؛ ولأن يوسف لم ينس ذكر ربـه؛ بـل كان ذاكرًا لربه.

وقد دعاهما قبل تعبير الرؤيا إلى الإيمان بربه، وقـال لهما: يَا صَاحِبَيِ السِّـجْنِ أَأَرْبَـابٌ مُّتَفَرِّقُـونَ خَيْـرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِـدُ الْقَهَّارُ مَـا تَعْبُـدُونَ مِن دُونِـهِ إِلاَّ أَسْـمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُـلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّـهِ أَمَـرَ أَلاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِـكَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ.

وقال لهما قبل ذلك: لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِـهِ، أي: في الرؤيا[1]: إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَـا بِتَأْوِيلِـهِ قَبْـلَ أَن يَأْتِيكُمَا، يعـنى: التأويـل: ذَلِكُمَـا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَـرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّـهِ وَهُم بِـالآخِرَةِ هُمْ كَـافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَـا كَـانَ لَنَـا أَن نُّشْـرِكَ بِاللّـهِ مِن شَـيْءٍ ذَلِـكَ مِن فَضْـلِ اللّـهِ عَلَيْنَـا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لاَ يَشْـكُرُونَ، فبهذا يذكر ربه - عز وجل - فإن هذا مما علمـه ربـه؛ لأنه تـرك ملـة قـوم مشـركين لا يؤمنـون باللـه، وإن كانوا مقرين بالصانع ولا يؤمنون بـالآخرة، واتبـع ملـة آبائه أئمة المؤمنين - الذين جعلهم الله أئمـة يـدعون بـأمره - إبـراهيم وإسـحاق ويعقـوب، فـذكر ربـه ثم دعاهما إلى الإيمان بربه .

[1] أي: أجراً لتفسير الرؤيا لهما.

ثم بعد هذا عبر الرؤيا فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾، الآية، ثم لما قضى الرؤيا قال للذي نجا منهما: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، فكيف يكون قد أَنْسَى الشيطان يوسف ذكر ربه؟، وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه، أي: الذكر المضاف إلى ربه والمنسوب إليه، وهو أن يذكر عنده يوسف.

والذين قالوا ذلك القول، قالوا: كان الأولى أن يتوكل على الله، ولا يقول: اذكرني عند ربك، فلما نسى أن يتوكل على ربه جوزي بِلُبْثِه في السجن بِضْعَ سنين.

فيقال: ليس في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، ما يناقض التوكل، بل قد قال يوسف : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾، كما أن قول أبيه: ﴿لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾، لم يناقض توكله، بل قال: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وأيضًا، فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين، والمخلص لا يكون مخلصًا مع توكله على غير الله، فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركًا لا في عبادته ولا توكله، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عِبادِه ؟!!.

وقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، مثل قوله لربه:﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، فلما سأل

الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضًا للتوكل، ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه، فكيف يكون قوله للفتى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، مناقضًا لِلتَّوَكُّل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به؛ ليعلم حاله ليتبين الحق، ويوسف كان من أثبت الناس.

ولهذا بعد أن طُلب: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾، قال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾؛ فيوسف يذكر ربه في هذه الحال كما ذكره في تلك، ويقول: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾؛ فلم يكن في قوله له: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، ترك لواجب، ولا فعل لمحرم، حتى يعاقبه الله على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين، وكان القوم قد عزموا على حبسه إلى حين قبل هذا ظلمًا له، مع علمهم ببراءته من الذنب.

قال الله - تعالى -: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾، ولبثه في السجن كان كرامة من الله في حقه؛ ليتم بذلك صبره وتقواه، فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال؛ ولهذا قال: ﴿أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولو لم يصبر ويتق، بل أطاعهم فيما طلبوا منه جزعًا من السجن، لم يحصل له هذا الصبر والتقوى، وفاته الأفضل باتفاق الناس".

وقال الحافظ العماد ابن كثير (في تفسيره: 4/391): "﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ

فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ، لما ظن[1]يوسف عليه السلام نجاة أحِدهما - وهو الساقي - قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم، لئلا يشعره أنه المصلوب: اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ، يقول: اذكر قصتي عند ربك - وهو الملك - فنسى ذلك الموصَى أن يُذَكِّر مولاه بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان، لئلا يطلع نبي الله من السجن.

هذا هو الصواب أن الضمير في قوله: فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، عائد على الناجي، كما قال مجاهد، ومحمد بن إسحاق وغير واحد.

ويقال: إن الضمير عائد على يوسف، عليه السلام، رواه ابن جرير، عن ابن عباس، ومجاهد - أيضاً -، وعِكْرِمة، وغيرهم. وأسند ابن جرير هاهنا حديثاً فقال:حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا عَمْرو بن محمد، عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو لم يقل - يعني: يوسف - الكلمة التي قال: ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله".

وهذا الحديث ضعيف جداً؛ لأن سفيان بن وَكِيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد - هو الخُوزي - أضعف منه - أيضاً -.

وقد رُوي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسَلات هاهنا لا تقبل لو قبل المُرسَل من

[1] أي: تيقن؛ وليس الظن الذي هو عكس اليقين.

حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم".

قلت: يريد بن كثير: إذا لم يتعلق بنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو يوسف، ولم يكن ذلك الحال بهذه الأهمية، فإذا كان الأمر كذلك في الأهمية والخطورة فلا يقبل فيه المرسل؛ لعدم اتصال سنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: ولقد بالغ في السوء إذ قال في الحاشية: "عجباً لبعض المفسرين كيف يرجعون الضمير في قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾، إلى الفتى الخادم ولم يرجعوه إلى يوسف عليه السلام كما رجعه ابن جرير الطبري؛ إذ لوكان الضمير يصح رجوعه إلى الخادم لكان النظم القرآني فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه فلبث في السجن.

انظر إلى هذا التعليل البارد الذي أراد تقوية حجته به على إلصاقه بيوسف ما جزم به - جهلاً -.

وأبرد منه تعجبه من ترك ترجيع الطبري للضمير، وكأن مجرد قول الطبري حجة!!.

والطبري اتبع في ترجيعه للضمير رواية لم تثبت، فلا يعتمد عليها، وآثاراً لا حجة فيها، ومعلوم اغتراره بما ينقله من آثار.

وقول الجزائري عن يوسف عليه الصلاة والسلام: "فلبث في السجن بضع سنين أي: سبع سنوات عداً".

قلت: والبضع في لغة العرب من الثلاثة إلى العشرة؛ فغريب جزمه بسبع سنين مع الإجمال في

العدد، والعلماء منهم من قال: سبع سنين ومن قال: اثنتا عشرة سنة ومن قال: أربع عشرة سنة؛ فاضطراحه هذا والجزم بالسبع - بلا حجة - من التحكم غير المقبول.

الموضع الحادي عشر.

قــول الجزائــري عن ذي القــرنين المســلم: "إنــه الإســكندر بــاني الإســكندرية..وكـان عبـداً صـالحاً "، وباني الإسكندرية المقدوني كافر يعبد الأوثان!!:

وباني الإسكندرية هو الإسكندر المقدوني - الذي كان وزيــره أرســطو - وثــني مشــرك كــافر، من عبــدة الكواكب، وذو القرنين مؤمن موحد صالح، وقـد قيـل إنه نبي، وقد آتاه الله من الأسـباب مـا مكنـه بـه في الأرض، وكان عنده من السياسة الشرعية والعدل ما اســتحق بــه - من اللــه - التمكين في الأرض, ومــا لأجلــه وفقــه اللــه وأعانــه؛ لأنــه - على قــول - من الملوك الصالحين والأولياء العالمين.

وكان ملتزماً لمرضـاة اللـه في كـل الشـؤون - على القول أنه ملك وليس نبياً، و**الأرجح أنـه نـبي ملك** -، بل من العلماء المحققين المتقـدمين والمتـأخرين من يرى أنه نبي ومنهم الإمـام ابن كثـير، فقـد قـال: "وقد كان نبياً على ما قررناه".

وهـو من الأنبيـاء الملـوك، مثـل: داود وابنـه سـليمان عليهما الصلاة والسلام.

وقد خير الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بين أيكون نبياً ملِكاً أو عبداً رسولاً؛ فاختار أن يكون عبداً رسولاً.

وقال سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز عبد الله بن باز،: "الأرجح في ذي القرنين أنه نبي، هذا هو القول الأرجح"، وسيأتي وغيره من كلام أهل العلم.

وجَعْلُ المقدوني الكافر محل المسلم الموحد تكفير للمسلم بدلاً من تكفير الكافر، وذلك ما بين العلماء خطورته، كما سيأتي؛ مثل قول ابن كثير: "**فيقع بسبب ذلك خطأ كبير، وفساد عريض طويل كثير**".

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/670) عند قوله - تعالى - الآية: (83)، في سورة الكهف: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، في شرح الكلمات :"ذي القرنين:الإسكندر باني الإسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك التبابعة وكان عبداً صالحاً"؟!!.

وقال في معنى الآيات: "هذه قصة العبد الصالح ذي القرنين الحميري التُّبَّعي: على الراجح من أقوال العلماء، وهو **الإسكندر باني الإسكندرية المصرية**"!!، وقال: "وهذا بدء الحديث المتضمن للإجابة عن **الملك ذي القرنين عليه السلام**"!، وقال بعد قوله - تعالى -: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾، الآية: "وقد يكون نبياً، وقول الله هذا له وحياً"!!.

قلت: قوله: "على الراجح" من مجازفاته وجهالاته؛ فالمسألة ليس فيها راجح ومرجوح, وهو يزعم هذا وكأنه من علماء الترجيح!!, وما زعمه ليس كذلك عند العلماء؛ فهما رجلان وهذا غير ذاك، شخصاً وتاريخاً, فهو يجول في غير ميدان ولا طعان, ويقال له: "ليس هذا عشك فادرجي"، وهو من ضمن الجهال الذين سيشير إليهم شيخ الإسلام.

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على هذا القول وقائله (في الرد على المنطقيين ص: 182): "والمشهور المتواتر أن أرسطو وزير الإسكندر ابن فيلبس كان قبل المسيح بنحو ثلاثمئة سنة، و**كثير من الجهال يحسب أن هذا هو ذو القرنين المذكور في القرآن**، ويعظم أرسطو بكونه كان وزيراً له، كما ذكر ذلك ابن سيناء، وأمثاله **من الجهال بأخبار الأمم**".

فليلحق الجزائري بهؤلاء الجهال الضلال عند العلماء.

وقال ابن تيمية - أيضاً - (في منهاج السنة النبوية: 1 /220): "كان أرسطو قبل المسيح بن مريم عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة، كان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدوني الذي غلب على الفرس، وهو الذي يؤرخ له اليوم بالتاريخ الرومي، تؤرخ له اليهود والنصارى.

وليس هذا الإسكندر: هو ذا القرنين المذكور في القرآن كما يظن ذلك طائفة من الناس، فإن ذلك كان متقدماً على هذا، وذلك المتقدم هو الذي بنى

سـد يـأجوج ومـأجوج، وهـذا المقـدوني لم يصـل إلى السد، وذاك كان مسلماً موحداً، وهذا المقدوني كـان مشركاً، هو وأهل بلده اليونان كانوا مشركين يعبدون الكواكب والأوثان".

ومثلــه قولــه (في الفرقــان.. وكمــا في مجمــوع الفتاوى: 11/171): "أرسطو وأمثاله كانوا مشــركين يعبــدون الأصــنام والكــواكب، وكــان أرســطو قبــل المسـيح عليـه السـلام بثلاثمائـة سـنة، وكـان وزيـراً للإسكندر بن فيلبس المقدوني، وهـو الـذي تـؤرخ لـه تواريخ الروم واليونان، وتـؤرخ لـه اليهـود والنصـارى؛ وليس هذا هو ذو القرنين الذي ذكره اللـه في كتابـه، كما يظن بعض النـاس أن أرسـطو كـان وزيـراً لـذي القرنين لمـا رأوا أن ذاك اسـمه الإسـكندر وهـذا قـد يسمى بالإسكندر ظنـوا أن هـذا ذاك، كمـا يظنـه ابن سـينا وطائفــة معــه، وليس الأمــر كــذلك؛ بــل هــذا الإسكندر المشرك - الذي قد كـان أرسـطو وزيـره - متـأخر عن ذاك، ولم يبن هـذا السـد، ولا وصـل إلى بلاد يــأجوج ومــأجوج، وهــذا الإســكندر الــذي كــان أرسطو من وزرائه يؤرخ له تاريخ الروم المعروف".

وقال ابن القيم (في إغاثـة اللهفـان: 2/260): "ومن ملــوكهم [اليونــان] الإســكندر المقــدوني وهــو ابن فيلبس، و**ليس هو بالإسكندر ذي القرنين الذي قص الله** - تعالى - **نبأه في القـرآن**، بـل بينهمـا قـرون كثـيرة، وبينهمـا في الـدين أعظم تبـاين، فـذو القرنين كان رجلاً صالحاً موحداً لله - تعالى -:

يؤمن بالله - تعالى - وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكان يغزو عباد الأصنام، وبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وبنى السد بين الناس ويأجوج ومأجوج، وأما هذا المقدوني فكان مشركاً يعبد الأصنام هو وأهل مملكته، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمئة سنة، والنصارى تؤرخ له، وكان أرسطاطاليس وزيره".

وقال ابن كثير (في البداية والنهاية: 2/122-225): "وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن بشير، عن قتادة، قال اسكندر: هو ذو القرنين، وأبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام.

فأما ذو القرنين الثاني فهو: اسكندر بن فيلبس..المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية، الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخراً عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره..

وإنما نبهنا عليه لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن، هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره **فيقع بسبب ذلك خطأ كبير، وفساد عريض طويل كثير**.

فإن **الأول**: كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكًا عادلاً، وكان وزيره الخضر، وقد كان نبياً على ما قررناه قبل هذا.

وأما **الثاني**: فكان مشركاً، وكان وزيره فيلسوفاً، وقد كان بين زمانهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا؟، لا يستويان ولا يشتبهان إلا على **غبي لا يعرف حقائق الأمور**".

وقال بدر الـدين العيـني (في عمـدة القـاري: 23/17 8): "وذو القرنين المذكور في القـرآن، المـذكور في ألسنة الناس بالإسكندر ليس الإسكندر اليوناني؛ فإنه مشرك ووزيره أرسطاطاليس"، إلى أن قال: "وقـال وهب بن منبه اسمه الاسكندر.

قلت: ومن هنا يشارك الإسكندر اليوناني في الاسـم، وكثـير من النـاس يخطئـون في هـذا ويزعمـون أن الإسكندر المذكور في القرآن هو الإسكندر اليونـاني، وهذا زعم فاسـد؛ لأن الإسـكندر اليونـاني الـذي بـنى الإسـكندرية كـافر مشـرك، وذو القـرنين عبـد صـالح ملك الأرض شرقاً وغرباً حتى ذهب جماعة إلى نبوته منهم الضحاك وعبد الله بن عمر، وقيل كـان رسـولاً، وقال الثعلبي والصحيح - إن شاء الله - كان نبياً غــير مرسل ووزيره الخضـر عليـه الصـلاة والسـلام فـأنى يتساويان".

وقول الجزائري: "وقد يكون نبياً، وقول اللـه هـذا لـه وحيـاً" من تناقضـه وتخليطـه الكثـير، وهـو خلـط بين الإسكندر بـاني الإسـكندرية المقـدوني المشـرك هـو وقومه، وبين ذي القرنين المسلم الموحـد - وهـو مـا يقصده بقوله: "وقد يكون نبياً.."-.

فقد اختلـف العلمـاء في نبوتـه، وسـبقت إشـارة ابن تيمية إلى الخلاف فيه، وسبق تقرير ابن كثير لنبوتــه، وتصحيح الثعلبي لنبوته - أيضاً - وهــو من المتقـدمين كثيراً على ابن كثير بقوله: "والصحيح - إن شـاء اللـه - كان نبياً غير مرسل" كما عند العيني، وقال العيني: "ذهب جماعة إلى نبوته منهم الضحاك وعبد اللــه بن عمر، وقيل كان رسولاً".

فقد قال بنبوته جماعـة من السـلف المتقـدمين كمـا ترى عند العيني.

وقد سئل سماحة شيخنا عبـد العزيـز بن عبداللـه بن باز - رحمـه اللـه - (في نـور على الـدرب: 27/254) عن ذي القرنين، هل هو نبي؟.

فأجاب: "الأرجح في ذي القرنين أنه نبي هذا هو القول الأرجح، وقال بعضهم أنه رجل صالح، ملك صالح، ولكن ظاهر القرآن الكريم أنه نبي، ولهذا قال الله - جل وعلا -: ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾، إلى آخر القصة، فظاهر سياق القرآن أنه نبي يتلقى الأوامر عن الله - عز وجل -"، وزيادة في التسجيل بعد ذكره بقية الآيات الواردة في قصة ذي القرنين، قال فيها:
"هذا السياق يقتضي أنه من أمر الله وأن الله أمره بهذا" وقال: "ظاهره أن هذا كله من عند الله - سبحانه وتعالى -، السياق يدل على أنه يتلقى هذه الأوامر وهذه التوجيهات من ربه - عز وجل -، وهذا هو شأن النبي".
ويلاحظ في تعبير الشيخ: بـ "(الأرجح)، ولم يقل: راجح أو الراجح، الذي يدل على تأكد الرجحان عنده.
وقال (في: 27/254 - أيضاً -): "ذو القرنين ملك عظيم صاحب خير وإحسان وإصلاح، واختلف الناس في نبوته، والمشهور أنه ملك صالح".
فهو - رحمه الله - ذكر أن الخلاف فيه مشهور، وهو كذلك؛ ولكن كما رأينا أن الأرجح عنده بالأدلة نبوته، وهو يوافق ما ذكرناه عند غيره.
وما تقدم من الأدلة وكلام العلماء يدل على أن ذا القرنين نبي، وأنه يوحي إليه.

قلت:وأرخت موسوعة الأمير سلطان بن عبد العزيز - رحمه الله - (الموسوعة العربية العالمية: 1/479) موت الإسكندر المقدوني بسنة (ثلاث وعشرين وثلاثمئة) قبل الميلاد. مما يتفق مع ما أرخه شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن كثير.

وللشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين ضمن مقال أرسله إلي في: 4/4/1434هـ وفيه استياؤه من تفسير الجزائري للقرآن لجهله بالتفسير على طريقة العلماء، ودقتهم واحتياطهم والتزامهم بنص الوحي والفقه فيه من أهله الأُوَل، ولخص فيه بعض ملحوظات الرومي في كتابه: نظرات في أيسر التفاسير [أو التبصير بأخطاء أيسر التفاسير] للجزائري، وبعض رد الشيخ حمود التويجري عليه.

وقال بخصوص الفـرق بين مـا أرخـه ابن تيميـة وابن القيم للمقدوني: "قلت: وكان ابن تيمية أدق من ابن القيم في تاريخ حياة الإسكندر المقـدوني الوثـني؛ إذ أرخ ابن تيميــة حياتــه بنحــو: 300 وابن القيم بنحــو: 1600 سـنة قبـل المسـيح صـلى اللـه عليـه وسـلم؛ فالموسوعة الأمريكية تـؤرخ حياتـه بين: 356 و 323 قبل المسيح".

ويتفق مع ما قاله ابن تيمية ابن كثير، وقريب منه: الموسوعة العربية العالمية، والموسوعة الأمريكية.

قلت: وقد رأيتَ قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "**وكثير من الجهال يحسب أن هذا هو ذو القرنين المذكور في القرآن**، ويعظم أرسطو

بكونه كان وزيراً له، كما ذكر ذلك ابن سيناء، وأمثاله **من الجهال بأخبار الأمم**".

وقول ابن كثير: "وإنما نبهنا عليه؛ لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد؛ وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، **فيقع بسبب ذلك خطأ كبير، وفساد عريض طويل كثير**"، وقال: "لا يستويان ولا يشتبهان إلا على **غبي لا يعرف حقائق الأمور**".

وقول العيني: "وكثير من الناس يخطئون في هذا ويزعمون أن الإسكندر المذكور في القرآن هو الإسكندر اليوناني، و**هذا زعم فاسد**"

فيتوجه إلى الجزائري ما قاله أهل العلم والتحقيق في شأن ذي القرنين، وأنه ليس الذي ذهب إليه الجزائري بغفلته وجهله المركب.

أما قول الثعلبي عن ذي القرنين: " ووزيره الخضر"، وقول ابن كثير: "وكان وزيره الخضر"؛ فالخضر نبي - أيضاً - ونبوته أوضح من نبوة ذي القرنين، واختلف فيه هو الآخر، وقد ورد في كتاب الله - تعالى -، والحديث ما يثبتها، ومن ذلك:
قوله - تعالى -: ﴿عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾، والرحمة ورد في عدة مواضع من كتاب الله أنها هي النبوة، كما في قوله - تعالى -: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّك﴾، و قوله - تعالى﴿ :- وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾، والرحمة هنا المقصود بها النبوة.

وقوله - تعالى -: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، وهذا يقتضي أن الله علمه بلا واسطة البشر، وهذا لا يكون إلا نبياً يعلم الأمور بالوحي من الله - تعالى -.
وقول موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، والنبي لا يتبع إلا النبي في التعليم.
وكذلك قوله - تعالى - عن الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، إذن فالخضر - أيضاً - يوحى إليه من عند الله - تعالى - وما فعله كان بأمر الله - تعالى - له وبوحيه وعلمه، وإلا لما وسعه الخروج عن اتباع موسى وهو نبي..
والخضر قد أظهر العلم على موسى فقال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، وأظهر موسى التواضع للخضر، فقال: ﴿وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، وكل ذلك يدل على أن ما عند الخضر من العلم لم يكن عند موسى ومن لا يكون نبياً لا يكون كذلك، وهذا هو أصل قصة موسى في سؤال بني اسرائل له وجوابه لهم، وهو الأصل في بحثه عن الخضر.
وقول الخضر لموسى- كما في البخاري -: «يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه»، وقول الخضر - أيضاً - لموسى - كما في البخاري -: "«يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر».
بل إن سياق الآيات الأربع من سورة الكهف تدل دلالة قطعية على نبوته، قال - تعالى -: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ

فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنز لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾

وكل ما سبق هو من القطع واليقين على نبوة الخضر والنص عليها.

وقد استغل الصوفية القبورية الضلال قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام بقولهم: الخضر ولي وقد وسعه الخروج عن شريعة نبي الله موسى فالأولياء يسعهم الخروج عن شريعة محمد صلى عليه وسلم كما خرج الخضر عن شريعة موسى!!.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا﴾.

بل الولاية عندهم فوق النبوة، ومن ذلك قولهم، وهو ما يرددونه وكأنه آية من القرآن الكريم:

مقـــــام النـــــبوة في برزخ   فـويق الرسـول ودون الوليّ

ويوضح هذا أحد أئمة الصوفية وهو سعد الدين حمويه، فيقول في مثنويّه: "واو الولاية أقرب إلى الحضرة الإلهية من نون النبوة، فلأجل هذا التقرب تعتبر الولاية أفضل من النبوة"!!.

وما ذكرناه من نبوة الخضر بالدليل وكلام العلماء يقطع الطريق عليهم ويدحض تحججهم الباطل،

وخرافتهم وسخافاتهم في عقائدهم الأكثر بطلاناً وسخفاً وسماجة، كما تدفعه الرسالة والشريعة كلها.

ويشبه الجزائري في التخليط والجهل - في شأن ذي القرنين - قصة من ذكره ابن الجوزي (في كتابه: أخبار الحمقى والمغفلين ص:150)؛ إذ قال: "عن ثمامة بن أشرس قال: شهدت رجلاً وقد قدم خصماً له إلى بعض الولاة، فقال:

أصلحك الله، أنا رافضي ناصبي، وخصمي جهمي مشبه مجسم قدري، يشتم الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على علي بن أبي سفيان، ويلعن معاوية بن أبي طالب؛ فقال له الوالي: ما أدري مم أتعجب؟ من علمك بالأنساب أم من معرفتك الألقاب، قال: أصلحك الله، ما خرجت من الكتاب حتى تعلمت هذا كله"!!.

وأمثال هذا التخبط والتخليط ما قد عرفناه عن الجزائري خلال معايشتنا له - عن قرب - خلال سنين طوال، فهو - أحياناً - لا يدري ما يخرج من لسانه، وهذا ما عبر عنه صاحبه والمماحك عنه بالباطل عبد المحسن العباد - كما تقدم - بـ (دلو ما ودلو طين).

وقد رأيتُ سباقاً - على جائزة - أجري في إحدى الفضائيات يسأل فيه عن ذي القرنين فأعطيت الجائزة للذي أجاب أنه المقدوني على الخطأ، وحرم منها الذي أجاب الإجابة الصحيحة.

ولعل الفائز أخذ الإجابة الخطأ من تفسير الجزائري؛ لأن العوام يرجعون إليه لسهولة الوصول إليه في

الإنترنت واتساع انتشاره، والاغـترار بـدعاوى صـاحبه وشهرته.

وقد تكون أخذت من غيره ممن شـاكله من الجهـال؛ فليحذر من هذا الفساد الذي يقع بسـببه تزويـر كبـير للحقائق يتحقق به الظلم ويزول به العـدل. والعجيب أنه لا يرجع عما كتبه في تآليفه أو يصححه، كما نبهت إليه - فيمـا تقـدم -، وذكـر ذلـك الشـيخ التـويجري - أيضاً -، ولعل هذا ما حدا بمن تحدث عنهم الجزائـري نفســه من الإنكــار عليــه في تــاريخ: 20/7/1426هـ بقولـــه في درســـه بالمســـجد النبـــوي: "معشـــر المسـتمعين والمسـتمعات **طلبـة العلم**: **احتجـوا علينا وشكونا إلى العلماء وأئمة المسجد**..أنــا أوجه السـؤال مثلكم وأجيبكم عنـه وأنتم مـا سـألتم، وتتعلمـون ونسـتفيد كلنـا والحمـد للـه و**ما عصـينا الآمرين لنا بترك الأسئلة**.

والآن معشـــــر الإخـــــوان أســـــألكم وأجيبكم؛ **لأن الإخوان طلبـة العلم في الروضـة قـالوا مـا نريد أن نسمع أسئلتك يا شيخ، واشتكوا إلى المفتي عبد العزيز** - والعياذ بالله -.

ما هذا إلا جهل فقط وإلا والله ما في الأسئلة إلا علم ومعرفة - والله - أكثر من الدرس، فلمَ يبغضون هـذا ويغضبون ويشتكون؟"!!.

قال: "جهل فقـط"!!، إنـه كمـا قيـل: "رمتـني بـدائها وانسلت".

وكون المسئولين والآمرين منعوه من الأسئلة، والطلاب ما يريدون أن يسمعوا أسئلته، وشكوه إلى

العلماء وأئمة المسجد وإلى المفتي، دليل على تخليطه، وأن ما يقرره في أسئلته مجانب للحق والصواب، ويتضرر به سامعوه والآخذوون عنه، وليس كما قال: "علم ومعرفة" تزكية لنفسه!!.

وهو ما كشفناه وأطلعنا على حقيقته من ما يُرَى في هذا الكتاب، نسأل الله أن يبارك ما فيه من علم نافع ويعفو عن كاتبه ويجزل له المثوبة ويتجاوز عن ما فيه من خطل أو زلل.

الموضع الثاني عشر.

ادعـاؤه المشـروعية وجعلهـا دينـاً بلا دليـل أو حجـة شرعية:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/63) عند قوله - تعـالى - الآيـة: (113)، في سـورة الأعـراف:وَجَـاءَ السَّـحَرَةُ فِرْعَـوْنَ قَـالُوا أئنَ لَنَـا لَأَجْـرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، فيما زعمه من هداية الآيات: "فيه مشروعية: طلب الأجرة على العمـل الـذي يقـوم بـه الإِنسـان خارجـاً عن نطـاق العبادة"!!.

وقـال: "فيـه مشـروعية الترقيـات الحكوميـة لـذي الخدمة الجُلى للدولة"!!.

قلت: استنتاجه من قـول السـحرة، وقـول فرعـون جواباً للسحرة - في ما ذكره الله عنهم - مشروعية: غير متجه، بل غير صحيح؛ فـالحكم الشـرعي لا يثبت

إلا بدليل، وقد يكون للمشروعية أدلة أخرى فتكون مشروعة، ولكن لا يؤخذ بهذه الطريقة التي تدل على الجهل بالشرع, والجرأة على القول بلا علم، إذا كان النص المفسر لا يدل عليها.

وقد رد عليه الشيخ العلامة حمود التويجري في استنتاجه (في كتابه: القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ)، وقال في رده عليه في هذين الاستنتاجين: "**قد بلغ النهاية في الغرابة والهجنة**"، ويأتي الرد كاملاً.

ورد عليه الشيخ العلامة الرومي (في: التبصير بأخطاء أيسر التفاسير)، ورددت عليه في كتابي (الإكسير) في نقض أيسر التفاسير، و(طليعته)، وكتابي (حقيقة الانتصار..).

وأقول له: إذا كان ما يقرره من هذا النوع هو العلم فما هو الجهل؟!!، كما قاله قبلي عن تقاريره الشيخ سعد بن عبد الحمن الحصين.

الموضع الثالث عشر.

ادعاؤه المشروعية بلا دليل - كالموضع الذي قبله - في قوله: "مشروعية ولاية العهد"!!:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/91) عند قوله - تعالى - الآية: (124)، في سورة البقرة:﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ: "مشروعية ولاية العهد .."!!.

قلت: ادعاء المشروعية بغير دليل أو حجة شرعية كثير في تفسيره، كما في الموضع الذي قبله وقد قدمنا له أمثلة أخرى، وتفسيره للعهد بالولاية ظاهرية جامدة تدل على ضحالة وسطحية في الفهم أو تحكم بالهوى وهو خروج عن النص ؛ فإنه لا وجود في النص لما ذهب إليه، والسياق الكريم بين المراد بالعهد؛ فالعهد في الآية إنما هو: النبوة والدين والخير والإمامة فيه، كما بين ذلك أئمة المفسرين، مثل ابن جرير الطبري، والبغوي،وابن كثير وغيرهم.

قال الإمام ابن جرير الطبري (في تفسيره: 1/530): "هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماماً يقتدي به أهل الخير، وهو من الله جل ثناؤه جواب لما توهم في مسألته إياه أن يجعل من ذريته أئمة مثله، فأخبر أنه فاعل ذلك إلا بمن كان من أهل الظلم منهم فإنه غيرُ مُصيِّرِه كذلك، ولا جاعله في محل أوليائه عنده بالتكرمة بالإمامة؛ لأن الإمامة إنما هي لأوليائه وأهل طاعته دون أعدائه والكافرين به".

وقال الإمام البغوي (في تفسيره: 1/112): "ومعنى الآية لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالماً من ولدك، وقيل أراد بالعهد: الأمان من النار، وبالظالم: المشرك كقوله - تعالى -: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ".

قال الإمام ابن كثير(في تفسيره: 1/292): "قوله: قال: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، قال: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، لما جعل الله إبراهيم إماماً سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته فأجيب إلى ذلك، وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم"

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي (في تفسيره: 1/136): "لا ينال عهدي الظالمين: أي لا ينال الإمامة في الدين من ظلم نفسه وضرها وحط قدرها؛ لمنافاة الظلم لهذا المقام فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟، ودل مفهوم الآية أن غير الظالم سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها".

الموضع الرابع عشر.

تسميته لنبي الله نوح عليه الصلاة والسلام بغير اسمه في القرآن؛ إذ سماه: "عبد الغفار"!!، ولا يجوز العدول عن اسمه الذي ذكره الله به وناداه به وكرره في كتابه، وقد تكون تلك التسمية متلقاة عن بني إسرائل:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/334) عند قوله - تعالى - الآية: (25)، في سورة هود :وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

نُوحًـا إِلَى قَوْمِـهِ إِنِّي لَكُمْ نَـذِيرٌ مُبِيْنٌ: "إن نوحـاً واسمه: (عبد الغفار) أول رسول إلى أهل الأرض"

قلت: قوله: "واسمه: (عبد الغفـار)"؟!!، عـدول عن النص الذي يفسره، وتسمية لنـبي ورسـول من أولي العزم من الرسل باسم غير اسمه الذي ذكره الله به وناداه به، وكرره في كتابه، وعرف بـه هـذا الرسـول الكـريم، مخالفـاً لمـا يجب أن يعتقـد ممـا دلت عليـه النصوص من الكتاب والسنة.

ومخالفاً لما عليه عامة علماء الأمة، ومن المفسرين من قـال اسـمه السـكن - وهم الأكـثر - ومنهم من قال: اسـمه: (شـاكر)، والمحـاربي: صـاحب المحـرر الوجيز ذكر أن اسمه: (عبد الجبار)، وقد يكـون ذلـك من الإسرائليات، والنصـوص حاكمـة عليـه، ولم أجـد من ذكره بهذا الاسـم الـذي ذكـره الجزائـري، وكـان الأجـدر بـه أن يقتصـر على اسـمه الـوارد في النص، ولما أورد غيره مـا كـان ينبغي لـه أن يجـزم بـه هـذا الجزم.

وهو من غرائبه التي أغـرم بهـا وحشـى بهـا تفسـيره لينال بهـا الشـهرة ولا ينالـه منهـا إلا سـفولاً وشـهرة بالباطـل وهـو فضـيحة؛ لمـا نشـره من شـر وفسـاد وإفساد، وكأنه لما أتى بهذا قد أتى بشـيء من العلم لم يأت به الأوائل!!، على منطق من قال:

وإني وإن كنت الأخير زمانه   لآت بـمـا لـم تستـطعـه الأوائل

وصدق القائل (كما في النظائر للشيخ بكر أبو زيد ص: 190): "**الانفراد عن أهل العلم برأي في الشرع، والقول بما لم يقل به أحد ينبئان عن خلل في العقل**،..وفي فضائل أبي حنيفة وأصحابه، لابن أبي العوّام بسنده إلى زفر بن الهذيل أنه قال ما معناه: **إني لا أناظر أحداً حتى يسكت، بل أناظره حتى يجن، قالوا: كيف ذلك؟ قال: يقول بما لم يقل به أحد**"!!.

الموضع الخامس عشر.

شذوذه عن أهل العلم بتفسير باطل، وهو تفسيره قول الله - تعالى -: "﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، أي: لا يعرفون أسرار القتال ونتائجه .."!!، ونَفْي الفقه عن القوم يتعلق بفقدهم عقيدة الإيمان والإخلاص والاحتساب، وتوفرها لدى المؤمنين:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/154) عند قوله - تعالى - الآية: (65)، في سورة الأنفال:﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ:﴾" ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، أي: لا يعرفون أسرار القتال ونتائجه بعد فنونه وحذق أساليبه".

قلت: هذا التفسير غير صحيح, بل هو باطل؛ فإن نفي الفقه عن القوم يتعلق بفقدهم عقيدة الإيمان

والإخلاص والاحتساب: الإيمان بالله وثوابه على الجهاد في سبيله وموعوده الذي وعده المجاهدين الصادقين في قتال أعدائه، وهو: النصر أو الشهادة وعظيم الأجور، مع ما ينالونه من مغنم عند الانتصار؛ فقد أحل لهم المغانم.

والإيمان بوعيده والخوف من شديد عقابه على الفرار حال مواجهة الكفار عند الزحف، وذلك كله يحمل المؤمنين على الصبر والثبات كما في أول السياق الكريم في الآية، وفي اللحاق - أيضاً -: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

قال - تعالى -: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

والكفار والمشركون على خلاف المؤمنين في ذلك كله؛ فهم لا يفقهونه فقه المؤمنين، وقد قال الله - تعالى - عنهم : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

كما لا تخفى مخالفة تفسير الجزائري لواقع المتقاتلين، ويعني - أيضًا - نفي الفقه عن المؤمنين حينما لا يعرفون أسرار القتال..الخ، وإثباته للكافرين إذا كانوا على العكس من ذلك!!.

قال الإمام ابن جرير الطبري (في تفسيره: 10/3 8) - رحمه الله -: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: "يقول: من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب، ولا لطلب أجر ولا احتساب؛ لأنهم لم يفقهوا

أن الله مـوجب لمن يقاتـل احتسـاباً، وطلب موعـود الله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله، فهم لا يثبتون إذا صُدِقُوا في اللقاء خشية أن يقتلوا فتــذهب دنياهم".

وقال البغوي (في تفسيره: 2/260) بنحوه، ونصه: " ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، أي: أن المشـركين يقـاتلون على غـير احتسـاب ولا طلب ثـواب ولا يثبتـون إذا صـدقتموهم القتال خشية أن يقتلوا".

إذن فليس المــراد بالفقــه المنفي عن الكفــار في الآية: الفقه بأساليب القتال - ولا يسمى ذلك فقهاً -، فذلك من الأمور المادية التي قـد يكـون عنـد الكفـار معرفــة بهــا، أو أن يكونــوا أكــثر معرفــة بهــا من المسـلمين؛ وإنمـا المنفي عنهم هـو علمهم بحكمـة اللــه في تشــريعه، فهم لا يعرفــون حكمــة اللــه ولا يطلبون ما رتبـه على الجهـاد في سـبيله، إذ إنهم قـد فقدوا الأصل وهو: الإيمان.

ولم يكلــف اللــه المؤمــنين من إعــداد القــوة إلا مــا يستطيعونه ويقدرون عليه منها، كما قال - تعالى -:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَـاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَـرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، فقد قـال: ﴿تُرْهِبُـونَ﴾، وهـذا غـير مـادي، وإذا هم أعـدوا مـا يسـتطيعونه ينصـرهم بأسباب منها ما يكون ماديـاً، كالإمـداد بالملائكـة كمـا حصل في معركة بدر وغيرها.

ومنها ما لا يكون مادياً كقذف الرعب في قلوب الأعداء، كما قال -تعالى -: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخاري ومسلم -: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

وهذه الآية مثل قوله - تعالى -: لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ.

فالسبب والعلة إنما هو الكفر، وقد قال الله - تعالى -: وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا.

الموضع السادس عشر.

ضلاله في قوله: "لا يقبل الظن في العقائد"!!، على طريقة أهل البدع العقلانيين خلاف منهج أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/278) عند قوله - تعالى - الآية: (36)، في سورة يونس: وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا، في هداية الآيات: "لا يقبل الظن في العقائد، بل لا بد من العلم اليقيني فيها"، وقال (في: 2/433) عند قوله - سبحانه - الآية: (108)، في سورة يوسف: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ

عَلَى بَصِيرَةٍ، الآية، وفي هداية الآيات - أيضاً -: "تعين الدعوة إلى الله - تعالى - على كل مؤمن تابع للرسول صلى الله عليه وسلم"

وقال: "تعين العلم اليقيني للداعي إلى الله؛ إذ هو البصيرة المذكورة في الآية".

قلت: هذا القول - بخصوص العقيدة - يوافق عقيدة أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، الذين يرون أن مصدر التلقي العقل، وهو اليقيني عندهم، ولا يرون بناء العقيدة على غير يقينيٍ أو قطعي الدلالة من القرآن، ولا على ما لا تكون دلالته يقينية أو قطعية من الأحاديث المتواترة.

ويقولون عما عدا ذلك: وإن كان قطعي الثبوت لتواتره: إلا أن دلالته ظنية غير قطعية، أما ما ثبت مما يسمى بـ:أحاديث الآحاد؛ فلأنها ظنية الثبوت والدلالة لا يبنى عليها عقيدة عندهم، ويقولون: إنما تبنى العقيدة على البراهين العقلية ومحلها علم الكلام، وهذا مذهب خبيث ومنهج فاسد وعقيدة باطلة؛ لأنها إقصاء لنصوص الشرع واعتماد على العقل وذلك تأليه للعقل.

وعند أهل السنة أن الدليل من الكتاب وما ثبت من السنة متواترها وآحادها حجة يجب المصير إليها في العقيدة وغيرها، وهو من الدين والرسالة التي أرسل بها نبينا صلى الله عليه وسلم، ويجب الاعتقاد والعمل بها، ويكفي في فهمه دلالته على العلم الراجح، وأن الحديث إذا ثبت أفاد العلم والعمل دون

التفريق بين عقيدة وغيرها، والعقل عندهم تابع لا متبوع ومحكوم لاحاكم، ووظيفته في الدين إنما هي فهم الشرع، ولا يجوز إلغاؤه بحال، وهو محل التكليف ومناط الفهم الصحيح.

وقد الله - تعالى -: ﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، واتباع العقل دون الشرع رفض ورد لهذه الآية وغيرها من النصوص

قال الإمام أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي السجزيّ في رسالته لأهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: 101): "ولا خلاف - أيضاً - في أن الأمة ممنوعون من الإحداث في الدين، ومعلوم أن القائل بما ثبت من طريق النقل الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى محدثاً؛ بل يسمى سنياً متبعاً، وأن من قال في نفسه قولاً وزعم أنه مقتضى عقله، وأن الحديث المخالف له لا ينبغي أن يلتفت إليه؛ لكونه من أخبار الآحاد وهي لا توجب علماً، وعقله موجب للعلم، يستحق أن يسمى محدثاً مبتدعاً مخالفاً، ومن كان له أدنى تحصيل أمكنه أن يفرق بيننا وبين مخالفينا بتأمل هذا الفصل في أول وهلة، ويعلم أن أهل السنة نحن دونهم، وأن المبتدعة خصومنا دوننا".

وقال أبو المظفر السمعاني (في الانتصار لأصحاب الحديث: 1/82): "فصل ما بيننا وبين المبتدعة: هو مسألة العقل: فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة، قالوا: الأصل في الدين: الاتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى

الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، وإنما علينا أنقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستسلاماً، وهذا معنى قول القائل من أهل السنة إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم".

وتقدم الرد على المغامسي في هذه المسألة.

قلت: والآية الكريمة لا تدل لما يذهبون إليه بعقولهم - مما يخالفون به عقيدة أهل السنة والجماعة -، فهي تقرر أن المشركين يتبعون ما لا علم لهم بحقيقته وصحته، بل ما هم منه في شك وريبة، تاركين الحق واليقين، وبهذا فسرها المفسرون كابن جرير الطبري - رحمه الله - (في تفسيره: 11/116)، وغيره.

قال أبو المظفر السمعاني (في الانتصار لأصحاب الحديث: 1/34): "الجواب عن قولهم إن أخبار الآحاد لا تقبل فيما طريقه العلم وهذا رأس شغب المبتدعة في رد الأخبار وطلب الدليل من النظر والاعتبار.

فنقول: إن الخبر إذا صح عن رسول الله ورواه الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم

هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة.

وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به **شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول**.

ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد".

و **أقول**: ليت شعري هل الجزائري لما أول صفات الباري - جل وعلا - على غير ظاهرها - كما بيناه من قبل - كان له دليل قطعي؟!!، ما أقبح الجهل!! وأضل الجاهلين، وأجرأهم على القول على الله بلا علم!!.

قال الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري - رحمه الله - (في كتابه الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية ص: 25) في بحث ماتع جميل، نذكره بتمامه لعظيم فائدته: "السؤال العاشر: قول بعضهم إن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة.

والجواب أن يقال: قد دل القرآن والسنة على قبول أخبار الآحاد من غير تفريق بين ما يتعلق بالعقائد وما يتعلق بالأحكام.

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من لدن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وإنما خالف في ذلك بعض أهل البدع ومن تبعهم من المتفقهة المقلدين وغيرهم من العصريين المتكلفين فزعموا أن أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد، وهذا قول لا دليل عليه، وما ليس عليه دليل فليس عليه تعويل، والأدلة من القرآن والسنة وأفعال الصحابة رضي الله عنهم تقتضي التسوية بين العقائد والأحكام وغيرها مما يتعلق بأمور الدين؛ فأما الأدلة من القرآن ففي آيات كثيرة، منها:

قول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، فأمر - تبارك وتعالى - بالتثبت في خبر الفاسق؛ لأنه يحتمل الصدق والكذب فلا يسارع إلى تصديقه خشية أن يكون كاذباً، ولا يسارع إلى تكذيبه خشية أن يكون صادقاً، وبالتثبت تنجلي حقيقة خبره، ومفهوم الآية دال على قبول خبر الواحد العدل من غير توقف فيه.

الآية **الثانية** قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

قال القرطبي في تفسيره: فيه دليل على وجوب العمل بقول الواحد؛ لأنه لا يجب عليه البيان إلا وقد وجب قبول قوله، وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾، فحكم بوقوع البيان بخبرهم انتهى.

قلت: ولهذه الآية نظائر من القرآن تدل على ما دلت عليه من وجوب العمل بخبر الواحد.

الآية **الثالثة** قول الله - تعالى -: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

قال القرطبي في تفسيره: أمر الله - سبحانه وتعالى - أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وما يرين من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم

ويسمعن من أقواله حتى يبلغن ذلك إلى الناس فيعملوا ويقتدوا، وهذا يدل على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين انتهى.

الآية **الرابعة** قول الله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، وهذه الآية الكريمة دالة على قبول خبر الواحد؛ لأن الطائفة تقع على الواحد فما فوقه، قال ابن الأثير في النهاية، وابن منظور في لسان العرب: الطائفة الجماعة من الناس وتقع على الواحد، قلت: ويدل على ذلك قول الله - تعالى -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، الآية، قال البخاري في صحيحه ويسمى الرجل طائفة لقوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية.

ويدل على ذلك - أيضاً - قول الله - تعالى -: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الطائفة الرجل فما فوقه، وقال مجاهد وعكرمة: الطائفة الرجل الواحد إلى الألف، وقال إبراهيم النخعي: أقله رجل فما فوقه، وقال الإمام أحمد الطائفة تصدق على واحد، ذكره ابن كثير عنه.

وأما الأدلة من السنة ففي أحاديث كثيرة، منها **قوله** صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية» الحديث رواه الإمام أحمد والبخاري والدارمي

والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

والأمر بالتبليغ يعم الواحد فما فوقه، وهذا يدل على وجوب العمل بأخبار الآحاد.

الحديث **الثاني** قوله صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه بنحوه، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وهذا يدل على قبول خبر الواحد، وقد روي نحوه عن زيد بن ثابت وأنس بن مالك وجبير بن مطعم والنعمان بن بشير وغيرهم رضي الله عنهم.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث رسله آحاداً ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون: لا نقبل أخبارهم؛ لأنها أخبار آحاد، وكان يبعث المبلغين عنه والداعين إلى الإسلام جماعات وآحاداً، وكانت وفود العرب تقدم عليه جماعات وآحاداً فيأمر كلاً منهم أن يبلغ قومه ويدعوهم إلى الإسلام، وقد قبل صلى الله عليه وسلم خبر تميم الداري عن الدجال، وروى ذلك عنه على المنبر، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم وغيره من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وقبل صلى الله عليه وسلم خبر ابن عمر رضي الله عنهما في رؤية هلال شهر رمضان وعمل به رواه أبو داود.

قال الخطابي في الكلام على حديث ابن عمر رضي

الله عنهما فيه دليل على وجوب قبول أخبار الآحاد، وقبل صلى الله عليه وسلم خبر أعرابي في رؤية هلال شهر رمضان وعمل به، رواه أهل السنن وفيه دليل على وجوب قبول أخبار الآحاد.

وأما قبول الصحابة رضي الله عنهم لأخبار الآحاد وعملهم بها فهو مشهور عنهم وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة، منها ما في الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

فهؤلاء أهل قباء قبلوا خبر الواحد وعملوا به، وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

ومنها: ما في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله – تعالى -: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾، فوجه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر ثم خرج فمر على قوم من الأنصار فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قد وجه إلى الكعبة، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر، وقد رواه الإمام أحمد والترمذي بنحو رواية البخاري

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وهؤلاء المذكورون في حديث البراء رضي الله عنه غير المذكورين في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقد قبلوا خبر الواحد وعملوا به، وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

ومنها: ما رواه الإمام مسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة، فنادى: ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم نحو القبلة.

وهؤلاء المذكورون في حديث أنس رضي الله عنه غير المذكورين في حديثي ابن عمر والبراء رضي الله عنهم، وقد قبلوا خبر الواحد وعملوا به وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

قال الخطابي في الكلام على حديث أنس رضي الله عنه: فيه دليل على وجوب قبول أخبار الآحاد، وقال أبو البركات ابن تيمية: هو حجة في قبول أخبار الآحاد.

ومنها: حديث تويلة بنت أسلم وهي من المبايعات قالت: إنا لبمقامنا نصلي في بني حارثة فقال عباد بن بشر بن قيظي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل البيت الحرام أو الكعبة فتحول

الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فصلوا السجدتين الباقيتين نحو الكعبة، رواه الطبراني في الكبير قال الهيثمي ورجاله موثقون.

وهؤلاء المذكورون في حديث تويلة غير المذكورين في الأحاديث التي قبله، وقد قبلوا خبر الواحد وعملوا به وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

ومنها: ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أنس رضي الله عنه قال: إني لأسقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عند أبي طلحة مر رجل فقال: إن الخمر قد حرمت فما قالوا متى أو حتى ننظر, قالوا: يا أنس أهرقها، الحديث وهو مخرج في الصحيحين من طرق عن أنس رضي الله عنه، وفي بعض طرقه عندهما قال أنس رضي الله عنه: إني لقائم أسقيها أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا إذ جاء رجل فقال: هل بلغكم الخبر؟ قلنا: لا. قال: فإن الخمر قد حرمت فقال: يا أنس أرق هذه القلال، قال: فما راجعوها ولا سألوا عنها بعد خبر الرجل.

فهؤلاء قبلوا خبر الواحد وعملوا به وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

قال النووي في الكلام على هذا الحديث: (فيه العمل بخبر الواحد، وأن هذا كان معروفاً عندهم).

وقد روى الدار قطني حديث أنس رضي الله عنه في

باب النوادر من آخر سننه عن عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله. وساق بإسناده إلى حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء عند أبي طلحة يشربون من شراب تمر أو بسر أو قال رطب وأنا أسقيهم من الشراب حتى كاد يأخذ منهم فمر رجل من المسلمين فقال: ألا هل علمتم أن الخمر قد حرمت فقالوا: يا أنس اكف ما في إنائك، - وما قالوا حتى نتبين - قال: فكفأته.

قال الدار قطني: (قال أبو عبد الله وهو عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله: هذا يدل على أن خبر الواحد يوجب العمل).

وفي ما ذكرته من الآيات والأحاديث أبلغ رد على الذين لا يقبلون أحاديث الآحاد ولا يرون العمل بها، وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - (في كتاب الصواعق المرسلة) أنه ذهب جماعة من أصحاب أحمد وغيرهم إلى تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل، قال: والتكفير مذهب إسحاق بن راهويه".

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز (في فتاوى نور على الدرب: 28/17) تحت عنوان: حكم العمل بأحاديث الآحاد: "يسأل أخونا ويقول: هل حديث الآحاد ظني الدلالة؟"

الجواب: "هذا فيه تفصيل: إن كانت طرقه كثيرة، أو الرواة لهم صفات خاصة في العلم والفضل والتقى فإنه يفيد اليقين.

أما إذا كان آحاداً ليس هناك من الطرق الكثيرة أو من الصفات التي تقوم مقام الطرق فإنه يكون ظناً، وقد ذكر أهل العلم ذلك، كالحافظ ابن حجر وغيره، قال في الآحاد: (وقد يقع فيها ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار).

وقال بعضهم في الصحيحين: (إن أحاديثها مقطوع بها، وإنها تفيد اليقين)، وقال آخرون: (بل تفيد الظن، إلا إذا تواترت أو كثرت الطرق).

والصواب: أن الآحاد تفيد اليقين، إذا توفرت القرائن من جهة كثرة الطرق، أو من جهة صفات الذين رووه، فإن الرواة يختلفون، فإن كان مثلاً: جاء من طريقين أو أكثر بأئمة أفاد اليقين، كما ما ثبت مثلاً: يروى من طريق الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر، أن النبي قال كذا وكذا.

الطريق الثاني مثلاً: يرويه الإمام أحمد، عن الشافعي مثلاً: عن أحد مشايخ الشافعي الثقات، عن الزهري عن أنس ونحوه، فهذا يكسبه قوة عظيمة، يراه بعض المحققين، ويفيد العلم في ذلك واليقين، وهكذا أشباه ذلك، كلما تعددت الطرق، ولا سيما بالأئمة المعروفين بالثقة والعدالة؛ فإن الحديث يكون مفيداً لليقين والعلم، ولكنه حجة على جميع التقادير وإن لم يفد العلم، ما دام سنده جيداً ورواته

ثقات، فإنه يفيد وجوب العمل، في إيجاب ما يجب وتحريم ما يحرم، ونحو ذلك، فالعمل واجب بالحديث الثابت الصحيح، وإن لم يفد العلم، وإن لم يفد إلا الظن، على رأي من قال بذلك، فالحجة قائمة به، أفاد العلم أو الظن، إذا ثبت الإسناد، هذا الذي عليه اهل العلم، وحكاه بعضهم إجماعاً، كالخطيب البغدادي، وابن عبدالبر.

وحكم أن أحاديث الآحاد يحتج بها في العقائد وفي الأحكام، وأنه لا يفرق بين الأحكام وغيرها في ذلك، إذا كانت أسانيدها ثابتة، سواء حكمنا بأنها أفادتنا العلم، أم لم تفد العلم، وإنما أفادت الظن، فإن الظن هنا مثل العلم في وجوب العمل.

و**بقوله**: "تعين الدعوة إلى الله - تعالى - على كل مؤمن تابع للرسول صلى الله عليه وسلم" يجعل الدعوة واجبة على كل أحد، وهذا غير صحيح على ما قرره أهل العلم، وإنما كان وجوبها على النبي صلى الله علي وسلم، ومن يمتلك العلم من أتباعه فهي في حقه فرض كفائي إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين.

وبقوله: "تعين العلم اليقيني للداعي إلى الله.." قد غلا وزاد على قول أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم من أهل البدع؛ إذ جعل العلم كله لابد أن يكون يقينياً، وزعم أنه البصيرة المذكورة في الآية، وذلك خطأ بين؛ فإن المراد أنه على يقين وعلى علم بالتوحيد والحق الذي يدعو إليه أنه حق، وليس

المعنى أن ما يدعو به الداعي وما يقوله يكون يقينياً في كل الأحوال، وانظر ما قاله المفسرون:

فقد قال الطبري (في تفسيره: 16/291): "يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته: ﴿سَبِيلِي﴾، وطريقتي ودعوتي: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، وحده لا شريك له: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾، بذلك، ويقينِ عليمٍ منّي به أنا، ويدعو إليه على بصيرة - أيضًا - من اتبعني وصدقني وآمن بي: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيهًا لله، وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم منّي".

وقال ابن كثير (في تفسيره: 4/422): "يقول الله - تعالى - لعبد ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلّ من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي.

وقولــه: ﴿وَسُــبْحَانَ اللَّهِ﴾، أي: وأنــزه اللــه وأجلّــه وأعظّمه وأقدّسه، عن أن يكون لـه شـريك أو نظـير، أو عديل أو نديد، أو ولد أو والد أو صاحبة، أو وزير أو مشير، تبـارك وتعـالى وتقـدس وتـنزه عن ذلـك كلـه علواً كبيراً".

وقال ابن سعدي (في تفسيره: 1/406): "يقول - تعالى - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ﴾، للناس: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾، أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾، أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغِّبهم في ذلك وأرهِّبهم مما يبعدهم عنه.
ومع هذا فأنا ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، من ديني أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية: ﴿وَ﴾، كذلك ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾، يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله،﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصاً له الدين".

الموضع السابع عشر.

خطلـه في قولـه: "الربـانيون هنـا العبـاد والمربـون كمشايخ التصوف عندنا"!!، وهذا عنده هو؛ لأنه شـيخ صوفي مبتدع، أما عند أهل السنة فلا وحاشا وكلا:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/547) عنـد قولـه - تعـالى - الآيــة: (63)، في ســورة المائــدة: ﴿لَــوْلَا يَنْهَــاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَــارُ عَنْ قَــوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ

السُّحْت: "الربانيون هنا العباد والمربون كمشايخ التصوف عندنا، والأحبار العلماء".

قلت: قال: ابن جرير - رحمه الله - (في تفسيره: 6/298) عن اليهود من بني إسرائيل: "ربانيوهم هم أئمتهم المؤمنون, وساستهم العلماء بسياستهم, وأحبارهم, وهم علماؤهم وقوادهم".

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (كما في تفسير الشوكاني فتح القدير: 2/56) عن الربانيين:"هم الفقهاء والعلماء".

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - (في تفسيره: 2/74): "الربانيون هم العلماء العمال: أرباب الولايات عليهم، والأحبار هم العلماء فقط".

قلت: فكيف يقال عن الربانيين: إنهم مشايخ التصوف الجهلة المبتدعة أهل الضلال أعداء السنة؟، وهل فينا نحن أهل السنة صوفية، أو أهل تصوف؟ !!.

فأهل السنة فيهم عباد وزهد وزهاد وذلك جاءت به الشريعة، والزاهد يحيي نفسه بالتمسك بالشريعة ويرتقي بها بالزهد ببعض المباحات فيتركها دون أن يحرمها على نفسه ولا على غيره، وإنما يتركها لما هو أولى أو أنفع له كجهاد وطلب علم ونوافل عبادات أو ما يعينه على الطاعات.

أمـا الصـوفي فإنـه يريـد أن يحـيي نفسـه فيميتهـا أو يقتلها ببعده عن السنة والعلم الشرعي والاتباع، وهم على إرث من كهنوت النصارى.

قال سماحة شيخنا عبـد العزيـز بن عبـد اللـه بن بـاز (كما في/ الفوائـد العلميـة من الـدروس البازيـة ص: 364): "المعروفون بخير يقـال لهم: العبـاد والزهـاد، ولا يقـال لهم: الصـوفية، إنمـا يقـال: الصـوفية لأهـل البدع الذين اخترعوا أشياء جديدة".

قال الشافعي - رحمه الله - (كما في مناقب الشافعي للبيهقي: ٢/٢٠٨): "لو أن رجلاً تصوف أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق"، أي: قليل العقل أو فاسده.

وقال (كما في تلبيس إبليس لابن الجوزي: 1/347) قال: "وباسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعي يقول: لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق، وعنه - أيضاً - أنه قال: ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله إليه أبداً وأنشد الشافعي:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف"

وقال ابن الجوزي عن الصوفية - أيضاً -: "وبإسناد عن حاتم قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال أبو سليمان : (ما رأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً: عبد الله بن مرزوق، قال وأنا أَرِقُّ لهم)، أي: أشفق عليهم أو أرثي لهم لسوء حالهم.
وأبو سليمان : هو الداراني.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: ما رأيت صوفياً عاقلاً إلا إدريس الخولاني قال السلمي هو مصري من قدماء مشايخهم قبل ذي النون.
وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلاً إلا مسلم الخواص، وبإسناد عن أحمد بن أبي الحواري يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً يقول: ما زلنا نعرف الصوفية بالحماق".
قلت: ولهذا دلائل على الحمق في تفسير الجزائري وكتبه وكلامه، وما ذكرناه في هذا الكتاب كافٍ.
وقال الرومي (في: م/30): "تفسير المؤلف للربانيين بمشايخ التصوف غير سليم, ولا بأس بنقل كلام بعض المفسرين السائرين على نهج السلف الصالح ليتبين المراد"، وبعد أن نقل كلام ابن جرير وابن كثير المتقدم، قال: "ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - (في تفسيره: 2/315): (أي: هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس, الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة عن المعاصي التي تصدر منهم ليزول ما عندهم من الجهل وتقوم حجة الله عليهم؛ فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبوهم في الخير ويرهبوهم من الشر).
فتبين أنه لا وجه لتأويل الربانيين بمشايخ التصوف كما ترى في نقل كلام أئمة المفسرين, ولعل في تفسير الربانيين بمشايخ التصوف حملاً للآية على مالا تحتمله, وصرفاً لآيات الكتاب العزيز عن مراد الله بها, كما أن في هذا المسلك فتحاً لأبواب التأويل [أي: المذموم] التي تدخل منها الفرق الضالة

المنحرفة عن الصـواب؛ فـتزعم أن في القـران دليلا يؤيد مذاهبها المنحرفـة وعقائـدها الضـالة مـع بـراءة كتاب الله من هذه المزاعم".

قلت: وقول الرومي: "ولعل في تفسير الربانيين.." كان عليه أن يجزم ولا يتردد: أنه حمل للآية على ما لا تحتمله من معنى فاسد.

الموضع الثامن عشر.

خطؤه في قوله عن الظلم: "وهو غير جائز عليه لغناه"؟!!،أي: على الله - تعالى - أراد به مدح الرب - سبحانه وتعالى - وتنزيهه عنه، وهو ليس مدحاً في الحقيقة؛ وليس صحيحاً أن الظلم لا يجوز عليه، ولو لم يكن الظلم جائزاً عليه لما حرمه على نفسه ونزهها عنه، ولا يظلم - جل وعلا - لعدله؛ فخطؤه من وجهين: زعمه أن الظلم غير جائز على الله، وهو جائز عليه، وأن الله لايظلم لغناه، وهو لا يظلم لعدله، وليس لغناه:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/656) عند قوله - تعالى - الآية: (49)، في سورة الكهف: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: "نفي الظلم عن الله -تعالى - وهو غير جائز عليه لغناه"؟!.

قلت: قوله: "وهو غير جائز عليه" أراد به مدح الرب - سـبحانه وتعـالى - وهـو ليس مـدحاً في الحقيقـة، وغير لائق؛ لما يلزم عليه من معنى فاسد يأتي بيانه.

ولو لم يكن الظلم جائزاً عليه لما حرمه على نفسه ونزهها عنه، ولكنه لا يظلم **لعدله**.

فالله - جل جلاله - لا يظلم مع قدرته على الظلم، ولكن لا يفعله **لكمال عدله** وفضله وجوده وكرمه وإحسانه إلى عباده، وقد جاءت نصوص الكتاب في ذلك كما في هذه الآية وغيرها، وكذلك السنة، وقد نزه نفسه عنه ومنعها منه وحرمه عليها، مع قدرته عليه لو أراده، بل هو - جل وعلا - أقدر عليه، خلافاً لما توهمه عبارة المؤلف.

وفي الحديث القدسي - الذي رواه مسلم في صحيحه - عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه - تبارك وتعالى - أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» الحديث، وغيره من النصوص كما سيأتي عند العلماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (في منهاج السنة: 1/135) بعد كلام سبق: "وقالت طائفة بل الظلم مقدور ممكن والله - تعالى - منزه لا يفعله **لعدله** ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً, **والمدح إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع**، قالوا وقد قال - تعالى -:
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات

غيره، والهضم أن يهضم حسناته، وقال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بل أهلكهم بذنوبهم, وقال - تعالى -: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم والله منزه عنه، وقال - تعالى -: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾, أي: لا تنقص من حسناتها، ولا تعاقب بغير سيئاتها؛ فدل على أن ذلك ظلم ينزه الله عنه، وقال - تعالى -:

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، و**إنما نزه نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه**، ومثل هذا في القرآن في غير موضع مما يبين أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل، وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزه الله عنه، وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره، وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، فإن ذلك ينزه الله عنه، بل لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أن الله - تعالى - يقول:

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»، فقد حرم على نفسه الظلم، كما كتب على نفسه الرحمة في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، وفي الحديث الصحيح:

«لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي», **والأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدوراً له -** سبحانه -، فالممتنع لنفسه لا يكتبه على نفسه ولا يحرمه على نفسه، وهذا القول قول أكثر أهل السنة والمثبتين للقدر من أهل الحديث والتفسير والفقه والكلام والتصوف من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم".

وقال (في الفتاوى الكبرى: 1/181): "**والأمر الذي لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم إرادته، وإنما يكون المدح بترك الأفعال إذا كان الممدوح قادراً عليها**، فعلم أن الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم، وأنه لا يفعله..والظلم الذي حرمه الله على نفسه، مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويعاقب هذا بذنب غيره، أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك من الأفعال التي يتنزه الرب عنها، لقسطه وعدله، وهو قادر عليها.

وإنما استحق الحمد والثناء؛ **لأنه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه**، وكما أن الله منزه عن صفات النقص والعيب، فهو - أيضاً - منزه عن أفعال النقص والعيب..والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء، وهو مقدس عن ترك هذا الذي لو ترك لكان تركه نقصاً.

وكذلك الأمر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه، وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لأوجب نقصاً، وهذا كله بين ولله الحمد عند الذين أوتوا العلم والإيمان، وهو - أيضا - مستقر في قلوب عموم المؤمنين.."

وقال (في رسالته: في معنى كون الرب عادلاً وفي تنزهه عن الظلم، ضمن جامع الرسائل: المجموعة الأولى ص: 129): "وأهل السنة أثبتوا ما أثبته لنفسه: له الملك والحمد، فهو على كل شيء قدير، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو خالق كل شيء، وهو عادل في كل ما خلقه، وواضع للأشياء مواضعها، **وهو قادر على أن يظلم لكنه - سبحانه - منزه عن ذلك لا يفعله**؛ لأنه السلام القدوس المستحق للتنزيه عن السوء".

و قال الحافظ ابن رجب **-** رحمه الله **-** (في جامع العلوم والحكم: 2/34) عند قوله **-** تعالى **-** في الحديث القدسي السابق:

«إني حرمت الظلم على نفسي..»: "**يعني: أنه منع نفسه من الظلم لعباده** كما قال **-** عز وجل **-** : ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، وقال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، وقال:﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، وقال:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾, والهضم: أن ينقص من

جزاء حسناته، والظلم: أن يعاقب بذنوب غيره، ومثل هذا كثير في القرآن، وهو **مما يـدل على أن اللـه قادر على الظلم، ولكنه لا يفعلـه فضـلاً منـه وجودًا وكرمًا وإحسانًا إلى عباده**".

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين (كما في نهاية كتاب أحكام القرآن) عنـد قولـه - تعـالى -: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: "إثبـات صـفات النفي في حـق اللـه، ولكن يجب أن نعلم أن النفي المحض في صـفات اللــه لا يوجــد؛ لأن النفي المحض عــدمٌ محض، والعــدم ليس بشــيء، ولكن لا توجــد صــفة منفية عن اللـه إلا لتضـمنها نقصاً، ولهـذا نقـول: كـل صفة نفاها الله عن نفسه فإنها متضمنة لشيئين:

أولهما: نفي تلك الصفة المذكورة.

و**ثانيهما**: إثبات كمال ضدها، فمثلاً قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَــداً ﴾، فنفى الظلم عن نفســه لماذا؟،لكمال عدله - عز وجل - لا لعجزه عن الظلم، ولكن **لكمال عدله** لم يظلم أحداً".

وقال (في عقيدة أهل السنة والجماعة): "ونؤمن أن الله لايظلم أحداً **لكمال عدله**"

وقول الجزائري: "لغنـاه" - أيضـاً - تعليـل يفهم منـه الحاجــة إلى الظلم، وأن من هــو محتــاج إلى الظلم يظلم، وهو مبرر للظلم والظـالم، وأن الحاجـة تـدعو إلى الظلم، وهـذا كلـه غـير سـليم، وإنمـا تـدعو إلى الظلم محبـة الظلم وإرادة الفسـاد، وعـدم العـدل،

وهـو دليـل على فسـاد الظـالم وأنـه من المفسـدين المعتدين، وإنما يقال في حق الله **لعدله** وتنزهه عنه وهو اللائق به - تعالى -.

وهـو - جـل وعلا - غـني غـنى مطلقـاً، وفي الحـديث القدسي المتقدم الذي في صحيح مسلم:

«يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى»، والإنسان قد يكون غنياً غنى نسبياً - وكل غنى بالنسـبة لغـنى اللـه نسـبي - فيظلم مـع غناه، وإذا كان عادلاً لا يظلم، وقد يكون المـترفع عن الظلم فقيراً، ولكنه لايظلم **لعدله**، وقد يسـتغني عن الظلم لديانتـه ويكرهـه فلا يظلم، والحـظ الأوفـر للمسـلم التقي، ويوجـد من المسـلم العاصـي، وقـد يستوي الكافر مع المسلم في العدل وعدم الظلم.

الموضع التاسع عشر.

خطـؤه في وصـفه للاسـتحباب بـالجواز، والقُـرَب لا توصف بالجواز، وإنما توصف بالمفروض أو الفـروض أو الفـرض أو الوجـوب أو الـواجب، أو المسـتحب أو الاستحباب أو المندوب أو الندب:

فقد قال الجزائري (في تفسيره 2/667) عند قوله - تعالى - الآية: (77)، في سورة الكهف: ﴿فَوَجَـدَا فِيهَـا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَـالَ لَـوْ شِـئْتَ لَاتَّخَـذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: "جواز التـبرع بـأي خـير أو عمـل ابتغـاء وجه الله - تعالى -".

قلت: الجائز هو السائغ فعله أو تركـه، وهـو المبـاح، ومن علماء أصـول الفقـه والمـؤلفين من يدخلـه في أحكام المكلفين فيجعلها خمسة، ومنهم من لا يدخله فيها فيجعلها أربعـة؛ لأنـه مسـتوي الطـرفين: الفعـل والـترك، والصـحيح دخولـه في أحكـام المكلفين؛ لأن المكلف هو الذي يفعلـه أو يتركـه اعتقـاداً منـه جـواز ذلك لـه على الـوجهين، وبيـان ذلـك في مسـودة آل تيمية.

والقُرَب لا توصف بالجواز، وإنما توصـف بـالمفروض أو الفــروض أو الفــرض أو الوجــوب أو الــواجب، أو المستحب أو الاستحباب أو المندوب أو الندب.

قــال الــرومي (في: م/71): "الأعمــال الصــالحة والقـرب الـتي يتقـرب بهـا إلى اللـه - عـز وجـل - لا توصف بالجواز، بل توصف بـالوجوب أو الاسـتحباب، فإن كانت فرائض كالصلوات الخمس وصيام رمضان والزكاة والحج ونحوها وصـفت بـالوجوب، وإن كـانت نوافـل كالصـلوات الـتي ليسـت بواجبـة، وصـدقات التطوع، وصوم النفـل ونحوهـا وصـفت بالاسـتحباب، وأما الجائز فإن صاحبه لا يثاب إلا مع نية التقرب إلى اللـه، وعندئـذ ينتقـل إلى الاسـتحباب كمـا ورد في الحــديث: «وفي بضــع أحــدكم صــدقة» فهــذا من المباحات التي تتحول إلى قرب بالنية الحسنة" .

الموضع العشرون.

زعم المؤلف أن الذي عنده علم من الكتاب سليمان عليه الصلاة والسلام قولاً واحداً ولم يذكر غيره خلاف ما أورده جميع المفسرين من أنه آصف بن برخيا من الإنس، وقد قال في كشف الستار..: عن آصف: "أحد علماء الجن"!!، وهو قول لم يقله أحد:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 3/354) عند قوله - تعالى - الآية: (40)، في سورة النمل: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، في شرح الكلمات: "﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾: سليمان عليه السلام"؟!!، وكذا في معنى الآيات.

وزاد في أول الآية واواً ، هكذا: "وقال.." فليتنبه إلى هذا الخطأِ، ويأتي تصحيحه في التصويبات.

وقال في هداية الآيات: "استجابة الله - تعالى - لسليمان فأحضر له العرش..".

قلت: هنا - في التفسير - الذي عنده علم من الكتاب سليمان عليه السلام قولاً واحداً ولم يذكر المؤلف غيره.

وقد قال (في كشف الستار عن ما يظن أنه عار، ضمن الرسائل:5/313): "أكثر الروايات في التفاسير - وهي إسرائيليات قطعاً - تقول: إن الذي جاء بعرش بلقيس هو آصف بن برخيا، أحد علماء الجن وذوي القدرات فيهم، واستغلها جهال

المسلمين وضلالهم، وأصبحوا يَدَّعُون استخدام الجن في أصعب الأمور؛ ليأكلوا أموال الجهال منهم.

ولهذا أعرضت عن هذه الضلالة، وقلت: إن الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان عليه السلام، وحقاً هو عنده علم الكتاب: التوراة وعلم الوحي الإلهي، قال هذا رداً على قولة الجني، ودعا ربه فاستجاب له وأحضر العرش بما شاء من وسائل: جبريل أو غيره، ومن هنا كانت ملاحظة أخينا - سامحه الله - قائمةً على جهل نجانا الله - تعالى - والعالمين منه، اللهم آمين"؟!!.

لاحول ولا قوة إلا بالله، وهل الجهل إلا ما أنت فيه؟!!.

و**قوله**: "أصبحوا يَدَّعُون استخدام الجن"، من المعلوم أنهم يستخدمونهم حقيقة لا مجرد ادعاء، وقد يدجلون ويكذبون ويدعون دعاوى في بعض الأحوال وهم كاذبون.

ولاشك أن شذوذه عن السلف والعلماء وترك الآثار بحجة استخدام الضُّلَّال الخرافيين والمشعوذين - من الصوفية وغيرهم - للجن: "عذر أقبح من ذنب"، وهو دال على جهله وتعالمه، قال: "إسرائيات"، وهو قد جاء - حسبما ادعاه - بما لم يأت في: إسرائليات ولا في غيرها!!.

قال الجزائري: هذا الكلام رداً على قول من ذكر عنه أنه قال: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾: "قال

النخعي: إنه جبريل عليه السلام، وهو الحـق بلا شـك أخذه بطرف جناحـه ورفعـه في السـماء وحجبـه عن أنظـار النـاس حـتى وضـعه بين يـدي سـليمان عليـه السلام".

قلت: الذي قاله أهل العلم من المفسرين، وعليه آثـار السـلف أنـه رجـل من الإنس عنـده علم من الكتـاب فيـه اسـم اللـه الأعظم الـذي إذا سـئل بـه أعطى وإذا دعي به أجاب، وهـو آصـف بن برخيـا من بني إسرائيل.

وليس كما قال الجزائري عنه أنـه: "آصـف بن برخيـا أحـد علمـاء الجن"، فجعـل آصـفاً أحـد علمـاء الجن، وأكـثر الروايـات في التفاسـير تقـول: إن الـذي جـاء بعرش بلقيس هو آصف بن برخيا، ولم يـأت أحـد من أهل العلم من المفسرين أو غيرهم على ذكـر شـيء من أن آصف من علمـاء الجن، وأكـثر التفاسـير، بـل الجمهور على أن آصف بن برخيا هو الذي عنـده علم من الكتـاب، وهـو من الإنس وليس من الجن، كمـا سيأتي - أيضاً -.

وقـول من رد على الجزائـري أو ادعى أنـه رد عليـه: "إنه جبريل" هو من الأقوال المـأثورة، فكيـف يصـف من قال به بالجهل ويستهجن قوله ذلـك الاسـتهجان، وهو له سلف وأقرب مما ادعاه هو من الاجتهاد، كمـا قـال: "ولهـذا أعرضـت عن هـذه الضـلالة، وقلت.."، وقد سُبق إليه وليس اجتهاداً لـه!!، كمـا سـيأتي عنـد ابن عطية: أنه قول فرقة.

ويـأتي نقـل النجـار لـه عن حاشـية الصـاوي على الجلالين ورد الشيخ محمد بن سليمان بن عبـدالعزيز آل بسام عليه، وأنه من الخرافات التي لا خطـام لهـا ولا زمام, وأنها هراء ولا تليق بكتاب اللـه، وبنـبي من أنبياء الله أن ينسـب إليـه هـذا؟ بـأن يخـاطب نفسـه مخاطبة الرجل للرجل بأن يقول لنفسه: أَنَا آتِيكَ بِـهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.. إلخ.

وهو قول شاذ مردود؛ لمخالفته ظاهر القرآن والآثار، كمـا قـال عنـه السـهيلي - كمـا سـيأتي قريبـاً عنـد القرطـبي -: "**ولا يصـح في سـياق الكلام مثـل هذا التأويل**".

أما اجتهاد الجزائري فيما يخالف ظـاهر القـرآن ولم يكن له فيه سلف من المقتدى بهم فهو أكثر شـذوذاً ورداً - أيضـاً -، بـل هـو ضـلالة بعينهـا، ومن العجب قولـه: "ولهـذا أعرضـت عن هـذه الضـلالة"، وعجيب جهله في تعليله مخالفة الآثار.

العلم للرجل اللبيب زيـــادة ونقيصة للأحمق الطيــاش

مثل النهار يزيد إبصار الورى نوراً ويعمي أعين الخفاش

قال ابن أبي حاتم - رحمه الله - (في تفسير القرآن العظيم: 9/2885، رقم: 16377): "عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني قوله - تعالى -: قَالَ

الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ، قال: آصف كاتب سليمان".

وقال ابن العربي - رحمه الله - (في أحكام القــرآن: 3/1462) قولــه - تعــالى -: قَـالَ الَّذِي عِنْـدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ، الآية، قال ابن وهب حـدثني مالـك في هـذه الآيـة قـال: "كـانت بـاليمن وسـليمان عليـه السلام بالشام، أراد مالك أن هذه معجزة"

قلت: أي: هي آيـة من الآيـات الربانيـة الـتي يحـدثها بأمره وبإذنـه - تعـالى - آيـة وتأييـداً لأنبيائـه وكرامـة لأوليائه، وهو محل اتفاق عند أهل السنة والجماعة.

قال القرطـبي - رحمـه اللـه - (في تفسـيره الجـامع لأحكام القرآن: 13/204): "قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْـلَ أَنْ يَرْتَـدَّ إِلَيْـكَ طَرْفُـكَ، أكثر المفسرين على أن الذي عنده علم من الكتــاب آصف بن برخيا، وهو من بني إسرائيل، وكان صــدّيقاً يحفظ اسـم اللـه الأعظم الـذي إذا سـئل بـه أعطى، وإذا دُعي به أجاب..قـال السـهيلي: الـذي عنـده علم من الكتاب هو آصـف ابن برخيـا ابن خالـة سـليمان، وكان عنده اسم الله الأعظم من أسماء الله - تعالى -.

وقيـل: هـو سـليمان نفسـه، **ولا يصح في سـياق الكلام مثل هذا التأويل**".

قـال ابن عطيـة: "وقـالت فرقـة هـو سـليمان عليـه السـلام، والمخاطبـة في هـذا التأويـل للعفـريت لمـا قال: أنَا آتِيكَ بِـهِ قَبْـلَ أَنْ تَقُـومَ مِنْ مَقَامِـكَ، كـأن

سليمان استبطأ ذلك فقال له على جهة تحقيره: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، واستدل قائلو هذه المقالة بقول سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾".

قلت: ما ذكره ابن عطية قاله: النحاس في معاني القرآن.

قال ابن عطية: "**والذي عليه الجمهور من الناس أنه رجل صالح من بني إسرائيل: اسمه آصف بن برخيا** "، وذكر أقوالاً أخرى.

وقال ابن كثير (في تفسيره: 5/235): "﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾، قال ابن عباس وهو آصف كاتب سليمان، وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن برخياء، وكان صدِّيقاً يعلم الاسم الأعظم.

وقال قتادة: كان مؤمناً من الإنس، واسمه آصف، وكذا قال: أبو صالح والضحاك وقتادة: إنه كان من الإنس، زاد قتادة: من بني إسرائيل".

قال أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي (في تفسيره: فتح البيان:10/44): " ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾، قال أكثر المفسرين: اسمه آصف بن برخيا بالمد والقصر، وهو من بني إسرائيل، وكان وزيراً لسليمان وصديقاً له، وقيل: كاتبه، وكان من أولياء الله: تظهر الخوارق على يديه كثيراً، وقيل: كان يعلم اسم الله الأعظم: الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، قاله: ابن عطيه.

وقالت فرقه: هـو سـليمان نفسـه، ويكـون الخطـاب على هـذا للعفـريت كـأن سـليمان اسـتبطأ مـا قالـه العفريت، فقال له: هذه المقالة تحقيراً له، وقيل: هو جبريل، وقيل: ملك آخر. وقيل: الخضر، وقد قيل غير ذلك **مما لا أصل له والأول أولى**".

قلت: وأين نحن من طلب سليمان ومخاطبـة الـذي عنده علم من الكتاب له، وكون سليمان رأى العرش مسـتقراً عنـده؟!!، أين هـذه المحادثـة الـتي هي من الشخص للشخص.

فبناءً على هذا التفسير الخطأ قطعاً يكون سـليمان عليه الصلاة والسلام قـد خـاطب نفسـه وأن الحـوار جرى ودار بينه وبين نفسه، وهـو خلاف ظـاهر الآيـة، ولا يفهم من السياق الكـريم إلا بتأويـل بعيـد لا دليـل عليـــه، وقـــد رأيتَ أن الرجـــل قـــرر (في كشـــف الســـتار..) شـــذوذه عن المتقـــدم من الآثـــار وكلام جمهور المفسـرين،وحكم بـأن قـولهم ضـلالة بقولـه: "ولهذا أعرضـت عن هـذه الضـلالة، وقلت: إن الـذي عنـده علم من الكتـاب هـو سـليمان عليـه السـلام"، وفي كلامه هذا أنه من اجتهاد نفسه!!، وهو قـد قيـل قبله وليس من قوله - كما تقدم -، وادعى أن آصـف بن برخيا أحد علماء الجن، وهو مـا لم يقـل بـه أحـد، وقد رأيت فيما سـبق من النقـل أنـه من الأنس وأنـه كاتب سليمان عليه الصلاة والسلام أو وزيـره، ونحـو ذلـك، وقـد صـرح الجزائـري بإعراضـه عن أقـوال المفسـرين وانفـراده دونهم بهـذا التفسـير الغـريب

العجيب الذي اختاره وادعاه لنفسه، وبئس ما ادعى وما اختار، مخالفاً به ظاهر القرآن، وتفسير أهل العلم الأخيار.

وتقدم: أن: "**الانفراد عن أهل العلم برأي في الشرع، والقول بما لم يقل به أحد ينبئان عن خلل في العقل**".

وعن زفر بن الهذيل أنه قال ما معناه: **إني لا أناظر أحداً حتى يسكت، بل أناظره حتى يجن، قالوا: كيف ذلك؟، قال**: **يقول بما لم يقل به أحد**!!.

وقد قال: أبو جعفر إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (في مقدمة تفسيره: 1/41) بعد أن ذكر الأوجه التي يفسر بها القرآن: "..كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين، وعلماء الأمة".

وينطبق عليه قول ابن القيم (في طريق الهجرتين: 2/906) عن الجن: "ذهب شذوذ من الناس إلى أن فيهم الرسل والأنبياء..وهذا قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعرف به سلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام".

قال الحافظ ابن رجب (في جامع العلوم والحكم: 1/283، الحديث الحادي عشر) عن مسألة: "وكذا لو

كان قد عمل بها شذوذ من الناس، واشتهر في الأمة العمـــل بخلافهـــا في أمصـــار المســـلمين من عهـــد الصحابة رضي الله عنهم؛ فإن الأخذ بمـا عليـه عمـل المسلمين: هو المتعين؛ فـإن هـذه الأمـة قـد أجارهـا الله أن يظهر أهل باطلها على أهل حقها، فمـا ظهـر العمل به في القرون الثلاثة المفضلة فهو الحق، وما عداه فهو باطل".

قلت: ويـأبى اللـه أن يظهـر باطـل الجزائـري على الحق الذي عليه علماء أمـة محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم.

وقال الرومي (في: م/113): "تفسيره الذي عنده علم من الكتاب بـ (سليمان عليه الصلاة والسلام), وهو ليس كذلك؛ فالذي عنده علم من الكتاب قد اختلف في اسمه, ولا طائل تحت معرفة اسمه, وقد نقل ابن جرير عن مجاهد (19/162): قوله: هو رجل من الإنس، وفي قول آخر نقله ابن جرير (19/163) قال هو آصف، وقال ابن كثير (3/364) عن ابن عباس: هو آصف كاتب سليمان.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (في تفسيره: 5 /579) : (قال المفسرون: هو رجل عالم صـالح عنـد سليمان يقال له: آصف بن برخيـا, كـان يعـرف اسـم الله الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى).

قلت[الرومي]: قد نقل النجار في تعليقه على تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي بـأن الـذي عنـده علم

من الكتاب هو سليمان عليه الصلاة والسلام, وقد نقل ذلك عن حاشية الصاوي على الجلالين, فرد عليه الشيخ محمد بن سليمان بن عبدالعزيز آل بسام (في كشف الستار عن تعليق وتلفيق النجار) قائلاً:

(قلت: وهذه من الخرافات التي لا خطام لها ولا زمام, فهل يليق بكتاب الله هذا الهراء؟، وبنبي من أنبياء الله أن ينسب إليه هذا؟، بأن يخاطب نفسه مخاطبة الرجل للرجل بأن يقول لنفسه:﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾, ومع ذلك يرجح هذه الخرافة التي يضحك منها الصبيان, ويقول: قاصر فلذلك عول المحققون على هذه الرواية, ولم يذكر أحداً من محققيه, فهم نفسه وأمثاله من كل ذي فهم وعادم للبصيرة, وهذه الخرافة لا تحتاج إلى تفنيد فإنها واضحة لكل ذي عينين)[1] انتهى.

قلت: قول النجار: "فلذلك عول المحققون على هذه الرواية"، هذا ما يدعيه الجزائري لنفسه مع جهله، وربما يعني النجار الجزائري في من يعنيه.

وقد حكى الفخر الرازي (في تفسيره: 24/197) أقوالاً في اسم الذي عنده علم من الكتاب, ومن ضمنها قوله: وثانيهما وهو المشهور من قول: ابن عباس, رضي الله عنه: أنه آصف بن برخيا وزير

---

(1) قلت: وكلام البسام رد على الجزائري وأنه ذو فهم قاصر وعادم للبصيرة، فليجعل من لفيف النجار وأمثاله، ومن لفيف الصاوي وقد وصفه الجزائري – في ما تقدم – بالغاوي!!، وهو منه أغوى بمراحل لا تقارن به.

سليمان، وكان صِدِّيقاً يعلم الاسم الأعظم إذا دعا بـه أجيب".

الموضع الحادي والعشرون.

زعمه أن السماوات مرفوعة بأعمدة من الجاذبية غير مرئية!!، وأن في لفظ الآية إشارة إليه، وليس الأمر كذلك، بل تحكم ولا دليل له عليه، ولم يسبق إليه، ولا يصح أن توصف الجاذبية بالأعمدة، والراجح ما أغفله، وهو أنه لا عمد لها، وليس في الآية إشارة إليه:

فقد قال الجزائري(في تفسيره: 3/507) عند قوله - تعالى - الآية: (10)، في سورة لقمان: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: " رفعها بغير عمد مرئية لكم، وفي هذا التعبير إشارة إلى أن هناك أعمدة غيرمرئية، وهي سنة نظام الجاذبية التي خلقها الله بقدرته، وجعل الأجرام السماوية متماسكة بها".

قلت: ما زعمه من أعمدة من الجاذبية غير مرئية، وأن في لفظ الآية إشارة إليه ليس كذلك، بل تحكم ولا دليل له عليه، ولا يصح أن توصف الجاذبية بالأعمدة، والراجح ما أغفله، وهو أنه لا عمد لها، وليس في الآية إشارة إليه إلا على فهمه الذي لم يسبقه إليه أحد.

والقول: بالأعمدة غير المرئية هو ما قال به من قال بوجود أعمدة، ولم يقولوا أعمدة من الجاذبية، بل يفهم من قولهم: إنها أعمدة مادية إلا أنها لا ترى - كما سيأتي -، وهو قول مرجوح، والراجح هو ما أغفله الجزائري، وذهب إليه الإمام ابن جرير (في تفسيره: 13/93-94) قال: "يقول - تعالى ذكره -: الله يا محمد هو الذي رفع السموات السبع: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، فجعلها للأرض سقفاً مسموكاً".

ثم ذكر أقوالاً ساق أسانيدها أن لها عمداً غير مرئية.

ثم قال: "وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد" فذكر في ذلك - مُسْنِداً - أقوالاً عن إياس بن معاوية وأنه قال: "السماء مقببة على الأرض مثل القبة"، وأسند عن قتادة قوله: "رفعها بغير عمد".

ثم قال: "**وأولى الأقوال في ذلك بالصحة**: أن يقال: كما قال الله - تعالى -: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، **فهي مرفوعة بغير عمد نراها**، كما قال ربنا - جل ثناؤه - ولا خبر بغير ذلك، و**لا حجة يجب التسليم لها بقول سواه**".

وما ذهب إليه ابن الجوزي - أيضاً - (في تفسيره: 4/ 301) من أنها مرفوعة بغير عمد كما ترونها، فقد قال عند قوله - تعالى -: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: "في قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾، قولان:

أحدهما: أن (هاء الكناية) ترجع إلى السموات؛ فالمعنى: ترونها بغير عمد، قاله أبو صالح عن ابن

عباس، وبه قال الحسن وقتادة والجمهور، وقـال ابن الأنبـاري ترونهـا خـبر مسـتأنف، والمعـنى: رفـع السموات بلا دعامة تمسكها، ثم قـال: ﴿ تَرَوْنَهَا﴾، أي: ما تشاهدون من هذا الأمر العظيم يغنيكم عن إقامـة الدلائل عليه.

والثاني: أنها ترجع إلى العَمَد؛ فالمعنى: أنها بعمد لا ترونها، رواه عطاء، والضحاك عن ابن عباس، وقـال: لها عمد على قاف، ولكنكم لا ترون العمد، وإلى هـذا القول ذهب مجاهد وعكرمة، و**الأول أصح**".

وذهب ابن كثير - رحمه الله - (في تفسـيره: 4/65) إلى ما ذهب إليه ابن جرير وابن الجوزي: من أنـه لا عمـد لهـا، فقـال: "**وهـذا هـو اللائـق بالسـياق والظاهر** من قوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّـمَاءَ أَنْ تَقَـعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، فعلى هـذا يكـون قولـه: ﴿ترونها﴾، تأكيدًا لنفي ذلك أي هي مرفوعة ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾، كما: ﴿تَرَوْنَهَا﴾، و**هذا هو الأكمل في القدرة** ..".

وقال ابن عاشور (في تفسـيره: 7/80) عنـد قولـه - تعالى - في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّـمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: "رفعها: خلقها مرتفعة، كما يقـال وسِّعْ طوق الجبة وضيِّق كمها، لا تريد وسِّـعه بعـد أن كان ضيقاً ولا ضيِّقه بعد أن كان واسـعاً، وإنمـا يـراد: اجعله واسعاً واجعله ضيقاً؛ فليس المـراد أنـه رفعهـا بعد أن كانت منخفضة.

والعمد: جمـع عمـاد، مثـل إهـاب وأَهَب، والعمـاد مـا تقام عليه القبة والبيت, وجملة: ﴿تَرَوْنَهَا﴾، في موضع

الحال من: السَّمَاوَاتِ، أي: **لا شبهة في كونها بغير عمد**".

وقال الآلوسي (في تفسيره: 13/87): "بِغَيْرِ عَمَدٍ، الجار والمجرور في موضع الحال أي رفعها خالية عن عمد تَرَوْنَهَا، استئناف لا محل له من الإعراب، جيء به على كون السماوات مرفوعة كذلك، كأنه قيل: ما الدليل على ذلك؟ فقيل رؤيتكم لها بغير عمد؛ فهو كقولك: أنا بلا سيف ولا رمح تراني".

وقال الشوكاني (في تفسيره: فتح القدير: 6/332): "بيّن - سبحانه - عظيم قدرته، فقال: لَخَلْقُ السموات والأرض أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناس، أي: أعظم في النفوس، وأجلّ في الصدور، لعظم أجرامهما، **واستقرارهما من غير عمد**.."

وقال صاحب الأساس في التفسير (5/2725): " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ، أي: خلقها مرفوعة بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها، أي: ترون السماوات مرفوعة بغير عمد فلا حاجة إلى البرهان على ذلك مع الرؤية، وذلك دليل قدرته - عز وجل - وحكمته".

قلت: هذا القول الذي لم يذكره المؤلف ما كان يليق إغفاله، وقد رجحه كثير من المفسرين - كما ترى - على القول الذي وقف عنده، وطريقة أهل العلم ذكر الأقوال في المسألة وترجيح ما يرونه راجحاً، وقد يكتفون بقولهم الراجح أو الأرجح كذا أو

على الـــراجح أو الأرجح أو أرجح القـــولين أو أرجح الأقوال أو على أحد القولين أو أحد الأقوال.

للإشعار بالقول الآخر أو الأقوال، خلاف ما سار عليـه المؤلف في تفسيره، وكثيراً مـا يكـون مـا ذهب إليـه شاذاً أو مرجوحـاً، وهـذا لجهلـه بطريقـة أهـل العلم، وهذا دائمـاً يقـال في الوعـاظ غـير العلمـاء أي: أنهم يجهلون طريقة ومنهج العلماء.

والجزائري (في: 2/437) عند قوله - تعالى المتقدم - في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّـمَاوَاتِ بِغَيْـرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، أدخل في تقـويس الآيـة كلمـة الأرض، هكذا: "﴿الله الذي رفع السموات والأرض بغير عمد ترونها﴾"، وهو في التصويبات.

قلت: وإدخال ما ليس من الآيـة في تقويسـها بحيث لا يميز ما ليس منها فيقرأ على أنه من القرآن، وهذا يؤدي إلى تحريف كتاب الله، وهـو كثـير في تفسـيره مما يوجب إحراقه، بل الحكم قضاءاً بإحراقه، ولو لم تكن فيه الأخطاء العقدية والعلميـة والبلايـا والطـوام الأخـــرى من التحريفـــات والخرافـــات والجهـــالات والضلالات، ولعـل اللـه يوفـق من يقيم دعـوى عليـه لدى القضاء، وفيها طلب منعه وإحراقه؛ فإن إقامتهـا لحق الله ودينه والمسلمين أولى من إقامة الـدعاوى في الحقوق الخاصة.

الموضع الثاني والعشرون.

وقوعه في الإسفاف في قوله: "وجوب دعاء الـدعي المتبنى بأبيه إن عرف ولو كان حمـاراً"!!، وقـد وقـع في خطأِ آخر وهو قوله: "أو العمومة":

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 3/541) عنـد قولـه - تعالى - الآية:(5)، في سـورة الأحـزاب: ادْعُـوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُـوَ أَقْسَـطُ عِنْـدَ اللَّهِ فَـإِنْ لَمْ تَعْلَمُـوا آَبَـاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الـدِّينِ وَمَـوَالِيكُمْ، في هدايـة الآيـات: "وجوب دعاء الدعي المتبنى بأبيه إن عرف ولو كـان حماراً"!!.

وقـال: "إن لم يعـرف للمـدعى أب دُعِيَ بعنـوان الأخوة الإسلامية أو العمومة أو المولوية".

قلت: **قوله**: "وجـوب دعـاء..إلخ" فيـه نظـر ولعلـه رجع فيه إلى ما ذكره ابن جرير

فقـد قـال (في تفسـيره: 21/121) - بعـد أن ذكـر قصة لأُبَي مع أحد الصحابة لا يُعرف أبوه -: قال أُبي: "والله إني لأظنه لو علم أن أباه حمارًا لانتمى إليـه"، وقد ذكر ذلك ابن كثير (في تفسيره - أيضًـا - 5/42 4)، وآخرون.

فأنت ترى أنها حال من حكى حكايته أُبي رضـي اللـه عنـه، وأي دليـل في هـذا يؤخـذ منـه الاسـتدلال أو الاستحباب، فضلاً عن الوجوب ؟!!، وسواء أخـذه من هذه القصة أو من فهم نفسه وتصوره وما يدعيه من اجتهاد؛ فهو كلام مسـتهجن ممجـوج لا يليـق بتفسـير كلام الله - تعالى -.

أما **قوله**: "إن لم يعـرف للمـدعى أب دُعِيَ بعنـوان الأخوة الإسلامية أو العمومة أو المولوية" فإننا نقـول إن في النص الكـريم - المفسـر -: ﴿فَـإِنْ لَمْ تَعْلَمُـوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾.

وعند ابن جرير (في تفسيره: 21/120): " فـإن أنتم أيهـا النـاس لم تعلمـوا آبـاء أدعيـائكم من هم؛ فتنسـبوهم إليهم، ولم تعرفـوهم فتلحقـوهم بهم ﴿فَـإِخْوَانُكُمْ فِي الـدِّينِ﴾، يقـول: فهم إخـوانكم في الدين، إن كانوا من أهـل ملتكم، ومـواليكم إن كـانوا محرَّريكم وليسوا ببنيكم"، وبما قال ابن جريـر قـال ابن كثـير - أيضـاً - (في تفسـيره 5/423)، وغيرهمـا من أهل التفسير.

و**قوله**: "أو العمومة" لا ذكـر لـه في الآيـة الكريمـة، ولذلك ينبغي الاقتصار على ما جاء فيهـا من: الأخـوة في الدين والمولويـة، وعـدم الزيـادة عليـه بلا دليـل، والأخوة تشمله إن كان من أهل الدين.

ولا تعرف العمومة وهـو لا يعلم لـه أب ينسـب إليـه؛ فكلامه فاسد من حيث الحقيقة والواقع والشـرع؛ إن لم يكن الدعاء له بالعمومة تجوزاً وليس إلحاقاً.

الموضع الثالث والعشرون.

أخطأ في تفسيره للقرب في الآية الكريمة بالقـدرة والأخذ والعطاء والعلم بما يسر ويظهر، والصواب أنه قرب الملائكة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/306) عند قوله - تعالى - الآية: (16)، في سورة ق:﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: "أي: ﴿نَحْنُ﴾، بقدرتنا على الأخذ منه والعطاء، والعلم بما يسر ويظهر ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، الذي هوفيحلقه".

قلت: **قوله**: "بقدرتنا..إلخ" محل نظر، فالمراد بالقرب قرب الملائكة، وقد بين ذلك شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن كثير.

فقد قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - (كما في مجموع فتاواه: 5/503): "وقوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ لا يجوز أن يراد به مجرد العلم؛ فإن من كان بالشيء أعلم من غيره لا يقال إنه أقرب إليه من غيره لمجرد علمه به ولا لمجرد قدرته عليه، ثم إنه - سبحانه وتعالى - عالم بما يسر من القول وما يجهر به، وعالم بأعماله؛ فلا معنى لتخصيص حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه؛ فإن حبل الوريد قريب إلى القلب ليس قريباً إلى قوله الظاهر، وهو يعلم ظاهر الإنسان وباطنه، قال - تعالى -:

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾"، إلى قوله: "ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم، أنه قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

قَعِيدٌ، فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، فأثبت العلم وأثبت القرب وجعلهما شيئين، فلا يجعل أحدهما هو الآخر، وقيد القرب بقوله: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.

وأما من ظن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد، أو أن ذاته أقرب إلى الميت من أهله، فهذا في غاية الضعف، وذلك أن الذين يقولون إنه في كل مكان أو إنه قريب من كل شيء بذاته لا يخصون بذلك شيئاً دون شيء، ولا يمكن مسلماً أن يقول إن الله قريب من الميت دون أهله، ولا إنه قريب من حبل الوريد دون سائر الأعضاء", إلى أن قال:

"وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة فإنه قال: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ، فقيد القرب بهذا الزمان، وهو زمان تلقى المتلقيين: قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال، وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال:مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ, ومعلوم أنه لو كان المراد قرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال، ولم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب"، وليراجع كلامه من أراد التوسع.

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - (في تفسيره: 6/ 399) : "يعني ملائكته - تعالى - أقـرب إلى الإنسـان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنمـا فـر لئلا يلـزم حلـول أو اتحـاد، وهمـا منفيـان بالإجمـاع - تعالى الله وتقدس - واللفظ لا يقتضيه؛ فإنه لم يقـل وأنـا أقـرب إليـه من حبـل الوريـد، كمـا قـال في المحتضر: ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصـرون ﴾، يعني ملائكته".

وزاد المسألة إيضاحاً العلامـة أحمـد بن إبـراهيم بن عيسـى (في تنبيـه النبيـه والغـبي في الـرد على المدراسي والحلبي ص: 171) فقال بعـد كلام سـبق في الرد على الحلبي: "وكذلك الجواب في قوله في من يحضره الموت:

﴿وَنَحْنُ أَقْـرَبُ إِلَيْـهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِـرُونَ﴾، أي: بالعلم به والقدرة عليه؛ إذ لا يقـدرون لـه على حيلـة ولا يـدفعون عنـه وقـد قـال اللـه - تعـالى -: ﴿تَوَفَّتْـهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُـونَ﴾، وقـال: ﴿قُـلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَـكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، انتهى كلامه.

وهكذا ذكـر غـير واحـد من المفسـرين مثـل الثعلـبي وأبي الفرج بن الجوزي وغيرهما في قوله - تعالى -: ﴿ونحن أقـرب إليـه من حبـل الوريد﴾، وفي قولـه - تعالى -: ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾، فـذكر أبـو الفـرج القولين أنهم الملائكة، وذكره عن أبي صـالح عن ابن عباس وأنه القرب بالعلم وهؤلاء كلهم مقصودهم أنه ليس المراد أن ذات البـاري - جـل وعلا - قريبـة من

وريد العبد ومن الميت، ولما ظنوا أن المراد قربه وحده دون الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة، كما في لفظ المعية، ولا حاجة إلى هذا فإن المراد بقوله:

﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾، أي: بملائكتنا في الآيتين، وهذا بخلاف لفظ المعية فإنه لم يقل ونحن معه، بل جعل نفسه هو الذي مع العباد، وأخبر أنه ينبئهم بما عملوا يوم القيامة، وهو نفسه الذي خلق السماوات والأرض، وهو نفسه الذي استوى على العرش، وتفسير قربه - سبحانه - بالعلم قاله جماعة من العلماء لظنهم أن القرب في الآية هو قربه وحده ففسروها بالعلم لما رأوا ذلك عاماً قالوا هو قريب من كل موجود بمعنى العلم، وهذا لا يحتاج إليه كما تقدم.

وقوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، لا يجوز أن يراد به مجرد العلم فإن من كان بالشيء أعلم من غيره لا يقال إنه أقرب إليه من غيره بمجرد علمه ولا بمجرد قدرته عليه ثم إنه - سبحانه وتعالى - عالم بما يسره من القول وبما يجهر به وعالم بأعماله فلا معنى لتخصيصه حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه فإن حبل الوريد قريب إلى القلب ليس قريباً إلى قوله الظاهر، وهو يعلم ظاهر الإنسان وباطنه قال - تعالى -:

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، وقال -

تعالى -: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، وقـال - تعـالى -: ﴿أَمْ يَحْسَـبُونَ أَنَّا لَا نَسْـمَعُ سِـرَّهُمْ وَنَجْـوَاهُمْ بَلَى وَرُسُـلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، وسياق الآيـتين يـدل على أن المـراد الملائكة فإنه قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيـدِ ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيـدٌ ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، فقيد القـرب بهـذا الزمـان، وهـو زمـان تلقي المتلقـيين قعيـد عن اليمين وقعيد عن الشمال، وهما الملكـان الحافظـان اللذان يكتبان كما قال: ﴿مَـا يَلْفِـظُ مِنْ قَـوْلٍ إِلَّا لَدَيْـهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، ومعلوم أنه كان المراد قـرب ذاتـه، لم يختص ذلــك بهــذه الحــال ولم يكن لــذكر العتيــد والــرقيب معـنى مناســب، وكــذلك قولـه في الآيــة الأخرى:

﴿فَلَــوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُــومَ ﴿ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُــرُونَ ﴿ وَنَحْنُ أَقْـرَبُ إِلَيْـهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِـرُونَ﴾ لـو أراد قرب ذاته لم يخص ذلك بهذه الحال، ولا قال: ﴿ولكن لا تبصرون﴾، فإن هـذا إنمـا يقـال إذا كـان هنـاك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال لكن نحن لا نبصــره والرب - تبـارك وتعـالى - لا يـراه في هـذه الحـال لا الملائكة ولا البشر وأيضاً فإنه قال: ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾، فـأخبر عمن هــو أقــرب إلى المحتضــر من النـاس الـذي عنـده في هـذه الحـال وذات الـرب - سبحانه وتعالى - إذا قيل هي في كـل مكـان أو قيـل قريبة من كل موجود لا تختص بهذا الزمـان والمكـان والأحوال فلا يكون أقرب إلى من لا يجوز أن يراد بـه قرب الرب الخاص، كما في قوله:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، فإن ذلك إنما هو قربه إلى من دعاه أو عبده وهذا المحتضر قد يكون كافراً أو فاجراً أو مؤمناً ومقرباً ولهذا قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾، ومعلوم أن مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقربه منه دون من حوله، وقد يكون حوله قوم مؤمنون وإنما هم الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن والكافر كما قال - تعالى -:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾، وقال - تعالى -: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقال - تعالى -: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾، وقال - تعالى -: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، ومما يدل على ذلك أنه ذكره بصيغة الجمع فقال:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وهذا كقوله - سبحانه -: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآَنَ، وقال: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآَنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآَنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، فإن مثل هذا اللفظ إذا ذكره الله في كتابه دل على المراد أنه - سبحانه - بجنوده من الملائكة، فإن صيغة نحن يقولها المتبوع المطاع المعظم الذي له جنود يتبعون أمره، وليس لأحد جنود يطيعونه كطاعة الملائكة لربهم، وهو خالقهم وربهم فهو - سبحانه - العالم بما توسوس به نفسه فإنه - سبحانه - يعلم ذلك وملائكته يعلمون ذلك كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إذا هم العبد بحسنة كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، وإن تركها لله كتبت له حسنة» فالملك يعلم ما يهم به العبد من حسنة وسيئة، وليس ذلك من علمهم بالغيب الذي اختص الله به، وقد ثبت في الصحيح من حديث صفية رضي الله - تعالى - عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم:

«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» وقرب الملائكة والشيطان من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار سواء كان العبد مؤمناً أو كافراً".

الموضع الرابع والعشرون.

عدم تنبيهه إلى ما يغفل عن التنبيه إليه كثير من المفسرين، وهو ما يحسن التنبيه إليه، وهو (القديم)، بل قد يذكرونه في أسماء الله - تعالى - وليس فيها، وليس عليه فيه من مأخذ، لكن يناسب بيانه هنا؛ لإيراده للآية:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/403) عند قوله - تعالى - الآية: (3)، في سورة الحديد:﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾" ،﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾، أي: [الأول الذي] ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.

﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، أي: الظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء".

قلت :لم ينبه المؤلف عند هذه الآية على ما يغلط فيه كثير من المفسرين؛ فيفسرون الأول بالقديم أو يجعلونه من أسماء الله، وهو ما يحسن التنبيه إليه، وأنه لا يسمى الله - تعالى - بالقديم، فيقال : (القديم) ولا يوصف بالقدم فيقال: (قديم)، وإنما يقال: (**الأول**)، و(**أول**).

ونحن ننبه إليه في هذا الموضع؛ فهو أنسب مكان له لورود اسم الله: (**الأول**) في هذه الآية، ولم يكن المقصود الاستدراك على المؤلف.

وقد نبه إليه الرومي فقال (في: م/167): "فسر المؤلف هذه الآية ولم أر ما ينتقد عليه حولها، ولكن لما رأيت كثيراً من المفسرين والكتاب يطلق على

الله - تعالى -: (القديم)، وهذا الاسم الكريم من الأسماء الحسنى: (**الأول**)، الوارد في هذه الآية يغني عنه؛حيث ننقل كلام أهل العلم حول هذا الاسم.

قال[ابن أبي العز] (في شرح الطحاوية ص: 54): (وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله - تعالى - (القديم) وليس هو من أسماء الله الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره فيقال: هذا قديم للعتيق وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم كما قال - تعالى -:

﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾، والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، أي: متقدم في الزمان، وقال - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ فالأقدم مبالغة في القديم، ومنه القول القديم والجديد للشافعي - رحمه الله تعالى -، وقال - تعالى -: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾، أي: يتقدمهم، ويستعمل منه الفعل لازماً ومتعدياً كما يقال: أخذت ما قَدُم وما حَدُث، ويقال: هذا قَدُم هذا وهو يقدمه, ومنه سميت القدم قدماً لأنها تقدم بقية بدن الإنسان.

وأما إدخال (القديم) في أسماء اللـه - تعـالى - فهـو مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثـير من السلف والخلـف منهم ابن حـزم - رحمـه اللـه -، ولا ريب أنه كان مستعملاً في نفس التقدم فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غــيره، لكن أسماء الله - تعالى - هي الأسماء الحسنى التي تـدل على خصوص ما يمدح به, والتقدم في اللغـة مطلـق لا يختص بالتقـدم على الحـوادث كلهـا فلا يكـون من الأسماء الحسنى وجاء الشرع باسـمه (**الأول**), وهـو أحسن من (القديم)؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه، وتابع له بخلاف (القديم)، والله - تعالى - له الأســماء الحسنى لا الحسنة).

وقـال الشـيخ محمـد بن إبـراهيم بن عبـد اللطيـف - رحمــه اللــه - (في فتــاواه: 1/204) :(الصــحيح أن (القديم) ليس من أسـماء اللـه - تعـالى -, وجـاء في حديث أظنه ضعيفاً في سنن ابن ماجه, وجاء مـا هـو أكمل منه وأثبت وهـو (الأول) فقولـه: (القـديم) بنـاء على الحديث المذكور فلا يثبت بـه فـرع من الفـروع فضلاً عن إثبات أصـل من الأصـول وهـو أسـماء اللـه تعالى).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - في حاشيته على الطحاويـة تعليقـاً على قول الطحاوي - رحمه الله - (قديم بلا ابتـداء)، (ص: 9): (هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى, كمـا نبه عليه الشارح - رحمه اللـه - وغـيره, وإنمـا ذكـره

كثير من علماء الكلام ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء، وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة، ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي؛ كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح.

ولفظ (القديم) لا يدل على المعنى الذي أراده أصحاب الكلام؛ لأنه يقصد به في العربية المتقدم على غيره, وإن كان مسبوقاً بالعدم كما في قوله - سبحانه -:﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾, وإنما يدل على المعنى الحق بالزيادة التي ذكرها المؤلف، وهي قوله: قديم بلا ابتداء، ولكن لا ينبغي عده في أسماء الله الحسنى؛ لعدم ثبوته من جهة النقل، ويغني عنه اسمه - سبحانه -: (**الأول**)؛ كما قال - عز وجل -:﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾)".

قلت: وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم تؤول الآية كما في حديث أبي هريرة - الذي رواه مسلم - أنه كان يقول:

«..اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء..»

الموضع الخامس والعشرون.

أجمل المؤلف - هنا - ولم يبين معية الله - تعالى - وفق معتقد أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/428) عند قوله - تعالى - الآية: (7)، في سورة المجادلة: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، الآية: "﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، أي: في أي مكان من الأرض أو السماء".

قلت: كلامه فيه إجمال؛ فقد يتوهم أنه معهم بذاته, ومن المعلوم أن المعية عند أهل السنة على قسمين:

الأول: معية العلم والإحاطة للخلق عامة وهي التي في هذه الآية، وفي قوله - تعالى -: ﴿يعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه - سبحانه - فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه وهو - سبحانه - معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون". **والثاني**: معية الحفظ والرعاية والعناية والنصرة لعباده المؤمنين خاصة كما في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

وقد تكلم عنها الرومي (في: م/181) معلقاً على عبارة المؤلف، فقال: "قلت: لا يخفى ما في هذا الكلام من الإجمال، وعدم الوضوح فهو غير مبين لدلالة الآية ولمعنى المعية الشرعية الواردة في هذه

الآية؛ بل ربما فهم منه بعض الناس فهماً خاطئاً حول معنى الآية، وقد قسم علماء أهل السـنة المعيـة إلى قسـمين: معيـة خاصـة، ومعيـة عامـة، وهـذه المعيـة المذكورة في هذه الآية من المعية العامة.

وفي أضـــواء البيـــان: (3/355،354) عنـــد تفســـير المؤلـف لآخـر سـورة النحـل شـرح لمعـنى المعيـة وأقسامها حيث قال: (قولـه - تعـالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَـعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾, ذكر - جـل وعلا - في هــذه الآيــة الكريمــة أنــه مــع عبــاده المتقين المحسنين..وهذه المعية خاصة بعباده المؤمنين وهي بالإعانة والنصر والتوفيق.

وكــرر هـذا المعـنى في مواضـع أخـر كقولـه:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَــا أَسْــمَعُ وَأَرَى ﴾ وقولــه:﴿ إِذْ يُــوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَـةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾، وقولـه: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾، وقوله:﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، إلى غير ذلــك من الآيات.

أما المعية العامة لجميع الخلق فهي بالإحاطة التامــة والعلم ونفوذ القدرة وكون الجميع في قبضـته - جـل وعلا -؛ فالكائنـات في يـده - جـل وعلا - أصـغر من حبة خردل، وهـذه هي المـذكورة - أيضـاً - في آيـات كثيرة كقوله:﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُـوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾، الآية, وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَــا كُنْتُمْ ﴾، الآية، وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَـائِبِينَ ﴾، وقولـه:﴿ وَمَـا تَكُـونُ فِي شَـأْنٍ وَمَـا تَتْلُـو مِنْـهُ مِنْ

قُـرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُـونَ مِنْ عَمَـلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُـهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ، الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

فهو - جل وعلا - مستو على عرشـه كمـا قـال، على الكيفيـة اللائقـة بكمالـه وجلالـه، وهـو محيـط بخلقـه كلهم في قبضـة يـده، لا يعـزب عنـه مثقـال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكـبر إلا في كتاب مبين..).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه اللـه - (في تعليقاتـه على العقيـدة الواسـطية ص: 33 ومـا بعـدها): (المعيـة لغـة:المقارنـة والمصـاحبة. ودليـل ثبوت المعية لله - عز وجل - قولـه - تعـالى -: وَهُـوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ.

وتنقسم على قسمين: **عامة وخاصة**:

فـ**العامة**: هي الشاملة لجميع الخلق، كقوله - تعالى -: وَهُـوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَـا كُنْتُمْ، ومقتضـى المعيـة هنـا الإحاطة بالخلق علماً وقدرةً وسلطاناً وتدبيراً.

و**الخاصة**: هي التي تختص بالرسل وأتباعهم، كقولـه - تعالى -: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، وقوله - تعـالى -: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ..)"

الموضع السادس والعشرون.

لم يصب في قوله: "ينظرون إلى الكفار وهم في النار"، بل ينظرون إلى ربهم - سبحانه -:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/642) عند قوله - تعـالى - الآيـة: (23)، في سـورة المطففين: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُـرُونَ﴾: "ينظـــرون إلى الكفـــار وهم في النار".

قلت: **قوله**" ينظــرون إلى الكفــار.." غــير صــحيح وعقيدة فاسدة اعتقدها أهل البـدع، وهـو هـروب من اثبات رؤية المؤمـنين لـربهم - تبـارك وتعـالى - على الحقيقة في الآخرة، وقد فسر النبي صلى الله عليــه وســلم قــول اللــه - تعــالى -: ﴿يَنْظُـرُونَ﴾، بنظــر المؤمنين في الجنة إلى وجه الله الكريم، عند قوله - سبحانه - في سورة يونس: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَـادَةٌ﴾، وأن الزيــادة على الجنــة وهي: الحســنى، النظر إلى وجه الله الكريم، وهـو أعظم النعيم؛ فهـو مقتضـى النصـوص، وذلـك مـا يعتقـدة أهـل السـنة والجماعة.

وقد قال ابن قيم الجوزية في نونيته:

ويرونه ـ سـبحانه ـ من فوقهم نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسـول الله لم ينكره إلا فاســـد الإيــمان

وأتى بـه القـرآن تصـريحًــا وتعريضًا هم بسـياقه نوعان

وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسـير من قد جاء بـالقرآن

ورواه عنه مسلم بصحيـحـه يـروي صهيب ذا بلا كتمان

وهو المزيد كذاك فسره أبو بكر هـو الصـديق ذو الإيقان

وعليه أصحاب الرسول وتابعو هم بعدهم تبعيـة الإحسـان

ولقد أتى ذكر اللقاء لربنـا الرحمن في سور من الفـرقان

ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الإجماع فيـه جماعـة ببيـان

وعليه أصحاب الحديث جميعـ

هم لـغـة وعـرفًا ليس يختلفان

وقال الـرومي (في: م/160): "المؤلـف عنـد شـرحه للمفردات ترك تفسير هذه الكلمات..، أما عند معنى الآيات فقد فسرها بقوله: (ينظـرون إلى الكفـار وهم في النار).

والمعنى الحق الذي يأخذه علماء ومفسرو السلف من هذه الآية هو: إثبات نظر المؤمنين إلى ربهم في الآخرة ورؤيتهم له - تعالى -، فتكون هذه الآية عند أهل السنة مثل قوله - تعالى -: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية - رحمه الله - (في الرسالة المدنية ص: 34): (وأن المؤمنين ينظرون إلى وجه خالقهم في الجنة ويتلذذون بذلك لذة ينغمس في جانبها جميع اللذات).

وقال (في التحفة العراقية في الأعمـال القلبيـة ص: 79): (والتحقيـق أن الجنـة هي الـدار الجامعـة لكـل نعيم، وأعلى ما فيها النظـر إلى وجـه اللـه، وهـو من النعيم الــذي ينالونــه في الجنــة، كمــا أخــبرت بــه النصـوص، وكـذلك أهـل النـار فـإنهم محجوبـون عن ربهم. فقد تضافرت أدلة الكتاب والسـنة على إثبـات رؤية المؤمنين لربهم عِياناً في الدار الآخرة)

وقال الإمـام ابن كثـير - رحمـه اللـه - (في تفسـيره لهذه الآيـة: 4/487):﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُـرُونَ﴾, أي: إلى الله - عز وجل -، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضــالون، ليســوا بضــالين؛ بــل هم من أوليــاء اللــه المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته).

وقد ورد في الحديث الثابت في صحيح مسـلم قولـه صلى الله عليه وسلم: «فما أعطوا شـيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عز وجل -» فهو حديث صـريح الدلالـة على رؤيـة المؤمـنين لـربهم عِيانـاً في الـدار الآخرة)".

وقال الجزائري - أيضاً - (في تفسيره: 4/475) عنــد قوله - تعالى - الآية: (12), في سورة الصف: ﴿يَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

"ثم زاد الحق في ترغيبهم فقال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾, إنــه النجــاة من النــار ودخــول الجنــة **فلا فــوز أعظم منه قط**".

قلت: **قوله**: "**فلا فوز أعظم منه قط**"، يخـالف ما تقدم بيانه من معتقد أهل السنة والجماعة، الــذي دل عليــه النص الشــرعي، ويلاحــظ في عبارتــه نفي عقيــدتهم والــرد عليهم, هــو بــذلك يوافــق عقيــدة المعتزلة كالزمخشري وأضرابه الـذين ينكـرون رؤيـة المؤمنين لوجه ربهم من فوقهم في الآخـرة وهم في الجنة، وأنه نعيم أعظم مما هم فيـه من النعيم، قـال الــذهبي عن الزمخشــري: "داعيــة إلى الاعــتزال"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يدس البدع في كلامه دســاً"، وهــو من أبــرز دعــاة المعتزلــة، وقــد دس الجزائري عقيدتهم - هنا - دساً!!.

قال الزمخشري (في تفسيره الكشاف: 2/233) عند قولـه - تعـالى -: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَـنُوا الْحُسْـنَى وَزِيَـادَةٌ﴾ "﴿الْحُسْنَى﴾، المثوبة الحسنى:﴿ وَزِيَـادَةٌ﴾، ومـا يزيـد على المثوبــة وهي: **التفضل**؛ فهــو والجزائــري في نفي الرؤية سواء، إلا أن عبارة الجزائري أصـرح في النفي من عبارة الزمخشري المعتزلي.

قال السيوطي (في الإتقان: 2/501): "والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث أنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه.

قـال البلقيـني: (اسـتخرجت من الكشـاف اعـتزالاً بالمناقيش من قول الله - تعالى - في تفسير: ﴿فَمَنْ زُحْـزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِـلَ الْجَنَّةَ فَقَـدْ فَـازَ﴾، وأي فـوز أعظم من دخول الجنة، أشار به إلى عـدم الرؤيـة)"، وهذا يوافق قول الجزائري، وإن كان قول الجزائــري أصرح في الاعتزال - كما سبق -، ولكن لم أجد قول الزمخشري في تفسير الآية في الكشـاف المطبـوع، والنـاقلون كلهم ينقلونـه عن السـيوطي عن البقيـني ولا يرجعون إلى المصدر، وقـد أثبتنـا عقيـدة صـاحب الكشـــاف من كشـــافه، وهي - فعلاً - تحتـــاج إلى منقـــاش، ومثيلاتهـــا إلى منـــاقيش، وقـــد نقشـــت بالمناقيش اعتزال الجزائـري من أيسـره، كمـا نقش البلقيني اعتزال الزمخشري من كشافه، وليس ذلـك فحسب، بل استعملت الكلاليب والخطـاطيف وكافـة آلات السـبر والاسـتخراج والكشـف؛ لأن تفسـيره موغل في الفساد، وفساده أسـوأ كثـيراً من مـا في الكشاف من فساد عقيدة الاعـتزال؛ فالكشـاف على مافيه يحوي من التفسير والعلم ما لم يكن في أيسر الجزائري، ولن تستخرج منه - من الأخطاء - معشـار ما في تفسير الجزائري؛ لأنه عالم ضال في مشــربه العقدي، والجزائري منحرف في مشربه الـذي تـربى عليه ودرسه جاهل جهلاً مركبـاً فاسـدة فطرتـه كثـير فساده، بل متنوع ومتعدد، ظاهر بعضه وخفي بعضه.

وقد رأيتَ احتواءه لعقيدة الزمخشري الاعتزالية، بل لما هو أوضح منها في الاعتزال.

وقد رد على عبارة الجزائري الأخيرة: "..ودخول الجنة **فلا فوز أعظم منه قط**"، إضافة إلى رده على العبارة السابقة: "ينظرون إلى الكفار.." العلامة الرومي (في: م/157)، وفيه زيادة إيضاح. فليراجع.

وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (في نور على الدرب: 1/166) بعد أن فصل وذكر الإجماع على رؤية المؤمنين لربهم في عرصات يوم القيامة وفي الجنة، قال: ".. أما أهل الإيمان فيرونه، وهذا معنى قوله - سبحانه -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾، وجوه ناضرة يعني: من البهاء والحسن: ناضر من النضارة: من البهاء والحسن والجمال، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، تنظر إليه - سبحانه وتعالى - كما يشاء، فضلاً منه وإحساناً، وكما قال - عز وجل -: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، المعنى للذين أحسنوا في الدنيا الحسنى في الآخرة، وهي: الجنة، **وزيادة وهي النظر إلى ربنا -** سبحانه وتعالى **-**، **فالواجب على كل مؤمن وكل مؤمنة أن يعتقد ذلك، وأن يؤمن بذلك، وأن يبرأ إلى الله من طريقة أهل البدع، الذين أنكروا الرؤية ونفوها كالجهمية والمعتزلة، ومن سار في ركابهم، هذا القول من أبطل الباطل، وأضل الضلال، وجحدان لما بينه الله في كتابه، وبينه رسوله** عليه الصلاة والسلام".

الموضع السابع والعشرون.

في تفسيره لهذه الآية الكريمة عدة أخطاء، تم بيانها:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/483) عند قوله - تعالى - الآية: (162)، في سورة النساء:﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهم﴾: "الراسخون في العلم أصحاب القدم الثابتة في معرفة الله وشرائعه ممن

علومهم راسخة في نفوسهم ليست ظنيات، بـل هي يقينيات".

وقـال: "فقـد نـزلت في عبـد اللـه بن سـلام وبعض العلماء من يهود المدينة فـذكر - تعـالى - كالاسـتثناء من أولئك الموصوفين بأقبح الصفات".

وقــال: "الرســوخ في العلم يــأمن صــاحبه الــزلات والوقوع في المهلكات".

قلت: لا يلزم أن يكون علم الراسخين كلـه يقينيـات وإنما يكفي فيه العلم الـراجح، أمـا صـفة نبينـا صـلى الله عليه وسلم فهي عند علماء اليهود من اليقينيات.

قولــه: "يــأمن صــاحبه الــزلات" غــير صــحيح على إطلاقـــه؛ فهم غـــير معصـــومين؛ فقـــد يجتهـــدون فيخطئــون؛ فيعفى لهم عن الخطــأ ويــؤجرون على الاجتهاد.

و**قوله**: "كالاستثناء " غلـط، وإنمـا هـو اسـتثناء كمـا جزم به المفسرون.

وإليكم ما قالـه بعض المفسـرين في معـنى السـياق الكريم، والإستثناء فيه:

فقــد قــال الإمــام ابن جريــر - رحمــه اللــه - (في تفسيره: 6/24): "هذا من الله - جل ثناؤه - استثناء، اســتثنَى من أهــل الكتــاب من اليهــود الــذين وصَــف صــفتهم في هــذه الآيــات الــتي مضــت، من قولــه: ﴿يَسْــأَلُكَ أَهْــلُ الْكِتَــابِ أَنْ تُنَــزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًــا مِنَ السَّـمَاءِ﴾، ثم قـال - جـل ثنـاؤه - لعبـاده، مبينًـا لهم

حكم من قد هداه لدينه منهم ووفقه لرشده: ما كلُّ أهل الكتاب صفتهم الصفة التي وصفت لكم ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهم﴾، وهم الذين قد رَسخوا في العلم بأحكام الله التي جاءت بها أنبياؤه وأتقنوا ذلك وعرفوا حقيقته".

وقال البغوي (في تفسيره: 2/39):ـ "﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾، يعني: ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة، لكن الراسخون البالغون في العلم منهم أولو البصائر، وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل: عبد الله بن سلام وأصحابه".

وقال ابن عطية (في تفسيره: 3/65):ـ "﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهم﴾، استثنى الله - تعالى - من بني إسرائيل الراسخين في علم التوراة الذين قد تحققوا أمر محمد عليه الصلاة والسلام وعلاماته, وهم عبدالله بن سلام ومخيريق ومن جرى مجراهما".

قال ابن الجوزي (في تفسيره: 2/250): "قوله - تعالى -: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، قال ابن عباس: هذا استثناء لمؤمني أهل الكتاب، فأما الراسخون فهم الثّابتون في العلم .

قال أبو سليمان: وهم عبد الله بن سلام ومن آمن معه والذين آمنوا من أهل الإِنجيل ممن قدم مع جعفر من الحبشة".

وقال ابن كثير (في تفسيره: 2/448):ـ "﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهم﴾، أي: الثابتون في الدين,

الـذين لهم قـدم راسـخة في العلم النـافع, قـال ابن عباس: أنزلت في عبدالله بن سلام وثعلبة بن سـعيه وأسـد بن سـعيه وأسـد بن عبيـد, الـذين دخلـوا في الإسلام وصدقوا بما أرسل الله به محمداً صـلى اللـه عليه وسلم".

الموضـع الثـامن والعشرون.

دعواه الاستحباب بلا دليل شرعي - كما تقدم -:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/683) عند قوله - تعالى - الآية: (1)، في سورة التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: "استحباب غرس هاتين الشجرتين والعناية بهما"!!.

قلت: قال الرومي(في: م/176): "قمت بالبحث في أمهات كتب التفاسـير، من تفاسـير السـلف القديمـة والحديثة؛ للنظر هل تعرض أحد منهم لاسـتنباط هـذا الحكم الشرعي من هذه الآيـة؟ فلم أظفـر من ذلـك بشـيء، فقـد اطلعت على تفسـير الإمـام أبي جعفـر ابن جريـر.. وتفسـير ابن كثـير .. وتفسـير القرطـبي الجامع لأحكام القرآن .. وتفسير الشيخ عبد الـرحمن بن ناصر السعدي ..

فلم أطلع على قول لأحد منهم بهذا الحكم الشـرعي استدلالاً بهذه الآية، ولا يخفى أن القـول بـالوجوب أو الاسـتحباب أو التحـريم أو غـير ذلـك من الأحكـام الشرعية هو من الأمور التي يتوقف القول فيهـا على

ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو المصدر الوحيد للشريعة؛ إذ هو عليه الصلاة والسلام المبلغ عن الله - عز وجل -، وقد جرى نقل كلام الإمام أبي العباس ابن تيمية - رحمه الله - بهذا الشأن عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله - تعالى -: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾".

قلت: نقله عن ابن تيمية (في: الموضع/173)، فقد قال عند قول الجزائري (مشروعية تعلّم علم الفلك؛ لمعرفة القبلة ومواقيت الصلاة والصيام والحج): "قلت: ما ذكره المؤلف من المشروعية هو كلام مجمل يتضمن حكماً شرعياً، قد يفهم منه بعض الناس أن على كل مسلم أن يتعلم علم الفلك وليس كذلك.

وقد سار المؤلف في تفسيره هذا على إصدار الحكم الشرعي على كثير من الأفعال والأقوال بكلام مجمل هكذا، وهو قوله: مشروعية كذا وكذا، وكثير مما يطلق عليه هذا الحكم هو محل إشكال ولا يظهر دليله، ولعل بعض ما يطلقه من ذلك هو فهم خاص لفضيلته، وليس مثبتاً في شيء من التفاسير وكتب الأحكام"، إلى أن قال:

"وأما قول المؤلف مشروعية تعلم..إلخ، فهذا حكم شرعي وهو يحتاج إلى دليل؛ إذ المشروعية من وجوب أو ندب أو تحريم لا يثبت شيء منها إلا بالأدلة الشرعية عن الله ـ عز وجل ـ وعن رسوله صلى

الله عليه وسلم، والرسول هو الذي بلّغ إلينا القـرآن؛ فرجعت الأدلة إلى مصدر واحـد وهـو الرسـول عليـه الصلاة والسلام وبهذا الشأن يقول الإمام تقي الـدين ابن تيمية - رحمه اللـه - في كتابـه (الجـواب البـاهر في زوار المقابر: 57): (وأما القول بـأن هـذا الفعـل مسـتحب أو منهي عنـه أو مبـاح، فلا يثبت إلا بـدليل شرعي.

فـالوجوب والنـدب والإباحـة والاسـتحباب والكراهـة والتحـريم لا يثبت شـيء منهـا إلا بالأدلـة الشـرعية، والأدلـة الشـرعية مرجعهـا كلهـا إليـه صـلوات اللـه وسلامه عليـه، فـالقرآن هـو الـذي بلغـه والسـنة هـو الـذي علمهـا والإجمـاع بقولـه عـرف أنـه معصـوم، والقياس إنمـا يكـون حجـة إذا علمنـا أن الفـرع مثـل الأصل، وأن علة الأصـل في الفـرع، وقـد علمنـا أنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لا يتنـاقض فلا يحكم في المتماثلين بحكمين متناقضين، ولا يحكم بالحكم لعلة تارة ويمنعه أخرى مع وجود العلة إلا لاختصاص إحدى الصورتين بما يوجب التخصيص.

فشرعه هـو مـا شـرعه هـو صـلى اللـه عليـه وسـلم وسنته ما سنها هو، لا يضاف إليه قول غـيره وفعلـه، وإن كان من أفضـل النـاس إذا وردت سـنته؛ بـل ولا يضاف إليه إلا بدليل يـدل على الإضـافة، ولهـذا كـان الصحابة كـأبي بكـر وعمـر وابن مسـعود رضـي اللـه عنهم يقولون باجتهادهم ويكونون مصـيبين مـوافقين لسنته، ولكن يقول أحدهم: أقول هذا برأيي فإن يكن

صواباً فمن الله وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه، فإن كل ما خالف سنته فهو شرع منسوخ أو مبدل، لكن المجتهدون وإن قالوا بآرائهم وأخطأوا فلهم أجر وخطؤهم مغفور لهم)".

الموضع التاسع والعشرون.

خطؤه في تفسيره للقِوَامة في قوله: "تقرير مبدأ القيومية للرجال على النساء"، فلا يقال: القيومية، وإنما يقال: القِوَامة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/398)، عند قوله - تعالى - الآية: (34)، في سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾: "تقرير مبدأ القيومية للرجال على النساء وبخاصة الزوج على زوجته".

قلت: **قوله**: "القيومية للرجال.." خطأ بين؛ فالقيومية يوصف بها الله وحده، قال - تعالى -: ﴿اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، أما قيام الرجل على المرأة، فيقال له: القوامة.

وقد تكرر عنده (في: 3/344) عند تطرقه لقوله - تعال - في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾، قال: "قيومية الرجل على النساء والأطفال".

قلت: وهو دليل على تخبط الرجل وجهله بدلالات الألفاظ وأحكامها الشرعية.

وقد كرره (في نهر الخير)، هامش تفسيره: الطبعة القديمة: 1/472, والطبعة الأولى الجديدة: 1423هـ) عند قوله - تعالى - في سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء ﴾الآية، فقال: "قوّام، ومثله قيّام، و**قيّوم**، وقَيّم, كلها بمعنى واحد, مشتقه من القيام".

فلا يزال يصر على جعله قيوماً: القِوامة على المرأة!.

قال الرومي (في: م/19): "التعبير بالقيومية بالنسبة لقيام الرجل على المرأة غير صحيح، والتعبير المناسب لهذا المقام هو:القِوامة أو القيام، وأما كلمة (القيومية) فهي ترد عند الكلام على صفات الله - تعالى - فيقال لله - تعالى - كمال الحياة و(القيومية)، استنباطاً من قوله - تعالى - ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾، في سورة البقرة, وفي سورة آل عمران, ومن قوله - تعالى - في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾.

وممن أورد كلمة (القيومية) في سياق وصف الله - سبحانه - شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (تلخيص كتاب الاستغاثة ص: 195-196)، وكذلك أوردها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (في تفسيره: 1/314), حيث قال: (ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة، أي نعاس ولا نوم؛ لأن السنة والنوم إنما يعرضان للمخلوق الذي يعتريه الضعف والعجز والانحلال ولا يعرضان لله).

وأما كلمة القِوامة التي ذكرت أنها هي اللائقـة بقيـام الرجال على النساء فقد وردت في رسالة: (تنبيهـات هامة على ما كتبه الشيخ محمـد علي الصـابوني في صفات الله - عز وجل -) تأليف سـماحة الشـيخ عبـد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمـه اللـه - حيث قـال (ص: 10): (**رابعاً**: قِوامة الرجال على النساء قوامة تكليـف وليسـت قوامـة تشـريف قـال: - يعـني: الصـابوني - إنمـا القِوامـة للرجـل قِوامـة تكليـف وليست قوامة تشريف) .

فقـال سـماحته: (والجـواب أن يقـال هـذا خطـأ، والصـواب أن يقـال: قوامـة الرجـال على النسـاء **قِوامة تكليف وتشريف؛** لقول الله - جل وعلا -: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّـلَ اللَّهُ بَعْضَـهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُـواْ﴾، الآيـة, فأوضـح - سـبحانه - أنـه جعـل الرجـال قـوامين على النسـاء لأمـرين: **أحدهما** فضل جنس الرجل على جنس النساء.

والأمر الثاني: قيام الرجـال بالإنفـاق على النسـاء, بما يدفعونه من المهور وغيرها من النفقات).

وكذلك من العلماء المعاصـرين - الـذين أوردوا هـذه العبارة في مجال وصف الله - الشـيخ عبـدالعزيز بن محمـد السـلمان (في كتابـه الكواشـف الجليـة عن معـاني الواسـطية ص: 124) حيث قـال: (إثبـات القيومية لله).

فاتضـح أن الكلمـة الـتي يعـبر بهـا عن قيـام الرجـل بشئون المرأة هي القِوامة أو القيام، وأما (القيومية)

فيوردها العلماء عند الكلام على صفات الله - تعـالى -، فيقولـون -رحمهم اللـه تعـالى -: للـه - تعـالى - كمال الحياة والقيومية.

والكلام على هذه الفقرة من بـاب الالـتزام بالأسـماء الشرعية، وإنما سقت هذا الكلام لبيان ما سـار عليـه علماؤنـا من التقيـد بمـا يسـمى في عـرف العلمـاء بالأسـماء الشـرعية، كأسـماء الإيمـان والإسـلام والإحسـان، وعـدم أخـذ المعـنى اللغـوي بمعـزل عن المعنى الشرعي؛ إذ إنه عند حصول هذا - أي: الأخـذ للغة بمعـزل عن الشـرع - يقـع خطـأ عظيم وإخـراج للأسـماء الشـرعية عن معانيهـا المقصـودة من اللـه ورسوله".

الموضع الثلاثون.

تفسيره لما في الآية الكريمة من قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ فيه قصور بين، والواضح من المعنى: الذي يقول محمد ويدعونا إليه من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا يطلب به الاستعلاء علينا وأن نكون له فيه أتباعاً، ولسنا مجيبيه إلى ذلك:

فقد قال الجزائري (في تفسـيره: 4/4) عنـد قولـه - تعـالى - الآيـة: (6)، في سـورة ص: ﴿وَانطَلَـقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ يُرَادُ﴾: "إن هذا لشيء يراد أي: إن هذا المـذكور من التوحيد لأمر يراد منا تنفيذه".

قلت: كلام المؤلف فيه قصور ظاهر، والمعنى الواضح ما ذكره ابن جرير، ولم يورد غيره، وهو يدل على اختياره، ورجحه الشوكاني، وهو وجه ذكره الماوردي (في تفسيره: النكت والعيون)، والقرطبي في تفسيره.

فقد قال ابن جرير الطبري (في تفسيره: 22/126): "﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، أي: إن هذا القول الذي يقول محمد, ويدعونا إليه من قول لا إله إلا الله شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا وأن نكون له فيه أتباعاً ولسنا مجيبيه إلى ذلك".

وقال البغوي (في تفسيره: 7/72): "﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، أي: لأمر يراد بنا، وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا، وقيل: يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد أن يملّك علينا".

قال الشوكاني (في تفسيره: 4/421) : "وجملة: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، تعليل لما تقدّمه من الأمر بالصبر، أي: يريده محمد بنا وبآلهتنا ويود تمامه؛ ليعلو علينا ونكون له أتباعاً فيتحكم فينا بما يريد. فيكون هذا الكلام خارجاً مخرج التحذير منه والتنفير عنه، قال: وقيل المعنى: إن هذا الأمر يريده الله - سبحانه -، وما أراده فهو كائن لا محالة فاصبروا على عبادة آلهتكم، وقيل المعنى: إن دينكم لشيء يراد أي: يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه، و**الأول أولى**".

الموضع الحادي والثلاثون.

أمره بالأخذ بالعزائم بكل حال، ونهيه عن الـرخص إلا في حال الضرورة، وهو خلاف ما جاءت بـه الشـريعة من الأخذ بالرخص عند المشقة مطلقاً وبدون تعليقها بالضرورة، وكلامه يعني الاسـتمرار بالأخـذ بـالعزائم، مع وجود المشقة في غير حـال الضـرورة، وقـد عـبر بـالترغيب، والتعبـير في هـذه الحـال بـالترغيب غـير صحيح؛ فهو لا يدري ولا يدري أنه لا يدري:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/56): عند قوله - تعـالى - الآيـة: (55)، في سـورة الزمـر: وَاتَّبِعُـوا أَحْسَـنَ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، الآيـة، في معـنى الكلمـات: "فـامتثلوا الأمـر واجتنبـوا النهي وخـذوا بـالعزائم واتركـوا الـرخص"، وفي هدايـة الآيـات: "الـترغيب في الأخـذ بـالعزائم وتـرك الـرخص لغـير ضرورة".

قلت: **أولاً**: **قوله**: "وخـذوا بـالعزائم واتركـوا الـرخص"!!، تشـدد ليس من الـدين، وتأبـاه شـريعة الإسـلام، وهـو جهـل عظيم واسـتدراك على الشـارع الحكيم الرحيم، ورغبة عن السنة إلى البدعة.

وقد قال الله - تعالى -: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، وقال: لَقَـدْ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مِنْ أَنْفُسِـكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَـا عَنِتُّمْ حَـرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِـالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، وقال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم – في ما صـح عنـه -: «إن اللـه يحب أن تـؤتى رخصـه

كما يحب أن تؤتى عزائمه»، وقـال: « إن اللـه يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته».

وفى الصحيحين واللفظ للبخـاري عن أنس بن مالـك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهـط إلى بيـوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلمـا أخـبروا كـأنهم تقالوهـا، فقـالوا: وأين نحن من النـبي صلى الله عليه وسلم قد غفر لـه مـا تقـدم من ذنبـه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبــداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقـال آخـر: أنـا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صــلى الله عليه وسلم فقـال: «أنتم الـذين قلتم كـذا وكـذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم لـه، لكـنى أصـوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النســاء، فمن رغب عن سنتي فليس منى»[1]، وفى صحيح البخــاري: عن ابن عباس قال بينا النبي صلى اللـه عليـه وسـلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نـذر أن يقــوم ولا يقعــد ولا يســتظل ولا يتكلم ويصــوم، فقال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مـره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه».

قال الحافظ ابن رجب (في جامع العلوم والحكم: 2/ 102):ـ "وقولــه - في حــديث وابصــة وأبي ثعلبة -: «وإن أفتاك المفتون» يعـني: أن مـا حـاك في صـدر الإنسان فهو إثم وإن أفتاه غيره بأنه ليس بإثم، فهذه

[1] ويأتي الحديث عند شيخ الإسلام ابن تيمية، وعزاه إلى الصحيحين وروايته له بالمعنى، وكذا الحديث الذي بعده، وعزاه إلى البخاري، وروايته له بالمعنى - أيضاً -.

مرتبة ثانية، وهو أن يكون الشيء مستنكراً عند فاعله دون غيره، وقد جعله - أيضاً - إثماً،وهذا إنما يكون إذا كان صاحبه ممن شرح صدره بالإيمان، وكان المفتي يفتي له بمجرد ظن أو ميل إلى هوى من غير دليل شرعي، فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي، فالواجب على المستفتي الرجوع إليه وإن لم ينشرح له صدره، وهذا كالرخص الشرعية، مثل الفطر في السفر والمرض وقصر الصلاة في السفر، ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال، فهذا لا عبرة به.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم - أحياناً - يأمر أصحابه بما لا تنشرح به صدور بعضهم، فيمتنعون من فعله، فيغضب من ذلك، كما أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة، فكرهه من كرهه منهم، وكما أمرهم بنحر هديهم والتحلل من عمرة الحديبية فكرهوه، وكرهوا مقاضاته لقريش على أن يرجع من عامه، وعلى من أتاه منهم يرده إليهم.

وفي الجملة فما ورد النص به، فليس للمؤمن إلا طاعة الله ورسوله، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وينبغي أن يتلقى ذلك بانشراح الصدر والرضا، فإن ما شرعه الله ورسوله يجب الإيمان والرضا به والتسليم له، كما قال - تعالى -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾".

وفي فتاوى اللجنـة الدائمـة: (10/205، رقم: 882) برئاسة سماحة الشيخ عبـد العزيـز بن عبـد اللـه بن بـاز، وعضـوية نائبـه الشـيخ عبـد الـرزاق عفيفي، والشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن غـديان، والشـيخ عبداللـه بن قعـود: "الفطـر في السـفر من بـاب الرخص تيسيراً من الله - جل وعلا - لعبـاده، ودافعـاً لما يشق عليهم، والأخذ بما رخصه اللـه محبـوب إلى الله - تبارك وتعالى -؛ فإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته".

قـال العلامـة محمـد بن صـالح بن عـثيمين (في/ مجالس شهر رمضان: 33) في حـق المـريض الـذي يرجى برؤه ولا يشق عليه الصوم والذي يشـق عليـه وله ثلاث حالات، **أحدها**: "أن لا يشـق عليـه الصـوم ولا يضره، فيجب عليه الصوم؛ لأنه ليس له عذر يبيح الفطر.

الثانية: أن يشـق عليـه الصـوم ولا يضـره، فيفطـر لقول الله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَـفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، ويكره له الصـوم مـع المشـقة؛ لأنه خروج عن رخصة الله - تعالى - وتعذيب لنفسه، وفي الحـديث: «إن اللـه يحب أن تـؤتى رخصـه كمـا يكـره أن تـؤتى معصـيته»، رواه أحمـد، وابن حبـان، وابن خزيمة، في صحيحيهما.

الثالثة: أن يضـره الصـوم فيجب عليـه الفطـر ولا يجـوز لـه الصـوم؛ لقولـه - تعـالى - : ﴿وَلَا تَقْتُلُـوا

أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، وقوله: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؛ ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لنفسك عليك حقاً»، رواه البخاري.

ومن حقها أن لا تضرها مع وجود رخصة الله - سبحانه -؛ ولقوله صلى عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»، أخرجه ابن ماجه، والحاكم، قال النووي: وله طرق يقوي بعضها بعضاً.

قلت: وأمر الجزائري بالعزائم مطلقاً، ونهيه عن الأخذ بالرخص مطلقاً يلغي جانباً عظيماً في دين الإسلام الذي جاء بالتخفيف والتيسير ورفع الحرج إذا وجدت المشقة والتعسير؛ ولذلك فمن قواعده العظيمة ما عبر عنه أهل العلم بقولهم: (المشقة تجلب التيسير)، و(الأمر إذا ضاق اتسع، و(الأمر إذا اتسع ضاق), وهي من القواعد - الفقهية - عندهم، والمشقة.. مرادفة لـ(لأمر إذاضاق اتسع..)، وكم يترك من الدين بترك الرخص، كالجمع في الحضر والسفر، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر, والمغرب والعشاء, في المدينة في غير خوف ولا مطر», فقيل له لمَ فعل ذلك؟ قال أراد التوسعة على أمته.

وروى جابر ومعاذ بن جبل: «أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر, وبين المغرب والعشاء, في السفر, في غزوة تبوك»، وهكذا في أسفاره صلى الله عليه وسلم يجمع ويقصر كما فعل

- في الحج - القصر في منى، والقصر والجمع في عرفات؛ إن كان نازلاً غير مرتحل ولا سبب للجمع قصر بدون جمع، وإن كان سبب للجمع جمع وقصر كما فعل في عرفات، وإن كان سيرتحل في وقت الأولى جمع وقصر تقديماً، أو كان على ظهر سير تأخيراً.

ثانياً: **قوله**: "الترغيب في الأخذ بالعزائم وترك الرخص لغير ضرورة" العزائم المأمور بها والمنهي عنها شرعاً ولم يصرف الأمر والنهي عن بابه صارف فلا يقال الترغيب به وإنما يقال يؤمر به وينهى عنه.

ولا يسوغ أن يقال: وترك الرخص- أيضاً -؛ لأنها تيسير وتوسيع من الله على عباده - كما سبق -.

و**قوله**: "لغير ضرورة" يستوي فيه عنده الرخصة والواجب؛ فالواجب هو الذي لا يسقط إلا للضرورة أو عدم الاستطاعة، وأما الرخصة فتشرع للمشقة والحرج لا للضرورة، وهذا عدم دقة وخلط عجيب في العلم، ولا أحد من أهل العلم يقول به؛ لأنه على خلاف أصولهم وقواعدهم الفقهية المبنية على نصوص الوحي في هذه الشريعة السمحة العظيمة.

الموضع الثاني والثلاثون.

يخلط بين الآيات ويفسرها وهو يريد غيرها:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/612): عند قوله - تعالى - الآية: (62)، في سورة الإسراء: ﴿لَئِنْ

أَخَّرْتَنِ إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَـهُ إِلَّا قَلِيلًا" : ﴿لئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ أي: وعزتــك لئن أخــرت مــوتي: ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾"

قلت: هــذا من خلطــه وتخليطــه ومــا أوقعــه فيــه الاستعجال غير مقـدر التحـري في نقـل الآيـات عنـد تفسير كتاب الله - جل وعلا - فقـد جعـل: ﴿إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ،﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾، نصاً واحداً وهما نصان

وقال الرومي (في: م/76): "قلت: نص القــرآن هــو: ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وليس في الآيـة ﴿إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ﴾؛ ولكن هذا النص اشتبه على المؤلف بنصــوص أخــرى فيها عبارة: ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

ففي سورة الأعراف قوله - تعـالى -: ﴿قَـالَ أَنْظِـرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وفي سورة الحجر قوله - تعالى -: ﴿قَالَ رَبِّ فَـأَنْظِرْنِي إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ﴾، وفي ســورة المؤمنــون قولــه - تعــالى -:﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَـرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وفي سورة الصــافات قولــه -تعــالى -: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِـهِ إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ﴾، وفي ســورة ص قولــه - تعــالى - : ﴿ قـالَ رَبِّ فَـأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

أقول: وبســبب ورود بعض الآيـات الـتي فيهـا لفظـة: ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، اختلط على الشــيخ فأخــذ واحــدة منها وأثبتها بــدلاً من: ﴿إِلَى يَـوْمِ القِيَامَـةِ﴾، الــذي هــو نص الآية المراد تفسيرها, فوجب الإيقاظ لذلك والله الموفق".

الموضع الثالث والثلاثون.

ادعاؤه للباطل، بما يلزم منه أن النبي صلى عليه وسلم بدوي، واستقلاليته عن العلماء، ومخالفته لهم، وتخبطه في التفسير:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/92): عند قوله - تعالى - الآية: (57)، في سورة غافر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال في معنى الآيات: "لخلق السموات والأرض ابتداء من غير مثال سابق، ولا مادة قائمة موجودة أكبر من خلق الناس مرة أخرى بعد خلقهم المرة الأولى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق العلمية؛ لجهلهم وبعدهم عن العقليات؛ لما عليهم من طابع البداوة"!!، وقال في هداية الآيات:"تقرير عقيدة البعث بالبرهان العقلي، وهو أن البدء أصعب من الإعادة، ومن أبدأ أعاد، ولا تعب ولا نصب"!!.

قلت: **أولاً**: قوله: "لجهلهم وبعدهم عن العقليات"، خطأ في تأدية المعنى المراد في تفسير الآية الكريمة، ولم يذكره أحد من أهل العلم من المفسرين، وهو يظن أنه قد أتى بما لم يقدر عليه الأوائل:

وإني وإن كنت الأخير زامنه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

والنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي أنزل عليه وعهد الله إليه ببيانه بقوله - تعالى -: ﴿وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ﴾، لم يأتيا بما ينبو عن عقولهم، فلا يحتاج معه إلى غيره في إقامة الحجة عليهم.

ثانياً: **قوله**: "لما عليهم من طابع البداوة" يفهم منه أن قريشاً الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل فيهم القرآن الكريم بادية، وهذا باطل، بل هو من أبطل الباطل، وهو عام ويشمل النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد العلماء على من قال عن النبي صلى الله عليه وسلم: إنه بدوي؛ لأنه استرضع في بني سعد في هوازن من بادية الطائف.

وممن رد على مثل هذا القول: العلامة حمود بن عبد الله التويجري، وأخوه العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بن حمود التويجري، والعلامة بكر أبو زيد.

قال الشيخ بكر - رحمه الله - (في معجم المناهي اللفظية: 496): "ووصْفُ النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بدوي مُناقضةٌ للقرآن الكريم، فهو صلى الله عليه وسلم من حاضرة العرب لا من باديتها، قال الله - تعالى - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، وما يزال انعدام التوفيق يغْشى من في قلوبهم دخن، ففي العقد التاسع بعد الثلاثمائة والألف نشر أحد الكاتبين [عبد الله السعد] من البادية الدارسين مقالاً صرَّح فيه بأن النبي صلى الله عليه وسلم من البادية، وقد ردَّ عليه الشيخ حمود بن عبدالله التويجري النجدي برسالة

سمَّاها: "منشور الصواب في الرد على من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم من الأعراب".

قلت: وقد وهم الشيخ بكر - أو سبق قلم منه أو تشابه الاسم والنسبة أو نقله عن واسطة - بنسبة (منشور الصواب..) إلى الشيخ حمود، وهو رد في القضية، ولكنه لـ (عبد الرحمن)، ورسالة الشيخ حمود سماها (الانتصار على من أزرى بالنبي والمهاجرين والأنصار).

وعلى رسالة الشيخ حمود تقديم سماحة مفتي عام المملكة محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - ونصه: "اطلعت على هذه النبذة التي كتبها الشيخ الفاضل (حمود بن عبدالله التويجري) رداً على (عبد الله السعد) حول قوله عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنه بدوي فوجدته قد أجاد وأفاد، وأبرز من الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن يطلب منه ويراد، فجزاه الله خيراً ونظمنا وإياه في سلك المجاهدين في سبيله والذابين عن رسوله صلى الله عليه وسلم وعن شريعته..".

قاله الفقير إلى عفو الله محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

22/5/1385هـ .

الختم

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

قلت: ماذا سيقول سماحة الشيخ المفتي لو بقي ورأى بلايا وبواقع الجزائري؟.

ومما قاله الشيخ حمود - رحمه الله - في رسالته: "أما بعد: فقد رأيت مقالاً لـ(عبد الله السعد) نشر في جريدة البلاد عدد: 1993، وتاريخ: 28، ربيع الثاني سنة: 1385هـ، زعم فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بدوي، وأن الخلفاء الراشدين والصحابة قوم من البدو، وهذا خطأ ظاهر وغلط فاحش، وقول باطل معلوم البطلان بالضرورة عند كل عاقل شم أدنى رائحة من العلم.

ولا يصدر هذا القول عن رجل يعلم ما يقول؛ إذ من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد في مكة ونشأ بها إلى أن تم له ثلاث وخمسون سنة، ثم هاجر من مكة إلى المدينة وتوفي بها صلوات الله وسلامه عليه فهو حضري لا بدوي، وكذلك الخلفاء الراشدون، وغيرهم من المهاجرين: من قريش فإنهم كانوا من أهل مكة، ثم تحولوا منها إلى المدينة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الأمصار، فهم من الحضر لا من البدو، وكذلك الأنصار فإنهم كانوا في المدينة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الأمصار، فهم من الحضر لا من البدو.

وسائر الصحابة على قسمين:

حاضرة وهم سكان المدن والقرى.

وأعراب وهم سكان البادية.

وقد هاجر كثير من الأعراب وسكنوا القرى فكانوا من الحضر لا من البدو.

وبالجملة فكل من كان ساكناً في مدينة أو قرية فهو حضري، ومن كان مقيماً في البرية فهو بدوي، وقد نص أهل اللغة على هذا.

قال الجوهري: (الحضر خلاف البدو).

وقال - أيضاً -: (والحاضر خلاف البادي، والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، والبادية

خلاف ذلك يقال: فلان من أهل الحاضـرة، وفلان من أهل البادية، وفلان حضري، وفلان بدوي).
وقال - أيضاً -: (والبدو البادية، والنسـبة إليهـا بـدوي، وفي الحـديث: «من بـدا جفا» أي: من نـزل الباديـة صار فيـه جفـاء الأعـراب، والبـداوة الإقامـة بالباديـة، وهـو خلاف الحضـارة، وتبـدى الرجـل أقـام بالباديـة، وتبادى تشبه بأهل البادية).
وقال ابن الأثير: (الحاضر المقيم في المدن والقــرى والبادي المقيم بالبادية)،وكذا قال ابن منظور وغــيره من أهل اللغة.
وهذا شيء معلوم عند الناس خاصتهم وعـامتهم من حاضرة وبادية أن من كان ساكناً في مدينة أو قريــة فهو حضري. ومن كان مقيماً في البرية فهو بدوي.
وأما كونه صـلى اللـه عليـه وسـلم رضـع من حليمـة السعدية وهي بدوية وأقام عندها سنتين وشــهرين أو ثلاثة أشهر في البرية فلا يلزم من هذا الرضاع وهـذه الإقامـة القصـيرة أن يكـون بـدوياً فيمـا بعـد ذلـك، وعكس هذا لو أن صـبياً من أهـل الباديـة ارتضـع من امرأة حضرية وأقام عندها مدة ثم تحول إلى الباديــة واستمر بها فهـو معـدود من البـدو لا من الحضـر ولا عبرة برضاعه وإقامته عند المرضعة مدة قصيرة.
ومثل هذا من خرج إلى البادية لطلب علم أو مال ثم رجـع إلى الحاضـرة فهـو معـدود من الحضـر لا من البـدو، وقـد خـرج الأصـمعي والأزهـري وغيرهمـا من أهـل اللغـة والأدب إلى الباديـة وأقـاموا بهـا مـدة ثم رجعوا إلى الحاضرة، ولم يقل أحد من أهل العلم أن الأصمعي والأزهري كانـا بـدويين من أجـل خروجهمـا إلى الباديــة لطلب اللغــة والأدب، وقــد قــال اللــه - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَـالًا نُـوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾.

قال ابن كثير في تفسيره: (المراد بالقرى المـدن، لا أنهم من أهـل البـوادي الـذين هم من أجفى النـاس طبعاً وأخلاقاً، وهـذا هـو المعهـود المعـروف أن أهـل المدن أرق طباعاً وألطف من أهـل سـوادهم، وأهـل الريف والسواد أقـرب حـالاً من الـذين يسـكنون في البوادي؛ ولهذا قال - تعـالى -: ﴿الأعْـرَابُ أَشَـدُّ كُفْـرًا وَنِفَاقًا﴾، الآية.

وقال قتادة في قوله: (﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾؛ لأنهم أعلم وأحلم من أهل العمود).

وقال - تعـالى -: ﴿وَمَـا كَـانَ رَبُّكَ مُهْلِـكَ الْقُـرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَـا رَسُـولًا يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾، وقـال - تعالى -: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَـدُّ قُـوَّةً مِنْ قَرْيَتِـكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـاهُمْ فَلَا نَاصِـرَ لَهُمْ﴾، وفي هـاتين الآيتين دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حضرياً لا بدوياً.

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ثـابت البنـاني عن أنس رضـي اللـه عنـه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً كان يهدي للنـبي صـلى الله عليه وسـلم الهديـة من الباديـة فيجهـزه رسـول الله صلى اللـه عليـه وسـلم إذا أراد أن يخـرج فقـال النبي: «إن زاهـراً باديتنـا ونحن حاضـروه» الحـديث، وإسـناده صـحيح على شـرط الشـيخين، وقـد رواه الترمـذي في الشـمائل عن إسـحاق بن منصـور عن عبد الرزاق به، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه - أيضاً - أبو يعلى والبزار وغيرهما.

وروى البزار - أيضـاً - والطـبراني عن سـالم بن أبي الجعد عن رجل من أشـجع يقـال لـه زاهـر بن حـرام الأشجعي، رجل بدوي وكان لا يزال يأتي النبي صـلى الله عليه وسلم بطرفـة أو هديـة فقـال رسـول اللـه

صلى الله عليه وسلم: «لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام» قال الهيثمي رجاله موثقون.

وفي هذين الحديثين دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حضرياً ولم يكن بدوياً، وهذا شيء معلوم بالضرورة ومقطوع به عند كل عاقل، ومثله لا يحتاج إلى دليل؛ لأنه أوضح من الشمس في رابعة النهار والأمر فيه كما قيل:

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وإنما سقت الدليل من الكتاب والسنة ليعلم ما في مقال (عبد الله السعد) من مخالفة الكتاب والسنة مع مخالفته - أيضاً - للغة العرب, ولما هو معلوم بالضرورة عند كل عاقل، ولا يخفى ما في مقال (عبدالله السعد) من الإزراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، وسائر المهاجرين والأنصار، والغض منهم؛ لأن البداوة صفة نقص بالنسبة إلى الحضارة، ولهذا ما بعث الله نبياً إلا من أهل القرى ولم يبعث نبيًا من البادية.

قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، وقال - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾.

إلى أن قال - وقد ذكر ضمنه طرفاً مما تقدم -: "وقبل الختام نسأل (عبدالله السعد) ماذا يقول في سكان مكة والمدينة الآن؟، هل يقول إنهم من البدو أو من الحضر؟، فإن قال إنهم من البدو فكل عاقل يكذبه في ذلك ويضحك من قوله، وإن قال: إنهم من الحضر طولب بالفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبين أهل هذه الأزمان، ولن يجد إلى الفرق - الصحيح - سبيلاً البتة؛ لأن الجميع من سكان

المدن والقرى ومن كـان سـاكناً في المـدن والقـرى فهو حضري لا بدوي - كما تقـدم تقريـره - وإذا كـان الجميع من سكان المـدن والقـرى، فمـا هـو السـبب الذي دعا (عبد السعد) إلى أن يخص النبي صلى الله عليــه وســلم وأصــحابه بالبــداوة دون أهــل هــذه الأزمان؟، مع أن الجميع على حد سواء لا سبب لذلك إلا اتبــاع ملاحــدة الإفــرنج من المبشــرين وغــيرهم وتقليدهم في قـولهم: إن النـبي محمـداً صـلى عليـه وسلم بدوي، وإن أصحابه قـوم من البـدو، ومـرادهم بذلك الإزراء بالنبي صلى الله عليـه وسـلم وأصـحابه والغض منهم.

فإن كنت لا تدري فتلـك مصـيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

والقول بأن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه كانوا بدواً يلـزم منـه أن يكـون سـكان القـرى وأهـل الباديــة ســواء في صــفة البــداوة، وهــذا خلاف لغــة العرب.

وقد زعم (عبداللـه السـعد) أن البـدو من بـني سـعد كـانوا يلقنـون النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم لغتهم السـليمة الفصـيحة ويدربونــه على الحيــاة البدويــة البسيطة. وهذا خطأ فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما أقام عند بني سعد إلا مدة الرضاع وزيادة شهرين أو ثلاثــة ذكــره ابن إســحاق وغــيره، وهــذه الســن لا يمكن الصبي أن يتلقن فيها اللغـة الفصـيحة والحيـاة البدويــة، فـإن الغـالب أن الصـبي لا يتلقن إلا إذا بلـغ سبع سنين فما فوقها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسـلم عنـد أمـه آمنـة بنت وهب منذ بلـغ سـنتين وشـهرين أو ثلاثـة أشـهر، وماتت أمه وله من العمـر سـت سـنين فكفلـه جـده عبد المطلب ومات ولـه من العمـر ثمـان سـنين، ثم

كفله عمه أبو طـالب إلى أن بلـغ فكـان يتلقن اللغـة السليمة الفصيحة والشيم العربية من جده وأعمامـه وغيرهم من قريش، ولغة قـريش هي أفصـح اللغـات وبها نزل القرآن وقـد قـال اللـه - تعـالى -: ﴿بِلِسَـانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

وليس الأمر كما زعمه (عبدالله السـعد) من أن لغـة البدو هي اللغة السليمة الفصيحة.

وزعم (عبدالله السعد) - أيضـاً - أن سـكان الجزيـرة العربيـة قـوم من الباديـة، وهـذا خطـأ؛ فـإن سـكان الجزيـرة العربيـة من زمن الجاهليـة إلى زماننـا هـذا على قسمين:

حاضـرة وهم من أهـل القـرى، و**بادية** وهم سـكان البـوادي؛ فمن **الحاضـرة**: أهـل مكـة والمدينـة، والطـائف، وخيـبر، ووادي القـرى، واليمامـة، وهجـر، والبحـرين، وصـنعاء، ونجـران وغيرهـا، من القـرى الكثيرة، وأهل مكة معدودون من الحاضرة منذ بـنيت مكـة في زمـان إبـراهيم وإسـماعيل عليهمـا الصـلاة والسلام إلى زمننا هذا".

قلت: فهو صلى اللـه عليـه وسـلم من أهـل القـرى وأرسـل في أهـل القـرى والرسـل جميعـاً من أهـل القرى وأرسلوا إلى أهل القـرى، ودعـوة نبينـا للإنس والجن عامة: قرويهم وبدويهم.

وقـال الشـيخ عبـد الـرحمن - رحمـه اللـه - (في رسالته: منشـور الصـواب..) - وهـو من نص المقـال المـردود عليـه -: "فقـد رأيت مقـالاً لــ (عبـد اللـه السعد) نشر في جريدة البلاد، بعدد: 1993، وتـاريخ: 28/4/1385هـ، تحت عنـوان (**هـذا المجتمـع الأصيل**) قال فيه: "(محمد الأمين صـلى اللـه عليـه

وسلم بدوي من قريش ولد بمكة وتـربى في الباديـة ترضـعه وتحضـنه حليمـة السـعدية البدويـة، ويلقنـه قومها البدو لغتهم السـليمة الفصـيحة، ويربونـه على الحيـاة البدويـة الصـافية، يمقت المسـتهجن من عاداتهم)، إلى أن قال: (وخلفه في المهمة العظيمـة قـوم من البـدو، وهم صـحابته الأبـرار وخلفـاؤه الأطهار)، إلى أن قال: (وسكان الجزيرة العربية قوم من الباديـة امتلـك الأرض بعضـهم فسـمي حضـرياً، والبعض الآخر مـا يـزال يـذرع الأرض طـولاً وعرضـاً؛ فبقي بدوياً اسماً ومعنى)، هذا كلامه".

ثم علق على المقال قـائلاً: "وأقـول لقـد قـرأت هـذا المقال وطال عجبي من هـذه الجـراءة على المقـام النبوي والجناب المصـطفوي، وعلى خـير خلـق اللـه بعد الأنبياء وهم أصحاب رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم إنه لمقال يفرح به أعداء الإسلام ويشمئز عنـد سماعه كل مؤمن"، وبعد أن ذكـر أن ذلـك من فعـل الكفرة ومن نحا نحوهم قـال: "ولا أظن أن أحـداً من المسـلمين سـبق هـذا الكـاتب إلى هـذا القـول فـإن القـول بـأن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وخلفـاءه وأفاضل أصحابه من الحضر لا أظن أنه يشك فيه من المسلمين إنسان، ولا يختلف فيـه منهم اثنـان، اللهم إلا من يقلـد الإفـرنج ويتلقى أقـوالهم الفاسـدة بالقبول".

وبعـد أن بين وذكـر أدلـة من الكتـاب والسـنة على تفضـيل الحاضـرة على الباديـة وأجـاد فأفـاد، أضـاف بقوله: "وهذا الكـاتب يجعـل النـبي صـلى اللـه عليـه

وسلم وخلفـاءه وأفاضـل أصـحابه من المفضـولين - سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم -، وأما قول الكـاتب إن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم تـربى في الباديـة ترضعه وتحضنه حليمـة السـعدية، فـالجواب عن هـذا أن ارتضـاعه صـلى اللـه عليـه وسـلم من حليمـة لا يصـيره بـدوياً، كمـا لا يصـير البـدوي المرتضـع من حضرية حضـرياً، والنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـا مكث عنـد حليمـة سـوى سـنيتين وشـهرين أو ثلاثـة أشهر: على المشهور، ثم قدمت بـه حليمـة إلى أمـه آمنه، وبعد وفاة أمه كفله جده عبـد المطلب، ثم لمـا توفي جده كفله عمه أبو طـالب، ومكثـه عنـد حليمـة المدة قصيرة وهـو طفـل صـغير لا يصـدق عليـه أنـه تربي في البادية، بل تربى المـدة الكثـيرة عنـد جـده وعمه أبي طالب بمكة.

وأما قوله ويلقنه قومها البدو لغتهم السليمة الفصيحة فالجواب: أن يقال لا شك أن لغة هوازن من أفصح لغات العرب، ولكن لا يلزم من ذلك تفضيلها على لغة قريش، كما يظهر من كلام الكاتب، وهو خطأ ظاهر؛ فإن لغة قريش أفصح لغات العرب وبها نزل القرآن قال الله - تعالى -: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (بلسان قريش ليفهموا ما فيه).

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما مكث عند بني سعد إلا مدة يسيرة وهو طفل صغير، ثم كان مكثه صلى الله عليه وسلم بمكة أكثر من

خمسين سنة، وقد تلقن اللغة الصحيحة الفصيحة من عشيرته قريش.

وأما قوله يمقت المستهجن من عاداتهم فهذا إن ورد به الحديث وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه رضوان الله عليهم فعلى الرأس والعين؛ لأنه من الخوارق والمعجزات: أن يمقت ويستهجن الأمور القبيحة من له سنتان أو ثلاث سنين، ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك، ولكني لم أقف على شيء من ذلك سوى ما أتى به الكاتب من كيسه، وما أتى به الكاتب أو غيره من أكياسهم فمضروب به عرض الحائط ، وإذا لم يرد بذلك الحديث فهو من التخرص والقول بغير علم.

وأما إطلاق البداوة على جميع الصحابة رضي الله عنهم فهو من نمط ما قبله من الخطأ الواضح والجهل الفاضح؛ فإن أفاضل الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم حضر لا بدو، وكذلك من غير المهاجرين والأنصار كالطلقاء وغيرهم من سكان القرى ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ومات على ذلك، وأما الأعراب الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهاجروا فيصح إطلاق البداوة عليهم، ويقال للكاتب ما تقول في قول الله - تعالى -: ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ والسياق في منافقي أهل المدينة يوم

الأحزاب كيف يودون أنهم بادون؟ في الأعراب وهم أعراب عندك.
وأيضاً فقد قال الله - تعالى -: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ، فلو كان الصحابة رضي الله عنهم كلهم بدو كما زعمت ذلك لم يذكر منافقي الأعراب ومنافقي أهل المدينة، بل يكفي ذكر الأعراب فقط؛ لأن الكل أعراب عندك، وأيضاً فقد قال - تعالى -: مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، وقال - تعالى -: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا، الآية، وفي الآية الأخرى: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ الآية، وقال - تعالى -: الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا، الآية، يعني أشد كفراً ونفاقاً من أهل القرى، وقال - تعالى -: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا، الآية، وقال - تعالى -:وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، الآية، وقال - تعالى -: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا، فلو كان جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أعراباً كما زعمت ذلك لما كان لتخصيص الأعراب بالذكر فائدة في هذه الآيات؛ لأن الكل أعراب على حد قولك.
ويقال للكاتب - أيضاً - ما قولك في المهاجرين الذين أثنى الله عليهم في عدة مواضع من كتابه

وسماهم المهاجرين وسيدهم ومقدمهم رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم هل رجعـوا على أعقـابهم بعـد الهجرة إلى البادية؟؛ فإن قلت ذلك فهذا إزراء بالنبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه وتنقص لهم؛ لأن المرتد أعرابياً بعد الهجرة قد ورد فيـه الوعيـد - كمـا تقـدم - وهـذا القـول شـبيه بقـول الرافضـة في الصـحابة: إنهم ارتـدوا عن دينهم إلا نفـراً قليلاً منهم، وإن قلت لم يرجعوا إلى البادية أبطلت قولك ويقـال - أيضـاً -: هـل كـانت هجـرة النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة خروج من بريـة إلى أخرى؟ ولم يكن بمكة والمدينة يومئذ بنيان إنمـا هما صحاري ومنـازل باديـة؟ حـتى يصـح قولـك فـإن قلت ذلك فهذا جهل فوق كل جهل فإن الحضارة في مكة والمدينة متقدمة على البعثة بزمن طويـل وهـذا لا يحتـاج لـدليل لوضـوحه وضـوح الشـمس والقمـر والليل والنهار.

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتـاج النهار إلى دليل

وإن اعترفت بحضارتهما وأنهما لم يزالا من قبل البعثة بزمن طويل إلى وقتنا هذا وهما بلاد حاضرة فقد نقضت بنيانك من أساسه وأبطلت ما قررته والله - سبحانه وتعالى - قد سمى مكة في كتابه القرية وأم القرى والبلد قال - تعالى -: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾، وقال - تعالى -: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾، الآية، وقال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا

نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآَنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ، يعنون بالقريتين مكة والطائف، وقال - تعالى -: وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا، وقال - تعالى -: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا، وقال - تعالى -: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِنَا، الآية، وقال - تعالى -: لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، وقال - تعالى -: وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ، فهل في لغتك أيها الكاتب أن القرية وأم القرى والبلد يكون اسماً للبادية؟ وأن سكان القرية يكونون من البدو؟ وهل في لغتك أن البدو يسمون بالمهاجرين؟ أما في لغة العرب فلا؛ فإن المهاجرة عندهم خروج البدوي من باديته إلى المدن والقرى، وفي الشرع اسم على كل من هاجر من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وسواء كان المهاجر بدوياً من البادية أو حضرياً من الحاضرة، فالبدوي بعد هجرته إلى مدينة أو قرية وسكناه بها لا يسمى بدوياً، فالبدوي من سكن البادية، قال الأزهري: (وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن، يقال هاجر الرجل إذا فعل ذلك، وكل من أقام من البوادي بمباديهم ومحاضرهم في القيظ ولم يلحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين التي أحدثت في الإسلام وإن كانوا مسلمين فهم غير مهاجرين، وليس لهم في الفيء نصيب، ويسمون الأعراب).

وقال ابن الأثير: (والهجرة المهاجرة إلى القرى) انتهى.
فتأمل أيها الكاتب بطلان قولك واغترارك بجهلك والله - سبحانه - قد أثنى على المهاجرين الذين هاجروا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عيه وسلم، وسكنوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى دانت لهم البلاد وذلت لهم رقاب العباد، وقد ذكرهم الله بالذكر الجميل ووعدهم الثواب الجزيل، ومع هذا يجعلهم هذا الكاتب من البدو الجفاة"، إلى أن قال: "وأما قول الكاتب إن سكان الجزيرة العربية قوم من البادية فهي نكتة من نكته التي استخرجها من كيسه، وليس الأمر كما زعمه؛ فإن الحضارة في الجزيرة العربية متقدمة من أقدم الحضارات في الدنيا، فقد كانت عاد التي تسكن الأحقاف حاضرة عظيمة أرسل الله إليهم نبيهم هوداً عليه الصلاة والسلام فكذبوه فأهلكهم الله بالريح العقيم، ثم كانت التبابعة من سبأ في اليمن، وكذلك ديار ثمود بالحجر بين المدينة وتبوك، أرسل الله إليهم نبيه صالحاً عليه الصلاة والسلام فكذبوه وعقروا الناقة فأهلكهم الله بالصيحة عن آخرهم، وكذلك مدين قرية شعيب عليه السلام، وكذلك في اليمامة قرى قديمة، ثم كانت الحضارة في بني إسماعيل، ثم انتشرت في سائر الجزيرة، وأما ما يقوله بعض الناس إن أصل الناس كلهم من البدو فهو قول لا أصل له ولا مستند لقائله: فبعض الحضر أصلهم من البدو، وبعضهم أصله من

الحضر، وأما تعريف الكاتب للحضر والبدو بقوله: (وسكان الجزيرة قوم من البادية امتلك بعضهم الأرض فسمي حضرياً إلى آخر كلامه)، فهو تعريف غير صحيح مخالف لما ذكره أهل اللغة، قال الجوهري: (الحضر خلاف البدو والحاضرة خلاف البادية، وهي: المدن، والقرى، والريف، والبادية خلاف ذلك، يقال: فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية، وفلان حضري وفلان بدوي)، وقال: (والبدو البادية والنسبة إليها بدوي وفي الحديث: «من بدا جفا» أي: من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب، والبداوة الإقامة بالبادية وهي خلاف الحضارة)، وقال ابن الأثير: (الحاضر المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم بالبادية) انتهى.
ويلزم على تعريف الكاتب أن من ملك أرضاً أو داراً وهو من أهل البادية أن يكون حضرياً وأن من لم يملك شيئاً من الأرض يكون بدوياً ولو كان حضرياً مقيماً بالحضارة، ويقال لهذا الكاتب نحن نطالبك بهذا التعريف ولو كان غير صحيح؛ فنقول: ماذا تقول: في أهل مكة زمن البعثة هل ملكوا دور مكة؟، وماذا تقول: في الأنصار هل ملكوا دور المدينة وأرضها ونخيلها؟ فإن قلت نعم فقد نقضت ما قررته من إطلاقك البداوة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإن قلت لم يملكوها بل كانوا بادية رحالة فهذا مباهتة في الحسيات ومكابرة في الضروريات؛ إذ من المعلوم أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما أتى بإسماعيل وأمه إلى مكة لم

يزل إسماعيل مقيماً بها وخلفه من بعده ذريته في مكة، وهم حضر لا يظعنون: يسكنون أم القرى من عهد أبيهم إسماعيل عليه السلام، ثم تفرق بعضهم في بلاد نجد وفي جميع أنحاء الجزيرة العربية ما بين حاضر وباد، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن»، ولما قال له رجل: أتنزل غداً بدارك بمكة؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيلاً من رباع أو دور»، وأما الأنصار: فقد نزل أوائلهم المدينة لما خرجوا من اليمن بعد خراب سد مأرب ولم يزالوا حضرة بعد ذلك.

ومثل كاتب هذا المقال في جهله حدود ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم كمثل سلف له من الأعراب جلس إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند، فقال الإعرابي: والله إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريبني فقال زيد: ما يريبك منها؟ إنها الشمال، فقال الإعرابي: والله ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال؟! فقال زيد: صدق الله ورسوله: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾"، انتهى ما اخترت نقله من كلام الشيخين الكريمين، وبه الكفاية.

ولقد نصح الشيخان وأجادا فأفادا.

وقد رد على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالبداوة كثير من الأئمة والعلماء المتقدمين

والمتأخرين، وهو رد على وصف قومه بذلك، الذين هو ورسالته فيهم والقرآن بلغتهم، وكذا من تحضر من البادية.

وأجود ما رأيت في التحقيق العلمي - الشامل - رسالتي الشيخين: حمود وعبد الرحمن - رحمهما الله وجزاهما خير الجزاء -.

وقد أحسنا في المبادرة بالرد؛ فرسالة الشيخ حمود حررها في: 4/5/1385هـ.

ورسالة الشيخ عبد الرحمن في: 15/5/1385هـ.

ثالثاً: قول الجزائري: "تقرير عقيدة البعث" كان عليه أن يقول: الإيمان بالبعث، - ويأتي مزيد بيان عنه -.

رابعاً: **قوله**: "من أبدأ أعاد ولا تعب ولا نصب" فيه نظر - أيضاً -؛ فغير التعب والنصب يتوجه إلى الله وغيره، وذلك غير سليم بالنسبة لغير الله - تعالى -؛ فيدركه التعب والنصب، أما بالنسبة لله فلا تعب ولا نصب، وذلك ما تقتضيه عظمته وربوبيته وأسماؤه وصفاته، وقد قال - عز وجل -: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾، الآية، وقال:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

خامساً: لم يسلك مسلك علماء التفسير في تفسير الآية، الذي يقتصر على أنهم أي: الكفار الذين ينكرون البعث والمعاد وهم يعترفون بخلق الله السماوات والأرض: لا يتدبرون أو يتأملون ما فيهما من آيات وأدلة علمية قاطعة على عظيم قدرته؛

فيدركون عظمة الله ويتعظون بذلك، وأنه قـادر على بعثهم وإعادتهم بعـد مـوتهم وهـو سـهل هين يسـير عليــه على الوجــه الأولى والأحــرى من قدرتــه على خلقهم:

قــال ابن جريــر (في تفسـيره: 21/405): "يقــول - تعالى ذكـره -: لابتـداع السـموات والأرض وإنشـاؤها من غــير شــيء أعظم أيهــا النــاس عنــدكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس وإنشائهم من غير شــيء من خلق الناس، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾: أن خلق جميع ذلك هين على الله".

وقــال ابن كثــير (في تفسـيره: 7/152): "يقــول - تعالى - منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذلـك سـهل عليـه يسـير لديـه بأنـه خلـق السـموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعــادة؛ فمن قدر على ذلك فهو قـادر على مـا دونـه بطريـق الأولى والأحرى، كما قـال - تعـالى -: ﴿أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَـقَ السَّـمَوَاتِ وَالأرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال هاهنـا: ﴿لَخَلْـقُ السَّـمَوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَـرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾؛ فلهـذا لا يتدبرون هذه الحجة،ولايتأملونها، كما كان كثير من العرب يعـترفون بـأن اللـه خلـق السـموات والأرض، وينكرون المعاد، استبعاداً وكفراً وعناداً، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا".

وقال الشوكاني (في تفسيره: فتح القـدير: 6/332): "بيّن - سـبحانه - عظيم قدرتـه، فقـال: لَخَلْـقُ السموات والأرض أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النـاس أي: أعظم في النفـوس، وأجـلّ في الصـدور، لعظم أجرامهمـا، واسـتقرارهما من غـير عمـد، وجريـان الأفلاك بـالكواكب من غـير سـبب، فكيـف ينكـرون البعث، وإحياء ما هـو دونهمـا من كـل وجـه كمـا في قولـه: أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَـادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم ,ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ، بعظيم قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء".

وقال ابن سـعدي (في تفسـيره ص: 740): "يخـبر - تعالى - بمـا تقـرر في العقـول، أن خلـق السـماوات والأرض - على عظمهما وسعتهما - أعظم وأكـبر من خلق الناس، فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصـغر مـا يكـون، فالـذي خلـق الأجـرام العظيمة وأتقنها قادر على إعادة النـاس بعـد مـوتهم من باب أولى وأحرى, وهذا أحد الأدلة العقلية الدالـة على البعث دلالة قاطعـة بمجـرد نظـر العاقـل إليهـا، يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك والشبهة بوقوع مـا أخبرت به الرسل من البعث, وليس كـل أحـد يجعـل فكره لذلك ويقبـل بتـدبره، ولهـذا قـال: وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُـونَ، ولـذلك لا يعتـبرون بـذلك، ولا يجعلونه منهم على بال".

الموضع الرابع والثلاثون.

رميه للنبي صلى الله عليه وسلم بالعجز، وسلبه عنه القدرة على ما يريده صلى الله عليه وسلم لو أراده، يريد به مدحه، وهو في حقيقته ذم له وليس مدحاً!!:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/547): عند قوله - تعالى - الآية: (44)، في سورة الحاقة: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾، في هداية الآيات: "عجز الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكذب على الله - تعالى - وعدم قدرته على ذلك لو أراده، ولكن الذي لا يكذب على الناس لا يكذب على الله، كما قال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله رداً على أبي سفيان، لما قال له لم نجرب عليه كذباً قط ".

قلت: وقد حذفه من الطبعة الأولى الجديدة عام: 1423هـ ذات المجلد الواحد، وبحاشيته ما أسماه: "نهر الخير" دون تنبيه.

ولا شك أن هذا من تخبطه في العلم وهو قول يعرف العقلاء خطله فيه، وأنه لا يؤيده نقل ولا عقل، بل يرده النقل والعقل، ويلزم منه لازم باطل، وهو فتح باب عدم الوثوق بصدق ما يبلغه صلى الله عليه وسلم مما أرسل به وأمر بتبليغه بأن لا يقدر عليه إذا أراده من أمر أو نهي أو بلاغ أو فعل أو ترك يقتدى به فيه.

وهو - أيضاً - ما لم يقل به أهل العلم من المفسرين والمحدثين والفقهاء وإليك طرفاً مما قاله المفسرون في تفاسيرهم:

قال ابن كثير (في تفسيره: 8/118): "﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾، أي: محمد صلى الله عليه وسلم، لو كان كما يزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة, ولهذا قال ﴿لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾، قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه, ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العِرْقُ الذي القلب معلق فيه، وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، والحكم، وقتادة، والضحاك، ومسلم البَطِين، وأبو صخر حُميد بن زياد.
وقال محمد بن كعب: هو القلب ومَرَاقُّه وما يليه".

قلت: وفي **قوله**: ﴿لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ إثبات صفة اليد اليمين لله - جل وعز -.

وقال السمرقندي (في تفسيره: بحر العلوم 4/32 5): "﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾، يعني: أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو قال من ذات نفسه، ﴿لأخَذْنَا مِنْهُ باليمين﴾، يعني: لعاقبناه، فأعلم الله - تعالى - أنه لا محاباة لأحد إذا عصاه بالقرآن، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم".

قلت:وقد تقدم في (**الموضع الخامس**) أن اليد اليمين صفة ثبوتية لله - تعالى - على الحقيقة لائقة به.

وقوله: "عجز الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكذب على الله - تعالى - وعدم قدرته على ذلك لو

أراده" أراد به مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في حقيقته ليس مدحاً, بل ذم وتنقص، وقد قيل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصى

وكيف يتوعده الله على شيء لا قدرة له عليه!!، ولكن هذا موافق لمذهبه الذي هو مذهب (القدرية المجبرة) المبتدعه، ولقد جليناه عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وغريب أن يدرك هذا الغلط الفظيع الخطير في حق نبينا عليه الصلاة والسلام بعد أن انتشر تفسيره في الآفاق، ثم يحذفه بعد أن صحى من سباته وتنبه أو نبه إلى جهله وغفلته، ثم هو لا يستحق ويستأهل منه التنويه!!، ما هذا الاستخفاف الرهيب الذي جرى عليه هذا الرجل في تفسيره وكتبه، حتى لو تبين له خطؤه أو بين له، أنفة من أن ينسب إليه الخطأ؟!!.

وفي كلام أهل العلم الذي نقلناه ما يزيف تلك الدعوى، بل في نص ما نقله من قصة أبي سفيان مع هرقل ما يرد عليه أبلغ الرد، وهو قوله: "ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله" - رواه البخاري في صحيحه -؛ لنسبة هرقل ترك الكذب إليه صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يكون إلا بالتخلق والترفع والاختيار، وهو عنده وعند إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن صميم رسالاتهم الاتسام بالصدق والدعوة إليه، وترك

الكذب والبعد عنه والنهي والتحذير منه، وقد قال الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

حتى إن نبينا جعله من صفات المنافقين - كما في البخاري، ومسلم -؛ فقال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً»، وذكر منهن: «وإذا حدث كذب»، وفي رواية: «آية المنافق ثلاث»، منهن: «إذا حدث كذب».

ولا شك أن ما قاله الجزائري في حق نبينا نقص لا تليق نسبته إلى الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وغض من أقدارهم ممن ينسبه إليهم، بل يدخل في إيذائهم الذي نهى الله عنه المؤمنين بقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾.

الموضع الخامس والثلاثون.

تفسيره: ﴿حَصُورًا﴾ في حق نبي الله يحيى عليه الصلاة والسلام بـ: "من لارغبة له في النساء لقلة مائه"!!، وهو تنقيص له وإلصاق للنقص به صلى الله عليه وسلم:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/259): عند قوله - تعالى - الآية: (39)، في سورة آل عمران، عن زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى

مُصَــدِّقًا بِكَلِمَــةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَــيِّدًا وَحَصُــورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" :حَصُورًا: لا رغبة له في النساء **لقلة مائه**"؟!!.

قلت: تفســيره للحصــور بأنــه من لارغبــة لــه في النساء وقلة مائه خطأ وخلاف مـا رجحـه المحققـون من أهل العلم.

فقــد قــال ابن كثــير (في تفســيره: 2/39): "قــال القاضي عيـاض في كتابـه الشـفاء[1]: (اعلم أن ثنـاء الله - تعالى - على يحيى أنـه كـان حَصُـورًا، ليس كما قاله بعضهم: إنه كان هيوباً، أو لا ذكر له، بـل قـد أنكر هـذا حُـذَّاقُ المفسـرين ونقـاد العلمـاء، وقـالوا: **هـذه نقيصـة وعيب ولا تليـق بالأنبيـاء** عليهم السلام، وإنما معناه: أنه معصوم من الـذنوب، أي: لا يأتيهـا كأنــه حصــر عنهـا، وقيــل: مانعــاً نفســه من الشهوات، وقيل: ليست له شهوة في النساء.

وقـد بـان لـك من هـذا أن عـدم القـدرة على النكـاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها: إمـا بمجاهدة كعيسـى، أو بكفايـة من اللـه - عـز وجـل -، كيحـيى عليـه السـلام، ثم هي حـق من أقـدر عليهـا، وقام بالواجب فيها، ولم تشغله عن ربـه درجـة عليـا، وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليـه وسـلم، الـذي لم يشـغله كـثرتهن عن عبـادة ربـه، بـل زاده ذلـك عبــادة، بتحصــينهن وقيامــه عليهن، واكتســابه لهن، وهدايته إياهن، بل صرّح أنها ليست من حظوظ دنياه

---
[1] () انظر الشفاء (1/116).

هو، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال: «حبب إلي من دنياكم» هذا لفظه).
والمقصود أنه مدح يحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل **قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا -** المتقدم **-**: ﴿قال رب هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، كأنه قال: ولداً له ذرية ونسل وعَقِب".

وقال الرازي (في تفسيره: 11/312): "قوله **-** تعالى **-**: ﴿..وَحَصُورًا..﴾ مدح يحيى عليه السلام بكونه حصوراً، **والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليهن**، و**لا يقال هو الذي لا يأتي النساء مع العجز عنهن**؛ لأن **مدح الإنسان بما يكون عيباً غير جائز**".

وقال الشوكاني (في تفسيره فتح القدير: 1/461): "فيحيى عليه السلام كان حصوراً عن إتيان النساء، أي: محصوراً لا يأتيهنّ، كغيره من الرجال، إما لعدم القدرة على ذلك، أو **لكونه يكف عنهنّ منعاً لنفسه عن الشهوة مع القدرة**.

وقد **رُجّح الثاني بأن المقام مقام مدح، وهو لا يكون إلا على أمر مكتسب يقدر فاعله على خلافه، لا على ما كان من أصل الخلقة وفي نفس الجبلة**".

وقال محمد الأمين الشنقيطي(في أضـواء البيـان: 3/ 446): "والتحقيق في معـنى قولـه: ﴿حَصُـورًا﴾، **أنه الذي حصر نفسه عن النساء مع القدرة على إتيانهن تبتلاً منه**، وانقطاعاً لعبادة الله، وكان ذلك جائزاً في شـرعه، وأمـا سـنة النَّبي صـلى اللـه عليـه وسلم فهي التزوج وعدم التبتل.

أما قول من قال: إن الحصور فعول بمعـنى مفعـول، وأنه **محصور عن النسـاء**؛ **لأنـه عـنين لا يقـدر على إتيـانهن فليس بصـحيح**؛ لأن **العنـة عيب ونقص في الرجال**، **وليسـت من فعلـه حـتى يثنى عليه بها**.

فالصواب **-** إن شـاء اللـه **-** هـو مـا ذكرنـا، **واختاره غير واحد من العلماء**".

قلت: فالمتعين ما حققه ورجحه هؤلاء العلماء الـتي تقدمت تقريـراتهم وتحقيقـاتهم. و**-** أيضـاً **-** المنقـول عن بعض السلف في تفسير الحصـور أنـه: "الـذي لا ماء له"، ومنهم من قال: "الذي لا ينزل الماء".

خلاف عبـارة المؤلـف وهي قولـه: "لا رغبـة لـه في النساء لقلة مائه"، وكان عليه أن لا يقتصر على هــذا المعــنى، أو يختــار المعــنى الصــحيح الــذي حققــه العلماء، ولعله خالف وهـو يريـد التوسـط ويظن أنـه قد أحسن بهذا القول الشاذ؛ بحيث لا يقول: لا ماء له أو لا ينزل الماء!!.

وما اقتصر عليه إذا نسب إلى أحـد فإنـه عيب ونقص لدى الرجال عموماً؛ فكيـف تليـق نسـبته إلى الأنبيـاء

عليهم الصلاة والسلام؟ - كما سبق -، و يدخل في إيذائهم الذي نهى الله عنه المؤمنين وحذرهم منه بقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾، وكيف يبشر الله زكريا بولد فيه عيب يكدر البشارة وتمام الاستبشار والفرح بها واستجابة الدعاء؟!!

الموضع السادس والثلاثون.

ادعاؤه - باطلاً - عقم مريم البتول بنت عمران أم عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو كذب عليها وبهتان لها:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/263): عند قوله - تعالى - الآية: (47)، في سورة آل عمران، عن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، في شرح الكلمات: "ولم يمسسني بشر: تريد لم يقربها ذكر لا لوقاع ولا لغيره، **وذلك لعقمها** وبعدها عن الرجال الأجانب".

قلت: هذا الكلام فيه جهل وتخليط ظاهر؛ فقوله: "لم يقربها ذكر لا لوقاع ولا لغيره" لا ذكر في الآية لقوله: "لغيره"، وقوله:"لعقمها" يرده نص الآية الكريمة إذ لا ذكر له فيها - أيضاً -؛ ولأنه لا يعرف العقم إلا بعد جماع، وهي تنفي ذلك أي: أنها بكر، كما في نص الآية، ولم تقل: إنها عقيم، كما قالت: سارة زوجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ورحمة الله عليها؛ إذ قال الله عنها: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي

صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ، بل يدل قولها أنه لو مسها بشر لكانت أهلاً للإيلاد والإنجاب وهو ما أشار إليه فيما يأتي.

ويرد عليه قوله: في شرح معنى الآيات: "كيف يكون لي ولد ولم يغشني بشر بجماع، وسنة الله في خلق الولد الغشيان"، ولم يذكر العقم، وهذا يعني عنده أنه لو غشاها بشر كان ذلك مظنة لوجود الولد وهو ما ينفي العقم،وذلك من تناقضه!!.

و**قوله**: "وبعدها عن الرجال الأجانب" بعد قوله: " لعقمها" لا معنى له، وقد قرر المفسرون ما قرره هو: أن المراد بالمسيس الجماع فما قاله زيادة على النص، ولم يقل به أهل التفسير، وقد قال ابن عطية: - كما سيأتي -: "ومريم لم تنف مسيس الأيدي" فكلام الجزائري لا وجه له، وهو ظن وليس بعلم.

وقال السمرقندي (في تفسيره: بحر العلوم 2/63): "قالت مريم: قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ؟، يعني: من أين يكون لي ولد: وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ؟، وهو كناية عن الجماع".

وقال ابن عطية الأندلسي(في تفسيره: المحرر الوجيز: 2/223): "وقول مريم: رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ؟، عن جهة حملها، واستغراب للحمل على حال بكارتها.

﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾، معناه يطأ ويجامع، والمسيس الجماع، ومريم لم تنف مسيس الأيدي".

وقال الحافظ ابن كثير (في تفسيره: 2/40): "﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾؟، تقول كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج، ولا من عزمي أن أتزوج، ولست بغياً حاش لله؟".

وقال الشوكاني(في تفسيره: 1/341): "﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾؟، أي: كيف يكون؟، على طريقة الاستبعاد العادي، ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، جملة حالية: أي: والحال أنه على حالة منافية للحالة المعتادة من كون له أب".

الموضع السابع والثلاثون.

تخليطه في تحديد الفجر الصادق المنوط به حكم صلاة الصبح والإمساك في الصيام:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/138) عند قوله - تعالى - الآية: (187)، في سورة البقرة:﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾: "الخيط الأبيض: الفجر الكاذب وهو بياض يلوح في الأفق كذنب السرحان.

الخيط الأسود: سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تماماً.

الفجر: انتشار الضوء أفقياً ينسخ سواد الخيط الأسود ويعم الضياء الأفق كله".

قلت: الخيطان في الآية - الكريمة - هما: الخيط الأبيض: بياض النهار خلف الليل أسفل الأفق، ويسمى الفجر الصادق.
والخيط الأسود: سواد الليل فوق بياض النهار، ولا ذكر في الآية للفجر الذي يسمى الفجر الكاذب.
والفجر الكاذب: بياض يظهر في الأفق يتجه إلى الأعلى، ويوصف بذنب السرحان في لغة العرب، وكما قال المؤلف، وكما سيأتي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى جانبيه وأسفل منه ظلمة الليل ثم يمّحي وسط الليل، ولا يصح أن يسمى خيطاً، كما وصفه المؤلف، ويعود الأفق ظلاماً, والليل باق كما هو.

ولا يجب برؤيته الصيام أو الإمساك، بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ثبت عنه كما في مستدرك الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه -: «الفجر فجران: فأما الفجر الذي يكون كذنب السرحان فلا يحل الصلاة ولا يحرم الطعام، وأما الفجر الذي يذهب مستطيلاً في الأفق فإنه يحل الصلاة[1] ويحرم الطعام».

وقال صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري ومسلم -: «إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم»، "وكان رجلاً أعمى لا ينادى حتى يقال له أصبحت أصبحت"، لفظ البخاري.

---
[1] أي: صلاة الفريضة.

والفجر الصادق: البياض الذي ينبعث في بداية الأفق عمودياً - ولا يمحي - ثم يتسع مستطيلاً يميناً وشمالاً فيعم الأفق ويمحو الليل يطلبه سريعاً، كما قال الله - تعالى - في الليل وطلبه للنهار: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾، وهو الذي ذكره المؤلف، والذي يجب بتبينه ووضوحه الصيام أو الإمساك عن المفطرات، وهو الخيط الأبيض المذكور في الآية، والذي قال عنه النبي صلى عليه وسلم: «يحل الصلاة ويحرم الطعام»..

لا كما زعم المؤلف أن الصيام يبدأ من الفجر الكاذب، وهو غاية في الغلط وتضليل للمسلمين عن أحكام عبادتهم لربهم، واتباعهم لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الآية، كما في الحديثين السابقين، وفي الصحيحين من حديث عدى بن حاتم رضي الله عنه، قال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

وأخذ الإمام الطبري (في تفسيره: 2/176):بالتأويل الموافق للحديث:أن الخيط الأبيض بياضُ النهار، والخيط الأسود سوادُ الليل.

قال: وهو المعروف في كلام العرب، قال أبو دُؤاد الإيادي:

فلما أضاءت لنا سُدْفَةٌ ولاح من الصبحِ خيط أنارا.

الموضع الثامن والثلاثون.

من تخبطه في تفسيره: في ادعائه للمشروعية بلا دليل، ووصفه الله - تعالى - بالعرش!!:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 3/350) عند قوله - تعالى - الآية: (20)، في سورة النمل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، إلى قوله - تعالى - :﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، الآيات من رقم: (20- 26) "مشروعية اتخاذ طائرات الاستكشاف ودراسة جغرافية العالم"، وقال: "وصف الرب - تعالى - بالعرش العظيم".

قلت: قـــال الـــرومي (في: م/110): "قلت: لا أرى وجهــاً ســليماً لاســتنباط المؤلــف مشــروعية اتخــاذ طائرات الاستكشـاف ودراسـة جغرافيـة العـالم؛ لأن القـرآن العظيم نـزل من عنـد اللـه - تعـالى - كتـاب هدايــة للبشــر وليس لتقريــر هــذه العلــوم العصــرية وأمثالها، قال - تعالى -:﴿ يَا أَهْـلَ الْكِتَـابِ قَـدْ جَـاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُـونَ مِنَ الْكِتَـابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَـابٌ مُبِينٌ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِـهِ وَيَهْـدِيهِمْ إِلَى صِـرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وقال - عز وجل -: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْـدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْــوَمُ وَيُبَشِّــرُ الْمُــؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُــونَ الصَّــالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْــرًا كَبِــيرًا﴾، فــالقرآن هــدى وبشرى.

وقـــد حـــاول كثـــير من المفســـرين والمفكـــرين المعاصرين اسـتنباط كثـير من نظريـاتهم ومقـولاتهم

من القــرآن، والاســتدلال عليهــا بــالقرآن، فحملــوا القــرآن من ذلــك مــا لا يحتملــه، وكثــير منهم هدفــه إثبات أن القرآن سـبق إلى هـذه العلـوم والنظريـات قبـل البشـر، ولكن حسـن النيـة وسـلامة الهـدف لا تكفي لمثـل هـذا، فـإذا حصـل الانسـياق وراء هـذه المقولات وأمثالها، وإثبـات أن القـرآن دل على هـذه النظرية وتلك: المسماة حقيقة أخرجنا كتاب الله عن هدفه الأسمى.

وأما قوله: وصف الـرب - تعـالى - بـالعرش العظيم، فهي عبارة غير سليمة التركيب، فالله - سـبحانه - لا يوصف بالعرش، بل يوصف بالاسـتواء على العـرش، وقد ذكر الإمام الذهبي من أدلة علو اللـه على خلقـه أمثال هذه الآية، وقد جرى إثبات النص على ذلك في مواضع من هذه التنبيهات"ـ انتهى.

قلت: ومثل قوله عن طائرات الاستكشـاف (مـا في رسالته: اللقطـات فيمـا ظهـر للسـاعة من علامـات, ضــمن الرســائل: 3/447): "القــرآن دل على نــوع خاص من الطائرات وهو ما يعرف بحاملات القـذائف من النفاثـات الحربيـة, وذلـك في قولـه - تعـالى -:﴿ وَأَرْسَــلَ عَلَيْهِمْ طَيْـرًا أَبَابِيـلَ ۝ تَـرْمِيهِمْ بِحِجَـارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾, ففي هـذه الآيـات من سورة الفيل تصـوير رائـع للطـائرات النفاثـة من حــاملات القــذائف وهي تقــذف بهــا على تجمعــات الجيــوش المعاديــة فتحيلهــا إلى شــبه زرع رعتــه الماشية فحطمته تحطيماً"!!.

انظر إلى فقـه هـذا الرجـل: حَـوَّل طـير الأبابيـل إلى طائرات، وجعـل ذلـك تفسـيراً لكلام اللـه جازمـاً بـه وكأنه هو ما يريده اللـه من كلامـه!!!تعـالى اللـه عن قول الجزائري علواً كبيراً.

قال العلامة حمود بن عبدالله التويجري - رحمه اللـه - (في رسالته تنبيهات على رسالتين للشيخ أبي بكـر الجزائـــري (ص: 6), وهي رد على الجزائـــري في رسـالتيه (الأحـاديث النبويـة الشـريفة في أعـاجيب المخترعات الحديثة), و (اللقطات في بعض ما ظهـر للساعة من علامات): "استدل الجزائري بذكر الطير الأبابيل في سورة الفيل على أن القرآن قد دل على وجود الطائرات النفاثات التي تحمل القذائف وتقذف بهـا على الجيـوش المعاديـة, ولا يخفى مـا في هـذا الاستدلال من التكلف والقول في القـرآن بغـير علم, وحمـل القـرآن على غـير محاملـه, ومـا أعظم ذلـك وأشد خطره!".

ومثله ما قاله الشيخ حمـود في الـرد عليـه - أيضـاً - (في كتابـه: القـول البليـغ في التحـذير من جماعـة التبليغ ص: 313): "وقـد سـبق لصـاحب المقـال أنـه كتب تفسـيراً للقـرآن، واسـتنبط من كلام فرعـون والسـحرة قبـل أن يؤمنـوا حكمين أدخلهمـا في دين الإسلام، وذلك أنه ذكر قول الله - تعالى - في سورة الأعراف: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَـالُوا إِنَّ لَنَـا لَأَجْـرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَـالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَـرَّبِينَ﴾.

ثم قال: "من هداية الآيات:

1- طلب الأجرة على العمل الذي يقوم به الإنسان خارجاً عن نطاق العبادة.

2- مشـروعية الترقيـات الحكوميـة لـذي الخدمـة الجلى للدولة".

انتهى المقصود من كلامه، الذي قـد **بلغ النهايـة في الغرابة والهجنة**.

وإن استنباطه الأحكـام من كلام عـدو اللـه فرعـون ليذكرنا بالقصة الـتي ذكرهـا أبـو الفـرج ابن الجـوزي عن بعض المغفلين: أنه وعـظ قومـاً، وقـال في آخـر موعظتـه: وإني أقـول كمـا قـال العبـد الصـالح: مَـا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ!،

فتوهم هذا المغفل أن فرعون رجـل صـالح من أجـل قولـه لقومـه: مَـا أُرِيكُمْ إِلَّا مَـا أَرَى وَمَـا أَهْـدِيكُمْ إِلَّا سَـبِيلَ الرَّشَـادِ!، ومـا علم الواعـظ المتكلـف أن فرعون بعيـد كـل البعـد عن الصـلاح، وأنـه من أشـد الناس كفراً وعتواً وعداوة لله ولرسله![1] وفي قصـة صـاحب التفسـير الـذي اسـتنبط الأحكـام من كلام فرعـون والسـحرة شـبه قـريب من قصـة الواعـظ المتكلف.

ولا شك أن صاحب التفسير قد زل زلة خطيرة جـداً، حيث أقدم على القـول في القـرآن برأيـه، واسـتنبط

---

[1] قال الله - تعالى -: وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى.

.

الأحكام من كلام عدو الله فرعـون، وتعـرض للوعيـد الشديد الذي تقدم ذكره بالأحاديث، وتعرض - أيضاً - للاتصاف بالصفات الذميمة التي ذكرها شيخ الإسـلام ابن تيمية".

قلت: ومثل ما سبق من زلات ومجازفات الجزائري قوله (في رسالته قصص المرسلين في كتاب رب العالمين ص: 31) عن إسماعيل وأمه هاجر: "**ومن إكرام الله** - تعالى - **له أن دفن ووالدته هاجر في الحجر الملاصق للبيت العتيق**"!!.

والحِجْر أو الحطيم من البيت, ولذلك لا يصح الطواف في داخله أي: بالمَبْنِي من البيت فحسب، ويترك المُحَجَّر غير المبني، وإنما يطاف به أي: من ورائه.

و يفهم من قوله:

"الحجر الملاصق للبيت" أنه ليس منه!!.

والحجر ما أحدث إلا بعد إسماعيل وأمه هاجر بأحقاب من السنين لا يعلمها إلا الله، وقصة بناء قريش للبيت وأن الحجر ما بقي منه ولم يشمله البناء ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما.

وقد نفت دفن إسماعيل في الحجر اللجنة الدائمة برئاسة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - وعضوية نائبه الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمهما الله - (كما في فتاوى اللجنة

الدائمة، رقم: 4333)، فقد قالت: "ما قيل من أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام مدفون في (الحطيم) غير صحيح فلا يعول عليه بحال".

وقال العلامة صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة (كما في جريدة عكاظ، العدد: 17217، في11/12/1434هـ): لما سئل فقيل له: "بعض الناس يسمي حجر إسماعيل بهذا الاسم، فهل هذه التسمية صحيحة؟".

فأجاب بقوله: "هذا أمر مشهور عند الناس، ولا أعرف له سنداً، وإنما الأصل بالحجر أنه يسمى (الحطيم)، والاسم المعروف هو الحطيم؛ لأنه احتطم من الكعبة، لما رأت قريش أن تبني الكعبة في الجاهلية، وقصرت النفقة، وكانوا لا يدخلون في بناء الكعبة إلا من المال الحلال الطيب، فقصرت عليهم النفقة، فقصروا الكعبة من الجهة الشمالية، وكان من ذلك الحجر؛ لأنه محتجر من الكعبة، ومحتطم من الكعبة، وأقيم عليه جدار حاجز إشارة إلى أنه ليس من المطاف، وإنما هو من الكعبة؛ فهذا هو الأصل في الحجر حينما سمي حجراً؛ لأنه محتجر من الكعبة ومحتطم من الكعبة".

وقد نبّه العلامة محمد بن صالح بن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء - رحمه الله - (في الشرح الممتع: 7/254) إلى أن الحجر متأخر عن إسماعيل بأزمان كثيرة، وأن العامة هي التي تسميه بحجر إسماعيل، مستدلاً بما ورد في الصحيح، فقال: "الحجر معروف

وهو البناء المقوس من شمالي الكعبة، ويسمى عنـد العامة حجر إسماعيل، - وسبحان الله - كيـف يكـون حجـر إسـماعيل وإسـماعيل لم يعلم بـه؟! وقـد بُنِيَ بعـده بأزمـان كثـيرة؛ لأن سـبب بنائـه كمـا ثبت في الصـحيح[1] أن قريشـاً لمـا بنت الكعبـة قصـرت بهم النفقة، وقد أجمعوا على أن يكـون البنـاء من كسـب طيب، فقـالوا: لا بـد أن نبـني البعض، ونـدع البعض، وأنسـب شـيء يَدَعونـه أن يكـون الناحيـة الشـمالية، وجعلوا هذا الجدار وسـمي الحجـر؛ لأنـه محجـر وقـد قال النبي صلّى الله عليـه وسـلّم لعائشـة: «لـولا أن قومك حـديثو عهـد بكفـر لبـنيت الكعبـة على قواعـد إبراهيم» الحديث.

وقد تبع الجزائري المـؤرخين بلا تمحيص ولا تحقيـق؛ كالذهبي، وابن خلدون، والضياء، وغيرهم؛ ففي تاريخ الإسلام للذهبي (في: 1/2) قال: "وقال ابن إسـحاق: يذكرون أن.. إسماعيل بن إبراهيم الخليل.. دفن في الحجر مع أمه هاجر"

وفي تاريخ ابن خلدون (في: 2/36) مثله.

وفي تـاريخ مكـة المشـرفة والمسـجد الحـرام لابن الضياء (ص:17) قال: "وكان من حديث جرهم وبـني إسماعيل: أن إسماعيل لما توفي دفن في الحجر مع أمه"

---

[1]() قلت: ذكره بالمعنى وهو في صحيح البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

قلت: وشأن هذه المسألة عظيم، ولا يوقف فيها عند ما ينقله المؤرخون؛ لأنها عقدية، وإنما يرجع فيها إلى الدليل وإلى أئمة وعلماء أهل السنة والجماعة الذين يحققون مثل هذه المسائل وفق الدليل والحجة الشرعية والمعتقد الصحيح، ومن يجرؤ على إثبات أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك المسلمين يطوفون بقبرين وذلك يعارض رسالته وما جاء به من حماية حمى التوحيد ؟!!.

وفي صحيح البخاري، ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أراد بناء مسجده وكان فيه قبور للمشركين أمر بها فنبشت.

ولو كان الجزائري سلفياً أو عالماً أثرياً لما قال هذا الكلام، ولكنها جهالاته وخرافاته ودسائس التصوف عنده.

الموضع التاسع والثلاثون.

من بعض تحريفاته للقرآن الكريم:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/322) عند قوله - تعالى - الآية: (143)، في سورة آل عمران:﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾, عندما أراد أن يفسر هذه الآية:
"قال - تعالى -:﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن **تروه** فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ **تظهرون**﴾".

قلت: قال الرومي (في: م/41): "فقد غير المؤلف كلمتين من الآية: فأبدل: تَلْقَوْهُ بـ (تروه), وأبدل: تَنظُرُونَ بـ (تظهرون).

وكان حرياً به التثبت في نقل الآية عند تفسيرها, ولكن هذا التثبت والتحري الذي نتمناه لم يحصل, فالقاريء لهذا التفسير يرى كثيراً من الآيات وقد غيرت فأبدلت فيها بعض الكلمات, وزيد فيها أو نقص منها, وفي كثير من المواضع تكتب الكلمات موضوعة بين أقواس مما يشعر القارئ أنها قرآن وهي ليست كذلك, وهذا يظهر للقارئ المتأمل", ويأتي مثله في الموضع الذي بعده، وفي الموضع (**التاسع والسبعون**).

الموضع الأربعون.

من أمثال تحريفاته - السابقة - للقرآن:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 3/574) عند قوله - تعالى - الآية: (52)، في سورة الأحزاب: لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ: "ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن امرأة".

قلت: قال الرومي (في: م/121): "فقد نزع من الآية كلمة: حُسْنُهُنَّ، ووضع بدلاً منها:(حسن امرأة), ثم ذهب يفسرها، ووضع أمامها تفسيراً لها

مشعراً بذلك أن هـذا النص، أي: (حسـن امـرأة) هـو نص من القرآن الكريم, وليس الأمر كذلك.

وأقـول: **-** سـبحان اللـه **- مـا أكـثر نظـائر هـذه الزلة**! وأين نحن من واجبنـا تجـاه كتـاب اللـه ومـا يلزمنا من صيانته والمحافظة عليه لفظاً ومعنىً, وقد ألمحت مراراً إلى أن هذا الأمـر كثـير وكثـير في هـذا التفسير, فلا تكاد مجموعة من الآيات كتبهـا المؤلـف ليفسرها تخلو من هذا, ولعل هـذا الأمـر وهـذا النـوع من الأغلاط أخطـــر من الأغلاط في التفســير, وهي كثيرة, وبقولنا إن هذا أخطر لا نقلل من شأن الزلات التي تحصل عند الكلام على معنى الآيات, وقـد قـال أحد الصحابة: أي سـماء تظلـني وأي أرض تقلـني إن قلت بكتـاب اللــه من غـير علم, فكلا الأمــرين غــير مقبول ولا سائغ".

قلت: قال أبو جعفر ابن جرير الطبري(في تفسيره: 1/78): "ما كان مِن تأويل آيِ القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بنصبه الدلالة عليه؛ فغير جائز لأحد القِيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه؛ فمخطئ فيما كان من فِعله بقيله فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة خارصٍ وظان، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم، وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ

الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ؛ فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل الله إليه بيانه قائل بما لا يعلم، وإن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه؛ لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به".

وقول الرومي: "قال أحد الصحابة.."، ينسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولفظه: "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم"، أخرجه ابن جرير في تفسيره، وأخرجه غيره.

وضعفه ابن تيمية بالانقطاع (كما في مجموع الفتاوى)، وابن كثير (في تفسيره)،

والحافظ ابن جحر (في فتح الباري: 9/481).

وصح - بمعناه - عن أبي بكر - أيضاً - فيما روته عنه عائشة رضي الله عنهما، قوله: " أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت ما لا أعلم"، قال الألباني (في السلسلة الصحيحة: 6/26): "أخرجه البزار بسند صحيح".

الموضع الحادي والأربعون.

ما زعمه تفسيراً لحقيقة القرب المذكور في القــرآن الكريم، وهو ليس كذلك:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/137) عند قوله - تعالي- الآية: (186)، في سورة البقرة:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: "قرب الله - تعالى - من عباده إذ العوالم كلها في قبضته وتحت سلطانه ولا يبعد عن الله شيء من خلقه إذ ما من كائن إلا والله - تعالى - يراه ويسمعه ويقدر عليه وهذه حقيقة القرب".

قلت: قال الرومي (في: م/10) : "قلت: ما ذكره المؤلف تفسيراً للقرب هو تفسير للقرب العام، وليس هو القرب المراد بالقرآن وهو القرب الذي اختص الله به المحسنين والمؤمنين، وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية (في طريق الهجرتين ص: 22) كلاماً يوضح معنى القرب المراد بالكتاب والسنة قال - رحمه الله -:

(أما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه (الباطن)، قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، فهذا قربه من داعيه, وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فذكر الخبر، وهو قريب من لفظ الرحمة وهي مؤنثة إيذاناً بقربه - تعالى - من المحسنين، فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحسنين، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو

ساجد وأقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل»، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (في تفسيره: 1 /224): (والقرب نوعان قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق)".

الموضع الثاني والأربعون.

حصر فائدة النجوم في الاهتداء بها غير سليم، بل فيه قصور بين:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/639) عند قوله - تعالى - الآية: (97)، من سورة الأنعام: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، عند كلامه على هداية الآيات: "فائدة خلق النجوم وهي الاهتداء بها في السير بالليل في البر والبحر".

قلت: قال الرومي (في: م/32): "قلت: عبارة المؤلف تقتضي حصر فائدة النجوم بما ذكر، وهو الاهتداء بها في السير في الليل في البر والبحر، والحق أنه ورد النص في القرآن الكريم على ثلاث حكم لخلق النجوم، وعلى طريقة السلف في تفسير القرآن بالقرآن سار الإمام البغوي - رحمه الله تعالى - في تفسيره فذكر الآيات التي فيها حكمة

خلق النجوم فقال في تفسيره للآيـة السـابقة (2/11 7):

(قوله - عز وجل -: ﴿وهو الـذي جعـل لكم النجـوم﴾، أي: خلقها لكم: ﴿لتهتدوا بها في ظلمـات الـبر والبحر ﴾، والله - تعالى - خلـق النجـوم لفوائـد أحـدها هـذا، وهو: أن راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده، والثاني: أنها زينـة للسـماء، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَـابِيحَ ﴾، ومنها: رمي الشيطان، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾).

وقال الشيخ سـليمان بن عبداللـه بن محمـد بن عبـد الوهاب (في كتابه تيسير العزيـز الحميـد ص: 442): (قوله: قال البخاري في صـحيحه: قـال قتـادة: خلـق اللــه هــذه النجــوم لثلاث: زينــة للســماء، ورجومــاً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيهـا غـير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به).

ثم قـال بعـد كلام: (قولـه خلـق اللـه هـذه النجـوم لثلاث .. إلخ، هذا مأخوذ من القرآن في قوله - تعالى -: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومــاً للشياطين﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾).

وبتأمل ما تقدّم يظهـر أن الحكمـة في خلـق النجـوم ليست هي الاهتداء بها فحسب، بل مع ذلك هي زينـة للسماء، ورجومٌ للشياطين".

الموضع الثالث والأربعون.

ما زعه من إقامة الأدلة والـبراهين على وجـود اللـه، ليس من منهج أهل السنة والجماعة:

فقـد قـال الجزائـري (في تفسـيره: 1/33،34) عنـد قوله - تعالى - الآية: (28)، من سورة البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُـرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًـا فَأَحْيَـاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ﴾: "إن إماتـة الحي وإحيـاء الميت كلاهمـا دال على وجـود الـرب - تعـالى - وقدرته"، ثم قـال: "إقامـة البرهـان على وجـود اللـه وقدرته ورحمته".

قلت: قال الرومي (في: م/13): "قلت الدعوة التي جـاء بهـا القـرآن هي الـدعوة إلى الإقـرار بالألوهيـة والعبادة وتقرير توحيد الله بأسـمائه وصـفاته وإثبـات البعث والمعاد، وليسـت الـدعوة إلى الإقـرار بوجـود اللـه، إذ إن الكفـار مقـرون بوجـود اللـه ولكنهم منكرون لتفرده بالألوهية، قال - تعالى -:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُـولُنَّ اللَّهُ﴾، وقال - عز وجل -:

﴿وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُـولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

فالكفار المخاطبون بالقرآن لا ينكرون وجود الخالق، وإنما امتنعوا عن إفراده بالألوهية، وقد تعقّب الشـيخ صالح بن فوزان الفوزان على الشيخ محمـد بن علي

الصابوني مثل هذه العبـارة، فقـال: (كثـيراً مـا يكـرر المؤلف مثل هذه العبـارة: وجـود اللـه مـع أن وجـود الله تعترف به جميع طوائف البشر.

وإنما الخلاف في توحيد العبادة، وهو الذي دعت إليـه جميع الرسل ونزلت لأجله جميع الكتب، وأمـا توحيـد الربوبية الذي منه كما يسميه وجود الله فليس محـل نزاع، وإنما يذكر في القرآن للاستدلال به على توحيد العبادة لا لأجل إثباته؛ لأنهم يقرون به والشواهد على هذا كثيرة، حـتى إبليس مقـر بوجـود اللـه، والمؤلـف **ينقل عبارات الرازي وغيره من علماء الكلام على عِلاَّتها**)".

الموضع الرابع والأربعون.

احتجاجه على أن موسى عليه الصلاة والسلام قضـى أوفى الأجلين بكـون الأنبيـاء أو فيـاء - وهم كـذلك - ولكن لا يكفي، وزعمـه المشـروعية لا دليـل عليـه، وكذا جزمه أن صهر موسى هو شعيب:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 3/393) عند قوله - تعـالى - الآيـة: (29)، في سـورة القصـص: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾، في معنى الآيـات: "لما قضى الأجل الذي تعاقد عليه مع صـهره شـعيب وقـد أتم خـير الأجلين وأوفاهمـا وهـو العشـر حجج"، وقال الآتي - في هداية الآيات -:

"الأنبياء أوفياء فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمهما وهو العشر"؟!.

"مشروعية السفر بالأهل".

"مشروعية حمل العصا لا سيما للمسافر، وراعي ماشية أو سائقها".

"مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله" .

قلت: جزمه بأن صهر موسى هو شعيب - وإن لم يصرح أنه شعيب النبي - ليس صحيحاً عند أهل العلم، فقد نفى شيخ الإسلام ابن تيمية أن يكون شعيباً النبي، وأنه لا يثبت أن اسمه شعيب، وأن من قال بالأمرين قال ما ليس له به علم؛ إذ لا دليل عليه، والتاريخ يخالفه، ونفاه غيره - أيضاً -.

قال (في رسالة قصة شعيب، ضمن جامع الرسائل: 1/61): "لم يذكر عن هذا الشيخ أنه كان شعيباً، ولا أنه كان نبياً، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبياً، ولا نقل عن أحد من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهر موسى كان شعيباً النبي، لا عن ابن عباس ولا غيره، بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب".

وقال - أيضاً - (ص: 64): "وأما شياع كون حمى موسى شعيباً النبي عند كثير من الناس الذين لا خبرة لهم بحقائق العلم ودلائله وطرقه السمعية والعقلية فهذا مما لا يغتر به عاقل؛ فإن غاية مثل ذلك أن يكون منقولاً عن بعض المنتسبين إلى العلم، وقد خالفه غيره من أهل العلم، وقول العالم الذي

يخالفه نظيره ليس حجة، بل يجب رد ما تنازعا فيه إلى الأدلة"

وقال - أيضاً - (كما في مجموع الفتاوى: 20/429): "الذي تزوج موسى ابنته ليس هو شعيباً كما يظنه بعض الغالطين، بل علماء المسلمين من أهل السلف، وأهل الكتاب يعرفون أنه ليس شعيباً".

وقال عبد الرحمن بن سعدي (في تفسيره: 1/614) نافياً أن يكون صهر موسى هو شعيب النبي: "وهذا الرجل أبو المرأتين: صاحب مدين ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتُهر عند كثير من الناس؛ فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون أن شعيباً عليه السلام قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟
وأيضاً؛ فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب فكيف بشخصه؟، ولو كان ذلك الرجل شعيباً لذكره اللّه - تعالى -، ولسمته المرأتان، وأيضاً؛ فإن شعيباً عليه الصلاة والسلام قد أهلك اللّه قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ اللّه المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم بمنعهما عن الماء وصد ماشيتهما حتى يأتيهما رجل غريب فيحسن إليهما ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادماً له، وهو أفضل منه وأعلى درجة - واللّه أعلم - إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي صلى اللّه عليه وسلم".

قلت: وقول الجزائري: "لما قضى الأجل الذي تعاقد عليه مع صهره..وقد أتم خـير الأجلين وأوفاهمـا وهـو العشر حجج".

وقوله: "الأنبياء أوفياء فموسـى قضـى أوفى الأجلين وأتمهما وهو العشر"؟!

والذي تعاقد عليه موسى عليـه الصـلاة والسـلام مـع صهره إنما هو أحد أجلين، فمن أين له أنه قضى آخر الأجلين؟ ولم يؤيده بسند أو سلف.

ولاشك في أن الأنبيـاء أوفيـاء، ولكن لا حجـة لـه في ذلك هنا؛ فالوفاء من نـبي اللـه موسـى حاصـل أيمـا الأجلين قضـى فقـد وفَى، وفي النص: ﴿ذَلِـكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَـا الْأَجَلَيْنِ قَضَـيْتُ فَلَا عُـدْوَانَ عَلَيَّ﴾، فأحـد الأجلين شـرط موسـى: أدناهمـا أو آخرهمـا: الأدنى وفَى، والآخر وفَى وأوفَى، وإتمـام الحجج العشـر هـو تخيـير أبي الفتـاتين لـه: ﴿فَـإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْـرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾، بل ربمـا يلحـظ من اللفـظ أنـه قضـى أدنى الأجلين: ﴿فلمـا قضـى موسـى الأجل﴾، ولم يقـل الأجلين فالاحتمال قائم بكل حال، ولكن لا يُذهب إليه لوجـود حـديث وآثـار على خلافـه، وهـو - لـو اقتصـر موسى عليه - وفاء بلا شك.

ومفهوم كلام المؤلف يدل على أنه لو اقتصر موسى على أدنى الأجلين لا يكون ذلك من الوفاء، وهو تعبير غـير سـليم، وكـون موسـى قضـى الأجـل الأخـير مسـكوت عنـه في النص؛ ولم يقـدم على الجـزم بـه

دليلاً فهو تخرص منـه، ويبقى الاحتمـال، لـولا مـا ورد بخلاف ذلك، مما يبين أن قضى آخر الأجلين.

وجوابنا على تعليل الجزائري بقوله: "الأنبياء أوفياء"، وإلا فلو اكتفى بقوله: "فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمهما وهو العشر"، لما كان عليه من مأخذ إلا أنه لم يذكر الحديث والآثار؛ فقد صح عن ابن عباس من قوله - كما في البخاري بلفظ: "قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل" - ووردت آثار عن غيره من السلف أن موسى قضى أتم الأجلين، وجاء في ذلك خبر مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «سألت جبريل صلى الله عليه وسلم: أى الأجلين قضى موسى عليه السلام؟ قال:
أكملهما و أتمهما»، وفيه مقال، وقد قال الألباني (في الصحيحة رقم: 1880) وقد ذكر له روايات فيها الضعيف والمنكر والواهي: "..لكن الحديث رواه البزار من حديث أبي ذر، وعتبة بن الندر، وابن جرير من مرسل محمد بن كعب القرظي ومجاهد .
فهذه طرق متعاضدة، كما قال ابن كثير (في تفسيره: 6/335)، فالحديث بها قوي، و قد رواه ابن جرير بسند صحيح عن ابن عباس موقوفاً، فهو مما يقوي المرفوع؛ لأنه في حكمه".

قلت: قــدمت - قريبــاً - أن الموقــوف على ابن عباس رواه البخاري في الصحيح.

ثم أقول: بهذا التحقيق قد تعين أن الصـحيح مـا جـاء فيه الخبر الذي يقوى بالآثار، ومنهـا مـا صـح عن ابن عباس، وتفسير المؤلف بمعناها، ولكن دون إحالـة أو تحقيــق، وذلــك قولــه عن موســى: "وقــد أتم خــير

الأجلين وأوفاهما وهو العشر حجج"، وقوله: "الأنبياء أوفياء فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمهما وهو العشر" وكأنه - بسياقه له دون إحالة - تفسير له ورأي له مجرد لم يدل له الحديث والآثار، وهذا غير مقبول منه دونها؛ لأنه لايعلم بالرأي والتخمين.

وأما ادعاؤه المشروعية في السفر بالأهل, وحمل العصا, والتدريب على السلاح فهو من تخليطه، وهو من جنس ما ذكرناه - من قبل - من إطلاقه الكلام - في المشروعية - على عواهنه بلا حجة أو فهم سليم في تلك الأمور العَادِيَّة، وهو كثير في تفسيره فليتنبه إليه، وقد استدركنا ما رأينا استراكه منه.

الموضع الخامس والأربعون.

قوله: "والعرض التلفازي اليوم يسهل على المرء إدراك كيفية عرض الله - تعالى - الموجودات أمام الملائكة" غير مستقيم ولا حاجة بالمؤمنين إليه:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/36) عند قوله - تعالى - الآية: (31)، في سورة البقرة: وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ: "ليس في المسألة ما يدعو إلى الاستغراب أو الإنكار إذ كتاب المقادير فيه أسماء الموجودات وكذا, سائر صفاتها وأحوالها والعرض التلفازي اليوم يسهل على المرء إدراك كيفية عرض الله - تعالى - الموجودات أمام الملائكة

وذكر آدم لأسمائها كما علمهـا بتعليم اللـه - تعـالى - له".

قلت: قال الرومي(في: م/3): "قلت الكلام على هذا من وجهين:

الوجه الأول: أن الله - سبحانه وتعالى - أخبرنا أنه علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكــة إلى آخر سياق الآيات.

وهذا يقتضي منا الإيمان بذلك كما ورد فنعلم أن الله علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم.

الوجــه الثــاني: تشــبيهه عــرض الأســماء على الملائكـة بـالعرض التلفـازي غـير مقبـول ولا سـليم, والقول بأنـه يسـهل على المـرء إدراك كيفيـة عـرض الله - تعالى - الموجـودات على الملائكـة كـذلك غـير سليم فالمؤمن عليه التصديق بذلك والتسليم به ولــو لم يعلم كيفيته فتفصيل الكيفية من الأشـياء الـتي لم نتعبد بها.

والقول بأن العرض التلفزيوني يسهل إدراك الكيفية غير صحيح؛ لأننا لا نحتاج إلى ذلك, هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فليس عرض الأسماء على الملائكة كـالعرض التلفزيـوني[1]؛ فهـذا غيب يصـعب القطـع بكيفيته, ومعلوم قطعاً أن الصحابة رضـي اللـه عنهم والتابعين -رحمهم الله - كانوا أقوى إيماناً من الــذين

---

[1] هذا من علم الغيب الذي لا يوجد دليل من الشرع ينفيه أو يثبته - وهو ما أشار إليه - فلا يجزم فيه بنفي أو إثبات، فجزمه هنا بنفيه فيه نظر.

أتـــوا بعـــدهم؛ لأنهم في القـــرون المفضـــله فهـــل المعاصرون الذين شاهدوا التلفزيون أقوى إيماناً من الصحابة, أقول بالتأكيد ليسوا أقوى إيماناً".

الموضع السادس والأربعون.

تفسيره ينظرون بالنظر إلى الكفار باطـل، ومخـالف لمعتقد أهل السنة والجماعة، بـل ينظـرون إلى ربهم - سـبحانه وتعـالى -، وقولـه: "إذ البث التلفزيـوني اليـوم قطـع العجب وأبطلـه" ليس صـحيحاً، وسـبق رده:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/642) عنـد قولـه - تعالى - الآية: (24)، في سورة المطففين: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْـحَكُونَ ﴾: "قـال - تعـالى -: ﴿فـاليوم﴾، يـوم القيامـة: ﴿الـذين آمنـوا من الكفـار يضحكون﴾، أي: من الكفار على الأرائـك أي الأسـرة ذات الحجـال، **ينظـرون إلى الكفـار وهم في النار**، ويضـحكون منهم وهم يعـذبون، ولا عجب في كيفيـة رؤيتهم لهم وهم في النـار أسـفل سـافلين، والمؤمنون في أعلى عليين، **إذ البث التلفزيـوني اليوم قطع العجب وأبطله**"

قلت: قوله: "ينظـرون إلى الكفـار وهم في النـار"، سبق الكلام في الرد عليه في: الموضـع (**السادس والعشرون**)، وأنهم ينظرون إلى وجه الله الكريم .

وقولــه عن البث التلفزيــوني فــالجواب عليــه في الموضع الذي قبل هذا: (**الخامس والأربعون**)

الموضع السابع والأربعون.

لم يبين عقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين للباري - سبحانه وتعالى - في هذه الآية وأمثالها:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/600) عند قوله - تعالى - الآية: (31)، في سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾، الآية، في شرح معنى الآيات: " أي: بالحياة بعد الموت".

قلت: تفسير المؤلف لقاء الله بالحياة بعد الموت هو فهم عام من كون الآية تدل على الحياة بعد الموت،أي: البعث، ولم يتعرض لمعتقد أهل السنة والجماعة الذين يفهمون من لفظ (اللقاء) فهماً خصاً فيثبتون بهذه الآية وأمثالها رؤية المؤمنين لربهم - عِياناً - يوم القيامة، وهو ما يتضمن الحياة بعد الموت، أي:البعث، وقد فصل في هذا أهل السنة، ومنهم ما ف يأتي النقل عنهم.

فصل في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: (كما في مجموع الفتاوى: 6/462): " (أما اللقاء) فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير؛ وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته - سبحانه وتعالى -،

واحتجوا بآيات (اللقاء) على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية، كالمعتزلة وغيرهم ...، وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين: **أحدهما**: السير إلى الملك.

والثاني معاينته، كما قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾، فذكر أنه يكدح إلى الله فيلاقيه، والكدح إليه يتضمن: السلوك والسير إليه، و(اللقاء) يعقبهما.

وأما المعاينة من غير مسير إليه - كمعاينة الشمس والقمر - فلا يسمى لقاء، وفساد قول الذين يجعلون المراد من (اللقاء) لقاء الجزاء دون لقاء الله معلوم الفساد بالاضطرار، بعد تدبر الكتاب والسنة يظهر فساده من وجوه:

(أحدها): أنه خلاف التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين.

(الثاني): أن حذف المضاف إليه يقارنه قرائن، فلا بد أن يكون مع الكلام قرينة تبين ذلك، كما قيل في قوله - تعالى -: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، ولو قال قائل: رأيت زيداً أو لقيته مطلقاً، وأراد بذلك لقاء أبيه أو غلامه لم يجز ذلك في لغة العرب بلا نزاع، ولقاء الله قد ذكر في كتاب الله وسنة رسوله في مواضع كثيرة مطلقاً غير مقترن بما يدل على أنه أريد بلقاء الله لقاء بعض مخلوقاته من جزاء أو غيره.

(**الثالث**): أن اللفظ إذا تكرر ذكره في الكتاب، ودار مرة بعد مرة على وجه واحد وكان المراد به غير مفهومه ومقتضاه عند الإطلاق، ولم يبين ذلك كان تدليساً وتلبيساً يجب أن يصان كلام الله عنه الذي أخبر أنه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، وأنه بيان للناس، وأخبر أن الرسول قد بلغه البلاغ المبين، وأنه بين للناس ما نزل إليهم، وأخبر أن عليه بيانه، ولا يجوز أن يقال: ما في العقل دلالة على امتناع إرادة هذا المعنى هو القرينة التي دل المخاطبين على الفهم بها؛ لوجهين:

(**أحدهما**): أن يقال: ليس في العقل ما ينافي ذلك؛ بل الضرورة العقلية والبراهين العقلية توافق ما دل عليه القرآن، كما قال - تعالى -: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾، وما يذكر من الحجج العقلية المخالفة لمدلول القرآن؛ فهو شبهات فاسدة عند من له خبرة جيدة بالمعقولات دون من يقلد فيها بغير نظر تام.

(**الثاني**): أنه لو فرض أن هناك دليلاً عقلياً ينافي مدلول القرآن لكان خفياً دقيقاً ذا مقدمات طويلة مشكلة متنازع فيها ليس فيها مقدمة متفق عليها بين العقلاء؛ إذ ما يذكر من الأدلة العقلية المخالفة لمدلول القرآن هي شبهات فاسدة كلها ليست من هذا الباب.

ومعلوم أن المخاطب - الذي أخبر أنه بين للناس، وأن كلامه بلاغ مبين وهدى للناس - إذا أراد بكلامه

ما لا يدل عليه ولا يفهم منه إلا بمثل هذه القرينـة لم يكن قد بين وهدى؛ بـل قـد كـان لبس وأضـل، وهـذا مما اتفق المسلمون على وجوب تنزيه الله ورسوله، بل وعامة الصحابة والأئمة من ذلك.

(**الرابع**): أن قول النبي صلى اللـه عليـه وسـلم في الحديث المتفـق عليـه: «اللهم.. أنت الحـق، وقولـك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق والنار حق» الحديث، ففي الحـديث فـرق بين لقائـه وبين الجنـة والنـار، والجنة والنار تتضمن جزاء المطيعين والعصـاة، فعلم أن لقاءه ليس هو لقاء الجنة والنار.

(**الخامس**): أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في غير حديث ما يبين لقاء العبد ربه، كما في الصحيحين عن عدي بن حاتم عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أنه قال:«ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه حاجب[1] ولا ترجمان؛ فينظر أيمن منه فلا يـرى إلا شـيئاً قدمـه وينظـر أشـأم منـه فلا يـرى إلا شـيئاً قدمه، فتسـتقبله النـار؛ فمن اسـتطاع أن يتقي النـار ولـو بشـق تمـرة فليفعـل، فـإن لم يسـتطع فبكلمـة طيبة» إلى أمثال ذلك من الأحاديث.

(**السادس**): أنه لو أريد بـلقاء الله بعض المخلوقات - إما جـزاء وإمـا غـير جـزاء - لكـان ذلـك واقعـاً في الدنيا والآخرة، فكان العبد لا يزال ملاقيـاً لربـه، ولمـا علم المسلمون بالاضطرار من دين الإسلام أن لقــاء الله لا يكون إلا بعـد المـوت: علم بطلان أن (اللقـاء)

[1]() لفظ حديث عدي بن حاتم عند البخاري ومسلم: «حجاب»، ولفظ: «حاجب» في غير الصحيحين، وهو بمعنى: حجاب.

لقـاء بعض المخلوقـات، ومعلـوم أن اللـه قـد جـازى خلقاً على أعمالهم في الدنيا بخير وشـر، كمـا جـازى قوم نوح وعاد وثمود وفرعـون، وكمـا جـازى الأنبيـاء وأتباعهم، ولم يقـل مسـلم إن لقـاء هـذه الأمـور في الدنيا لقاء اللـه، ولـو قـال قائـل إن لقـاء اللـه جـزاء مخصوص وهو الجنة مثلاً، أو النار لقيـل لـه ليس في لفظ هذا لقاء مخصـوص، ولا دليـل عليـه، وليس هـو بـأولى من أن يقـال لقـاء اللـه - تعـالى - لقـاء بعض ملائكتـــه أو بعض الشـــياطين، وأمثـــال ذلـــك من التحكمات الموجودة في الدنيا والآخرة؛ إذ ليس دلالة اللفظ على تعيين هـذا بـأولى من دلالتـه على تعـيين هذا فبطل ذلك.

(الوجه السابع): أن لقاء الله لم يستعمل في لقاء غيره لا حقيقة ولا مجازاً، ولا اسـتعمل لقـاء زيـد في لقاء غيره أصلاً؛ بل حيث ذكر هذا اللفـظ فإنمـا يـراد به لقاء المذكور؛ إذ ما سـواه لا يشـعر اللفـظ بـه فلا يدل عليه.

(**الوجـه الثـامن**): أن قولـه - تعـالى -: ﴿هُـوَ الَّذِي يُصَـلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُـهُ لِيُخْـرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ وَكَـانَ بِـالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًـا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَـوْمَ يَلْقَوْنَـهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْـرًا كَرِيمًا﴾، فلـو كـان (اللقـاء) هـو لقاء جزائه لكان هو لقاء الأجر الكريم الذي أعد لهم، وإذا أخـبر بـأنهم يلقـون ذلـك لم يحسـن بعـد ذلـك الإخبار بإعداده؛ إذ الإعداد مقصوده الوصـول، فكيـف يخبر بالوسيلة بعد حصـول المقصـود؟ هـذا نـزاع بين

العي الذي يصان عنه كلام أوسط الناس فضلاً عن كلام رب العالمين؛ لا سيما وقد قرن (اللقاء) بالتحية، وذلك لا يكون إلا في اللقاء المعروف لا في حصول شيء من النعيم المخلوق.

(**الوجه التاسع**): أن قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» أخبر فيه أن الله يحب لقاء عبد ويكره لقاء عبد، وهذا يمتنع حمله على الجزاء؛ لأن الله لا يكره جزاء أحد؛ ولأن الجزاء لا يلقاه الله؛ ولأنه إن جاز أن يلقى بعض المخلوق، كالجزاء أو غيره جاز أن يلقى العبد، فالمحذور الذي يذكر في لقاء العبد موجود في لقائه سائر المخلوقات، فهذا تعطيل النص.

وإما أن يقال: بل هو لاقٍ لبعضها فيتناقض قول الجهمي ويبطل.

ودلائل بطلان هذا القول لا تكاد تحصى، يضيق هذا الاستفتاء عن ذكر كثير منها فضلاً عن أكثرها".

وقال الإمام ابن القيم (في حادي الأرواح: 363) بعد أن ذكر قوله - تعالى -: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾، وقوله - تعالى -: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ﴾: "أجمع أهل اللسان على

أن اللقـاء مـتى نسـب إلى الحي السـليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية".

وقال ابن القيم - أيضاً - في نونيته - الكافية الشافية -:

ويرونه سـبحانه من فوقهـم نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسـول الله لم يـنـكره إلا فـاسـد الإيـمـان

وأتى بـه القـرآن تصـريحًا وتعريضًا هم بسـياقه نوعان

وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسـير من قد جاء بالقرآن

ورواه عنه مسلم بصحيحه يـروي صهيب ذا بلا كتمان

وهو المزيد كذاك فسره أبو بكر هـو الصـديق ذو الإيقان

وعليه أصحاب الرسول وتابعو هم بعدهم تبعيـة الإحسـان

ولقد أتى ذكر اللقاء لربنـا الرحمن في سور من الفرقان

ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكـى الإجماع فيـه جماعـة ببيــان

وعليه أصحاب الحديث جميعـ

هم لغـة وعرفًا

ليس يختلفان

وتقدم في الموضع: (**السادس والعشرون**).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان (في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: 2/143): "وقد ذكر لقاء الله في القرآن في أكثر من عشرين موضعاً كقوله - تعالى -: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، وقوله - تعالى - ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾.

فمن قرأ هذه الآيات ونحوها مما لم نذكره مؤمناً بها علم يقيناً أن مضمونها إخبار الله - تعالى - بأن العبد سيلقى ربه، لقاءً يتضمن المحاسبة والكلام والمقابلة، والمعاينة، والجزاء بالعمل الذي كان العبد يعمله في الدنيا.

ولم يزل أهل السنة من السلف، وأتباعهم يستدلون بمثل هذه الآيات على رؤية الله - تعالى -.

وفي ذلك حديث عدي بن حاتم، وفيه: «واعلموا أن كل واحد منكم سيلقى ربه ليس بينه وبينه ترجمان».

فمن أنكر ذلك فقد خالف كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسلك غير سبيل المؤمنين.

والله - تعالى - جعل التكذيب بلقائه كفراً لا ينفع معه عمل، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال ابن بطة: سمعت أبا عمر الزاهد اللغوي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول: في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾: أجمع أهل اللغة أن اللقاء هنا لا يكون إلا معاينة ونظرة بالأبصار.

.. فيكتفى بما ذكر، وبذلك يتضح أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار: «اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله» يتضمن معاينتهم لربهم، وتكليمه لهم

ومجازاتهم، وتكريمه لهم بمخاطبتهم قبل أن يدخلهم دار النعيم الأبدي.

فهو صلى الله عليه وسلم يقول لهم: تسلوا عمّا فاتكم من الدنيا، مما تستحقونه بما يكون لكم بعد البعث من الموت، عندما تلقون ربكم، فيكرمكم بتحيته لكم ومخاطبتكم، ورؤيتكم إياه، فذلكم اليوم الذي تسعدون فيه حقاً.

وكذلك تلاقون نبيكم على حوضه، الذي من الله به عليه، فأكرمه به في الموقف الذي يشتد به الظمأ، فأنتم أحق من يرد ذلك الحوض، فتشربون منه دون معوق، أو مكدر، فلا ينالكم بعد ذلك نصب ولا وصب ولا ظمأ ولا أذى".

الموضع الثامن والأربعون.

لم يذكر علو الله، الذي يدل له قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، وكان عليه أن يذكره:

فقد قال الجزائري (في/ تفسيره: 1/616)، عند قوله - تعالى - الآية: (61)، في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: "ذو القهر التام على الخلق أجمعين".

قلت: قال الرومي (في: م/46): "قلت: أشار المؤلف إلى القهر المأخوذ من قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾، وترك الإشارة إلى الفوقية المستنبطة من الآية, والثابتة له - عز وجل -، وهذه الآية من أدلة أهل السنة على إثبات العلو, والفوقية لله - عز وجل

- وقد ذكرها الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه: (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) في معرض الاستدلال على إثبات علو الله على خلقه، فنقل (في ص:179) قول الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي - رحمه الله -: باب في بيان استواء الله - سبحانه وتعالى - على العرش: (قال الله - تعالى -: ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرْش اسْتَوَى﴾، وقال في آية أخرى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وقال:﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾وقال - تعالى -: ﴿سبِّحَ اسْمَ ربِّك الأعْلى﴾، قال أهل السنة: اللّه فوق السموات لا يعلوه خلق من خلقه.

ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم ويدعونه، ويرفعون إليه رؤوسهم وأبصارهم.

وقال - عز وجل -: ﴿وهُوَ القَاهِر فَوْقَ عبادِهِ﴾، وقال - تعالى -:﴿ أأمِنْتُم مَنْ في السماءِ أنْ يخْسِفَ بكمُ الأرْضَ فإذا هي تَمُورُ أمْ أمِنْتم مَنْ في السّماءِ أنْ يُرْسِلَ عليْكُم حاصِباً فَسَتَعْلمَونَ كَيْفَ نَذيرِ﴾، والدليل على ذلك الآيات التي فيها ذكر نزول الوحي).

وقال - أيضاً - (في اجتماع الجيوش الإسلامية ص: 272)، قول الحارث ابن أسد المحاسبي، قال: (وأما قوله - تعلى -: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾،﴿وهُوَ القَاهرُ فَوقَ عِبَادِهِ﴾ ،﴿أأمِنْتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ،﴾﴿إذاً لابتَغَوا إلَى ذِي العَرْش سَبيلاً﴾.

فهذه وغيرها مثل قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ،﴿إلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلِمُ الطيِّبُ﴾، هذا يوجب أنه فوق

العرش، فـوق الأشـياء كلهـا، مـنزه عن الـدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبـان في هـذه الآيـات أنـه أراد أنـه بنفسـه فـوق عبـاده؛ لأنـه قـال: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّــماء أنْ يخسِــفَ بِكُمُ الأرْضَ﴾، يعني: فوق العرش، والعـرش على السـماء؛ لأن من قد كان فوق كـل شـيء على السـماء، في السـماء، وقد قال: ﴿فَسِيحُوا في الأرْض أرْبَعَة أشْـهُرٍ﴾، يعـني: على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها).

وقال ابن أبي العز (في شـرح الطحاويـة ص: 253): (وأما كونه فوق المخلوقات، فقـال - تعـالى -: ﴿وَهُـوَ الْقَاهِرُ فَـوْقَ عِبَـادِهِ﴾ ،﴿يَخَـافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَـوْقِهِمْ﴾) إلى أن قال: (وعن أبي هريرة رضـي اللـه عنـه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنـه قـال: «لمـا قضـى الله الخلق كتب في كتاب فهـو عنـده فـوق العـرش: أن رحمــتي ســبقت غضــبي»، وفي روايــة: «تغلب غضبي»، رواه البخاري وغيره)".

وقال الجزائري - أيضاً - (في تفسيره: 1/594)، عند قوله - تعالى - الآية: (18)، في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾، عند تفسيره للمفردات: "القاهر: الغالب المذل المعز، وعند توضيحه لمعنى الآيات قال: وقوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾: تقرير لربوبيته المستلزمة لألوهيته".

قال الرومي(في: م/18): "قلت: استدل المؤلف في هذه الآية على ألوهيته - تعـالى - وربوبيتـه، وهي مـع دلالتها على ذلك من أدلة العلو لله - تعالى -"، ونقـل

عن ابن القيم كلام المحاسبي السابق ثم قال: "وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عند كلامه عن العلو، نقل كلام الحارث بن أسد المحاسبي، وفيه الاستدلال على علو الله - تعالى -، وقد سرد عدة آيات منها: هذه الآية، وهي قوله - تعالى - في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، وقد تكررت هذه الجملة في سورة الأنعام مرتين: في الآية الثامنة عشرة، وفي الآية الحادية والستين، فتقرر أن قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ من أدلة علو الله - تعالى - على خلقه، واستوائه على عرشه".

الموضع التاسع والأربعون.

إطلاقه وجوب اتباع العلماء، وكأنهم يشرعون مع الله، وهذا باطل بين البطلان:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/652)، عند قوله - تعالى - الآية:(119)، في سورة الأنعام:﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، عند إشارته إلى ما تهدي إليه الآيات:"حرمة اتباع الأهواء ووجوب اتباع العلماء".

قلت: قوله هذا باطل على إطلاقه؛ فمعلوم أن واجب الاتباع إنما هو الدليل من الكتاب والسنة، والعلماء يسألون عن الحكم الشرعي وما تبين مخالفته للدليل من كلامهم وفتاواهم فيطرح ولا يتبع، ويأتي تفصيل فيه.

قال الرومي (في: م/27): "قلت: الواجب اتباعه هــو كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما العلمـاء فلا يصـح إطلاق القـول بوجـوب اتباعهم؛ إلا بتقييد ذلك بقيد وهو: أن يكـون مـا قـالوا به مأخوذ من الكتاب والسنة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:«إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهـدي هـدي محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، وشـر الأمــور محــدثاتها، وإن مــا توعــدون لآت ومــا أنتم بمعجزين»، رواه البخاري.

وفي موطأ مالـك بن أنس، - رحمـه اللـه -: بلغـه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهمـا كتـاب اللـه وسـنة رسـوله». وقـال الشـيخ صـالح الفـوزان (في كتابـه: الإرشــاد إلى صــحيح الاعتقــاد ص: 68): (اعلمــوا وفقـني اللـه وإيـاكم أن من الشـرك طاعـة العلمـاء والأمراء في تحليل ما حـرم اللـه أو تحـريم مـا أحـل الله، قال - تعالى - :﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِــيحَ ابْنَ مَــرْيَمَ وَمَــا أُمِــرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْــرِكُونَ ﴾.

وفي الحــديث الصــحيح أن النــبي صــلى اللــه عليــه وسـلم: تلا هـذه الآيـة على عـدي بن حـاتم الطـائي، فقـال يـا رسـول اللـه لسـنا نعبـدهم، قـال: «أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون مـا أحـل اللـه فتحرمونـه، قـال: بلى، قـال النـبي صـلى اللـه عليـه

وسلم فتلـك عبـادتهم»، رواه الترمـذي وغـيره، وقـد فسر النبي صلى الله عليه وسـلم فيـه اتخـاذ الأحبـار والرهبان أرباباً من دون الله؛ بأنه ليس معناه الركوع والسجود لهم، وإنما معناه طاعتهم في تغيير أحكامه وتبديل شـريعته بتحليلهم الحـرام وتحـريمهم الحلال، وأن ذلك يعتبر عبادة لهم من دون اللـه؛ حيث نصـبوا أنفسهم شركاء لله في التشريع والتحليل والتحــريم، وهذا من الشـرك الأكـبر لقولـه - تعـالى - في الآيـة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُـبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ومثل هذه الآيـة قولـه - تعـالى -:﴿ وَلَا تَـأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُـذْكَرِ اسْـمُ اللَّهِ عَلَيْـهِ وَإِنَّهُ لَفِسْـقٌ وَإِنَّ الشَّـيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

ثم ذكر فضيلته بعض أقوال الأئمـة في اتبـاع السـنة، وعدم قبول قول العلماء إلا بعد ثبوت اعتمادهم على الكتاب والسنة، ومن ذلـك قـول الإمـام الشـافعي، - رحمه الله -: (إذا صح الحديث فهـو مـذهبي)، وقـول الإمام أحمـد، - رحمـه اللـه -: (عجبت لقـوم عرفـوا الإسـناد وصـحته يـذهبون إلى رأي سـفيان، واللــه - تعالى - يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَـالِفُونَ عَنْ أَمْـرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾)".

وقـال الـرومي - أيضـاً - (في: م/41) عنـد قولـه - تعالى - الآية: (59)، في سورة النساء:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَـيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُـولِ﴾، الآية: "قال المؤلف [يعني: الجزائري]: (1/418) من تفسيره عند كلامه على ما تهدي إليه الآيات: (وجوب طاعــة اللــه وطاعــة الرســول وولاة المســلمين من حكام وعلماء فقهاء؛ لأن طاعــة الرســول من طاعــة الله، وطاعة الـوالي من طاعـة الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم؛ لحديث: «من أطـاعني فقـد أطـاع اللـه ومن أطـاع أمـيري فقـد أطـاعني ومن عصـاني فقـد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني»).

قلت: الكلام على وجوب طاعة الله ورسـوله طاعـة مطلقة، والتفصـيل فيمـا عـداها، وأن طاعـة العلمـاء وغيرهم مقيدة بما إذا كان ما أمـروا بـه متمشـياً مـع الكتـاب والسـنة، والكلام على ذلـك قـد جـرى عنـد التنبيه على تفسير المؤلف لقوله - عز وجـل -: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وقد تم هناك نقل كلام الشيخ صالح بن فوزان الفوزان وهو كلام مفيــد مؤيد بالأدلة من الكتاب والسنة، والنصوص عن بعض علماء السلف بما يحـدد معـنى الطاعـة الـتي طلبهـا الله منا" انتهى.

قلت: نص الحديث هو: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقــد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصـاني»، وهـو في الصـحيحين من حـديث أبي هريـرة، خلاف سـياق مـا أورده الجزائري؛ حيث أخر ما حقه التقديم كما ترى.

ووجوب طاعة الله وطاعة الرسول طاعة مطلقة تؤخذ من لفظ الآية الكريمة؛ من إثبات الفعل: (أطيعوا) مع الأمر بطاعة الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾، وإعادته مع الأمر بطاعة الرسول: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ولما لم يُثْبَت الفعل مع طاعة أولي الأمر علم بذلك أن طاعتهم تابعة لطاعة الله ورسوله؛ فهي مقيدة بذلك وليست مطلقة أو مستقلة؛ فلا يطاعون في مخالفة الله ورسوله، وقد نص على ذلك أهل العلم عند تفسير هذه الآية الكريمة.

وسؤال العلماء مأمور به في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والأخذ بما يفتون به واجب الاتباع حتى تتبين مخالفته للدليل من الكتاب والسنة، ولا تلزم محاكمة ما يفتون به أصواب أم خطأ؟، ولكن إذا ظهر الخطأ وجب عدم اتباعهم فيه، وقد قال الله - تعالى -: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث صاحب الشجه «..ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العِي السؤال..»، وقال: «من سأل فأفتي بغير علم فإنما إثمه على الذي أفتاه».

الموضع الخمسون.

إجماله في أن المعصية كفر؛ فإن ثمة فرقاً بين المعصية إذا أطلقت وبين الكفر الأكبر، وما قيل فيه أنه كفر دون الكفر، أي: من المعاصي يجب أن يبين،

ونحن بيناه بقرائن أخرى تدل على أنه يقصد الكفر الأكبر؛ فهو تكفير بالمعاصي:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/425)، عند قوله - تعالى - الآية: (4)، في سورة المجادلة:﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، قال في مفردات الآية:"﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ لأن الطاعة إيمان والمعصية من الكفران".

وقال - في هداية الآيات -: "طاعة الله ورسوله إيمان ومعصية الله ورسوله من الكفران".

قلت: سار المؤلف في مواضع من تفسيره على مثل هذا الإجمال في العبارات، ومعلوم أن الكفر منه ما هو كفر أكبر مخرج من الملة، ومنه كفر أصغر غير مخرج من الملة مع خطورته الشديدة؛ لأنه كفر؛ فمعصية الله ورسوله منها ما هو كفر مخرج من الملة، ومنها كفر ليس مخرجاً منها.

وفي كتابه: هذا هو الإسلام (ص: 6) عند كلامه عن القضاء والقدر، قال عن الإنسان:"ثم هو إذا آثر طاعة الشيطان الذي زين له فعل المعصية ففعلها فخبثت نفسه كان من أهل النار، وإذا هو آثر دعوة الله وفعل طاعته فزكت نفسه فهو من أهل الجنة"، ثم أكد هذا المعنى بقوله:

"المعصية لله ورسوله تخبث النفس وإذا خبثت لم يرضها الله بجواره في جنته مع أوليائه، وكذلك

الطاعـة تـزكي النفس فـإذا زكت رضـيها في جـواره في جنته مع أوليائه وصالح عباده".

وبهذا يزول الإجمال؛ فقـد جعـل الكفـر كفـراً واحـداً مخرجـاً من الملـة، وهـو تكفـير بالمعاصـي والـذنوب الـــتي هي دون الكفـــر، خلاف منهج أهـــل الســـنة والجماعـة في التفصـيل وفـق النصـوص الشـرعية، وتقدم نظير له في: الموضع (**السابع**).

وقـد اسـتدرك عليـه هـذا الموضـع الـرومي (في: م/ 172)؛ فبعـــد أن أشـــار إلى إجمالـــه في العبـــارات وتكررهـــا في تفســـيره، وعـــدم التقيـــد بالحـــدود والتعريفات المعتبرة عند السلف، وبعد أن ذكر كلامه في الموضعين السابقين في المفردات وهداية الآيـة، قال: "ومعلوم أن الكفر؛ منه ما هو كفر أكـبر مخـرج عن ملة الإسلام, ومنه ما هو كفر دون كفر، أي: غـير مخرج عن ملة الإسلام.

ومنه ما يسمى كفر النعمـة؛ ومن أمثلتـه مـا في ورد في صـحيح مسـلم: (1/82)، في بـاب: إطلاق اسـم الكفـــر على الطعن في النســـب والنياحـــة, وروى بسـنده عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اثنتان في الناس همـــا بهم كفـــر: الطعن في النســـب والنياحـــة على الميت», وهـذا الحـديث قـد أورده الشـيخ محمـد بن عبـد الوهـاب - رحمـه اللـه - في بـاب: من الإيمـان بالله: (الصبر على أقدار الله).

وقد شرحه الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب في ص: 514، من كتابه (تيسير العزيز الحميد..) فقال: قوله: بهم كفر، أي: هما بالناس، أي: فيهم كفر, قال شيخ الإسلام[1] (أي: هاتان الخصلتان هما كفر قائم في الناس؛ فنفس الخصلتين كفر، حيث كانتا في أعمال الكفار, وهما قائمتان بالناس، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق, حتى تقوم به حقيقة الكفر, كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً, حتى يقوم به أصل الإيمان, وفرق بين الكفر المعرف باللام، كما في قوله[صلى الله عليه وسلم]: «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة», وبين كفر منكر في الاثبات).ا.هـ

ومن ينعم النظر ويمعنه في كلام الشيخ سليمان بن عبدالله, وما ينقله عن شيخ الإسلام يتبين له ما يلتزمه علماؤنا, قديماً وحديثاً من عبارات عند كلامهم على الحدود والأسماء الشرعية, وحرصهم على الابتعاد عما فيه إجمال أو احتمال".

قلت: والحقيقة أنه إذا أضيف كلام الجزائري بعضه إلى بعض لا يحمل إلا على الكفر الأكبر، بل بعض كلامه نص لا إجمال فيه، - كما سبق -؛ فهو ينفي الإجمال في كلامه الآخر.

---

[1] إذا أطلق في (التيسير) شيخ الإسلام فيعني به: ابن تيمية، فقد قال في آخر مقدمته: "فحيث أطلقت شيخ الإسلام فالمراد به الإمام أبو العباس ابن تيمية".

الموضع الحادي والخمسون.

خطؤه في عدم التعبير بالإيمان بالبعث بدلاً من: عقيدة البعث، كما جرى عليه أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/707)، عند قوله - تعالى - الآية:[1]، في سورة الماعون:﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾، في هداية الآيات:"تقرير عقيدة البعث والجزاء" وفي الفقرة التي بعدها: "أيما قلب خلا من عقيدة البعث والجزاء إلا وصاحبه شر الخلق لا خير فيه البتة".

قلت: قال الرومي (في: م/177): "قلت: تعبير المؤلف بـ(عقيدة البعث) غير كاف في إيضاح المراد؛ بل العبارة الصحيحة أن يقال: الإيمان بالبعث، فكلمة: (الإيمان) هي العبارة التي ترد بنصوص الشرع.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سلوني»"، ثم ذكر نص الحديث بتمامه، وهو حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد أتاه في صورة رجل، وفي جواب النبي صلى الله عليه وسلم له: «وتُؤْمِنَ بالبعث»، ثم قال: "وفي صحيح مسلم - أيضاً - عن ابن عباس قال: (قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا)"، ثم ذكر الحديث، وفيه مما يأمرهم به: «الإيمان بالله».

ثم قال: "فهذان الحديثان جرى اختيارهما من صحيح الإمام مسلم وفيهما التصريح من الرسول عليه الصلاة والسلام بكلمة الإيمان وكلمة: (تؤمن)؛ لأنها تحدد المعنى وتحصره في المراد، وهي أدق وأكثر وضوحاً من كلمة: (الاعتقاد) ذات الاحتمال، فقد جاء في المصباح المنير: اعتقدت كذا، وعقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك، وقال العلامة الشيخ محمد السفاريني (في شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية) الاعتقاد: هو حكم الذهن الجازم، فإن كان موافقاً للواقع فهو صحيح وإلا فهو فاسد.

قلت: فتحصل أن العبارة السليمة هي عبارة: (الإيمان بالبعث)، فهي أوضح دلالة من عبارة: (عقيدة البعث)، كما سبق توضيح ذلك وبيانه".

الموضع الثاني والخمسون.

ذهابه إلى غير الراجح في النجم، وسجود النجم والشجر، في قوله - تعلى -:﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/373)، عند قوله - تعالى - الآية: (6)، في سورة الرحمن: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾: "النجم ما لا ساق له من النبات، والشجر ماله ساق، يسجدان: يخضعان لله - تعالى - بما يريد منهما في طواعية كالسجود من المكلفين".

قلت: في معنى النجم الوارد في الآية قولان ساقهما الإمام ابن جرير الطبري (في تفسيره: 27/ 116) أحدهما: ما ذكره المؤلف، والآخر ما أغفله، وهو أنه النجم الذي في السماء، واختار الأول، بعد أن قال:"اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمُ ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق.

فقال بعضهم: عنى بالنجم في هذا الموضع من النبات: ما نجم من الأرض، مما ينبسط عليها، ولم يكن على ساق"، فروى ذلك عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وعن سعيد بن جبير، قال: النجم:كل شيء ذهب مع الأرض فرشاً، قال: والعرب تسمي الثَّيِّل نجماً.

وروى عن السدي، قال: النجم نبات الأرض، وعن سفيان الثوري، قال: النجم: الذي ليس له ساق.

ثم قال: وقال آخرون:عُني بالنجم في هذا الموضع:نجم السماء، وروى ذلك عن مجاهد، وقتادة، والحسن.

وقال الإمام بن كثير (في تفسيره: 4/270): "وهذا القول هو الأظهر والله أعلم؛ لقوله - تعالى -:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾".

قال الرومي(في: م/178) وقد قال عن ترجيح ابن كثير: وهو الراجح، ثم قال: "فهذا القول الذي رجحه ابن كثير لا يليق إغفاله؛ لا سيما وهو يتفق مع المشهور من اللغة: بأن النجم هو المعروف في السماء، وإن كان التفسير الآخر مروياً عن السلف - أيضاً -".

قلت: مشكلة المؤلف أنه يأتي بقول يجزم به، وفي معنى النص المفسر أكثر من قول، لا يشير إليه مما يشعر أنه قول واحد، خلاف طريقة أهل العلم، وقد يكون ما قال به شاذاً، أو مرجوحاً، أو ضعيفاً .

وقد مدح تفسيره بقوله: "وهو تفسير خالٍ من الخلافات"!!! وهو اعتراف منه أنه لا يعرج على القول الذي لا يراه، وكأنه قول واحد، وقد يكون في المسألة أكثر من قول أو فيها أقوال، وهذا ما يصدق عليه قول الشاعر في رجل إحدى عينيه معيبة:

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء؟

ولاشك أنه بالنسبة لقول الجزائري عن تفسيره هجاء؛ فليس اجتهاده - لو كان أهلاً للاجتهاد - أولى

من اجتهاد غيره - إلا ما قام عليه الدليل -، وهو بذلك يلغي جانباً من العلم.

وقد ورد حديث - فيه التصريح بسجود الشمس سجوداً خاصاً بها كسجود المخلوقات الأخرى كل بحسبه، رواه البخاري ومسلم -: عن أبي ذر الغِفاري رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس؟»، فقلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها:

ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله - عز وجل -:﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾»، واللفظ للبخاري، ولهما قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ﴾، قال:«مستقرها تحت العرش»، وفي رواية لمسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾».

وقد ذكر الفخر الرازي وجوهاً في معنى السجود من الشمس والقمر، ومن تلك الوجوه السجود الحقيقي فقال (29/90): "حقيقة السجود توجد منهما، وإن لم تكن مرئية، كما يسبِّح كل منهما، وإن لم يفقه كما قال - تعالى -: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾".

وقـد تكلم الشيخ محمـد الأمين الشـنقيطي - رحمـه اللــه - في تفسـيره عن سـجود الظــل في قولــه - تعــالى -: ﴿وَلِلَّهِ يَسْــجُدُ مَنْ فِي السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَـالِ﴾، ثم قـال في آخر كلامه (3/88): "ونحن نقول: إن الله - جـل وعلا - قادر على كل شيء؛ فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكـاً يسـجد بــه للــه - تعــالى - سـجوداً حقيقيـاً، والقاعـدة المقـررة عنـد علمـاء الأصـول هي حمـل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بـدليل من كتـاب أو سنة، ولا يخفى أن حاصل القولين:

أن **أحـدهما**: أن السـجود شـرعي، وعليـه فهـو في أهل السماوات والأرض من العام المخصوص.

والثاني: أن السـجود لغـوي بمعـنى الانقيـاد والـذل والخضوع، وعليه فهو باق على عمومه. والمقــرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية أن النص إن دار بين الحقيقــة الشــرعية والحقيقــة اللغوية، حمل على الشـرعية؛ وهـو التحقيـق، خلافـاً لأبي حنيفــة في تقــديم اللغويــة، ولمن قــال يصــير اللفظ مجملاً؛ لاحتمال هذا وذاك، وعقد هذه المسألة صاحب مراقي السعود بقوله:

واللفظ محمول على الشـرعي إن لم يكن فمطلــــق العــــرفي

فـــــاللغوي على الجلي ولم يجب بحث عن المجاز في الذي انتخب"

قلت: قال الرومي (بعد الإحالة السابقة: م/178): "فهذا الذي قاله الشيخ الشنقيطي في سجود الظل، وأنه إذا دار اللفظ بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية، وأمكن حمله على الحقيقة الشرعية؛ فإنه يحمل عليها[1]، ينطبق على السجود من الشمس والقمر[2]، فيحمل سجودهما على الحقيقة الشرعية، ويوكل علم كيفية ذلك إلى الله - عز وجل -، فالعباد ليسوا مكلفين أو متعبدين بكيفيات لم يعلمهم الله إياها؛ بل المطلوب منهم الوقوف مع النصوص؛ فما ثبت بالكتاب أو السنة وجب الإيمان به، وما لم يثبت فلا تكليف بشأنه".

قلت: وتفسير المؤلف السجود بالخضوع فيه نظر؛ لعدم الدليل الصارف للسجود الوارد في الآية عن معناه المعروف، وقد رد الشيخ صالح بن فوزان في تعقيباته على صفوة التفاسير (ص: 38): تفسير السجود بالانقياد فقال: "وكل شيء يسجد لله سجوداً حقيقياً بكيفيته ويعلمها الله؛ كالتسبيح وقد قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾".

---

[1] قوله: "وأمكن حمله على الحقيقة الشرعية" قيده بهذا القيد وبعده قال: "فيحمل سجودهما على الحقيقة الشرعية" ولم يقيده، وليس هذا القيد من قول الشنقيطي، فقوله كما هو أعلاه: "النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية، حمل على الشرعية".

[2] ومثلهما: النجوم أو النجم والشجر..إلخ.

وهو موافق للوجه الذي ذكره الرازي - فيما سبق -، وهو ما رجحه الشنقيطي - أيضاً - فيما سبق -، وأنه التحقيق عنده.

الموضع الثالث والخمسون.

خلطه في استنباطه بين مأخذ إثبات السمع والبصر لله - تعالى - من قوله في الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ:﴾

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/136-137)، عند قوله - تعالى - الآية: (11)، في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، في شرح الكلمات: "أي: السميع لأقوال عباده, العليم بأحوالهم, ثم قال في معني الآيات: "وهو السميع لكل الأصوات, العليم بكل الكائنات".

قلت: قال الرومي (في: م/179): "قلت: قد أخذ المؤلف صفة السمع الثابتة لله - عز وجل - من قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ أما صفة البصر المأخوذة من قوله - تعالى -: ﴿الْبَصِير ﴾ فقد أخذ منها إثبات صفة العلم، وصرفها عن صفة البصر التي نصت عليها الآية.

وقد أشار المفسرون إلى استنباط صفتي السمع والبصر من هذه الآية، فقال أبو جعفر ابن جرير - رحمه الله - (في تفسيره: 25/13): (وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: (يقول - جل ثناؤه - واصفاً نفسه

بما هو به، وهو يعني نفسه، السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه محص صغيره وكبيره: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، من خير أو شر).

وقال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية - رحمه الله - (في شرح العقيدة الأصفهانية ص: 73): (قلت: إثبات كونه سميعاً بصيراً، وأنه ليس مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات هو قول أهل الإثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة من السلف والأئمة وأهل الحديث والفقه والتصوف والمتكلمين، من الصفاتية) إلى أن قال: (ص: 74) : (وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ على المنبر: «﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، ووضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه»، ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق؛ فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك).

وقال الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في كتابه (طريق الهجرتين وباب السعادتين ص: 44): (وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه - سبحانه - لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه لصوت من أسر،

ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطـه الأصـوات على كثرتها واختلافها واجتماعها؛ بـل هي عنـده كصـوت واحـد، كمـا أن خَلْـق الخلـق جميعهم وبعثهم عنـده بمنزلة واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمه (الْبَصِيرُ) - جـل جلالـه - الـذي يـرى دبيب النملـة السـوداء على الصـخرة الصماء في حنـدس الظلمـاء، ويـرى تفاصـيل خلـق الـذرة الصـغيرة ومخهـا وعروقهـا ولحمهـا وحركتهـا، ويرى مد البعوضة جناحهـا في ظلمـة الليـل، وأعطى هـذا المشـهد حقـه من العبوديـة بحـرس حركاتهـا وسـكناتها، وتيقن أنـه بمـرأى منـه - سـبحانه -، ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء).

وقال - أيضاً - (في كتابه: اجتماع الجيوش الإسـلامية على غزو المعطلة والجهمية ص: 212): (فهو سميع بصير بلا حدود ولا تقدير، ولا يبلـغ الواصـفون صـفته، ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قـال، ونصـفه بما وصف به نفسـه ولا نتعـدى ذلـك، ولا يبلـغ صـفته الواصفون).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سـعدي - رحمـه اللـه - (في تفسـيره: تيسـير الكـريم الـرحمن: 6/597):ـ (﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾، لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

﴿الْبَصِـيرُ﴾: يـرى دبيب النملـة السـوداء في الليلـة الظلماء على الصخرة الصماء، ويرى سـريان القـوت

في أعضاء الحيوانات الصغيرة جداً، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد على المشبهة في قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وعلى المعطلة في قوله: وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - (في تفسيره: أضواء البيان: 2/276): (فلله - جل وعلا - سمع وبصر حقيقيان يليقان بكمال الله وجلاله، وللمخلوق سمع وبصر مناسبان لحاله، وبين سمع الخالق وبصره وسمع المخلوق وبصره من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق).

قلت: فظهر مما تقدم إثبات صفتي السمع والبصر لله - تعالى -، وأنهما سمع وبصر حقيقيان، وأنهما غير صفة العلم، كما جرى ضرب بعض الأمثلة للمسموعات والمبصرات، وهو ما يسمى بمتعلق هاتين الصفتين؛ فمتعلق السمع هو المسموعات، ومتعلق البصر هو المبصرات".

قلت: ولقد أحسن من قال في دعائه لربه - تعالى -:

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العـــظام النحل

الموضـــع الرابـــع والخمسون.

عدم إيفائه - كمـا ينبغي - بمـا يـدل لـه اسـم اللـه - تعالى -: (الصمد):

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/136،137)، عند قولــه - تعــالى - الآيــة: (2)، في ســورة الإخلاص:﴿ الصَّمَدُ﴾: "السيد الذي يصمد إليـه في الحـوائج, فهـو المقصود في قضاء الحوائج على الدوام".

قلت: في عبــارة المؤلــف عــوز وقصــور بيِّن عن تفسير السلف وتقريرات العلماء بما يليق بهذا الاسم الكريم - كما ستراها في نقل الرومي عنهم - وهكـذا طريقته في بقية الأسماء، ولعل السـبب في هـذا مـا يدعيــه من التيســير، كمــا يفهمــه، وكمــا هــو اســم كتابه!!.

وقد قال الرومي (في: م/180) عن عبارتـه : "فإنهـا غير وافية بالمقصود في شرح هذا الاسم الكريم من أسـماء اللـه الحسـنى, وبيـان مقتضـاه ودلالتـه"، ثم قال: "قال شـيخ الإسـلام الإمـام ابن تيميـة - رحمـه اللــه - في كتابــه (منهــاج الســنة النبويــة: 2/186): (فاســمه الصــمد يتضــمن صــفات الكمــال؛كمــا روى الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هــو العليم الذي كمل في علمه، والقدير الــذي كمــل في

قدرتـه, والسـيد الـذي كمـل في سـؤدده, والشـريف الــذي كمــل في شــرفه, والعظيم الــذي كمــل في عظمته, والحليم الذي كمل في حلمه, والحكيم الذي كمل في حكمته, وهو الذي كمـل في أنـواع الشـرف والسؤدد, وهو الله - سبحانه وتعالى - هـذه صـفته لا تنبغي إلا له).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سـعدي - رحمـه اللـه - (في تفسـيره: 5/621): (الصـمد:هـو الـذي تقصـده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وضـروراتها وأحوالهـا؛ لما له من الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله).

وللشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - كلام حول معنى الصمد (في أضواء البيـان: 2/166،167) نقتطف شيئاً منه، قال:

(قال بعض العلماء: الصمد: السيد الذي يلجأ إليه عند الشدائد والحـوائج، وقـال بعضـهم: هـو السـيد الـذي تكامـل سـؤدده وشـرفه وعظمتـه وعلمـه وحكمتـه، وقال بعضهم: الصمد؛ هو الذي لم يلـد ولم يولـد ولم يكن له كفواً أحد، وعليه فما بعده تفسـير لـه، وقـال بعضهم: هو البـاقي بعـد فنـاء خلقـه، وقـال بعضـهم: الصمد؛ هو الذي لا جوف لـه ولا يأكـل الطعـام، وهـو محـل الشـاهد، وممن قـال بهـذا القـول ابن مسـعود وابن عباس رضـي اللـه عنهم، وسـعيد بن المسـيب، ومجاهد، وعبد اللـه بن بريـدة، وعكرمة، وسـعيد ابن جبــير، وعطــاء ابن أبي ربــاح، وعطيــة العــوفي،

والضحاك، والسدي، كما نقله عنهم ابن كثير وابن جرير وغيرهما.

قال مقيده - عفا الله عنه -: من المعروف في كلام العرب إطلاق الصمد على السيد العظيم، وعلى الشيء المصمت الذي لا جوف له)، ثم قال: (فإذا علمت ذلك؛ فالله - تعالى - هو السيد الذي هو وحده الملجأ عند الشدائد والحاجات، وهو الذي تنزه وتقدس عن صفات المخلوقين: كأكل الطعام ونحوه - سبحانه وتعالى - عن ذلك علواً كبيراً)".

قلت: والخلاصة أن الصمد هو من انفرد بصفات الكمال والجلال والجمال وهو الكامل في كل شيء كمالاً مطلقاً وهو الذي تصمد إليه وتحتاج إليه وتعتمد عليه وتفتقر إليه جميع الخلائق في إيجادها وفي بقائها وفي حاجاتها وفي فنائها، وهو غني عنها غنى مطلقاً، وكل ما سبق من المعاني صحيح ولائق به - تعالى - وما هو مختلف منها فاختلافه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، والله أعلم وأعظم وأحكم.

الموضع الخامس والخمسون.

خطؤه في تعليله في قوله عن المشركين: "إقرارهم بأن الله رب السماوات ورب الخلق عندما يسألون لم يكن عن يقين؛ إذ لو كانوا على يقين لما أنكروا توحيد الله وكفروا به"!!:

فقد قال الجزائري(في تفسيره: 4/191)، عند قوله - تعالى - الآية: (9)، في سورة الدخان: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾: "دال على أن إقرارهم بأن الله رب السماوات ورب الخلق عندما يسألون لم يكن عن يقين؛ إذ لو كانوا على يقين لما أنكروا توحيد الله وكفروا به، إذاً فهم في شك يلعبون في الأقوال فقط.

ثم قال في الصفحة نفسها: لم يكن إفراد المشركين بربوبية الله - تعالى - لخلقه عن يقين؛ بل هم مقلدون فيه؛ فلذا لم يحملهم على توحيد الله في عبادته، وهذا شأن كل علم أو معتقد ضعيف".

قلت: كلام المؤلف فيه نظر، بل هو خطأ بين؛ فالمشركون مقرون بتوحيد الربوبية، وهو توحيد الله - تعالى - بأفعاله المشاهدة والمتعين أن غيره لا يستطيع خلقها، ونصوص القران الكريم تدل على ذلك في مواضع شتى من الكتاب العزيز، وقد قررهم الله بها وألزمهم باعترافهم بها أنه هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، ولم يأت ما يشعر بأن إيمانهم بذلك ضعيف، بل النصوص تدل على خلافه، فقد قال - تعالى -:
﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُـونَ ۝ سَـيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - (في تفسيره: 5/ 33) عند هذه الآيات: "يقرر - تعالى - وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك؛ ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له؛ ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره، المعترفين له بالربوبية، وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً، ولا يملكون شيئاً، ولا يستبدون بشيء؛ بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، فقال: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾، أي: من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾، أي: فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره".

إلى أن قـــال: "وقولـــه: ﴿سَـــيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، أي: سـيعترفون أن السـيد العظيم الـذي يجـير ولا يجـار عليه هو الله - تعالى - وحده لا شريك له".

وقـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: (كمـا في مجمـوع الفتـاوى: 2/37): "وكـل واحـد من وحدانيـة الربوبيـة

والإلهية - وإن كان معلوماً بالفطرة الضرورية البديهية، وبالشرعية النبوية الإلهية - فهو - أيضاً - معلوم بالأمثال الضرورية، التي هي المقاييس العقلية.

لكن المتكلمون إنما انتصبوا لإقامة المقاييس العقلية على توحيد الربوبية، وهذا مما لم ينازع في أصله أحد من بني آدم؛ وإنما نازعوا في بعض تفاصيله، كنزاع المجوس والثنوية، والطبيعية، والقدرية، وأمثالهم من ضلال المتفلسفة، والمعتزلة ومن يدخل فيهم، وأما الشرك في توحيد الإلهية فهو الشرك العام الغالب، الذي دخل من أقر أنه لا خالق إلا الله ولا رب غيره من أصناف المشركين، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾".

وقال سماحة شيخنا عبد العزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - (في مجموع فتاواه: 1/34): "فتوحيد الربوبية معناه: الإقرار بأفعال الرب وتدبيره للعالم وتصرفه فيه، هذا يسمى توحيد الربوبية: وهو الاعتراف بأنه الخلاق الرزاق مدبر الأمور ومصرفها، يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويذل ويحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وهذا في الجملة أقر به المشركون كما قال - سبحانه -: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، وقال - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْـرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْـرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْـرَ فَسَـيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُـلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

فهم معـترفون بهـذه الأمـور لكنهم لم يسـتفيدوا من هذا الإقرار في توحيد اللـه بالعبـادة، وإخلاصـها لـه - سبحانه وتعالى -؛ بل اتخـذوا معـه وسـائط، وزعمـوا أنها شفعاء وأنها تقربهم إلى اللـه زلفى، كمـا قـال - تعـالى -: ﴿وَيَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَـا لَا يَضُـرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

فقال - سبحانه - رداً عليهم: ﴿قُـلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَـا لَا يَعْلَمُ فِي السَّـمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فهو - سبحانه - لا يعلم له شـريكاً لا في السـماء ولا في الأرض، بـل هـو الواحـد الأحـد - سبحانه وتعالى - الفـرد الصـمد المسـتحق للعبـادة - جـل وعلا -، وقـال - سـبحانه وتعـالى -: ﴿فَاعْبُـدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الـدِّينُ الْخَـالِصُ﴾، ثم قـال - سبحانه -: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُـدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَـا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، والمعـنى: يقولـون مـا نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، يعني ما عبـدناهم لأنهم يضرون وينفعـون، أو لأنهم يخلقـون ويرزقـون، أو لأنهم يدبرون الأمور، ولكن عبـدناهم ليقربونـا إلى الله زلفى، وليشفعوا لنا عنده.

كما قالوا في الآية السابقة من سورة يونس: ﴿هَـؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، وعرف بهـذا أنهم لم يعتقـدوا أن آلهتهم تنفـع وتضـر، وتحـيي وتميت، وتـرزق وتعطي

وتمنع، وإنما عبدوهم ليشفعوا لهم، وليقربوهم إلى الله زلفى؛ فاللات والعزى ومناة والمسيح ومريم والصالحون من العباد: كل هؤلاء ما عبدهم المشركون الأولون؛ لأنهم ينفعون ويضرون، بل عبدوهم لأنهم يرجون شفاعتهم، وأن يقربوهم إلى الله زلفى، فحكم الله عليهم بالشرك في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وقال في آية الزمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾، فحكم عليهم بالكفر والكذب حين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، فبين أنهم كذبة في زعمهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، كفرة بهذا العمل، وهو عبادتهم إياهم بالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة ونحو ذلك"، إلى أن قال:

"وهذا النوع الذي أقر به المشركون هو توحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله من خلق ورَزْق وتدبير وإحياء وإماتة، وغير ذلك من أفعاله - سبحانه - كما سبق.

وهو حجة عليهم في إنكارهم توحيد الله بالعبادة؛ لأنه يستلزمه ويدل عليه ويوجبه.

فلهذا أقام الله الحجة عليهم بهذا الإقرار فقال: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وفي الآيات الأخرى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾, ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

ومن تدبر هذا الأمر الذي أقروا به, اسـتفاد لـو عقـل أن هـذا المتصـف بهـذه الصـفات هـو المسـتحق لأن يعبد, ما دام هو الخلاق وهو الرزاق وهو المحيي وهو المميت وهو المعطي وهو المانع وهو المدبر للأمـور, وهو العالم بكل شيء والقادر على كل شيء, فكيف تصرف العبادة لغيره, بل كيف يرجى غـيره, ويخـاف غيره لو عقل أولئك الكفار, ولكنهم لا يعقلون:
اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّـيْطَانُ فَأَنْسَـاهُمْ ذِكْـرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ، وقــال في المنــافقين: صُـــمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُـونَ، وهكـذا أشـباههم كمـا قـال - سـبحانه -: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُـوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَـا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَـا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَـامِ بَـلْ هُمْ أَضَـلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَـافِلُونَ، هــؤلاء هم الغــافلون حقــاً وهم أشــباه الأنعام, بل هم أضل منها, كما وصفهم الله بذلك في آيات بينات, وحجج نيرات, وبراهين ساطعات".
فكلام سماحته حول هذا النوع من أنواع التوحيد، وهو توحيد الربوبية كلام جميل، وفيه التأكيد على أن المشركين لم ينكروه؛ بل اعترفوا به وأقروا به، ولكنهم رفضوا توحيد الإلهية، فأشركوا في الألوهية، وزعموا أن هؤلاء الشركاء هم وسائط بينهم وبين الله، كما حكى الله عنهم ذلك بقوله : هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، وحكاه عنهم بقوله: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى.

الموضع السادس والخمسون.

تخليطه في تفسير أصحاب اليمين وأصحاب الشمال بالأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينية:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/387)، عند قوله - تعالى - الآية: (8-9)، في سورة الواقعة: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: "اليساريون هم أشقياء الدنيا والآخرة؛ لأنهم عندما أخذ غيرهم ذات اليمين طالبين الإيمان والاستقامه، أخذوا هم ذات الشمال طالبين الكفر والفسوق".

قلت: قال الرومي (في: م/184): "قلت: قد أشار المؤلف عند كلامه على معنى الآيات أن أصحاب المشأمة هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم، وأصحاب الميمنة هم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، ولكنه عندما ذكر ما تهدي إليه الآيات عاد ليحمل هذه الآية على الإشارة إلى الأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينية، وإن كان لم يصرح بكلمة الأحزاب، ولكن عبارته تشير إلى أن المراد بالآية الأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينية، فيفهم منها أن الأحزاب اليسارية مذمومة والأحزاب اليمينية محمودة، ومعلوم أن هذه الأحزاب الحادثة في آخر الزمان والتي يطلق على بعضها اليمين وعلى بعضها اليسار كلها مذمومة وبعيدة عن الإسلام على اختلاف في ذلك بقدر التزام أصحابها بالدين؛ إن كانت ممن ينتسب إلى الإسلام وعدم التزامه.

فنحن بذمنا لأحزاب اليسار نكون قد مدحنا أحزاب اليمين، وهي قد تكون كافرة، وما وقوعنا في هذا المحذور إلا بسبب حملنا لكتاب الله على ما لا يدل عليه، فيقع بسبب ذلك الاضطراب وعدم الثبات؛ فنجد المؤلف يفسر الكلمة بتفسير عند المفردات، وعند المعنى العام أو عند هداية الآيات يفسرها تفسيراً آخر.

والمؤلف في تفسيره هذا يحاول إثبات أن القرآن دل على بعض الأشياء العصرية، ويستشهد بها - أحياناً - لإثبات بعض أمور العقيدة، وهذا المنحى في التفسير بعيد، من وجهة نظري على الأقل. أقول: بعيد عن الصواب؛ إذ إن القرآن العظيم لم يتعرض لكل مذهب من مذاهب الضلال وُجِد أو يوجد في آخر الزمان؛ بل منهج القرآن بيان سبيل الهدى وطريق الضلال، فما وافق الحق فهو حق، وما وافق الباطل فهو باطل".

قلت: والرجل مفتون بغرائب الأخبار كما في تفسيره، وفي رسالته: "اللقطات فيما ظهر للساعة من علامات"، و: "..أعاجيب المخترعات الحديثة".

وهذه النوعية من الجهال لا يقدرون العلم والدين ولهم اتجاهات ومآرب شتى تختلف أو تتفق، وكلهم يلهثون وراء الشهرة ويتناصرون على الباطل، وهم كثير لا كثرهم الله وقيض لهم من يكشفهم ويفضحهم، وكفى الله الأمة شرهم وأمكن منهم، ومثل الجزائري من القصاصين صالح ابن عواد

الغامسي وعائض بن عبـد اللـه القـرني وغـيرهم من النجوميين المهرجين وأشياعهم والمخدوعين بهم.

الموضع السابع والخمسون.

تخبطــه في قولــه: "ربــط الطــائرات النفاثــة في الحظائر والمدرعات، وإعدادها للقتال في سبيل الله حلَّ محـل ربـط الجيـاد من الخيـل في سـبيل اللـه"، وهذا يلغي ما أخبر به النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم من أن الخيل تبقى أداة جهـاد وحـرب باسـتمرار إلى قيام الساعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/14)، عند قوله - تعالى - الآيـة: (31-33)، في سـورة ص: ﴿إِذْ عُـرِضَ عَلَيْـهِ بِالْعَشِـيِّ الصَّـافِنَاتُ الْجِيَـادُ ۝ فَقَـالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِــقَ مَسْــحًا بِالسُّــوقِ وَالْأَعْنَــاقِ﴾: "ربــط الطائرات النفاثة في الحظائر والمدرعات، وإعـدادها للقتـال في سـبيل اللـه حـلَّ محـل ربـط الجيـاد من الخيل في سبيل الله".

قلت: قـال الـرومي (في: م/164): "قلت: في هـذا الحكم إجمال، فهو غير صحيح بهذا الإطلاق؛ فلو قيــد بأن لكل زمان عدته وأسلحته وآلته الصالحة للحرب، وأن هذه الأمور وهي عدة القتال مما يخضع ويتمشى مع أحوال الناس وظروف الجهاد في سبيل الله.

لو قيـد بـذلك لكـان أولى وأقـرب إلى الصـواب؛ لأن الجزم بانتهاء ربط الخيل غـير مسـلَّم - فاللـه أعلم -

فقـد يـأتي زمـان تعـود فيـه الأمـور وتتغـير الأحـوال، بحيث يصبح الجهاد بواسطة الخيل ولـو في جهـة من الدنيا، فلا يشـترط أن تكـون العـدة للحـرب متماثلـة ومتساوية في الأمكنة كافة وفي سائر الأزمان.

بل ورد في السنة النص على الخيل وبقائها إلى يــوم القيامــة في صــحيح البخــاري عن عــروة بن الجعــد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

وقد رواه البخاري - رحمه الله - بسند آخر في الباب الذي بعد باب الحديث الأول، وعند شرح الحافظ ابن حجـر - رحمـه اللـه - لهـذا الحـديث[1] قـال (في فتح الباري: 6/56): قولـه لقـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «الخيـل معقـود..إلخ» سـبقه إلى الاسـتدلال بهذا الإمام أحمد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر بقاء الخير في نواصـي الخيـل إلى يـوم القيامـة، وفسـره بالأجر والمغنم، المغنم المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد.

ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً؛ فــدل على أن لا فرق في حصول هـذا الفضـل بين أن يكـون الغـزو مع الإمام العـادل أو الجـائر، وفي الحـديث الـترغيب في الغـزو على الخيـل، وفيـه - أيضـاً - بشـرى ببقـاء الإسـلام وأهلـه إلى يـوم القيامـة؛ لأن من لازم بقـاء

---

[1]() بوب عليه البخاري بقوله: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، ونص الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم».

الجهاد بقاء المجاهـدين، وهم المسـلمون، وهـو مثـل الحـديث الآخـر: «لا تـزال طائفـة من أمـتي يقـاتلون على الحق» الحديث[1]".

قلت: ولقـد أحسـن الشـيخ الـرومي في اسـتدراكه على الجزائري، وإن كـان كلامـه -رحمـه اللـه - يـدل على موافقته في انقطاع الخيل في القتال في بعض الأزمان، بقوله: "فقد يأتي زمان تعود فيـه الأمـور.." وهو محـل نظـر؛ فالخيـل وإن لم تكن في الأولويـات في القتـال في هـذا الزمـان كمـا كـانت في الزمـان القـديم أو في بعض الأزمنـة إلا أنهـا كـانت ولا تـزال عـاملاً مسـاعداً مـع الجيـوش وتعتـبر وسـيلة في الحروب والقتال وقد لا يستغنى عنها.

وقد تكون لها الأولوية على غيرها في بعض الحـروب والمعارك في هذا الزمان - أيضـاً -، وربمـا لا يحسـم بعض المعارك ويصـلح لبعض المهمـات في الحـروب إلا الخيل، مع وجود الأسلحة والقـوة في هـذا العصـر أو حتى ما هو أقوى في أي عصر آخر، وسـوف تبقى وسيلة من وسائل الحرب إلى يوم القيامة، كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليـه، وذلـك يدل على استمرار بقائهـا والحاجـة إليهـا، وهـو الـذي قال عنه مرسله: ﴿وَمَا يَنْطِـقُ عَنِ الْهَـوَى ۝ إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

---

[1] () رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»، الحديث.

وقد قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم - كمـا في صـحيح مسلم: (12/483، مع النووي) - وهو على المنــبر: « ﴿وَأَعِـدُّوا لَهُمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُـوَّةٍ﴾ ألا إن القــوة الــرمي ألا إن القــوة الــرمي ألا إن القــوة الــرمي»؛ فتكون الخيل باقية مع الرمي، وما يرميه كالطائرات، ومـا يـرمى بـه من الأسـلحة كالمدفعيـة والصـواريخ، وفي السياق الكريم: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾، مما يشعر بالإسـتعداد باتخـاذ وإعـداد جميـع الأنـواع من القـوة والوسائل الحربية لقتـال الأعـداء، وذلـك من أسـباب النصر.

ومعلوم أن الخيل وسـيلة للحـروب في آخر الزمـان، مما يـدل على تعطـل وسـائل العصـر؛ فقـد ورد في صحيح مسـلم: (18/330، مـع النـووي) عن الطليعـة الــذين يرســلهم المســلمون لاســتطلاع خــبر خــروج الدجال عند مـا يصـيح بهم الشـيطان أن الـدجال قـد خلفهم في أهليهم - في المدينـة - وهـو كـاذب، وهـو قولــه صــلى اللــه عليــه وســلم: «فيبعثــون عشــرة فــوارس طليعة»، قــال: «إنى لأعــرف أســماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فـوارس على ظهـر الأرض يومئـذ، أو من خـير فـوارس على ظهـر الأرض يومئذ».

وورد في صــحيح مســلم - أيضــاً -: (18/325)، مــع النووي) أن من سلاحهم يومئذ في قتالهم مع الـروم، وانتصارهم عليهم في(القسطنطينية): السيوف، قال صلى الله عليه وسلم: «فبينما هم يقتسمون الغنـائم

قد علقوا سيوفهم بـالزيتون إذ صـاح فيهم الشـيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. وذلك باطل».

إذاً فوجود الخيل كان ولا يزال ضـرورياً في الحـروب ولم ينقطـع، وسـوف يبقى، وهـو مـا يسـمى بسـلاح الفرسان - عندنا ونحوه - الذي تحتفـظ بـه الجيـوش ضـمن قواتهـا في بلاد المسـلمين وغيرهـا، وحـديث الرسول دليل على بقائها وبقاء الإسلام وأمة الإسلام تقاتل وتجاهد في سبيل الله؛ إذا اقتضى الحال لـذلك وتهيأت أسبابه إلى قيام الساعة، ولا يلزم انقطاعهـا؛ لكـون الجهـاد يكـون واقعـاً في حـال دون حـال وفي زمان دون زمان ومكـان دون مكـان أو لا يكـون؛ لأن الأمة قد تكون في حال قوة ولا حاجة بها إلى الجهـاد أو في حال ضعف ولا يستطيع الجهاد بعضها أو كلهـا؛ ولكن الجهاد حكمـاً لا ينقطـع؛ فهـو بـاق - ببقـاء هـذا الدين - إلى يوم القيامة، لا يبطل في قوة أو ضـعف، ولا يبطله عز عزيز ولا ذل ذليل.

وقد قال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم، - كمـا في صحيح مسلم -: «من مات ولم يغزو، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق».

قلت: وقوله - تعالى -: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾، لا مأخذ على المؤلف في تفسير هذه الآية؛ فقد فسرها على ظاهرها - وهو الصحيح، وهو ما يجب المصير إليه -: أن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام: "جعل يمسح بيده سوقها وأعناقها"، وإنما ناسب أن أذكر أن الصحيح تفسيرها هنا وأؤيده

بكلام أهل العلم؛ لأن ظاهرها وهو الحق خلاف ما ذهب إليه بعضهم - من المتقدمين والمتأخرين - في كتب التفاسير وغيرها، من أن سليمان عليه الصلاة والسلام قطع رقاب الخيل وعراقيبها؟!!.

قال الإمام الطبري (في تفسيره: 21/195)، بعد ما ذكر أقوالاً: "وقال آخرون: بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حُبًّا لها.

ثم ساق السند إلى عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس - وهو أصح الأسانيد عنه رضي الله عنه - ، قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾، يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حباً لها.
وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يكن - إن شاء الله - ليعذب حيوانًا بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها".
وقال القرطبي (في تفسيره: 15/196): " قال: الزهري وابن كيسان كان يمسح سوقها وأعناقها، ويكشف الغبار عنها حباً لها".

الموضع الثامن والخمسون.

لم يفسر الآية بما تقتضيه من معنى خاص، ومـا تـدل له من علو الله - تعالى -:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/371)، عند قوله - تعالى - الآية: (55)، في سورة القمـر: ﴿فِي مَقْعَـدِ

صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾: "عند مليك مقتدر، أي: ذلك ملك مقتدر على ما يشاء وهو الله - جل جلاله -"

قلت: لم يذكر ما تدل له كلمة: ﴿عِنْـدَ﴾؛ فمـا يقـال: إنه عنـد اللـه يـدل على معـنى زائـد لم يتطـرق إليـه الجزائري؛ فكلمة: ﴿عِنْدَ﴾، لها دلالة عنـد علمـاء أهـل السـنة على خلاف مـا لم يكن كـذلك؛ فوصـف بعض الأشياء بأنها عند الله تكتسب به زيادة منزلة ودرجــة عن غيرها مما لم يكن كـذلك، وقـد صـح عن رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم - كمـا في مسـند الإمـام أحمد، وصـحيح مسـلم - أنـه قـال: «إن المقسـطين عند الله على منابر من نور عن يمين الـرحمن - عـز وجـل - وكلتـا يديـه يمين الـذين يعـدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

وقــد أشــار الإمــام ابن كثــير - رحمــه اللــه - (في تفسـيره: 4/269) إلى هـذا المعـنى، فقـال: "قولـه: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾، أي: في دار كرامة الله ورضــوانه وفضله، وامتنانه وجوده وإحسانه: ﴿عِنْدَ مَلِيـكٍ مُقْتَـدِرٍ﴾، أي: عنــد الملــك العظيم الخــالق للأشــياء كلهــا ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون"، ثم ذكر الحديث السابق مستدلاً به على ذلك.
وقد عد شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية - رحمه اللــه - جعـل بعض الخلـق عنـده دون بعض من أدلـة علـوه فـذكرها مـع الأدلـة الكثـيرة الدالـة على علـو اللـه - تعالى - فقال (كما في مجموع الفتاوى: 5/164): ".. وتارة يجعل بعض الخلق (عنـده) دون بعض كقولـه -

تعالى -: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾، ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾، فلو كان موجب العندية معنى عاماً كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك: لكان كل مخلوق عنده؛ ولم يكن أحد مستكبراً عن عبادته، بل مسبحاً له ساجداً وقد قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وهو - سبحانه - وصف الملائكة بذلك رداً على الكفار المستكبرين عن عبادته".

وقد بين الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - (في تفسيره: 7/242) فقه قوله - تعالى -: ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، وأنها قرب ومزية خاصة يظفر بها المؤمنون من ربهم، فقال: "﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾، أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار اليانعة، والأنهار الجارية، والقصور الرفيعة، والمنازل الأنيقة، والمآكل والمشارب اللذيذة، والحور الحسان، والروضات البهية في الجنان، ورضوان الملك الديان، والفوز بقربه، ولهذا قال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم من كرامته وجوده، ويمدهم به من إحسانه ومنته".

فتبين أن لقوله - تعالى -: ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ﴾، دلالة ومعنى في باب الأسماء والصفات، وأن هـذه الآيـة من أدلـة إثبات العلو لله - عز وجل -.

وذكر بعض أهل العلم بالمعاني أن كلمة:(مقعد) أبلـغ وأمكن من: (مجلس).

وقولـه: "مقتـدر على مـا يشـاء" كـان يجب عليـه أن يقول: "مقتدر على كل شـيء" أو "على كـل شـيء قدير"؛ كما يقـول أهـل السـنة، ولا يقـول كمـا يقـول المبتدعـة من المعتزلـة القدريـة، والأشـاعرة والماتريدية، وتقدم أنه على مذهب القدرية المجبرة؛ فتجده من اليمين إلى الشمال، كما قيل:

يوم بحزوى ويوم بالعقيق ويو م بالعـذيب ويوم بالخليصـاء

وتـارة تنتحي نجـداً وآونـة شـعب العقيق وطوراً قصر تيماء

وكما قيل:

يومـاً يمـان إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعدنـان

وكما قيل:

نزلوا بمكة في قبائل هاشـم ونـزلتَ في البيداء أبعد منزل

قال العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع - رحمه الله - (في حاشيته على العقيدة الطحاوية

ص: 18): "يجئ في كلام بعض الناس: وهو على ما يشاء قدير، وليس ذلك بصواب، بل الصواب ما جاء بالكتاب والسنة: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، لعموم مشيئته وقدرته - تعالى - خلافاً لأهل الاعتزال الذين يقولون إن الله - سبحانه - لم يرد من العبد وقوع المعاصي، بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله، ولهذا يقول أحد ضلالهم :

زعم الجهول ومن يقول بقـولـه أن المعاصي من قضاءِ الخالق
إن كان حقاً ما يقول فلم قضى حد الزنا وقطع كف السارق

وقال أبو الخطاب - رحمه الله - في بيان الحق والصواب :

قالوا: فأفـعال العباد فقلت ما من خـالق غير الإله الأمـجـد
قالوا: فهل فعل القبيح مراده قلـت الإرادة كـلـها للسـيــد
لو لم يرده وكان كان نـقـيصة سبحانه عن أن يعجزه الردى

وهذه الإرادة التي ذكرها أبو الخطاب في السؤال هي الإرادة الكونية القدرية لا الإرادة الكونية الشرعية".

وقال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - (في التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية): "أما العبارة التي يقولها بعض المؤلفين: (إنه على ما يشاء قدير). فهذه غلط؛ لأن الله لم يقيد قدرته بالمشيئة، بل قال: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فقل ما قاله الله - سبحانه وتعالى -:

إنما هذه وردت في قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾؛ لأن الجمع له وقت محدد في المستقبل، وهو قادر على جمعهم في ذلك الوقت، أي: أهل السماوات وأهل الأرض، قال - تعالى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾. وقال - أيضاً - في الكتاب نفسه: "والله هو الذي وصف نفسه بأنه على كل شيء قدير من الموجودات ومن المعدومات، لم يقيد قدرته بشيء معين، لا يعجزه شيء، ولا يجوز التقييد بأنه قدير على كذا، ولا يقال: إنه على ما يشاء قدير، إنما هذا خاص بجمع الله - سبحانه وتعالى - لأهل السموات والأرض: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، وهذه قضية معينة".

وقال العلامة محمد صالح العثيمين (في المجلد الأول - باب المناهي اللفظية - مجموع فتاوى و رسائل) إجابة عن: "إن الله على ما يشاء قدير".

"هذا لا ينبغي لوجوه:
الأول: أن الله - تعالى - إذا ذكر وصف نفسه بالقدرة لم يقيد ذلك بالمشيئة في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، فعمم في القدرة كما عمم في الملك، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، فعمم في الملك والقدرة، وخص الخلق بالمشيئة لأن الخلق فعل، والفعل لا يكون إلا بالمشيئة.

أما القدرة فصفة أزلية أبدية شاملة لما شاء وما لم يشأه، لكن ما شاءه - سبحانه -وقع وما لم يشأه لم يقع والآيات في ذلك كثيرة.

الثاني: أن تقييد القدرة بالمشيئة خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه، فقد قال الله عنهم: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ولم يقولوا: (إنك على ما تشاء قدير)، وخير الطريق طريق الأنبياء وأتباعهم فإنهم أهدى علماً وأقوم عملاً.

الثالث: أن تقييد القدرة بالمشيئة يوهم اختصاصها بما يشاؤه الله - تعالى - فقط، لاسيما وأن ذلك التقييد يؤتى به في الغالب سابقاً حيث يقال: (على ما يشاء قدير) وتقديم المعمول يفيد الحصر كما يُعلم ذلك في تقرير علماء البلاغة وشواهده من الكتاب والسنة واللغة، وإذا خصت قدرة الله - تعالى - بما يشاؤه كان ذلك نقصاً في مدلولها وقصراً لها عن عمومها، فتكون قدرة الله - تعالى - ناقصة حيث انحصرت فيما يشاؤه، وهو خلاف الواقع فإن قدرة الله - تعالى - عامة فيما يشاؤه وما لم يشأه، لكن ما شاءه فلابد من وقوعه، وما لم يشأه فلا يمكن وقوعه.

فإذا تبين أن وصف الله - تعالى - بالقدرة لا يُقيد بالمشيئة، بل يطلق كما أطلقه الله - تعالى - لنفسه فإن ذلك لا يعارضه قول الله - تعالى -: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، فإن المقيد هنا بالمشيئة هو الجمع لا القدرة، والجمع فعل لا يقع إلا بالمشيئة؛ ولذلك قيد بها، فمعنى الآية أن الله - تعالى - قادر على جمعهم متى شاء وليس بعاجز عنه كما يدعيه

من ينكره، ويقيده بالمشيئة رد لقول المشركين الذين قال الله - تعالى - عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فلما طلبوا الإتيان بآبائهم تحدياً وإنكاراً لما يجب الإيمان به من البعث، بين الله - تعالى - أن ذلك الجمع الكائن في يوم القيامة لا يقع إلا بمشيئته ولا يوجب وقوعه تحدي هؤلاء وإنكارهم كما قال الله - تعالى -: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُن ﴾.

والحاصل أن قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، لا يعارض ما قررناه من قبل؛ لأن القيد بالمشيئة ليس عائداً إلى القدرة وإنما يعود إلى الجمع.

وكذلك لا يعارضه ما ثبت في صحيح مسلم في كتاب: (الإيمان)، في: (باب آخر أهل النار خروجاً) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آخر من يدخل الجنة رجل»، فذكر الحديث، وفيه أن الله - تعالى - قال للرجل: «إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر»، وذلك لأن القدرة في هذا الحديث ذكرت لتقرير أمر واقع، والأمر الواقع لا يكون إلا بعد المشيئة، وليس المراد بها ذكر الصفة المطلقة التي هي وصف الله - تعالى - أزلاً وأبداً، ولذلك عبر عنها باسم الفاعل: (قادر) دون الصفة المشبهة: (قدير)، وعلى هذا فإذا وقع أمر عظيم يستغربه المرء أو

يستبعده فقيل له في تقريره: (إن الله على ما يشاء قادر) فلا حرج في ذلك، وما زال الناس يعبرون بمثل هذا في مثل ذلك، فإذا وقع أمر عظيم يستغرب أو يستبعد قالوا: (قادر على ما يشاء)، فيجب أن يعرف الفرق بين ذكر القدرة على أنها صفة لله - تعالى - فلا تقيد بالمشيئة، وبين ذكرها لتقرير أمر واقع فلا مانع من تقييدها بالمشيئة؛ لأن الواقع لا يقع إلا بالمشيئة، والقدرة هنا ذكرت لإثبات ذلك الواقع وتقرير وقوعه، والله سبحانه أعلم".

وقال (في الشرح الممتع 5/322:) "فإن قال قائل: عبارة تردد كثيراً عند الناس: (إن الله على ما يشاء قدير) هل هذا جائز؟.
قلنا: لا يجوز إلا مقيداً؛ لأنك إذا قلت: (إنه على ما يشاء قدير) أوهم أن ما لا يشاء لا يقدر عليه، وهو قادر على الذي يشاء والذي لا يشاء .
لكن إذا قيّدت المشيئة بشيء معيّن صح، كقوله - تعالى -:
﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، أي: إذا يشاء جمعهم فهو قادر عليه.
وكذلك في قصة الرجل الذي أدخله الله الجنة آخر ما كان، فقال الله له:
﴿إني على ما أشاء قادر﴾، لأنه يتعلق بفعل معين"

وقال العلامة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي - حفظه الله - :"والمعتزلة قالوا: إن الله ليس على كل شيء قدير، بل يقولون: (على ما يشاء قدير)، ولهذا في بعض الكتب تجد: (والله على ما يشاء قدير)، قصدهم من هذا إنكار دخول أفعال العباد في قدرة الله، وهذا غلط، والوجه: (والله على كل شيء قدير)، أما: (والله على ما يشاء قدير) فيتمشى مع

مذهب المعتزلة؛ لأن الله [عندهم] قدير على ما يشاؤه وليس قديراً على ما لا يشاؤه ويفعله العباد.
وأما قوله : وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، فهذا مقيد بالجمع، ولهذا بَيَّن المؤلف - رحمه الله - معتقد أهل السنة والجماعة فقال:
(وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره)، يعني: أهل الإسلام أجمعوا على القدر سواء خيراً أو شراً، خيراً مما يحصل للإنسان مما يعطيه الله من الفضل والنعم والمال والصحة والولد، أو شراً بالنسبة إليه كالمصائب والمعاصي التي تقدر عليه".

وقال العلامة بكر أبو زيد (في معجم المناهي):
"والله على ما يشاء قدير
في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - من كتاب: عنوان المجد، قال : (هذه الكلمة اشْتُهِرَت على الألسن من غير قصد وهي قول الكثير إذا سأل الله - تعالى -: (وهو القادر على ما يشاء)، وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شراً، وكل ما في القرآن: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلاً؛ لأن القدرة شاملة كاملة، وهي والعلم صفتان شاملتان تتعلقان بالموجودات والمعدومات، وإنَّما قصد أهل البدع بقولهم: (وهو على ما يشاء) أن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة).
وفي جواب للشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى - قال: (الأولى أن لا يطلق. ويُقال: إن الله على كل شيء قدير؛ لشمول قدرة الله - عز وجل - لما يشاؤه ولما لا يشاؤه).
هذا ما رأيته مسطراً في المنع .
وقد جاء إطلاقها في حديث ابن مسعود الطويل: في

آخر أهل النار خروجاً، في صحيح مسلم: ترجم عليه النووي بقوله :
باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، وجاء في آخر الحديث : (قالوا ممّ تضحك يا رسول الله؟، قال: «من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير»
وفي الرواية: (في كتاب السنة لابن أبي عاصم: 1/2 45، وفي كتاب الإيمان لابن منده) بلفظ: «ولكن على ما أشاء قادر».
لكن هذا الإطلاق مقيد بأفعال معينة كهذا الحديث، وكذلك في الآية ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ معلقة بالجمع، وعليه فإن إطلاق هذا اللفظ له **حالتان**: **الأولى**: على وجه العموم، فهذا ممتنع **لثلاثة وجوه** :
1- لأن فيها تقييداً لما أطلقه الله .
2- لأنه موهم بأن ما لا يشاؤه لا يقدر عليه .
3- لأنه موح بمذهب القدرية .
و**الحالة الثانية**: على وجه التقييد كما ذكر" **.**
وقال العلامة عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين **-** رحمه الله **-**: (كما مجلة الدعوة، عدد: 1546، صفر: 1427 هـ، والدرر الناضرة في الفتاوى المعاصرة) في إجابة عن

: "إنه على ما يشاء قدير".

: "هذه عبارة موهمة، ويستعملها بعض العلماء كابن كثير في تفسيره، لكن ذلك عن حسن ظن، والأولى عدم استعمالها؛ فإنها تقيد قدرة الله على ما يشاؤه فقط، مع أن الله **-** تعالى **-** قادر على كل شيء من ما يشاؤه كوناً وقدراً ومن ما لم يقدره.

ويدخل في ذلك جميع الحركات والسكنات، وأفعال المخلوقين.

وهناك طائفة من المعتزلة القدرية يقال لهم: المرشدة يستعملون التعبير بقولهم: إنه على ما يشاء قدير؛ فيخرجون ما لا يشاء عن قدرته - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً -.

وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - برسالة مستقلة سرد فيها النصوص التي فيها عموم قدرته على كل شيء، وهي في القرآن تزيد على أربعين موضعاً، وكذا في الأحاديث النبوية كثير.

ثم لو وجد نص فيه أنه قادر على ما يشاء فليس فيه دليل على نفي قدرته على ما لا يشاء، بل هو من جملتها؛ فعبارة: (على ما يشاء قدير) لا تجوز، وفيها محذور؛ فهم يتوصلون بها إلى نفي قدرته على أفعال العباد، ونحو ذلك".
وقال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (في شرحه للواسطية): "وقوله: (المعدوم) يعني: لما لم يشأه الله - جل وعلا - فهو - سبحانه - ما شاءه كان، لكن ما يقدر عليه - سبحانه - ربما يكون، وربما لا يكون، بحسب حكمته - جل وعلا -، وهذا لأجل إطلاق الشمول في النصوص في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة: أن قدرة الله شاملة للمعدومات والموجودات كما قال - سبحانه -: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾؛ فإذن الإسماع إسماع الاستجابة ما حصل، ولو أسمعهم إسماع الاستجابة

لتولوا وهم معرضون .
وهذا تابع للعلم وهو تابع - أيضاً - للقدرة كما قال - جل وعلا -: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، ففي هذه الآية إثبات أن الله قادر على هذه الثلاثة أشياء: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، هو قادر على هذا الشيء، وهل هذا الشيء حصل؟
موجود أو معدوم؟
قال عليه الصلاة والسلام حينما تلا هذه الآية: «أعوذ بوجهك»، فأجيب، وقال - أيضاً - في قوله: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ»، «أعوذ بوجهك»، فأجيب، وقال في قوله:﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، «هذه أهون»؛ لأن الله - جل وعلا - لم يُعْطِهِ ذلك .
قال العلماء دلت الآية على أن قدرة الله على ما شاءه وعلى ما لم يشأه،
فقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيه عموم في القدرة على ما شاءه وعلى ما لم يشأه وهذا مذهب أهل السنة .
والأشاعرة والماتريدية وغيرهم يقولون إن القدرة لها تعلقان :تعلق **صلوحي**، وتعلق **قديم** .
هذا بحث يحتاج إلى تفصيل لكن - أيضاً - مما يناسب الكلام هذا هنا يقولون: إن قدرة الله متعلقة بما شاءه .
ولهذا يقول الأشاعرة كثيراً في كتبهم (والله على ما يشاء قدير).

وهذه عند أهل السنة والجماعة باطلة لا يجوز أن يخالف المرء نص القرآن، ويقول: (والله على ما يشاء قدير)، نعم هو - جل وعلا - على ما يشاء قدير، لكن قدرته على ما يشاء وعلى ما لم يشأ.

فعندهم القدرة متعلقة بما شاءه، وعند أهل السنة القدرة متعلقة بما شاءه وبما لم يشأه لقوله: - سبحانه -: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ.﴾

نعم جاء في بعض الأحاديث: «إني على ما أشاء قادر»، و«إني على ما أشاء قدير»، وهذا يثبته أهل السنة؛ لأنه دليل على أنه - جل وعلا - على ما يشاء قدير، وهذا دل عليه قوله: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، لكن عندهم شعار أنهم يُعرِضون عن قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، إلى قولهم : (والله على ما يشاء قدير).

وإذا كان شعاراً لأهل البدع فإن استعماله فيه موافقة لهم مع صحته في نفسه معنى .

وقول القائل: (إنه على كل شيء قدير) هذا يشمل ما شاءه وما لم يشأه وفيه موافقة للنصوص من الكتاب والسنة .

هذا معنى قول شيخ الإسلام: (من الموجودات والمعدومات)، هو على كل شيء قدير من الموجود والمعدوم"

وقال (في شرحه على الطحاوية) : "وقوله: (ذلك بأنه على كل شيء قدير) تتعلق به المسألة الخامسة هذه، وهي أنّ أهل السنة يجعلون قدرة الرب - جل وعلا - متعلقة بكل شيء، واسم الله القدير متعلق بكل شيء، وقدرة الله غير محصورة، بل هو - سبحانه - قادر على ما شاء وعلى ما لم يشأ، وهذا هو مذهب أهل الحديث والسنة، وبه جاء القرآن العظيم وكل ما في القرآن تعليق القدرة بكل شيء ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ،﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ،﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾، ونحو ذلك من الآيات التي فيها تعليق القدرة بكل شيء.
أهل البدع وأهل الكلام يعلّقون القدرة بما يشاؤه الرب - جل وعلا - فيقولون تعلق قدرة الرب بما يشاؤه، ولذلك ترى أنهم يعدلون عما جاء في القرآن ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إلى قولهم: (والله على ما يشاء قدير)؛ لأن القدرة عندهم متعلقة بما شاءه الله وليست متعلقة بما لم يشأه، فعندهم قدرة الله تتعلق بما شاء أن يحصل أما ما لم يشأ أن يحصل فإنه لا تتعلق به القدرة، فإذا قيل: هل الله قادر على أن لا يوجد إبليس؟ يقولون: لا غير قادر. هل الله قادر على أن لا توجد السموات؟ يقولون: لا، غير قادر؛ لأنّ القدرة عندهم متعلقة بما شاءه، وما لم يشأه في كونه وفي ملكوته مما لم يحصل بعد أو مما حصل خلافه فإنّ القدرة غير متعلقة به؛ فلذلك يقول قائلهم: (ليس في الإمكان أبدع مما كان)؛ لأن القدرة عندهم متعلقة بما شاءه الله.
وهذا القول باطل بوضوح وذلك لدليلين:
أما **الأول**: أن الذي جاء في القرآن - كما ذكرنا لك -، تعليق القدرة بكل شيء في الآيات التي ذكرت لكم طرفاً منها.
الثاني: أن الله - جل وعلا - قال في سورة الأنعام: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، ولما نزلت هذه الآية تلاها عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، قال عليه الصلاة والسلام «أعوذ بوجهك»، ثم تلا: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، فقال عليه الصلاة والسلام: «أعوذ بوجهك»، ثم تلا: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قال عليه

الصلاة والسلام: «هذه أهون»، والله - جل وعلا - لم يشأ أن يبعث على هذه الأمة عذاباً من فوقها أو من تحت أرجلها، فيهلكهم بسَنَة بعامّة، بل جعل بينهم بأسهم شديد، لحكمته - سبحانه وتعالى - العظيمة العلية، فدلت الآية على أنّ قدرة الله تتعلق بما لم يشأ أن يحصل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، وهذا لم يشأه الله - جل وعلا - ومع ذلك تعلقت به القدرة، وهذه من الكلمات التي يكثر عند أهل العصر استعمالُها فليتنبه أنها من آثار قول الاعتزال.
في بعض الأحاديث جاء «والله على ما يشاء قادر»، و«إني على ما أشاء قادر»، وهذا الجواب عنه معروف بأنه متعلق بأشياء مخصوصة، وليست تعليقاً للقدرة بالمشيئة، أو أن يقال قدرته على ما يشاء لا تنفي قدرته على ما لم يشأ - جل وعلا- ".

الموضع التاسع والخمسون.

خطؤه في التفريق بين الذكر عند ركوب السفينة وركوب الدابة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/164)، عند قوله - تعالى - الآية: (13)، في سورة الزخرف: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: "مشروعية التسمية والذكر عند ركوب ما يركب؛ فإن كان سفينة أو سيارة قال:العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وإن كان

حيواناً قال: عند الشروع:بسم الله - إذا استوى قاعداً -: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ".

قلت: الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر: أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، الحديث.

والإشارة في هذا الدعاء صالحة لكل مركوب، فلا حاجة إلى ما ذكره الجزائري زائداً عليه، ومفرقاً به بين المركوبات بلا دليل، بل الدليل من السنة خلافه كما ترى في هذا الحديث، وإن كنت لاأرى الإنكار والتشديد في هذه المسألة لعموم الآية وللخبر وإن لم يصح، وجزمه بالتفريق لا وجه له؛ لأنه لم يثبت فيه شيء من السنة وما ثبت عام لا تفريق فيه.

قال الرومي (في: م/161)، بعد أن ذكر ما خلاصته: أن ما نقله ابن كثير في تفسيره من أحاديث كلها في ركوب الدابة، وليس فيها تفريق بين ركوب الدابة وركوب السفينة، وأغلبها قد رواها الإمام أحمد في المسند، وأن الأحاديث التي فيها التفريق بين ركوب الدابة وركوب السفينة ذكرها الشوكاني، ونقدها مبيناً عدم صحتها في كتابه (تحفة الذاكرين)، ثم قال ما نصه: "وبالتأمل لكلام الإمام الحافظ ابن

كثير، والإمام الشوكاني - رحمهما الله - يتضح ما يأتي:

أولاً: أن الذكر الوارد عند ركوب الدابة، والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام، وليس فيه تفريق بين الدابة والسفينة.

ثانياً: أن الأحاديث الخاصة بالسفينة، والتي عينت ذكراً خاصاً يقال عند ركوب السفينة لا تصح؛ فهما حديثان أحدهما فيه راوٍ متروك، والآخر فيه راوٍ ضعيف.

فظهر أن الدعاء عند ركوب ما يركب هو دعاء واحد سواء أكان المركوب دابة، أم سفينة أم غيرها، وأن الخاصة بالسفينة معلولة".

الموضع الستون.

أَبْعَد النُّجْعَةَ، ولم يفسر الآية كما فسرها أهل العلم، واحتمل تفسيره معنى باطلاً يخالف معتقد أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/58)، عند قوله - تعالى - الآية: (115)، في سورة البقرة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾" :﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: هناك الله - تعالى -؛ إذ الله - عز وجل - محيط بخلقه فحيثما اتجه العبد شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً وجد الله؛ إذ الكائنات كلها بين يديه".

قلت: لقد أَبْعَد النُّجْعَةَ، ولم يفسر الآية كما فسرها أهل العلم؛ فقوله: "هناك الله..محيط بخلقه.. وجد الله" تعبير غير سليم ولا لائق، بل لاشك في غلطه؛ لأن عبارة: "هناك الله" تدل على المكان، و"وجد الله" تدل على اللقاء، و"محيط" تدل على الإحتواء والمحدودية أي: أنه - سبحانه - محدود، ويفهم من الإحاطة - أيضاً - الحلول والمخالطة؛ فهذه المعاني ينزه ربنا - جل وعلا - عنها.

ولم يثبت صفة الوجه لله التي في الآية، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكن كما تقدم: أنه ليس على عقيدة أهل السنة، وأنه على العقيدة الخلفية في تأويل الأسماء والصفات.

وقد علل لما ذهب إليه من معنى في توجيه الآية بما يزيد الأمر التباساً، وهو قوله: "إذ الكائنات كلها بين يديه" ففي العبارة إجمال وعدم وضوح؛ فهي تحتمل معنى حسناً وسيئاً، تحتمل قربه إليهم بعلمه ورؤيته وسماع أصواتهم وهذا لائق بالله، وتحتمل القرب المكاني الذي هو من صفات المخلوقين ولا يليق بالله، تعالى وتقدس عن اللوازم الباطلة.

قال ابن جرير - رحمه الله - (في تفسيره: 1/505) عند قوله - تعالى -: ﴿تُوَلُّوا﴾: "فإن الذي هو أولى بتأويله: أن يكون تولون نحوه وإليه، كما يقول القائل: وليت وجهي شطره، ووليته إليه، بمعنى: قابلته وواجهته، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية؛ لإجماع الحجة على أن ذلك تأويله".

وذكر ابن جرير - هنا - عن مجاهد في قوله - تعالى -: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، قال: "قبلة الله: فأينما كنت من شرق أو غرب فاستقبلها".

وذكر عنه - أيضاً - قال: "حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها، قال: الكعبة".

ونقل ابن كثير - رحمه الله - (في تفسيره: 1/158) عن عكرمة عن ابن عباس ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾: "قبلة الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً".

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - (في تفسيره: 1/61): "﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾، وجوهكم من الجهات إذ كان توليكم إياها بأمره: إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المقدس، أو تؤمرون بالصلاة في السفر على الراحلة ونحوها؛ فإن القبلة حيثما توجه العبد، أو تشتبه القبلة فيتحرى الصلاة إليها ثم يتبين له الخطأ أو يكون معذوراً بصلب أو مرض ونحو ذلك، فهذه الأمور: إما أن يكون العبد فيها معذوراً أو مأموراً" إلى أن قال: "﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: **فيه إثبات الوجه لله** - تعالى - على الوجه اللائق به، وأن لله وجهاً لا تشبهه الوجوه".

وهذا الاختصار الذي أجمله ابن سعدي في (الأحكام) قد فصله ابن جرير في تفسيره عند الآية المفسرة، فليرجع إليه.

الموضع الحادي و الستون.

نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقلــه، وهو قوله: "مشروعية قول: بلى، وأنـا على ذلـك من الشاهدين بعد قراءة والتين؛ إذ كان النبي صلى اللــه عليه وسلم يقول ذلك":

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/683)، عند قوله - تعـالى - الآيــة: (8)، في ســورة الـتين:﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِـأَحْكَمِ الْحَـاكِمِينَ﴾، عنـد كلامـه على هدايـة الآيـات: "مشروعية قول: بلى، وأنا على ذلـك من الشـاهدين بعد قراءة والتين؛ إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك".

قلت: هذا من الأحاديث التي لا زمام لها ولا خطــام، مما يورده في تفسيره وكتبه وقـد قـال رسـول اللــه صلى الله عليه وسـلم - فيمـا رواه البخـاري -: «من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

قال الرومي (في: م/166): "قلت: هذا الحكم، وهــو القول بمشروعية هذا الذكر، أي: قول (بلى وأنا على ذلك من الشـاهدين) بعـد قـراءة سـورة الـتين مبـني على حــديث في ســنن الترمــذي رقم الحــديث: (3405)، وهـو حـديث غـير ثـابت قـال: (في عارضـة الأحــوذي شــرح ســنن الترمــذي: 12/249)، عن إسماعيل بن أميـة قـال: سـمعت رجلاً بـدوياً أعرابيـاً يقول: سمعت أبا هريرة يرويه يقول: «من قرأ التين فقرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾، فليقل وأنا على

ذلك من الشاهدين»، قال أبو عيسى: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعـرابي عن أبي هريـرة رضي الله عنه.

قال شارح السنن: ذكره مجهول عن أبي هريـرة عن النبي صلى الله عليـه وسـلم قـال:«من قـرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾، وأنا على ذلك من الشاهدين».

الإسناد: روى أهل التفسير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقولها وهو حديث باطل.

وقال الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ - رحمـه اللـه - (في فتاواه: 2/235): "وورد في: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾، حديث إلا أن فيه ضعفاً ظاهراً، وكذلك ما يقوله العامة عند قوله - عالى -: ﴿بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾، يأتي به الله، لا يثبت فيه شيء".

الموضع الثاني والستون.

إجمالـه في تفسـيره للآيـة الكريمـة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، بـ"مراقبة الله والنظر إليه"، وهو خطأ بين، ومعنى باطل؛ يوهم أن العابد يرى الله - تعالى - عِيَاناً أثناء عباته، وهو على خلاف معتقد أهل السنة والجماعة، وخلاف الدليل من السنة، وما فسرها به المفسرون:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/127) عند قوله - تعالى - الآية: (177), في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ

أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، الآية: "هذا هو مبدأ الإحسان: وهو مراقبة الله والنظر إليه وهو يزاول عبادته".

قلت: قال الرومي (في: م/9): "قول المؤلف: (والنظر إليه) - أي: إلى الله - غير سليم؛ فمراقبة الله بأن يعمل العبد وكأنه يرى ربه، فهذا هو مبدأ المراقبة.

وأما القول بأن العبد ينظر إلى ربه في الدنيا فغير صحيح، فقد ورد حديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟، قال: «نور أنى أراه»، قال الإمام ابن قيم الجوزية [في اجتماع الجيوش الإسلامية]: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: معناه كان ثم نور أو حال دون رؤيته نور فأنى أراه، قال: ويدل عليه أن في بعض ألفاظ الصحيح: هل رأيت ربك؟، قال: «رأيت نوراً».

وفي صحيح مسلم: قال ابن شهاب وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حذر الناس الدجال: أنه «مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن»، وقال: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه - عز وجل - حتى يموت».

فلو قال المؤلف: يعبد ربه وكأنه ينظر إليه؛ لكان دائراً مع النصوص وملتزماً عقيدة أهل السنة

والجماعـة، ولكن عـدم التقيـد بالعبـارات والأسـماء الشـرعية الـتي درج العلمـاء عليهـا في الاسـتنباط والاستدلال يؤدي إلى هذا الخروج عن الصـواب، كمـا أنه يؤدي إلى تـورط المؤلـف بعبـارات المبتدعـة من المتصـوفة وغـيرهم..وإهمـال عبـارات السـلف ومصـطلحاتهم الشـرعية الـتي أخـذوها من الكتـاب والسـنة يـؤدي إلى الوقـوع في مثـل هـذه الأخطـاء والزلات" انتهى.

قلت: الثـاني من الحـديثين السـابقين لاينفي أن رسول الله رأى ربه في المعراج، وإنمـا يفهم أنـه لم يره من **الحديث الأول**.

والثاني ينفي رؤية الله في الدنيا ويثبتها في الآخرة، ولم يستثن نفسه صلى الله عليـه وسـلم فيقـول: إلا أنا، وذلك لـه علاقـة بالإيمـان بـالغيب وهـو أصـل في الإيمان في الحياة الدنيا؛ لأنهـا دار التكليـف فيسـتوي فيها الرسول مع غيره.

والصحيح أن النبي صلى عليه وسـلم لم يـر اللـه في المعـراج؛ لحـديث النـور - السـابق - ومـا يفهم من قوله: «لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت».

ولمـا رواه مسـلم في الصـحيح أن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم قال: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سـبحات وجهـه مـا انتهى إليـه بصـره من خلقه»، ويأتي.

وكون النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الله في العراج هو ما يراه الإمام أحمد وغيره من السلف، ويفهم ذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية السابق، ولا خلاف فيه بين الصحابة رضي الله عنهم إلا ما قد يفهم من كلام ابن عباس المطلق، وأن بعضهم فهمه، ولم يثبت فيه شيء صريح، وكذا ما فهم عن الإمام أحمد،كما يأتي في كلام ابن تيمية، وقد نقل ابن القيم - في ما يأتي - عن عثمان بن سعيدٍ الدارمي في كتاب الرؤية له إجماع الصحابة على: أنه لم ير ربه ليلة المعراج [يعني: النبي صلى الله عليه وسلم]، وبعضهم استثنى ابن عباس في من قال ذلك.

قلت: وما يذكر من خلاف بين عائشة وابن عباس رضي الله عنهما ليس حقيقة؛ فعائشة تنفي رؤية النبي صلى عليه وسلم لربه بعينيه الباصرتين وابن عباس يثبت رؤيته له بقلبه؛ فهو يتفق مع عائشة حيث لايثبت الرؤية البصرية التي هي تنفيها؛ فلا خلاف إذاً بينهما.

ويؤكد عدم رؤية النبي ربه بعينيه ليلة الإسراء حديث أبي موسى - الذي أشرنا إليه -؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله - عز وجل - لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية أبي بكر: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

وما يروى عن ابن عباس أن النبي رأى ربه في المعراج ليس فيه أنه رآه بعينيه، فهو ليس على إطلاقه وإنما هو مقيد بِرؤية القلب - كما سبق -؛ كما في رواية مسلم عنِ ابن عباس قال: (رآهُ بفؤاده مرتين).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - (في مجموع الفتاوى: 6/509): "وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: (رأى محمد ربه بفؤاده مرتين)، وعائِشة أنكرت الرؤية، فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عنِ ابن عباس هي مطلقة, أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: (رأى محمد ربه)، وتارة يقول: (رآى محمد ربه بفؤاده)[1]؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية, وتارة يقول رآه بفؤاده.

ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول: رآه بعينه؛ لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين؛ كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

وليس في الأدلة مـا يقتضـي أنـه رآه بعينِـه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيِه أدل؛ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول

---

[1] الذي في مجموع الفتاوى: (رآه محمد) وهي عبارة ناقصة، سقاط بعضها، والوارد في تفسير ابن جرير وغيره ما أثبتناه، وهو الصحيح.

الله صلى الله عليه وسـلم: هـل رأيت ربـك؟ فقـال: «نور أنى أراه»، وقد قـال - تعـالى -: ﴿سُـبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْـدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْـجِدِ الحَـرَامِ إِلَى المَسْـجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾, ولـو كـان قد أراه نفسه بعينه لكان ذِكْرُ ذلك أولى.

وكذلك قوله: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ ،﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾، ولو كان رآه بعينه لكان ذِكْرُ ذلك أولى.

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَـةَ فِي الْقُرْآنِ﴾, قـال هي رؤيـا عين أريهـا رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم ليلـة أسـري بـه, وهـذه (رؤيـا الآيات) لأنه أخبر الناس بمـا رآه بعينـه ليلـة المعـراج فكان ذلك فتنة لهم, حيث صـدقه قـوم وكذبـه قـوم, ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه, وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلـك, ولـو كـان قـد وقـع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه.

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة، واتفاق سلف الأمة أنه لا يـرى اللـه أحـد في الـدنيا بعينـه, إلا مـا نـازع فيـه بعضهم من رؤية نبينا محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم خاصـــة، واتفقـــوا على أن المؤمـــنين يـــرون اللــــه يوم القيامة عِيِاناً كما يرون الشمس والقمر) انتهى.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - أيضاً - (في درء تعارض العقل والنقل: 4/381) قريباً مما سبق وأحال في بسطه عليه، فقال: "والقلوب مفطورة على أن يتجلى لها من الحقائق ما هي مستعدة

لتجليها فيها فإذا تجلى فيها شيء أحست به إحساساً باطناً تجليه فيها.
وأيضا فنفس مشاهدة القلوب لنفسه - تبارك وتعالى - أمـر ممكن وإن كـان ذلـك قـد يقـال: إنـه مختص ببعض الخلق كما قال أبـو ذر و ابن عبـاس وغيرهمـا من السلف: إن نبينا صلى الله عليه وسـلم رأى ربـه بفؤاده، وقال ابن عباس: (رآه بفؤاده مرتين).
فهذا النوع إذا كان ممكناً وقد قيل إنه واقع لم يمكن نفيه إلا بدليل، وأما الرؤية بالعين في الدنيا وإن كانت ممكنة عند السلف والأئمة؛ لكن لم تثبت لأحد ولم يدعها أحد من العلماء لأحد إلا لنبينا صلى الله عليه وسلم على قول بعضهم، وقد ادعاها طائفة من الصوفية لغيره؛ لكن هذا باطل لأنه قد ثبت بدلالة الكتاب والسنة أن أحداً لا يراه في الدنيا بعينه.
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت».
وقد بسطنا الكلام على مسألة الرؤية في غير هذا الموضع وبينا أن النصوص عن الإمام أحمد وأمثاله من الأئمة هو الثابت عن ابن عباس من أنه يقال: رآه بقلبه أو رآه بفؤاده.
وأما تقييد الرؤية بالعين فلم يثبت لا عن ابن عباس ولا عن أحمد.
والذي في الصحيح عن أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟، قال : «نور أنى أراه!»، وقد روى أحمد بإسناده عن أبي ذر أنه رآه بفؤاده، واعتمد أحمد على قول أبي ذر لأن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة وأجابه - وهو أعلم بمعنى ما أجابه به النبي صلى

الله عليه وسلم فلما ثبت أنه رآه بفؤاده دل ذلك على مراده".
قال شيخ الإسلام ابن القيم (في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية: 1/12): (وقد حكى عثمان بن سعيدٍ الدارمي في كتاب الرؤية له إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك.

وشيخنا يقول ليس ذلك بخلاف في الحقيقة؛ فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتيْن؛ حيث قال: (إنه رآه - عز وجل -) ولم يقل بِعيني رأسه، ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما، ويدل على صِحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله في الحديث الآخر: «حجابه النور»، فهذا النور هو - والله أعلم - النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «رأيْت نوراً»).
وقال الحافظ ابن حجر في (الفتح): (الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة، رضي الله عنهم، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب)" انتهى.

قال سماحة شيخنا الإمام : عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى - (في مجموع فتاواه: 27/ 117): "وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله - تبارك وتعالى -: تريدون شيئًا أزيدكم؟، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم

من النظر إلى ربهم - عز وجل -»
فيرونه - سبحانه وتعالى - رؤية حقيقة، وذلك أعلى نعيمهم، وأحب شيء إليهم،
جعلنا الله وإياكم منهم.
وقد أجمع أهل الحق من أهل السنة والجماعة على هذه الرؤية كما تقدم .
وقد حكى ذلك عنهم أبو الحسن الأشعري في كتابه : (مقالات الإسلاميين).
وحكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وذكر إجماع أهل السنة على ذلك، وذكر أن جمهور أهل السنة يكفرون من أنكر هذه الرؤية.
فجمهور أهل السنة والجماعة، يرون أن من أنكر هذه الرؤية فهو كافر،
نسأل الله السلامة والعافية.
أما في الدنيا فإنه - سبحانه - لا يرى فيها؛ فالرؤية نعيم عظيم، والدنيا ليست دار نعيم، ولكنها دار ابتلاء وامتحان ودار عمل، فلهذا ادخر الله - سبحانه - رؤيته، ادخرها لعباده في الدار الآخرة، حتى النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه في الدنيا عند جمهور العلماء، كما سئل عن ذلك فقال : «رأيت نورًا»
فلم ير عليه الصلاة والسلام ربه يقظة.
وقال عليه الصلاة والسلام: «اعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت»
أخرجه مسلم في صحيحه.
فليس أحد يرى ربه في الدنيا أبدًا، لا الأنبياء ولا غيرهم، وإنما يُرى في الآخرة - سبحانه وتعالى -.

فعلى المسلم أن يؤمن بهذا، وبكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الجنة حق والنار حق، وأن أهل الإيمان يدخلون الجنة ويرون ربهم -

سـبحانه - في القيامـة، وفي الجنـة كمـا يشـاء - سـبحانه -، وأن الكفـار يصـيرون إلى النـار مخلـدين فيها، نعوذ بالله من ذلك، وأنهم عن ربهم محجوبـون، لا يرونـه - سـبحانه وتعـالى - لا في القيامـة ولا في غيرها، بل هم عن الله محجوبون لكفرهم وضلالهم".
وقال العلامة صالح الفوزان (كما في المنتقى: "وأمـا هل رأى ربَّه ليلة المعراج بعينـه؛ فـالجمهور على أنـه لم يره بعينه، وإنما رآه بقلبه، وذهب طائفة من أهـل العلم إلى أنه رآه بعينه، ولكن الصحيح الأول، وأنه لم يره بعينه، وإنما رآه بقلبه، ولما سُئِل صلى الله عليـه وسلم عن ذلك؛ قيل : هل رأيت ربَّك ؟، قال : «نـورٌ أنّى أراهُ»، رواه الإمام مسلم في صحيحه: (1/161) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

.. وأمـا رؤيـة اللـه جـل وعلا بالأبصـار؛ فهي ثابتـة للمؤمنين في الدَّار الآخـرة، متـواترة فيهـا النُّصـوص في القـرآن والسّـنَّة، وإجمـاع أهـل السُّـنَّة على أنّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامـة رؤيـة حقيقـة، أمـا في الدنيا؛ فلم يثبت أن أحدًا رآه - جل وعلا -".

وقال العلامـة محمـد بن صـالح بن عـثيمين: "القـول الراجح في هذه المسـألة أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم لم ير ربـه؛ لأنـه نفسـه صـلوات اللـه وسـلامه عليه سئل هـل رأيت ربـك؟ فقـال: «نـور أنَّى أراه»، وفي روايـة: «رأيت نـوراً» واللـه - عـز وجـل - قـد احتجب عن عباده بحجب النور لا يمكن اختراقها فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه نفى أن يكون رأى الله فلا يمكن بعد ذلك أن يدعي مـدع أن النـبي

صلى الله عليه وسلم رأى ربه، وما ذكر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إن ابن عباس لم يصرح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه يقظة وأن قوله أي: ابن عباس يعني أنه رآه بفؤاده، وهو كناية عن العلم اليقيني الذي يكون في القلب حتى كأنه رآه بالعين، وما قاله شيخ الإسلام - رحمه الله - هو الحق ولن يتمكن أحد في الدنيا أن يرى ربه يقظة أبداً، ولهذا لما قال موسى عليه الصلاة و السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، شوقاً إلى الله - عز وجل - قال الله له: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾، فعلق الرب - عز وجل - على أمر مستحيل؛ لأنه يستحيل على الجبل أن يصمد على رؤية الله - عز وجل - وهو جبل أصم حجر غليظ قاسي، قال الله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾، اندك الجبل أمام موسى يشاهده بعينه فصعق عليه الصلاة والسلام من هول ما رأى، فلما أفاق قال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فشكر الله له، وقال: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، فالمهم أنه لا يمكن لأحد أن يرى الله - تبارك وتعالى - يقظة في الدنيا، ولن يستطيع أحد أن يَثْبُتَ لذلك، أما في الآخرة فقد دل القرآن والسنة المتواترة و إجماع الصحابة رضي الله عنهم أن الله - تعالى - يرى في الآخرة رؤية حقيقة بالعين. قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿وُجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ نَاضِـرَةٌ إِلَى رَبِّهَـا نَـاظِرَةٌ، وهـذا صـريح بـأن الإنسان يرى ربه بعينه إذ إن ما تحصل به الرؤيـا هـو العين وهي موجـودة في الوجـه لكن أضـاف اللــه - تعالى - النظر إلي الوجه لأن هذه النظرة إلى الرب - عز وجل - يحصل بها سرور في القلب ونور الوجـه حـتى كـأن الوجـه كلـه ينظـر إلى اللـه - عـز وجـل - لتأثره بهذه النظرة التي أسـأل اللـه - تعـالى - أن لا يحرمـني وإخـواني منهـا، ومن الأدلـة على أن اللـه - تعالى - يرى في الآخرة قول اللـه - تعـالى -: لِلَّذِينَ أَحْسَـنُوا الْحُسْـنَى وَزِيَـادَةٌ،فالحسـنى هي الجنـة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله، كما فسـرها بـذلك أعلم الخلق بالله وآياته محمد رسول الله صلى اللــه عليه وعلى آله وسلم واستدل العلماء بقوله - تعـالى - في أهل الجنة: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ، وقالوا إن هذا المزيد هو الزيادة التي ذكرت في الآية التي سقناها الآن وهو النظر إلى وجه الله - عز وجل -، واستدلوا - أيضاً - بقول الله - تبارك وتعالى - في الأبرار: عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، قـالوا إنهم ينظـرون اللـه - عـز وجـل - وينظـرون مـا أعـد اللـه لهم من النعيم؛ لقولـه في الفجـار: كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُـونَ، فلمـا حجب الفجـار في حـال الغضـب جعل النظر للأبرار في حال الرضا، فهـذه أربـع آيـات من كتاب الله، أما السنة عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم الـذي هـو أعلم الخلـق باللـه وأشـدهم تنزيهاً لله فقد تـواترت السـنة عن النـبي صـلى اللـه عليه وعلى آله وسلم بثبوت رؤية الله - تعـالى - في الجنة حتى إن الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام قـال

ذلك بوجه صريح أصرح من الشمس في رابعة النهار حيث قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»، وقال: «إنكم سترون ربكم عِياناً كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب».

وأما أقوال الصحابة فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على ثبوت رؤية الله - تعالى - في الآخرة، فما منهم أحد قال ولا بحرف واحد إن الله - تعالى - لا يرى في الآخرة، وهذه أقوالهم مأثورة في كتب السنة، ما منهم أحد نفى أن يرى الله - تعالى - في الآخرة، بل كلهم مجمعون على هذا، حتى إن بعض أهل العلم قال من أنكر رؤية الله - تعالى - في الآخرة فهو كافر لوضوح الأدلة فيها وصراحتها وإجماع الصحابة عليها وإجماع الأئمة المتبوعين عليها، ولم يرد عن أحد منهم إنكارها، أسأل الله - تبارك وتعالى - لي ولإخواني النظر إلى وجه الله الكريم، وأسأل الله الهداية لمن أنكروا هذه الرؤية العظيمة التي هي ألذ ما يجده أهل الجنة في الجنة والله على كل شيء قدير".

وقال العلامة محمد الأمين (في أضواء البيان: 3/10 1): "تنبيه: اختلف العلماء هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه في الإسراء بعين رأسه أو لا؟ فقال ابن عباس وغيره: (رآه بعين رأسه)[1] وقالت

---

[1] قد رأيتَ أن الرواية عن ابن عباس مطلقة ليس فيها التقييد بعيني رأسه، أي: الرؤية بالإبصار، وإنما فهمه من نُقِل خلافهم على ما ذكره شيخ الإسلا ابن تيمية في ما تقدم، فليلاحظ .

عائشة وغيرهـا: (لم يـره)، وهـو خلاف مشـهور، بين أهل العلم معروف.

قال مقيده - عفا الله عنه -: التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع: أنه صلى الله عليه وسلم لم يره بعين رأسه.

وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه، فالمراد به الرؤية بالقلب، كما في صحيح مسلم : (أنه رآه بفؤاده مرتين)، لا بعين الرأس.
ومن أوضح الأدلة على ذلك - أن أبا ذر رضي الله عنه - وهو هو في صدق اللهجة - سأل النَّبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة بعينها فأفتاه بما مقتضاه: أنه لم يره، قال مسلم بن الحجاج رحمه الله في صحيحه.. عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: «نور! أنى أراه؟».
و.. عن عبد الله بن شقيق قـال: (قلت لأبي ذر : لـو رأيت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لسـألته، فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟، قال: كنت أسـأله: هل رأيت ربك؟، قال أبو ذر: قد سألته فقال: «رأيت نوراً»، هذا لفظ مسلم.
وقال النووي في شرحه لمسلم: أما قوله صلى اللـه عليـه وسـلم : «نـور! أنى أراه؟!!»، فهـو بتنـوين: «نـور»، وفتح الهمـزة في: «أنى»، وتشـديد النـون وفتحهـا، و«أراه»، بفتح الهمـزة هكـذا رواه جميـع الرواة في جميع الأصول والرويـات، ومعنـاه: حجابـه نور، فكيف أراه!!.
قال الإمام أبو عبد الله المازري - رحمه الله -: الضمير في: «أراه»، عائد إلى الله - سبحانه وتعالى -، ومعناه : أن النور منعني من الرؤية، كما جرت

العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه.

وقوله صلى الله عليه وسلم : «رأَيت نوراً»، معنــاه: رأيت النــور فحســب، ولم أر غــيره، قــال: وروي «نـوراني»، بفتح الـراء وكسـر النـون وتشـديد اليـاء، ويحتمـل أن يكـون معنـاه راجعـاً إلى مـا قلنـاه، أي: خـالق النـور المـانع من رؤيتـه، فيكـون من صـفات الأفعال.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذه الرواية لم تقع إلينا! ولا رأيناها في شيء من الأصول. انتهى محل الغرض من كلام النووي .

قال مقيده - عفا الله عنه -: التحقيق الذي لا شك فيه هو: أن معنى الحديث هو ما ذكر، من كونه لا يتمكن أحد من رؤيته لقوة النور الذي هو حجابه، ومن أصرح الأدلة على ذلك - أيضاً - حديث أبي موسى المتفق عليه «حجابه النُّور (أو النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «نور! أنى أراه؟»، أي: كيف أراه وحجابه نور، من صفته أنه لو كشفه لأحرق ما انتهى إليه بصره من خلقه.

وقد قدمنا: أن تحقيـق المقـام في رؤيـة اللــه - جـل وعلا - بالأبصار: أنها جـائزة عقلاً في الـدنيا والآخـرة، بدليل قـول موسـى: ﴿رَبِّ أرني أَنظُـرْ إِلَيْك﴾؛ لأنـه لا يجهل المستحيل في حقّه - جل وعلا -، وأنهـا جـائزة شرعاً وواقعة يوم القيامة، ممتنعة شـرعاً في الـدنيا، قال: ﴿لَن تَرَانِي ولكن انْظُرْ إِلَى الْجَبَـلِ﴾، إلى قولـه: ﴿جَعَلَهُ دَكّاً﴾.

ومن أصرح الأدلة في ذلك حديث: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»، في صحيح مسلم وصحيح ابن خزيمة كما تقدم .

وأما قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فتدلى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أدنى﴾، الآية، فذلك جبريل على التحقيق لا الله - جلَّ وعلا -" انتهى.

وقد أخرج مسلم في كتاب الإيمان.. باب: معنى قول الله - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة! ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت ما هن؟، قالت: من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال وكنت متكئاً فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأفُقِ الْمُبِينِ ، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: «إنما هو جبريل. لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

قلت: في هذه الآية: والتي قبلها دلالة على تعذر رؤية الأبصار لربها في الدنيا الأنبياء فمن دونهم، كما احتجت أم المؤمنين رضي الله عنها.

ولعل في في طلب موسى عليه الصلاة والسلام. من الله - تعالى - الرؤية وتعليقها على استقرار الجبل فلم يستقر وخر موسى صعقاً، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ما يساعد كذلك في الدلالة على عدم وقوع الرؤية - أيضاً - مع دلالة الأدلة التي تقدمت؛ لما ذكره سماحة شيخنا ابن باز؛ ولعدم تحمل رؤية الذات العلية في الدنيا؛ ولتعلقها بالإيمان بالغيب - أيضاً -؛ لأن الدنيا إنما هي دار تكليف فيؤمن به - غيباً - عن طريق التدبر والتفكر في أفعاله وأسمائه وصفاته ومخلوقاته، وقد مدح الله عليه المؤمنين وجعله أصلاً في إيمانهم. والله أعلم.

الموضع الثالث والستون.

تقريره من قوله - تعالى - : ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾، خلاف ما قرره القرآن وما فهمه منه أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/325) عند قوله - تعالى - الآية: (46), في سورة الذاريات: ﴿وَقَوْمَ

نُـوحٍ مِنْ قَبْـلُ إِنَّهُمْ كَـانُوا قَوْمـاً فَاسِـقِينَ﴾: "آيـة من أعظم الآيات على وجود الله - تعالى -".

قلت: ومما أورده الرومي (في: م/165): من قولـه ونَقْلِه: "جاء كتـاب اللـه - عـز وجـل - لتقريـر توحيـد الألوهيــة، أي: توحيــد العبــادة، وتوحيــد الأســماء والصفات؛ لأن توحيـد الألوهيـة هـو الـذي جـرى فيـه الخلاف بين الرسل وأممهم، قـال - تعـالى - حكايـة عن عادة قـوم هـود: ﴿قَـالُوا أَجِئْتَنَـا لِنَعْبُـدَ اللَّهَ وَحْـدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَـا فَأْتِنَـا بِمَـا تَعِـدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وقـال - تعـالى - حكايـة عن ثمـود قـوم صالح: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَـا مَرْجُـوًّاً قَبْـلَ هَـذَا أَتَنْهَانَـا أَنْ نَعْبُـدَ مَـا يَعْبُـدُ آبَاؤُنَـا وَإِنَّنَـا لَفِي شَـكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، إلى غير ذلـك من آيـات الكتـاب الكريم التي تحكي دعـوة الأنبيـاء لأممهم إلى توحيـد العبادة، ورفض هذه الأمم لذلك مع اعترافهم بوجــود الله وربوبيته، قال - تعالى -: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُـولُنَّ اللَّهُ قُـلِ الْحَمْـدُ لِلَّهِ بَـلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال - تعـالى -: ﴿وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

وأنقل هنا كلامـاً لشـيخ الإسـلام الإمـام ابن تيميـة - رحمــه اللــه - حيث قــال (في درء تعــارض العقــل والنقل: 8/489): (وأما الاعـتراف بالخـالق فإنـه علم ضـروري لازم للإنسـان، لا يغفـل عنـه أحـد بحيث لا يعرفـه، بـل لا بـد أن يكـون قـد عرفـه وإن قُـدِّر أنـه

نسيه، ولهذا يسمى التعريف بذلك تذكيراً فإنه تــذكير بعلوم فطرية ضرورية قد ينساها العبد)..".

الموضع الرابع والستون.

قولـه في الآيــة الكريمــة: َإِنَّ الَّذِينَ جَـاءُوا بِالإِفْـكِ عُصْــبَةٌ مِنْكُمْ، عن الإفــك مــا لم يســبقه أحــد من المفسرين إلى القول به، وقـد فهم كلام العلمـاء من المفسرين على غير وجهه:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 3/223) عنـد قولـه - تعالى - الآيــة: (11), في ســورة النــور: َإِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْـبَةٌ مِنْكُمْ، في شــرح الآيـات: "أي: إن الذين جاءوا بهذا الكـذب المقلـوب؛ إذ المفـروض أن يكــون الطهــر والعفــاف لكــلٍ من أم المؤمــنين وصفوان بدل الرمي بالفاحشة؛ فقلبوا القضية؛ فلــذا كان كذبهم إفكاً"، وقال في شرح الكلمات: "الإفــك: الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب".

قلت: قوله: "الكذب المقلوب"، لم يسـبقه أحـد من المفسرين إلى القول به، وقـد فهم كلام العلمـاء من المفسرين على غير وجهـه، وتتجـه عبارتـه لـو قـال: الإفك: الصدق المقلوب إلى كذب، وهـو مـا تـدل لـه عبارات المفسرين.

قال النحاس (في معاني القرآن: 4/507): "وقولــه - جل وعــز -: إِنَّ الَّذِينَ جَـاءُوا بِالإِفْـكِ عُصْـبَةٌ مِنْكُمْ، قال الضحاك هم الذين قالوا لعائشـة مـا قـالوا، قـال أبو جعفر يقال للكذب إفك، وأصله من قــولهم أَفَكَـه

يأفِكُه إذا صرفه عن الشئ، فقيل للكذب إفك؛ **لأنه مصروف عن الصدق ومقلوب عنه**، ومنه: ﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾، و﴿الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ﴾".

وقال البغوي (في تفسيره: 18/331): "﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾، بالكذب وهو أسوأ الكذب، سمي إفكاً؛ **لكونه مصروفاً عن الحق**، من قولهم: أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، وذك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه"

وقال أبو السعود (في تفسيره: 5/30): "﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ﴾، أي: بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل البهتان لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله الأَفْك وهو القلب؛ **لأنه مأفوك عن وجهه**".

وقال النسفي(في تفسيره: 2/403): "﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ﴾، هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وأصله الأَفْك وهو القلب؛ **لأنه قول مأفوك عن وجهه**، والمراد ما أُفك به على عائشة رضي الله عنها".

الموضع الخامس والستون.

قوله: "مشروعية اللجوء إلى الله"!!، تعبير غير سليم، كما كان كثيراً ما يعبر بالمشروعية تعبيراً غير

شـرعي، وخلطـه الحـديث الـوارد في غـير الكـرب بالحديث الوارد في الكرب:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 4/52) عند قولـه - تعـالى - الآيـة: (46), في سـورة الزمـر:﴿ قُـلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَـادِكَ فِي مَـا كَـانُوا فِيـهِ يَخْتَلِفُـونَ﴾، في هداية الآيات: "مشروعية اللجوء إلى اللـه - تعـالى - عنـد اشـتداد الكـرب وعظم الخلاف، والـدعاء بهـذا الدعاء وهو:

«اللهم رب جبريـــل وميكائيـــل وإســـرافيل فـــاطر السموات والأرض عـالم الغيب والشـهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلـف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشـاء إلى صـراط مستقيم» إذ ثبتت به السنة, و الآية ذكرت أصله" .

قلت: **أولاً** قولـه: "مشــروعية اللجــوء إلى اللــه"، تعبير غير سليم؛ لأن اللجوء إلى اللـه متعين وواجب، ولا يفهم ذلك من التعبير بالمشـروعية، خصوصـاً أنـه في تفسيره كثيراً مـا يعـبر بالمشـروعية تعبـيراً غـير صحيح، ولا يقصد به الوجوب، وقد ذكرنا لـذلك أمثلـة كثيرة.

ثانياً: لوقـال مشـروعية الـدعاء لأصـاب، ولكنـه قـد أوهم أن ورود الحـديث في الكـرب؛ لمناسـبة لفـظ الآيـة لبعض لفظـه، وليس كـذلك، وإن كـان حـديث الكرب قـد شـرع وثبت في السـنة إلا أن مـورد هـذا الحـديث - أصـلاً - من عمـل النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم في قيام الليل، وكان يتأول بعض ألفاظ الآيــة، وهو في صحيح مسلم من حديث عائشة رضـي اللـه عنهـا: إذا قـام من الليـل افتتح صـلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل»، الحديث.

أما دعاء الكـرب - الـذي خلـط بين حديثـه وبين هـذا الحديث - فلفظه كمـا في صـحيح البخـاري عن عبـد الله بن عباس رضي الله عنهمـا، قـال: كـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب: «لا إلــه إلا الله العظيم الحليم، لا إلـه إلا اللـه رب السـموات والأرض، رب العرش العظيم»، وفي لفظ: «لا إله إلا اللـــه العظيم الحليم، لا إلـــه إلا اللـــه رب العـــرش العظيم، لا إلـه إلا اللـه رب السـموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم», وهو بنصه في صحيح مسلم - أيضاً -؛ فالحديث متفق عليه.

قال النووي - رحمه اللـه - في شـرحه على مسـلم: "هذا حديث جليل ينبغي الاعتناء به, والإكثار منه عنـد الكرب والأمور العظيمة, قال الطـبري كـان السـلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب".

الموضع السادس والستون.

قولـه:"المرتـد عن الإسـلام يحبـط عملـه فلـو راجـع الإسلام لا يثاب على ما فعله قبل الردة" باطل، وقـد بسطنا القول في بيانه بما لا مزيد عليه:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/502) عنـد قولـه - تعالى - الآية: (5), في سورة المائـدة:َ﴿وَمَنْ يَكْفُـرْ بِالْإِيمَــانِ فَقَــدْ حَبِــطَ عَمَلُــهُ وَهُــوَ فِي الْآخِــرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، في هداية الآيات: "المرتـد عن الإسـلام يحبط عمله فلو راجع الإسلام لا يثـاب على مـا فعلـه قبل الردة".

قلت: هذا غير سديد، بل جزمه بحبوط العمل غريب جداً؛ فإن الصحيح، بل المتعين الذي يـدل لـه القـرآن أن الذي يحبط العمل إنما هو الموافاة والمـوت على الكفر، فقـد قـال اللـه - تعـالى -: ﴿وَمَنْ يَرْتَـدِدْ مِنْكُمْ

عَنْ دِينِـهِ فَيَمُتْ وَهُـوَ كَـافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ فِي الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْـحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَـا خَالِدُونَ﴾، وقال:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا وَمَـاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِـهِ ﴾.

قال الطبري (في تفسيره: 4/316): "قال أبو جعفر: يعني بقوله - جل ثناؤه -: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾، من يرجع منكم عن دينه، كما قال - جـل ثنـاؤه -: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، يعني بقوله: ﴿فَارْتَـدَّا﴾، رجعا، ومن ذلك قيل: (استردّ فلان حقه من فلان إذا استرجعه منه).

وقوله:﴿ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، يقول: من يرجع عن دينه دين الإسلام: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، **فيمت قبل أن يتوب من كفره، فهم الذين حبَطت أعمالهم**.
يعني بقوله:﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، بطلت وذهبت.
وبُطولها: ذهابُ ثوابها، وبطول الأجر عليها والجزاء في دار الدنيا والآخرة".
وقـال القرطـبي(في تفسـيره: 3/48، في البقـرة): "قال الشافعي: إن من ارتد ثم عـاد إلى الإسـلام لم يحبط عمله ولا حجه الذي فرغ منه"، وقال (في: 15 /277، آل عمـران): "قـال القشـيري: (فمن ارتـد لم تنفعـه طاعاتـه السـابقة ولكن إحبـاط الـردة العمـل مشروط بالوفاة على الكفر؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِـــهِ فَيَمُتْ وَهُـــوَ كَـــافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ﴾، فـالمطلق هـا هنـا محمـول على المقيـد،

ولهـذا قلنـا من حج ثم ارتـد ثم عـاد إلى الإسـلام لا يجب عليه إعادة الحج).

قلت: هذا مذهب الشافعي، وعند مالك تجب عليه الإعادة ".
وقال الشوكاني (في تفسـيره فتح القـدير: 1/291): "والتقييد بقوله: ﴿فَيَمُتْ وَهُـوَ كَـافِرٌ﴾، يفيـد أن عمـل من ارتـد إنمـا يبطـل إذا مـات على الكفـر، وحبـط: معناه بطل وفسد".

وقـال السـعدي (في تفسـيره ص: 221): "وقولـه - تعالى -: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإيمَانِ فَقَدْ حَبِـطَ عَمَلُـهُ﴾، أي: ومن كفر بالله - تعـالى -، ومـا يجب الإيمـان بـه من كتبه ورسله أو شيء من الشرائع، فقد حبـط عملـه، بشـرط أن يمـوت على كفـره، كمـا قـال - تعـالى -: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِـهِ فَيَمُتْ وَهُـوَ كَـافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

وقال محمد الأمين الشنقيطي (في أضواء البيان في تفسير القرآن بـالقرآن: 1/370): "قولـه - تعـالى -: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بالإيمان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُـوَ فِي الآخـرة مِنَ الخاسرين﴾، ظاهر هذه الآية الكريمـة أن المُرتـد يحبط جميع عمله بردته من غير شـرط زائـد، ولكنـه أشار في موضع آخر إلى أن ذلك فيما إذا مـات على الكفر، وهو قوله: ﴿وَمَن يَرْتَـدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِـهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِر .﴾

ومقتضـى الأصـول حمـل هـذا المطلـق على هـذا المقيد، فيقيد إحباط العمل بالموت على الكفر، وهـو

قــول الشــافعي ومن وافقــه، خلافــاً لمالــك القائــل بإحباط الردة العمل مطلقاً، والعلم عند الله - تعـالى -.

وقــال ابن عــثيمين (في تفســير القــرآن: 2/208): "قوله - تعـالى -: ﴿وَمَنْ يَرْتَـدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِـهِ فَيَمُتْ وَهُــوَ كَــافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَــالُهُمْ﴾، هــذه الآيــة الكريمة تدل على أن الرّدة لا تحبـط العمـل إلا بقيـد الموت على الكفر بدليل قولـه: ﴿فَيَمُتْ وَهُـوَ كَـافِرٌ﴾, وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الردة تحبط العمل مطلقاً ولـو رجـع إلى الإسـلام؛ فكـل مـا عمـل قبـل الــردة أحبطتــه الــردة كقولــه تعــالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُــرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ الآية, وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، الآية, وقولـه: ﴿وَلَـوْ أَشْـرَكُوا لَحَبِـطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والجــواب عن هــذا أن هــذه من مســائل التعــارض المطلق والمقيد, فيحمل المطلق على المقيد, فتقيد الآيات المطلقة بـالموت على الكفـر, وهـذا مقتضـى الأصول, وعليه الإمام الشافعي ومن وافقـه, وخـالف مالك في هذه المسألة, وقـدم آيـات الإطلاق, وقـول الشــافعي في هــذه المســألة أجــرى على الأصــول, والعلم عند الله - تعالى -".

وفي كلام للعلامــة محمــد ناصــر الــدين الألبــاني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: 247،248، 249، قـال عنـد الحـديث الأول واتصـل الكلام إلى آخرهـا: "«إذا أسلم العبد، فحسن إسلامه، كتب اللـه لـه كـل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها،

ثم كان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز اللــه - عــز وجــل - عنهــا »، أخرجــه النســائي: (2/267-268) ..."، ثم بعـد تخريجـه قـال:"قلت: و هـذا سـند صـحيح، وقـد علقـه البخـاري في (صـحيحه)..قـال الحافـظ (في الفتح: 1/82): "وقـد ثبت في جميـع الروايات ما سـقط من روايـة البخـاري، و هـو كتابـة الحسـنات المتقدمـة قبـل الإسـلام, وقولـه: «كتب الله»، أي: أمـر أن يكتب، وللـدارقطني من طريـق زيد بن شعيب عن مالك بلفظ: «يقول الله لملائكتـه اكتبوا»، فقيـل : إن المصـنف أسـقط مـا رواه غـيره عمداً؛ لأنه مشكل على القواعد .

وقال المازري: (الكافر ليس كذلك، فلا يثاب على العمل الصالح الصادر منه في شركه؛ لأن من شرط المتقرب أن يكون عارفاً لمن يتقرب إليه، والكافر ليس كذلك،

وتابعه القاضي عياض على تقرير هذا الإشكال, واستضعف ذلك النووي، فقال:

والصواب الذي عليه المحققـون، - بـل نقـل بعضـهم فيــه الإجمــاع - أن الكــافر إذا فعــل أفعــالاً جميلــة كالصــدقة وصــلة الــرحم، ثم أســلم، ثم مــات على الإسلام، أن ثواب ذلك يكتب له.

وأما دعوى أنه مخالف للقواعد، فغير مسلم؛ لأنه قد يعتد ببعض أفعال الكفار في الدنيا ككفارة الظهار؛ فإنه لا يلزمه إعادتها إذا أسلم و تجزئه)انتهى .

ثم قال الحافظ: (والحق أنه لا يلزم من كتابة الثواب للمسلم في حال إسلامه تفضلا من الله وإحساناً أن يكون ذلك لكون عمله الصادر منه في الكفر مقبولا, والحديث إنما تضمن كتابة الثواب، ولم يتعرض للقبول, ويحتمل أن يكون القبول يصير معلقاً على

إسلامه، فيقبل و يثاب إن أسلم، وإلا فلا؛ وهذا قوي, وقد جزم بما
جزم به النووي: إبراهيم الحربي وابن بطال وغيرهما من القدماء، والقرطبي
وابن المنير من المتأخرين) .
قال ابن المُنَيِّر: (المخالف للقواعد، دعوى أن يكتب له ذلك في حال كفره ، وأما أن الله يضيف إلى حسناته في الإسلام ثواب ما كان صدر منه مما كان يظنه خيراً، فلا مانع منه كما لو تفضل عليه ابتداءاً من غير عمل، وكما تفضل على العاجز بثواب ما كان يعمل وهو قادر، فإذا جاز أن يكتب له ثواب ما لم يعمل البتة جاز أن يكتب ثواب ما عمله غير موفى الشروط).
واستدل غيره بأن من آمن من أهل الكتاب يؤتى أجره مرتين كما دل عليه القرآن و الحديث الصحيح، وهو لو مات على إيمانه الأول لم ينفعه شيء من عمله الصالح، بل يكون هباءاً منثوراً، فدل على أن ثواب عمله الأول يكتب له مضافاً إلى عمله الثاني، وبقوله صلى الله عليه وسلم لما سألته عائشة عن ابن جدعان وما كان يصنعه من الخير: هل ينفعه؟ فقال: «إنه لم يقل يوماً رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين»، فدل على أنه لو قالها بعد أن أسلم نفعه ما عمله في الكفر) .
قلت: وهذا هو الصواب الذي لا يجوز القول بخلافه لتضافر الأحاديث على ذلك؛
ولهذا قال السندي في حاشيته على النسائي: (وهذا الحديث يدل على أن حسنات الكافر موقوفة؛ إن أسلم تقبل وإلا ترد .
وعلى هذا فنحو قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾، محمول على من مات على

الكفر، والظاهر أنه لا دليل على خلافه، وفضل الله أوسع من هذا وأكثر فلا استبعاد فيه، وحديث: «الإيمان يجب ما قبله»، من الخطايا في السيئات لا في الحسنات).

قلت: ومثل الآية التي ذكرها السندي - رحمه الله - سائر الآيات الواردة في إحباط العمل بالشرك كقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ فإنها كلها محمولة على من مات مشركاً، ومن الدليل على ذلك قوله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ويترتب على ذلك مسألة فقهية وهي أن المسلم إذا حج ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام لم يحبط حجه، ولم يجب عليه إعادته، وهو مذهب الإمام الشافعي، وأحد قولي الليث بن سعد، واختاره ابن حزم، وانتصر له بكلام جيد متين، أرى أنه لابد من ذكره، قال - رحمه الله تعالى -: (7/277): (مسألة من حج واعتمر، ثم ارتد، ثم هداه الله - تعالى - واستنقذه من النار فأسلم فليس عليه أن يعيد الحج ولا العمرة، وهو قول الشافعي، وأحد قولي الليث، وقال أبو حنيفة، ومالك وأبو سليمان: يعيد الحج والعمرة، واحتجوا بقول الله - تعالى -: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ما نعلم لهم حجة غيرها، ولا حجة لهم فيها؛ لأن الله - تعالى - لم يقل فيها: لئن أشركت ليحبطن عملك الذي عملت قبل أن تشرك، وهذه زيادة على الله لا تجوز، وإنما أخبر - تعالى - أنه يحبط عمله بعد الشرك إذا مات - أيضاً - على شركه، لا إذا أسلم، وهذا حق بلا شك, و لو حج

مشرك أو اعتمر أو صـلى أو صـام أو زكى لم يجـزه شيء من ذلك عن الواجب، وأيضاً فإن قوله - تعـالى - فيها: ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، بيان أن المرتـد إذا رجـع إلى الإسـلام لم يحبـط مـا عمـل قبـل إسـلامه أصلاً، بل هو مكتوب له ومجازى عليه بالجنـة؛ لأنـه لا خلاف بين أحد من الأمة في أن المرتـد إذا رجـع إلى الإسـلام ليس من الخاسـرين, بـل من المـربحين المفلحين الفائزين، فصح أن الـذي يحبـط عملـه هـو الميت على كفره، مرتداً أو غير مرتـد، وهـذا هـو من الخاسرين بلا شك، لا من أسـلم بعـد كفـره أو راجـع الإسلام بعد ردته، وقال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ﴾، فصح نص قولنـا: من أنـه لا يحبـط عملـه إن ارتـد إلا بأن يموت وهو كافر، ووجـدنا اللـه - تعـالى - يقـول: ﴿أَنِّي لا أُضِـيعُ عَمَـلَ عَامِـلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَى﴾، وقال - تعالى -: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْـرًا يَـرَهُ﴾، وهذا عموم لا يجوز تخصيصه، فصح أن حجه وعمرته إذا راجع الإسلام سيراهما، ولا يضيعان له).

وروينا من طرق كالشمس عن الزهري وعن هشام بن عروة المعنى كلاهما عن عروة
بن الزبير أن حكيم بن حزام أخبره أنه قال لرسول الله عليه السلام: أي رسول
الله أرأيت أموراً كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم،
أفيها أجر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسلمت على ما أسلفت من خير».

قال ابن حزم: (فصح أن المرتد إذا أسلم، والكافر الذي لم يكن أسلم قط إذا
أسلما، فقد أسلما على ما أسلفا من الخير، وقد كان المرتد إذ حج و هو مسلم

قد أدى ما أمر به وما كلف كما أمر به، فقد أسلم الآن عليه فهو له كما كان .
وأما الكافر يحج كالصابئين الذين يرون الحج إلى مكة في دينهم، فإن أسلم بعد
ذلك لم يجزه لأنه لم يؤده كما أمر الله - تعالى - به؛ لأن من فرض الحج و سائر
الشرائع كلها أن لا تؤدى إلا كما أمر بها رسول الله محمد بن عبد الله عليه
السلام في الدين الذي جاء به الذي لا يقبل الله - تعالى - ديناً غيره، وقال عليه
السلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».
والصابئ إنما حج كما أمره يوراسف أو هرمس فلا يجزئه.
ويلـزم من أسـقط حجـه بردتـه أن يسـقط إحصـانه وطلاقه الثلاث وبيعه وابتياعه
وعطاياه التي كانت في الإسلام، وهم لا يقولون بهذا، فظهر فساد قولهم،
وبالله - تعالى - نتأيد) .
وإذا تـــبين هـــذا فلا منافـــاة بينـــه و بين الحـــديث المتقدم..:أن الكافر يثاب على حسناته مـا عمـل بهـا لله في الدنيا؛ لأن المراد بـه الكـافر الـذي سـبق في علم اللـه أنـه يمـوت كـافراً بـدليل قولـه في آخـره: «حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجـزى بها»، وأما الكافر الذي سبق في علم الله أنـه يسـلم و يموت مؤمناً فهو يجازى على حسناته الـتي عملهـا حالـــة كفـــره في الآخـــرة، كمـــا أفادتـــه الأحـــاديث المتقدمة، ومنها حـديث حكيم بن حـزام الـذي أورده ابن حزم في كلامه المتقدم، وصححه و لم يعزه لأحد من المؤلفين، وقد أخرجه البخاري ومسـلم..,ومنهـا حديث عائشـة في ابن جـدعان الـذي ذكـره الحافـظ

غير معزو لأحد، فأنا أسوقه الآن و أخرجه وهو: «لا يا عائشة، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»"، وخرجه من صحيح مسلم وغيره، وخرجه وصححه من طرق أخرى، ثم قال: "وفي الحديث دلالة ظاهرة على أن الكافر إذا أسلم نفعه عمله الصالح في الجاهلية بخلاف ما إذا مات على كفره فإنه لا ينفعه، بل يحبط بكفره، و قد سبق بسط الكلام في هذا في الحديث الذي قبله.

وفيه دليل - أيضاً - على أن أهل الجاهلية الذين ماتوا قبل البعثة المحمدية ليسوا من أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة رسول؛ إذ لو كانوا كذلك لم يستحق ابن جدعان العذاب ولما حبط عمله الصالح، وفي هذا أحاديث أخرى كثيرة سبق أن ذكرنا بعضها".

وقال الرومي (في: م/53): "قال (في النهاية: 1/7 6) قال الأزهري: استأنفت الشيء إذا ابتدأته, فمعنى كلام الشيخ أنه يبدأ العمل من جديد, وأن عمله السابق للردة قد حبط ولا يحتسب له ثوابه, وهذا قول؛ ولكن الصحيح أنه إذا تاب المرتد من ردته أن عمله لا يحبط بل يعود إليه ثوابه, قال الإمام ابن قيم الجوزيه - رحمه الله - (في الوابل الصيب) بعد كلام له: (والمسألة مبنية على أصل, وهو: أن الردة هل تحبط العمل بمجردها, أو لا يحبطه إلا الموت عليها؟ فيه للعلماء قولان مشهوران وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي الله عنه؛ فإن قلنا تحبط العمل بنفسها؛ فمتى أسلم استأنف العمل بطل ما كان قد عمل قبل الإسلام, وإن قلنا لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتداً فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله, هكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل

سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة؛ هل يعـود إليـه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟ يخرج على هذا الأصـل, ولم يــزل في نفســي من هــذه المســألة ولم أزل حريصـاً على الصـواب فيهـا, ومـا رأيت أحـداً أشـفى فيهــا, والــذي يظهــر, واللــه - تعــالى - أعلم وبــه المستعان, ولا قوة إلا بـه, أن الحسـنات أو السـيئات تتـدافع أو تتقابـل, ويكـون الحكم فيهـا للغـالب وهـو يقهر المغلوب, ويكون الحكم له؛ حتى كأن المغلـوب لم يكن, فـــإذا غلبت على العبـــد الحســـنات دفعت حسناته الكثيرة سيئاته ومتى تاب من السـيئة تـرتب على توبته منها حسنات كثـيرة قـد تـربي وتزيـد على الحسـنة الـتي حبطت بالسـيئة؛ فـإذا عـزمت التوبـة وصحت ونشأت من صميم القلب أحـرقت مـا مـرت عليه من السيئات؛ حتى كأنها لم تكن؛ فإن: «التـائب من الــذنب كمن لا ذنب له», وقــد ســأل حكيم ابن حزام رضي الله - تعالى - عنه, النبي صلى الله عليه وسلم عتاقه وصلة وبر فعلـه في الشـرك هـل يثـاب عليه؟ فقال النبي صلى الله عليـه وسـلم: «أسـلمت على ما أسلفت من خير», فهذا يقتضـي أن الإسـلام عدى عليه ثـواب تلـك الحسـنات الـتي كـانت باطلـة بالشــرك؛ فلمــا تــاب من الشــرك عــاد إليــه ثــواب حسناته المتقدمة, فهكذا إذا تاب العبـد توبـة نصـوحاً صادقة خالصة أحـرقت مـا كـان قبلهـا من السـيئات, وأعادت إليه ثواب حسناته.

يوضح هذا أن السيئات والـذنوب هي أمـراض قلبيـة كما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنيـة, والمـريض إذا

عوفي من مرضه عافية تامة عادة إليه قوته, وأفضل منها حتى لم يضعف قط, فالقوة متقدمة بمنزلة الحسنات, والمرض بمنزلة الذنوب, والصحة والعافية بمنزلة التوبة؛ وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبداً؛ لضعف عافيته, ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها, وعود البدن إلى كماله الأول, ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض؛ حتى ربما كان مرضه هذا سبباً لعافيته, كما قال الشاعر:

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث, والله الموفق, لا إله غيره ولا رب سواه) انتهى كلام ابن القيم.

وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العليمة والإفتاء فتوى حول الردة برئاسةسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وعضوية الشيخ عبد الرزاقعفيفي،والشيخ عبد

الله بن غديان والشيخ عبد الله بن قعود, وتتضمن فقرات متفرقة عنها, ونشرت في كتاب ومما جاء فيها: "ليس على المرتد إذا رجع إلى الإسلام أن يقضي ما ترك في حال الردة من صلاة وصوم وزكاة..إلخ, وما عمله في إسلامه قبل الردة من الأعمال الصالحة لم يبطل بالردة إذا رجع إلى

الإسلام؛ لأن الله - سبحانه - علـق ذلـك بموتـه على الكفر, كما قال - عز وجل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَـاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾، وقال - سبحانه -: ﴿وَمَنْ يَرْتَـدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِـهِ فَيَمُتْ وَهُـوَ كَـافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾..".

وقال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (في/ فتاوى نور على الدرب: 1/386): " والعبد متى تاب إلى الله، ورجع عن شركه وباطله، فـإن أعمالـه الصالحة تبقى له، ولا تبطـل إلا إذا مـات على الكفـر بالله - سبحانه وتعالى -، ولهذا لما أسـلم حكيم ابن حزام، وذكر رضي اللـه عنـه للنـبي صـلى اللـه عليـه وسلم أنـه سـبق منـه عتاقـة في الجاهليـة، وصـدقة، فقال له النبي صلالله عليه وسلم: «أسلمت على مـا أسلفت من خير»[1].

والله - سبحانه - قال عن الكفار إنما أعمالهم تحبـط إذا مـاتوا على الكفـر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا وَمَـاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَـــــةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَـــــةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وقال - سـبحانه -: ﴿وَمَنْ يَرْتَـدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِـهِ فَيَمُتْ وَهُـوَ كَـافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، فقُيّد في من مات وهـو كـافر، فـدل ذلـــك على أن من لم يمت كـــافراً، بـــل مـــات على الإسـلام فـإن أعمالـه الصـالحة تبقى لـه ولا تفـوت عليه".

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

وإذا تأملنــا كلام ابن القيم, وفتــوى اللجنــة الدائمــة للإفتاء..، وفتوى الشيخ ابن بـاز حـول هـذا الموضـوع يظهر لنا القول الصحيح الذي يؤيده الـدليل, وهـو أن العمل لا يبطل بالردة إلا إذا مات عليـه المرتـد وأمـا إذا رجع وتاب فلا يبطل عمله, والله أعلم".

ويضاف إلى تأمل الرومي - فيما نقله - ما نقلناه من التحقيــق في المســألة عن الطــبري، والقرطــبي، والشوكاني، والشنقيطي،والسعدي، والعثيمين.

وما نقلناه عن الشيخ ناصر الدين وما حققه: عن كون العمل لا يحبط إن مات على الإسلام، وأن النووي جزم أنه الصواب الذي عليه المحققون، بل نقل بعضهم فيه الإجماع، وضعف - النووي - ما عداه، ثم قال ناصر الدين الألباني: "وهذا قوي, وقد جزم بما جزم به النووي: إبراهيم الحربي وابن بطال وغيرهما من القدماء.
والقرطبي وابن المنير من المتأخرين"، وقد نقلنا كلام القرطبي - وأشرنا إليه فيما سبق -.
وفي ختام هذا التحقيق العلمي المبـارك أقـول: وهـا قد أشفينا في هذه المسألة العظيمة وحققنا ما طلبه الإمام بن القيم - رحمه الله - بقوله - فيما نقلنـاه -: "مـا رأيت أحـداً أشـفى فيهـا"، وقـد أدرجنـا كلامـه واجتهاده ضمن ذلك أجزل الله لـه المثوبـة - آمين -، ولله وحده الحمد والمنة على توفيقه.

الموضع السابع والستون.

قوله: "الكفر الجحود لله.." بهذا الإطلاق والحصر غير صحيح، بل هو باطل وخلاف معتقد أهل السنة والجماعة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/286) عند قوله - تعالى - الآية: (90-91), في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾, في شرح الكلمات: "الكفر الجحود لله - تعالى - والتكذيب لرسوله وما جاء به من الدين والشرع"، وفي هداية الآيتين: "سنة الله فيمن توغل في الكفر أو الظلم أو الفسق وبلغ حداً بعيداً أنه لا يتوب"

قلت: قوله: "الكفر الجحود لله.." بهذا الإطلاق والحصر غير صحيح فلابد من التفصيل، وإن كان من المفسرين أهل المعتقد السليم من يجمل، وهم أهل لحسن الظن، ومثل الجزائري المغموص في عقيدته لا يحسن به الظن خصوصاً وأنه يدعي أنه من أهل السنة فينخدع الناس بما يقوله ويظنون أنه حق، وعليه فلا بد من البيان.

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -: "من مات على الاعتقاد بأن محمداً ليس ببشر: أي: ليس من بني آدم، أو يعتقد أنه يعلم الغيب، **فهذا اعتقاد كفري يعتبر صاحبه كافر كفراً أكبر**، وهكذا إذا كان يدعوه، ويستغيث به، أو ينذر له أو لغيره من الأنبياء والصالحين أو الجن أو الملائكة أو الأصنام؛ لأن هذا من جنس عمل المشركين الأولين، كأبي جهل وأشباهه، وهو شرك أكبر، ويسمي بعض الناس هذا النوع من الشرك

توسلاً، وهو غير الشرك الأكبر.."، [أي: ويقولون أو يزعمون أنه غير الشرك الأكبر].

وقد رد الشيخ على حصر الكفر بالجحود فقال (كما في مجموع فتاواه: 2/83): في تعليقه على عقيدة الطحاوي، تعليقاً على قوله: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه): "هذا الحصر فيه نظر؛ فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، فإن كان ينطق بهما دخل الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود؛ لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك طعنه في الإسلام أو في النبي صلى الله عليه وسلم أو استهزاؤه بالله ورسوله أو بكتابه أو بشيء من شرعه، لقوله - سبحانه -: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله؛ لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئاً لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله ولم يحقق قول لا إله إلا الله، وهذه المسائل **كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم**، وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها

المسلم، وهي لا تسمى جحوداً، وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد".

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن (في مصباح الظلام ص: 502): "قال الخطابي (في الغريب): الكفر على أربعة أنحاء: كفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق، وكفر إعراض، ومثّل للأول: بكفر فرعون وأمثاله، والثاني: بكفر إبليس ممن اعترف وعاد، والثالث: بكفر النفاق، والرابع: بكفر المعرضين عن الإسلام والعمل به، لغرض غير العناد، وقرر مثله شمس الدين ابن القيم".

وما أشار إليــه من كلام ابن القيم في تقســيم الكفــر الأكــبر، فــ (في مــدارج الســالكين: 1/337): "وأمــا الكفــر الأكــبر فخمســة أنــواع: كفــر تكــذيب، وكفــر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك وكفر نفاق"، ثم شرحها، فــزاد ابن القيم على النقــل الســابق: (كفــر الشــك)، وكفــر الجحــود هــو كفــر التكذيب. وليراجع كتابي: (سواطع البرهان..).

وقولــه: "ســنة اللــه فيمن توغــل في الكفــر..أنــه لا يتوب"، افتراء على الله وجرأة وتزويــر فليســت تلــك سنته، بل سنته - سبحانه وتعالى - فتح بابــه للتــائبين فقد جاء في الحديث الــذي رواه مســلم في صــحيحه عن أبى موسى الأشعري عن النبي صــلى اللــه عليــه وسلم أنه قــال: «إن اللــه - عــز وجــل - يبســط يــده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلــع الشــمس من مغربها»، ولم يجعل لما يتاب منه أحداً.

وفي الحديث الآخر الذي رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر مراحل تخليق الإنسان في رحم أمه ونفخ الروح فيه، قال: «فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها»، وهذا الحديث فيه وصف العبد بالإيغال بعمل أهل النار؛ فيتوب فيتوب الله عليه فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها

وسنته - سبحانه وتعالى - أنه يفرح أشد الفرح بتوبة عبده كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «لَلَّه أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها»، رواه مسلم عن أبي هريرة، وفي روايات أخر عنده أوسع وأكثر بسطاً من هذا اللفظ.

والله - جل ذكره - بعد أن ذكر عظائم من الذنوب: الشرك بالله، وقتل النفس، والزنى، قال - كما سورة الفرقان -: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، وما حد حداً للتوبة.

وفي كلام المؤلف تقنيط من رحمة الله، والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، ولم يستثن أحداً من المذنبين، بل ولا المسرفين والموغلين في الذنوب، ونص على غفرانها كلها لهم، ومعلوم أن الكفر لا يغفر إلا بالتوبة، وهو قد خلط بين الكفر والظلم والفسق، والظلم والفسق قد يكون دون

الكفر فيغفر بالتوبة أو برحمة الله، أما الكفر أو الشرك فلا يغفر إلا بالتوبة، والله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾،
بل في الآية الثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، فقد قيد عدم قبول توبة الكافر وعمله إن مات على كفره، أما إن لم يمت عليه فلا، وقد بينا المسألة أتم بيان في الموضع الذي قبله، أي: (**السادس والستون**).

الموضع الثامن والستون.

قوله: "الموت خير للعبد من الحياة"!!، غير صحيح؛ لأنه مخالف للدليل من السنة:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 1/347) عند قوله - تعالى - الآية: (178), في سورة آل عمران: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾, في هداية الآيات: "الموت خير للعبد من الحياة؛ لأنه إن كان صالحاً فالآخرة خير له من الدنيا، وإن كان غير ذلك حتى لا يزداد إثماً فيوبق بكثرة ذنوبه".

قلت: ما ذهب إليه المؤلف وما علل به بعقله غير صحيح؛ لأنه بمنأى عن السنة وما عليه أهل الاتباع، وهذا منهجه وطريقته في تقريراته وما يذهب إليه، خلاف تحقيق أهل العلم والتزامهم بالحق، وطريقته طريقة أهل الجهل والبدعة.

قال الرومي (في: م/35): "إطلاق القول بأن الموت خير للعبد من الحياة غير مقبول؛ بل قد ورد

في السنة ما يـدل على أن الحيـاة خـير من المـوت سـواء كـان العبـد محسـناً أو مسـيئاً، ففي صـحيح البخاري:(10/127) عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه قال قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «لن يـدخل أحـداً منكم عملـه الجنة»، قـالوا: ولا أنت يـا رسول اللـه، قـال: «لا، ولا أنـا, إلا أن يتغمـدني اللـه بفضل ورحمة، فسـددوا وقـاربوا، ولا يتمـنين أحـدكم الموت؛ إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسـيئاً فلعله أن يستعتب».

وقال الحافـظ ابن حجـر العسـقلاني - رحمـه اللـه - (في الفتح: 10/130): (وفيه إشـارة إلى أن المعـني في النهي عن تمني الموت والدعاء بـه، هـو انقطـاع العمـل بـالموت؛ فـإن الحيـاة يتسـبب منهـا العمـل، والعمـل يحصـل بـه زيـادة الثـواب، ولـو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال.

ولا يرد على هذا أنه يجـوز أن يقـع الارتـداد - والعيـاذ بالله تعالى - عن الإيمان؛ لأن ذلك نادر، والإيمان بعد أن تخالـط بشاشـته القلـوب لا يسـخطه أحـد، وعلى تقدير وقوع ذلك - وقد وقع نادراً - فمن سبق له في علم الله سوء الخاتمة فلابد من وقوعها طـال عمـره أو قصر).

وقد ورد في صحيح مسلم: (8/17، مـع النـووي) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم: «لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع بــه من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عملـه، وإنـه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً».

قلت: يتضح من هذه الأحـاديث مـع كلام الحافـظ ابن حجر - رحمه الله - عليها عدم سـلامة إطلاق القــول بـأن المـوت خـير من الحيـاة، بـل دلت السـنة على عكس هذا، وهو أن الحياة خير من المـوت للمـؤمن، والعلـة في ذلـك هـو مـا ورد في حـديث أبي هريـرة الثابت في صـحيح البخـاري من قولـه: «إمـا محسـناً فلعلـه أن يـزداد خـيراً، وإمـا مسـيئاً - فكمـا ورد في الحديث المتقدم - فلعله أن يستعتب» أي: يرجع عن مـوجب العتب عليـه، (كمـا في فتح البـاري: 10/13 0)".

قلت: ملحوظــة وتنبيــه: قــول الحافــظ ابن حجــر: "العمــل يحصــل بــه زيــادة الثــواب، ولــو لم يكن إلا اسـتمرار التوحيـد فهـو أفضـل الأعمـال" فيـه قصـر العمل على الزيادة في الثواب، وأن التوحيد والإيمان يبقى ويبقى فضله بدونه، وهذه عقيدة المرجئة - كما هي عقيدته -، والعمل عند أهل السنة والجماعة جزء من الإيمـان وركن فيـه خلاف المرجئـة، وأن الإيمـان والتوحيــد لا يبقى بدونــه، وتــارك العمــل جميعــه - عندهم - كافر ليس مؤمناً ولا موحداً.

والرومي - رحمه الله - لم يتنبه إلى ذلك.

وقد بينت إرجاء ابن حجر - رحمـه اللـه - في كتـابي (سواطع البرهان في ضوابط أهل السنة في الإرجاء و الإيمان).

الموضع التاسع والستون.

حصره بدء الخلق وإعادته في الإنسان والحيوان!!، وذلك غير صحيح:

فقد قال الجزائري (في تفسيره: 2/277) عند قوله - تعالى - الآية: (34), في سورة يونس: قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ" :مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ، أي: ينشئ الإنسان، والحيوان أول ما ينشئه؛ فذلك بدء خلقه".

قلت: قال الرومي (في: م/71): "حصر الخلق المشار إليه بالآية بخلق الإنسان والحيوان فيه نظر، فالآية على إطلاقها؛ فالمراد بها عموم الخلق من إنسان أو حيوان أو نبات أو جن أو ملائكة أو شياطين، ومن ساكن، أو متحرك، أو غيرها مما يصدق عليه اسم المخلوق.

قال الإمام ابن جرير الطبري (في تفسيره: 11/115): (يقول - تعالى - ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هل من شركائكم، يعني من الآلهة والأوثان: مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، يقول: من ينشئ خلق شيء من غير أصل لا يقدرون على دعوى ذلك لها، وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أرباب وهي لله في العبادة شركاء كذابون مفترون؛ فـ:قُلْ لهم حينئذ يا محمد: اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، فينشئه من غير شيء، ويحدثه من غير أصل ثم يفنيه إذا شاء: ثُمَّ يُعِيدُهُ، إذا أراد كهيئته قبل الفناء:

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، يقول: فأي وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تُصرفون وتُقلبون؟!).

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - (في تفسيره: 2/ 417): (﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، أي: من يبدأ خلق هذه السماوات والأرض ثم ينشئ ما فيها من الخلائق، ويفرق أجرام السماوات والأرض ويبدلها بفناء ما فيها، ثم يعيده خلقاً جديداً: ﴿قُلْ اللَّهُ﴾، هو الذي يفعل هذا ويستقل به وحده لا شريك له: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، أي: فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (في تفسيره: 3/ 351): (يقول - تعالى - مبيناً عجز آلهة المشركين، وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، أي: يبتديه: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، من غير مشارك ولا معاون له على ذلك: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، أي: تصرفون وتنحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء والإعادة إلى عبادة من لايخلق شيئاً وهم يخلقون).

قلت: تبين أن الخلق المنفي عن الشركاء هو خلق مطلق، وليس هو خلق الإنسان والحيوان فحسب؛ بل يصدق على كل ما يسمى خلقاً كائناً ما كان، كما تقدم نقل كلام المفسرين حول هذا الأمر، ولعل في

حصـر الخلـق بخلـق الإنسـان والحيـوان تركـاً لبعض دلالة الآيـة، الـتي وردت عامـة ونافيـة أي شـيء من الخلق دق أو جـل عن تلـك الأصـنام والأوثـان. فاللـه أعلم".

الفصل السابع عشر.

كنت اعتمـدت - فيمـا تقـدم - الطبعـة الأولى: 1407هـ

وقـد حشَّـى المؤلـف على الطبعـة الثالثـة:1410هـ بحاشية وسـماها: "نهـر الخـير"، وهـذا الآتي تعليـق - ملحق - على بعض ما في الحاشية:

الموضـــــع السبعون.

تـرك المبـاح أو فعلـه في شـريعتنا بالاختيـار، وبـدون تحريم أو كراهة أو إيجاب أو استحباب، ولكنـه خـالف ذلك، فقال: "إن تركه لله تقربـاً إليـه وتوسـلاً لقضـاء حاجته، كشفاء من مرض مثلاً"؟!!:

فقد قـال الجزائـري (في حاشـية تفسـيره: 1/348)، عنــد قولــه - تعــالى - الآيــة: (93)، في ســورة آل عمران:﴿ كُـلُّ الطَّعَـامِ كَـانَ حِلا لِبَنِي إِسْـرَائِيلَ إِلا مَـا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾، الآية: "للعبـد أن يـترك مباحـاً مـتى شـاء؛ لاسـيما إن تركه لله تقرباً إليه وتوسلاً لقضاء حاجته، كشـفاء من مرض مثلاً"؟!!.

قلت: تـرك المبـاح أو فعلـه في شـريعتنا بالاختيـار، وبدون تحريم أو كراهـة أو إيجـاب أو اسـتحباب؛ لكن الرجـل ذهب إلى طريقـة النصـارى بـالتقرب بمـا لم يشرعه الله، الذي جاءت شـريعتنا بخلافـه؛ فشـريعة من قبلنا شريعة لنا إلا ما كان منها مخالفاً لشـريعتنا، وهذا الذي قـرره مخـالف لشـريعتنا؛ فهـو ليس منهـا بالإجماع، وهو رهبانية النصـارى الـتي ابتـدعوها، ولم يكتبهـا اللـه عليهم، ومـا ابتـدعناها نحن ولم يكتبهـا علينا، وقد قال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم: «لارهبانية في الإسلام».

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة - رحمـه اللـه - (في اقتضـاء الصـراط المسـتقيم: 1/169، والجـواب الصحيح: 2/436): "مذهب جمـاهير السـلف والأئمـة أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه" ثم شرح ذلك وبينه أتم بيان، فليرجع إليه.

فقولـه - في تـرك المبـاح -: "إن تركـه للـه تقربـاً وتوسلاً لقضاء حاجته.."!!، هو مـا كـان في النصـارى سواء بسواء، والأخذ به رغبة عن السـنة في شـريعة الإسلام، والتعبد بما كان منسوخاً في ديننا، ومن ترك مباحاً تعبداً وتقرباً ارتكب محرمـاً، وهـو كالـذي تـرك جميع المباحات، وكذا من كرهه أو أوجبه أو استحبه.

قال ابن تيميـة - أيضـاً - (كمـا في مجمـوع الفتـاوى: 22/134): "وأما الامتناع من فعل المباحات مطلقـاً كالذي يمتنع من أكـل اللحم، وأكـل الخـبز، أو شـرب الماء، أو لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف،

ويمتنع من نكاح النساء، **ويظن أن هذا من الزهد المستحب فهذا جاهل ضال من جنس زهاد النصارى،** قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، نزلت هذه الآية بسبب أن جماعة من الصحابة كانوا قد عزموا على ترك أكل الطيبات كاللحم ونحوه وترك النكاح.

وفى الصحيحين عن أنس أن النبي قال: «ما بال رجال يقول أحدهم أما أنا فأصوم ولا أفطر ويقول الآخر أما أنا فأقوم ولا أنام ويقول الآخر أما أنا فلا آكل اللحم لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1]، وفى صحيح البخاري: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال: «ما هذا» قالوا هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي: «مروه أن يستظل وأن يتكلم وأن يجلس ويتم صومه».

وقد قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾، فأمر بالأكل من الطيبات والشكر له، والطيب هو ما ينفع الإنسان، وحرم الخبائث وهو ما يضره، وأمر بشكره، وهو العمل بطاعته بفعل المأمور وترك المحذور..، ومن حرم الطيبات التي أحلها الله من الطعام واللباس والنكاح وغير ذلك، واعتقد أن ترك

---

[1]() ولفظ الحديث في البخاري قد تقدم ببعض اختلاف، وفي مسلم نحو من ما في البخاري، وروايته له وما بعده بالمعنى..

ذلك مطلقاً هو أفضل من فعله لمن يستعين به على طاعة الله **كان معتدياً معاقباً على تحريمه ما أحل الله ورسوله، وعلى تعبده لله - تعالى - بالرهبانية، ورغبته عن سنة رسول الله**، وعلى ما فرط فيه من الواجبات وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب..، **ومن امتنع عن نوع من الأنواع التي أباحها الله على وجه التقرب بتركها فهو مخطئ ضال**، ومن تناول ما أباحه الله من الطعام واللباس مظهراً لنعمة الله مستعيناً على طاعة الله كان مثاباً على ذلك".

وقال (في: 22/312): "**وقوم يحرمون الطيبات ويبتدعون رهبانية لم يشرعها الله - تعالى - ولا رهبانية في الإسلام**، وقد قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾»".

وقال أبو إسحاق الشاطبي (في الموافقات - كتاب الأحكام - الجزء الأول): "المباح من حيث هو مباح لا يكون مطلوب الفعل ولا مطلوب الاجتناب، أما كونه ليس بمطلوب الاجتناب فلأمور:

أحدها: أن المباح عند الشـارع هـو المخـير فيـه بين الفعل والترك من غير مدح ولا ذم، لا على الفعل ولا على الترك، فإذا تحقق الاستواء شـرعاً والتخيـير، لم يتصور أن يكون التارك به مطيعاً، لعدم تعلق الطلب بالترك؛ فإن الطاعة لا تكون إلا مع الطلب، ولا طلب فلا طاعة.

والثاني: أن المبـاح مسـاوٍ للـواجب والمنـدوب، في أن كـل واحـد منهمـا غـير مطلـوب الـترك، فكمـا يستحيل أن يكـون تـارك الـواجب والمنـدوب مطيعـاً بتركه شرعاً؛ لكون الشـارع لم يطلب الـترك فيهمـا، كذلك يستحيل أن يكون تارك المباح مطيعاً شرعاً، لا يقال: إن الواجب والمنـدوب يفارقـان المبـاح بأنهمـا مطلوبـا الفعـل؛ فقـد قـام المعـارض لطلب الـترك، وليس المبـاح كـذلك؛ فإنـه لا معـارض لطلب الـترك فيـه؛ لأنـا نقـول: كـذلك المبـاح فيـه معـارض لطلب الترك وهو التخيير في الـترك، فيسـتحيل الجمـع بين طلب الترك عيناً، وبين التخيير فيه.

والثـالث: أنـه إذا تقـرر اسـتواء الفعـل والـترك في المباح شرعاً فلو جاز أن يكون تـارك المبـاح مطيعـاً بتركه جاز أن يكون فاعله مطيعاً بفعله من حيث كانا مستويين بالنسبة إليه، وهذا غـير صـحيح باتفـاق، ولا معقول في نفسه.

والرابع: إجماع المسلمين على أن ناذر ترك المباح لا يلزمه الوفاء بنذره بأن يترك ذلك المباح وأنه كنذر فعله وفى الحديث: «من نذر أن يطيع اللـه فليطعه» رواه الستة إلا مسلم، فلـو كـان تـرك المبـاح طاعـة

للـزم بالنـذر، لكنـه غـير لازم فـدل على أنـه ليس بطاعة، وفى الحديث: أن رجلاً نـذر أن يصـوم قائمـاً ولا يستظل فأمره رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يجلس وأن يسـتظل ويتم صـومه، رواه البخـاري، قال مالـك: أمـره عليـه السـلام أن يتم مـا كـان للـه طاعة، ويترك ما كان للـه معصـية، فجعـل نـذر تـرك المباح معصية كما ترى.

والخامس: أنه لـو كـان تـارك المبـاح مطيعـاً بتركـه وقد فرضنا أن تركه وفعله عند الشـارع سـواء لكـان أرفع درجة في الآخرة ممن فعله، وهذا باطل قطعـاً؛ فإن القاعدة المتفق عليهـا أن الـدرجات في الآخـرة منزَّلـة على أمـور الـدنيا، فـإذا تحقـق الاسـتواء في جميع الطاعات؛ تحقق الاستواء في الدرجات, وفعـل المبـاح وتركـه في نظـر الشـارع متسـاويان, فيلـزم تساوى درجتي الفاعل والتـارك إذا فرضـنا تسـاويهما في الطاعـات, والفـرض أن التـارك مطيـع دون الفاعل؛ فيلزم أن يكون أرفع درجـة منـه، هـذا خلـف ومخالف لما جاءت به الشريعة..

والسادس: أنه لـو كـان تـرك المبـاح طاعـة؛ للـزم رفع المباح من أحكام الشـرع، من حيث النظـر إليـه في نفسه, وهو باطل بالإجماع...

والسابع: أن الترك عند المحققين فعل من الأفعـال الداخلة تحت الاختيار فترك المباح إذاً فعل مباح.

وأيضاً القاعـدة أن الأحكـام إنمـا تتعلـق بالأفعـال أو بالتروك بالمقاصد، وذلك يسـتلزم رجـوع الـترك إلى الاختيـار كالفعـل, فـإن جـاز أن يكـون تـارك المبـاح

مطيعاً بنفس الترك, جاز أن يكون فاعله مطيعاً, وذلك تناقض محال" انتهى.

وقل في الاعتصام (1/27): "الباب الأول في تعريف البدع وبيان معناها وما اشتق منه لفظاً:

وأصل مادة (بدع) للاختراع على غير مثال سابق ومنه: قول الله - تعالى -: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، أي: مخترعها من غير مثال سابق متقدم، وقوله - تعالى-: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ﴾، أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل.

ويقال: (ابتدع فلان بدعة) يعني: ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق، وهذا (أمر بديع)، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن، فكأنه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه.

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى (العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة)، فمن هذا المعنى سمي (العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة)، وهو إطلاق أخص منه في اللغة حسبما يذكر بحول الله.

ثبت في علم الأصول: أن الأحكام المتعلقة بأفعال العباد وأقوالهم ثلاثة: **حكم** يقتضيه معنى الأمر، كان للإيجاب أو الندب.

و**حكم** يقتضيه معنى النهي، كان للكراهة أو التحريم.

و**حكم** يقتضيه معنى التخيير، وهو الإباحة: فأفعال العباد وأقوالهم لا تعدو هذه **الأقسام الثلاثة**: مطلوب فعله، ومطلوب تركة، ومأذون في فعله، وتركه، والمطلوب تركه لم يطلب تركه إلا لكونه مخالفاً للقسمين الأخيرين، لكنه على **ضربين**:

أحدهما: أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفة خاصة مع مجرد النظر عن غير ذلك، وهو إن كان محرماً سمي فعلاً معصية وإثماً، وسمي فاعله عاصياً وآثماً، وإلا لم يسم بذلك ودخل في حكم العفو حسبما هو مبين في غير هذا الموضع، و**لا يسمى بحسب الفعل جائزاً ولا مباحاً لأن الجمع بين الجواز والنهي جمع بين متنافيين**

والثاني: أن يطلب تركه وينهى عنه؛ لكونه مخالفة لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات والتزام الهيئات المعينة أو الأزمنة المعينة مع الدوام ونحو ذلك.

وهذا هو (الابتداع والبدعة)، ويسمى فاعله مبتدعاً فالبدعة إذن: عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله - سبحانه - وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات..."

وقال ابن حجر العسقلاني في: (العجاب في بيان الأسباب): "يؤخذ من قصة إسرائيل في تحريمه على نفسه أحب الطعام إليه وأحب الشراب إليه...أنه كان في شرعهم التقرب بترك بعض المباحات تحريماً فشرع الله - تعالى - لهذه الأمة أن يتقربوا إلى الله بالصدقة بما يحبون فيحصل التوافق في الترك, لكن كان أولئك إذا حرموه اقتصروا على عدم تناوله من غير أن يقترن بذلك بذله لغيرهم, فيحصل لهم ثواب ذلك الإنفاق مضافاً إلى التورع عن تناول ذلك، ومن هنا يظهر أن مجرد ترك المباح لا يستقل بالاستحباب".

وهذا الموضع من تخريف الرجـل يشـبه (**الموضع الحـادي والثلاثـون**) المتقـدم في أمـره بالأخـذ بالعزائم وترك الرخص، وقد تقدم كلامنا فيه هناك.

الموضع الحادي والسبعون.

مخالفته لأهـل السـنة والجماعـة في زيـادة الإيمـان ونقصانه، وتشكيكه في إجماعهم وأدلتهم:

فقـد قـال الجزائـري (في حاشـية تفسـيره: 1/411) عنـد قولـه - تعـالى - الآيـة: (173)، في سـورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَـدْ جَمَعُـوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، الآية: "الذي زادهم إيماناً هـو قـول النـاس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾.

وهـل الإيمـان يزيـد وينقص؟ الخلاف قـديم في هـذه القضية[!!].

والقول الذي تشهد له نصوص الكتاب والسنة هو: أن الإيمان يقوى ويضعف؛ فإذا قـويَ زاد عمـل المـؤمن في الطاعات بفعـل الحسـنات وتـرك السـيئات، وإذا ضعف قل عمله الصالح وزاد عمله الطالح؛ فيسـتدل على الإيمـان قـوة وضـعفاً بمتعلقـه، وهـو الطاعـة والمعصية".

قلت: هـذا الكلام خطـير جـداً، بـل تضـليل وضـلال مبين، بل غاية في الخطورة، فهو **أولاً**:

بعد تساؤله عن زيادة الإيمـان ونقصـانه أجـاب بقـدم الخلاف في القضـية، ثم انسـل منهـا انسـلالاً وهـرب هروبـاً، وكـأن الأمـر لا يسـتأهل أو يسـتحق أن يؤبـه به؟!!, ومـا أوهمـه من خلاف ليس عنـد أهـل السـنة والجماعة, فأهـل السـنة لا خلاف بينهم في القضـية, بل هي محل إجماعهم القطعي، وإنمـا خـالفهم أهـل البـدع: الخـوارج والمعتزلـة، والقـائلون بعـدم زيادتـه ونقصانه من المرجئة؛ فمنهم من يقول بالزيـادة دون النقصان، فهم مجمعون عليه.

ثانياً: قوله: "القول الـذي تشـهد لـه النصـوص..إلخ" إيهام بـأن على مـا ادعـاه نصوصـاً من الشـرع، وهـو تخطئة لأهل السنة، وزعم منه أنهم خالفوا النصوص, بل كأنه ليس عندهم على عقيدتهم نصوص في زيادة الإيمان ونقصانه.

ثالثـاً: زعمـه أن الزيـادة والنقصـان في الإيمـان بمتعلقه وهـو الطاعـة والمعصـية، بقولـه: "فيسـتدل على الإيمـان قـوة وضـعفاً بمتعلقـه، وهـو الطاعـة والمعصية"، وهذا باطل؛ لأن الزيـادة والنقصـان عنـد أهـل السـنة والجماعـة في أصـل الإيمـان؛ فالإيمـان نفسه يتكـون من أجـزاء، والزيـادة والنقصـان تتعلـق بأجزائه, فيزداد إلى ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء, فعند أهل السنة والجماعة الإيمـان نفسـه يزيـد وينقص بالعمـل، أي:زيادتـه بالطاعـة ونقصـانه بالمعصـية، وليس قـوة وضـعفاً بمتعلقـه حـتى يبقى

بدون عمل، كما هو قول الجزائري، مهما بلغ ضـعفه، مادام أنه لا يزول بترك العمل، وهو مذهب المرجئة.

وقـول أهـل السـنة هـو الـذي عليـه نصـوص الكتـاب والسنة وإجماع علماء الأمة.

وقد فصلت القول في الإيمان وزيادته ونقصانه في كتابي (سواطع البرهان في ضوابط أهل السنة في الإرجاء والإيمان)، فليرجع إليه.

الموضع الثاني والسبعون.

فهم من قوله - تعالى -: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ الآيـتين، مـا يـدل على جهلـه وتخبطـه، وقـد كشـفناه وبيناه:

انظر إلى قوة استنباطه!! (في حاشية تفسيره: 1/210) عند قولـه - تعـالى - الآيتـان: (126-127)، في سورة البقرة:﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَـاءُوا فَـإِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيمٌ ﴿ وَإِنْ عَزَمُـوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: "ما السر في الأربعـة أشـهر؟ يبـدو أنهـا ثلث السـنة والثلث كثـير كمـا في حديث سعد في الوصية[1]"؟!!.

قلت: أولاً:

---

[1] في البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم..من وجع أشفيت منه على الموت فقلت: يا رسول الله بلغني ما ترى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا»، قلت أفأتصدق بشطره قال: «لا، الثلث والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس..»".

الأربعة أشهر هي ثلث السنة فهل لـ(يبدو) محل؟!، لم هذا التردد؟ الذي يدل على ألا تكون ثلث السنة!!.

وإن كان يحتمل أنه أراد تعلق حكمة في العدد، وهذا أشد غرابة؛ إذ لا حجة أو دليل على أن حكمةً تتعلق به، لا شرعاً ولا قدراً، بل قد تكون من مخرقات الصوفية أو الباطنية في الاعتقاد في الأعداد.

ثانياً: هل ثمة صلة بين الإيلاء والوصية بالثلث وبين كونه كثيراً أو قليلاً؟!!، إنه وما قبله لمن التكلف الذي لا تقبله العقول السوية.

هذا كلام له خبيء معناه ليس لنا عقول

ومن ذلك أنه قاس في موضع آخر خروج التبليغيين في خروجهم لدعوتهم أربعة أشهر على مدة الإيلاء فرد عليه العلامة حمود التويجري بقوله - في ما تقدم -: " **وقياس مدة الخروج عند التبليغيين بأربعة أشهر على مدة الإيلاء من أفسد القياس**.."

الموضع الثالث والسبعون.

جهل وتخبط - أيضاً -:

ومثل ما سبق من قياساته الفاسدة قوله (في حاشية تفسيره: 2/380) عند قوله -تعالى - الآية: (54), في سورة التوبة: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ

نَفَقَاتُهُمْ: "من مـات على الكفـر لا ينفعـه مـا عملـه في الدنيا من خير إلا أنه يخفف عنه العـذاب لحـديث أبي طالب، وأنـه في ضحضـاح من النـار يبلـغ كعبيـه يغلي منه دماغه".

قلت: فأي علاقة بين حديث أبي طالب الـذي يخصه وحده دون غـيره من الكـافرين لمعـنىً مفهـوم وهـو خدمته العظيمة لرسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم في حمايته وحياطته حين تبيلغ رسـالته؛ ففي صـحيح البخـاري عن العبـاس بن عبـد المطلب رضـي اللـه عنه: قال للنبي صلى الله عليه و سلم ما أغـنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قـال: «هـو في ضحضاح من نار ولـولا أنـا لكـان في الـدرك الأسـفل من النار»، وهو في صحيح البخـاري، ومسـلم بلفـظ: "هل نفعت أبا طالب بشـىء" الحـديث، وفي صـحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال: «أهون أهل النار عـذاباً أبـو طـالب وهـو منتعل بِنعلين يغلى منهما دماغه», وتقدم مزيد تعليق على هذا الموضع فليرجع إليه.
ثم إن الآية الكريمة في المنـافقين, والمنـافقون وإن كانوا أشد كفراً إلا أن الحديث لا علاقة له بالكافرين: منافقين أو غير منافقين سوى أبي طالب بالنص، ولا قياس مع وجود النص، و إنما الرجل يخرف بعيداً عن العلم وطريقة أهله.

وكما قال الشيخ سـعد الحصـين في نحـو هـذا - كمـا سبق -: إذا كان هذا هو العلم فما هو الجهل؟!!.

الموضـــع الرابـــع والسبعون.

استخفافه بالإمام البخاري، وكذبه عليه خمس كذبات!!:

فقد وقال الجزائري (في حاشية تفسيره: 4/409) عند قوله - تعالى - الآية: (51-52)، في سورة الصافات: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾، قال في شرح الكلمات: "﴿كَانَ لِي قَرِينٌ﴾، أي: كان لي صاحب ينكر البعث الآخر"، وقال فيه، في هداية الآيات: "التحذير من قرناء السوء كالشباب الملحد وغيره"، هذا في المتن المحشى عليه، وقال في الحاشية:نهر الخير: "أورد البخاري إيرادات لا حاجة إليها، منها: قيل:القرين هو من الشياطين، وقرئ من المصَّدِّقين بتشديد الصاد والدال من التصدق بالمال، وجعل: ﴿أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾: أنه من قول الله - تعالى - أو قول ملك، وما في التفسير هو الصواب، ولا داعي لإيراد ما بخلافه: **إذ لا فائدة منه إلا تذبذب الرأي واضطراب الفكر**"؟!!.

قلت: - سبحان الله - ما أضل عقل المتكلم بجهل! أورد البخاري إيرادات لا حاجة إليها!!، وإيراد البخاري لا فائدة منه إلا تذبذب الرأي واضطراب الفكر، وإيراده مبرأ من ذلك ؟!!

والكلام الذي أورده البخاري إنما هو كلام مجاهد - رحمه الله - لا كلامه، ولا إيراده.

وما في التفسير كما رأيت: هو أن الجزائري يذهب إلى أن القرين من الإنس، وزعم لذلك الصحة،

والصحة بعيدة عنه، ولذلك قال: " التحذير من قرنـاء السـوء.."، بـل الصـحيح خلافـه، وهـو مـا في روايـة البخاري الآتية عن مجاهد: أنه شيطان, وهذه طريقـة الجزائري: يصحح غير الصحيح ويوهن الصحيح ويبـني أحكامـه عليـه؛ فهـو كثـيراً مـا يعتمـد على الضـعاف والواهيات والموضوعات، بل والتخريفات؟!!.

فالرجل إنما ينطلـق من جهلـه وهـواه، لا من قواعـد علميـة صـحيحة كمـا هي طريقـة أهـل العلم والحـق والعدل: ﴿ وَمَنْ أَضَـلُّ مِمَّنِ اتَّبَـعَ هَـوَاهُ بِغَيْـرِ هُـدًى مِنَ اللَّهِ﴾.

قلت: ونص البخـــاري في الصـــحيح: (4/1806): "قرين: شـيطان، قـال كفـار قـريش: الملائكـة بنـات الله، وأمهاتهم بنات سروات الجن[1].

وقـــال اللـــه - تعـــالى -: ﴿وَلَقَـــدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: ستحضر للحساب".

فانظر فرق ما بين إيراده وإيراد الإمام البخاري.

سارت مشرقة وسرت مغرباً   شتــــان بين مشرق ومغرب

وتزوير الجزائري على البخاري واستخفافه به وطعنه في كلامه وتسفيه رأيه ورد نقله، وتزكية كلام نفســه بجزمه بصوابه, يرده الآتي:

---

[1] () أي: أفضل نساء الجن.

1- قوله: "هــو من الشــياطين"، لم يكن نص مــا أورده البخاري.

2- وقوله: "قيل"، لم يورده البخاري.

3- وقوله: "قـــرئ مِنَ المُصَّـــدِّقِين"، لم يـــورده البخاري هو الآخر.

4- وما ذكره من أن البخاري جعل : أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ، من قول الله، هو قول الله، ولم يجعله ولم يورده البخاري - أيضاً -.

5- وقوله: "أو قـــول ملـــك"، لم يكن من إيـــراد البخــاري؛ فقــد كــذب هــذه الكــذبات الخمس على البخاري، وقَوَّلَه ما لم يقله؟!!.

6- والذي قال فيه البخاري - كمـا رأيت **-** وقـال الله **-** تعالى **-**: وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ، الآية.

وقد فعل الجزائري ما فعله ليخلو له صحة مـا ادعـاه من اعتمـــاده على الروايـــة الضـــعيفة عن عطيـــة العوفي، وهو ضعيف, وتركه رواية البخاري الصحيحة, في صـحيحه, وهي قـول مجاهـد: "قـرين: شـيطان" الذي قال عنه الذهبي وغيره: إمام التفسير, متوهمـاً المعارضـــة بين الروايـــتين, ولـــذلك قـــال: "من الشياطين", - محرفاً روايـة البخـاري - لتلـك الغايـة؛ لأنـــه يـــرد عليهـــا مـــالا يـــرد على روايـــة البخـــاري فــ(شـيطان) قــد يكــون من الإنس وقــد يكــون من الجن, ولذلك قال الحافظ ابن كثير (في تفســيره:

(6/13): "﴿قالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَـرِينٌ﴾، قـال مجاهد: يعني شيطاناً.
وقال العوفي، عن ابن عباس: هو الرجل المشرك، يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا.
ولا تنـــافي بين كلام مجاهـــد، وابن عبـــاس؛ فـــإن الشـــيطان يكـــون من الجن فيوســـوس في النفس، ويكـــون من الإنس فيقـــول كلامـــاً تســـمعه الأذنـــان، وكلاهمـا يتعاونـان، قـال اللـه - تعـالى -: ﴿[شَـيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ] يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾، وكل منهما يوسوس، كما قـال - عـز وجل-: ﴿[قُلْ أَعُـوذُ بِـرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِـكِ النَّاسِ ۝ إِلَـهِ النَّاسِ] ۝ مِنْ شَـــرِّ الْوَسْـــوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝الَّذِي يُوَسْـــوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، ولهذا: ﴿قَـالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَـدِّقِينَ ﴾، أي: أأنت تصـــدق بـــالبعث والنشـــور والحســـاب والجـــزاء؟! يعـــني: يقـــول ذلـــك على وجـــه التعجب والتكذيب والاستبعاد", وكلام الحافظ متجه إلى ثبوت رواية عطية العوفي وهو كلام صحيح وفهم سليم لـــو ثبتت الروايـــة, ولكن ينبغي أن يكـــون المعتمـــد على رواية البخاري؛ لأن الرواية عن ابن عباس غـير ثابتـه لضعف راويها وهو عطية العـوفي - كمـا تقـدم -، ولا يؤخذ بالسقيم مع وجود الصـحيح، بـل الصـحيح - مـع المعارضـة - دليـل على وهـاء الضـعيف, وهـذا وفـق قواعد أهل العلم لا قواعد الجزائـري؛ فيؤخـذ بروايـة البخـاري, وعلى فـرض ثبـوت روايـة ابن عبـاس فلا

تنافي أو تعارض بين الروايتين، كما قال الحافـظ ابن كثير - رحمه الله - والله أعلم.

الموضع الخامس والسبعون.

خطؤه في قوله:"لا يقال يا خليفة اللـه إلا لرسـوله"، بل لا يقال خليفة عن الله مطلقاً:

فقـد قـال الجزائـري (في حاشـية تفسـيره: 4/446) عند قوله - تعالى - الآيـة: (26)، في سـورة ص: ﴿يَـا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾، الآيـة: "لا يقـال يا خليفة الله إلا لرسـوله, أمـا مـا عـدا الرسـل فـإن الخليفة منهم هو خليفة لمن قبله وليس خليفة للـه - تعـالى -, والصـحابة قـالوا لأبي بكـر خليفـة رسـول الله".

قلت: قال الرومي (في: م/6) عنـد قولـه - تعـالى - الآيــة: (30), في ســورة البقــرة﴿ : وَإِذْ قَــالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، الآية.

"قال المؤلف (1/35): الخليفـة من يخلـف غـيره..ثم قال يأمر - تعالى - رسوله أن يـذكر قولـه للملائكـة: ﴿إِنِّي جَاعِــلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَــةً﴾، يخلفــه في إجــراء أحكامه في الأرض.

قلت: تعبير المؤلف بـأن الخليفـة في الأرض يخلـف الله في إجراء أحكامه غير سليم.

وقد رد علماء السـلف هـذه العبـارة ومن ذلـك قـول شيخ الإسلام ابن تيمية (في منهاج السنة النبويــة: 4/

94): (والخليفـــة لا يكـــون خليفـــة إلا مـــع مغيب المستخلف وموته فالنبي صلى اللـه عليـه وسـلم إذا كان في المدينة امتنع أن يكون له خليفة فيها كما أن سائر من استخلفه النبي صلى الله عليـه وسـلم لمـا رجـع انقضـت خلافتـه، وكـذلك سـائر ولاة الأمـور إذا اســتخلف احــدهم على مصــره في مغيبــه بطــل اسـتخلافه إذا حضـر المسـتخلف, ولهـذا لا يصـلح أن يقال إن الله يستخلف أحداً عنه فإنه حي قيوم مــدبر لعباده مـنزه عن المـوت والنـوم والغَيبـة, ولهـذا لمـا قالوا لأبي بكر رضي اللـه عنـه: يـا خليفـة اللـه قـال لست خليفة اللـه, بـل خليفـة رسـول اللـه و حسـبي ذلك, واللـه - سـبحانه وتعـالى - يوصـف بأنـه يخلـف العبد كما قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل», وقــال في حـديث الـدجال: «واللـه خليفـتي على كـل مسـلم»، وكل من وصفه الله بالخلافة في القرآن فهـو خليفـة عن مخلوق كان قبله كقوله - تعـالى -: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْــــدِهِمْ﴾ ، ﴿وَاذْكُــــرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْـدِ قَـوْمِ نُـوحٍ﴾ ،﴿وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُــوا مِنْكُمْ وَعَمِلُــوا الصَّــالِحَاتِ لَيَسْــتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وكـذلك قولـه:﴿ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً﴾، أي: عن خلــق كــان في الأرض قبــل ذلــك كمــا ذكــره المفســرون وغــيرهم, وأمــا مــا يظنــه طائفــة من الاتحادية وغيرهم: أن الإنسان خليفة الله فهـذا جهـل وضلال).

وقال(في المنهاج - أيضاً -: 1/509): (قـال - تعـالى -: ﴿وَهُــوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَــعَ بَعْضَــكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾، وقـال - تعـالى -:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْـفَ تَعْمَلُـونَ﴾، وقال - تعـالى -: ﴿وَإِذْ قَـالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً﴾، وقـال - تعـالى -:﴿ يَـا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾، أي: خليفـة عمن قبلـك من الخلـق, ليس المـراد أنـه خليفــة عن اللــه, وأنــه من اللــه كإنســان العين من العين؛ كما يقـول بعض الملحـدين القـائلين بـالحلول والاتحاد؛ كصاحب (الفتوحات المكيــة)، إلى أن قــال: والمقصود هنا أن اللـه لا يخلفـه غـيره, فـإن الخلافـة إنما تكون عن غـائب, وهـو - سـبحانه - شـهيد مـدبر لخلقــه, لا يحتــاج في تــدبيرهم إلى غــيره, وهــو - سبحانه - خالق الأسباب والمسببات جميعاً؛ بل هـو - سـبحانه - يخلـف عبـده المـؤمن إذا غـاب عن أهلـه, ويروى أنه قيل لأبي بكر رضي الله عنه يا خليفة الله فقال: بل أنا خليفة رسول اللــه وحســبي ذاك. انتهى باختصار).

ومن العلمـاء المعاصـرين الـذين ردوا هـذه العبـارة فضيلة الشيخ: صالح الفوزان, وفضيلة الشيخ: محمد جميــل زينــو في رســالتهما في التنبيــه على أخطــاء الشــيخ محمـــد علي الصــابوني في كتابــه صــفوة التفاسير, وذلك في الصفحات من: 97 إلى 100 من الرســالة المــذكورة, ومنهم الشــيخ عبــد الــرحمن الميداني في رسالة خاصة عن هذه العبارة".

قلت: قال ابن خلدون في مقدمته (ص: 339): "وإذ قد بينا حقيقة هـذا المنصـب، وأنـه نيابـة عن صـاحب الشريعة في حفظ الدين، وسياسة الدنيا بـه، تسـمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإماماً, فأما تسـميته إماماً فتشبيهاً بإمام الصلاة في اتباعـه والاقتـداء بـه؛ ولهذا يقال: الإمامة الكبرى.

وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال: خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله.

واختلف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباساً من الخلافة العامة التي للآدميين في قوله - تعالى -: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، وقوله: جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ.

ومنع الجمهور منه؛ لأن معنى الآية ليس عليه، وقد نهى أبو بكر عنه لما دعي به، وقال: «لست خليفة الله، ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم»؛ ولأن الاستخلاف إنما هو في حق الغائب، وأما الحاضر فلا".

وقول الجزائري: "لا يقال يا خليفة الله إلا لرسوله, أما ما عدا الرسل فإن الخليفة منهم هو خليفة لمن قبله" تحكم بلا دليل يخصص الأنبياء، ويفرق بينهم وبين غيرهم، ولم أر من سبقه إلى هذا التفريق، والتحقيق في المسألة ما رأيته فيما سبق والله أعلم.

الموضع السادس والسبعون.

آزر أبو إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالنص لا كما قال تفسيراً للآية الكريمة، وقد بيناه:

فقد قال الجزائري (في حاشية تفسيره: 4/203) عند قوله - تعالى - الآية: (13), في سورة لقمان: وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ : "هو لقمان بن باعورا بن ناصور[صحته: ناحور] بن تارح, وهو آزر أبو إبراهيم, هكذا نسبه ابن اسحاق".

قلت: قال الله - تعالى -: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً، الآية.

فآزر أبو إبراهيم بالنص في هذه الآية الكريمة، وتارح أو تارخ أبوه كما في التوراة وكتب اليهود, واعتمد عليها المفسرون في تفاسيرهم، وأهل السير في سيرهم، وابن إسحاق من أقدمهم، وهم ينقلون عنه، وممن نقل عنه الطبري، وأهل التاريخ في تواريخهم، وغيرهم، كالبيهقي في سننه الكبرى والصغرى.
قال الإمام ابن جرير الطبري (في تفسيره: 11/466): "وإذ لم يكن له وجهة في الصواب إلا أحد هذين الوجهين، فأولى القولين بالصواب منهما عندي قولُ من قال: (هو اسم أبيه)؛ لأن الله - تعالى ذكره - أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائلُه أنه نعتٌ.
فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى(تارح)، فكيف يكون (آزر) اسمًا له، والمعروف به من الاسم (تارح)؟.

قيل له: غير محال أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم، وجائز أن يكون لقبًا يلقّب به".
وقال ابن كثير(في تفسيره: 3/288): "قال ابن جرير: والصواب أن اسم أبيه آزر، ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه (تارح)، ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان، كما لكثير من الناس، أو يكون أحدهما لقباً وهذا الذي قاله جيد قوي، والله أعلم".
وقد اعترض على قول ابن جرير الطبري ومحاولته الجمع، المحدث أحمد شاكر - رحمه الله - في بحث له في آخر كتاب (المعرب) للجواليقي، قال في خاتمته: "والحجة القاطعة في نفي التأويلات التي زعموها في كلمة: (آزر)، وفي إبطال ما سموه قراءات، تخرج باللفظ عن أنه علم لوالد إبراهيم: الحديث الصحيح الصريح في البخاري: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك»، إلى آخر الحديث".
قلت: فهذا النص يدل على أن (آزر) هو اسم أبي إبراهيم العلم، وهو لا يحتمل التأويل ولا التحريف، ولا ينفي توجيه الطبري، والذي جوده وقواه ابن كثير.
وقد قال علي الملا القاري - رحمه الله - (في أواخر/ معتقد أبي حنيفة في والدي الرسول صلى الله عليه وسلم) في رده على من يزعم أن المراد غير والدي الرسول صلى الله عليه وسلم بكونهما في النار: "انظر إلى ما قاله السيوطي من **الاستدلال السقوطي**!، وهو أنه قد وجه من حيث اللغة بأن العرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً، ففي التنزيل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ

يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، صلى الله عليهم، فأطلق على إسماعيل لفظ الأب، وهو عم يعقوب عليه السلام، كما أطلق على إبراهيم عليه السلام، وهو جده، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان يقول الجد أب ويتلو: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ، الآية.

وأخرج عن أبي العالية في قوله - تعالى -: وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ، عليهما السلام قال: سمى العم أباً.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: الخال والد والعم والد وتلا هذه الآية

فهذه أقوال السلف من الصحابة والتابعين في ذلك.

قلت هذه طنطنة مضرية ليس تحتها فائدة قوية إذ نفس الآية الشريفة يستفاد منها عند كل عاقل للإنباء أنه لا يصح إطلاق جمع الآباء حقيقة بالنسبة إلى واحد من الأبناء لا شرعاً ولا عرفاً على عموم الجزاء: بأن يقال المراد بالآباء الأسلاف كما قاله الأئمة الحنفية أو على استعمال اللفظ بالاشتراك بين الحقيقة والمجاز كما اختاره الشافعية.

فإذا عرفت ذلك فهل ترى أن تكون هذه الآية نظير الآيات الدالة على أن المراد بأبي إبراهيم أبوه حقيقة، و**لا يصح أنه أراد عمه مجازاً حيث لا دليل من جهة العقل الصريح، ولا من طريقة النقل الصحيح ما يصلح أن يكون مانعاً من إرادة الحقيقة وباعثاً على قصد المجاز**".

وقال: "أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال ليس آزر أبا إبراهيم، يعني اسمه، بل لقبه لما سبق جمعاً بين الأدلة

ويؤيده ما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي أنه قيل له اسم أبي إبراهيم آزر فقال: بل اسمه تارخ، يعني ولقبه آزر، وكذا ما أخرجه ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾.
وليس آزر بأبيه يعني بل لقبه وإنما هو إبراهيم بن تيرخ أو تارخ بن شاروخ بن ناحور بن فالخ
هذا ولم يذكر أحد من هؤلاء الأعلام أن آزر عم إبراهيم عليه السلام فثبت أن ذلك القيل من القول العليل".
وقال: "فبمجرد قول إخباري تاريخي يهودي أو نصراني كما عبر عنه بقيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم عليه السلام بل كان عمه كيف يعدل عن آيات مصرحة فيها إثبات الأبوة، منها قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾، وهو عطف بيان أو بدل بناء على أنه لقب له أونعت بلسانهم ونحو ذلك.
ومنها قوله - تعالى -: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۞ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾، وفي قراءة شاذة أباه.
ومنها قوله - تعالى - حكاية عن إبراهيم ﴿يَا أَبَتِ﴾، مكرراً.
ومنها قوله - تعالى -: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾".
وكان على الجزائري أن ينبه إلى الاسم الذي ورد به النص ويجزم به ولا يترك الأمر هكذا، وهو مثل

تسميته لنوح عليه الصلاة والسلام بـ(عبد الغفار)، وجزمه به - وتقدم الكلام عنه -، وتقدم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أن آزر أبا إبراهيم.

الموضع السابع والسبعون.

أخطأ بقوله عن دعوة زكريا: "المـراد من الإرث هـو: إرثه في دعوته"، وإنما المراد إرث النبوة:

فقد قال الجزائـري (في حاشـية تفسـيره ص: 857، في الطبعـة الأولى الجديـدة: 1423هـ) عنـد قولـه - تعالى - الآيـة: (6), في سـورة مـريم: ﴿يَـرِثُنِي وَيَـرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، الآية،: "المراد من الإرث هـو: إرثـه في دعوته؛ لأن مواليه كانوا مهملين للـدين والـدعوة فخاف ضياع ذلك فسـأل ربـه ولـداً يقـوم بـذلك، أمـا المال فإن الأنبياء لا يورِّثون وما يتركونه فهو صدقه".

قلت:قـــال ابن جريـــر (في تفســـيره: 17/47): "يقول:..يرث من آل يعقوب النبوة".

وقال ابن كثير (في تفسيره: 4/439), بعد ذكره: "وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره"

وقد نصر ابن كثير هـذا القـول، وممـا قالـه - بعـد أن قرر أنها وراثة النبوة لا وراثة المـال -: "فـإن النـبي أعظم منزلـة وأجـل قـدرًا من أن يشـفق على مالـه إلى ما هـذا حـده, وأن يـأنف من وراثـة عصـباته لـه، ويسأل أن يكـون لـه ولـد ليحـوز ميراثـه دونهم. هـذا **وجه**.

الثاني: أنه لم يذكر أنه كان ذا مال، بل كـان نجـاراً يأكل من كسب يديه، ومثل هذا لا يجمع مالاً ولاسيما الأنبياء، فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا.
الثالث: أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا نُورَث، ما تركنـا صـدقة», وفي روايـة عنـد الترمـذي بإسـناد صحيح: «نحن معشر الأنبيـاء لا نـورث»، وعلى هـذا فتعين حمل قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي﴾، على ميراث النبوة؛ ولهذا قال: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، كما قـال - تعـالى -: ﴿وَوَرِثَ سُـلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، أي: في النبوة؛ إذ لـو كـان في المـال لمـا خصـه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بـذلك كبـير فائـدة، إذ من المعلوم المستقر في جميـع الشـرائع والملـل أن الولد يرث أباه، فلولا أنها وراثـة خاصـة لمـا أخـبر بهـا، وكـل هـذا يقـرره ويثبتـه مـا صـح في الحـديث: «نحن معاشـــر الأنبيـــاء لا نـــورث، مـــا تركنـــا فهـــو صدقة»".
قلت: والغلط عند الجزائري هو:
أولاً:
أنه أهمل ذكر توريث يحيى النبوة، فكـان قولـه: "لأن مواليه كانوا مهملين للدعوة فخاف ضياع ذلك فسأل ربه ولداً يقوم بذلك" تسوية بين يحيى وبين المـوالي مما يشعر أن حالهم واحدة.
ثانياً: أنه شكل الراء مشددة مكسـورة خلاف روايـة البخاري ومسلم بفتح الراء دون تشديد، قال الحافظ ابن حجر (في الفتح): "الراء من قولـه: «لا نـورث»

بالفتح في الرواية، ولو روي بالكسر لصح المعنى - أيضاً -"، فكان عليه التزام الرواية، وإن كان يشهد لفعله ما في حديث مسلم، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «..وأن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم » - وهذه الرواية موافقة لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا نُورَث» -؛ وهي تعتبر مصححة لفعل الجزائري من حيث المعنى وهو ما ذهب إليه ابن حجر، لكنها كما قيل: "رمية من غير رام".

الموضع الثامن والسبعون.

ذكر أثراً عن مجاهد من قوله ولا يعلم إلا من طريق الوحي ولم يحققه، وكان عليه أن يبين حاله ولا يترك الكلام على عواهنه:

قال الجزائري(في حاشية تفسيره: 4/517) عند قوله - تعالى - الآية: (7), في سورة غافر:﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾، الآية: "قال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب: حجاب نور وحجاب ظلمة، وحجاب نور وحجاب ظلمة".

قلت: هذا الذي ذكره من قول مجاهد عند ابن جرير وغيره عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأورده الذهبي (في العلو ص: 97) من قول مجاهد دون قوله: حجاب نور وحجاب ظلمة.. - وهو في الطبري -، عند قوله - تعالى - عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، قال: "بين السماء السابعة وبين

العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقـرب موسـى حتى كان بينه وبينه حجـاب، فلمـا رأى مكانـه وسـمع صريف القلم قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾".

قال الذهبي: "هـذا ثـابت عن مجاهـد إمـام التفسـير، أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات".

وصححه الألبـاني (في مختصـر العلـو ص: 75)؛ فهـو ثـابت عن مجاهـد، ولكنـه مقطـوع، أي: من قـول مجاهـد وهـو من الغيب الـذي لا يعلم إلا بـالوحي، ويحتمل أنه من الإسرائيليات؛ فمن الخطـأ أن يـورده فيتركه هكذا دون أن ينبـه على عـدم الاعتمـاد عليـه؛ فهو كما قال الـذهبي (في العلـو ص: 99) عن خـبر عن وهب بن منبه : " فلا نرده ولا نتخذه دليلاً ".

وظاهر القرآن يدل على: أن الله قرب نبيـه موسـى وناجـاه وأنـه طلب رؤيـة ربـه فعلقهـا اللـه على استقرار الجبل فلم يستقر ودُكَّ وخر موسـى صـعقاً، قال - تعالى -: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَـهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَـالَ لَنْ تَـرَانِي وَلَكِنِ انْظُـرْ إِلَى الْجَبَـلِ فَـإِنِ اسْـتَقَرَّ مَكَانَـهُ فَسَـوْفَ تَـرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَـلِ جَعَلَـهُ دَكًّا وَخَـرَّ مُوسَـى صَـعِقًا﴾، وليس في ذلك شئ من خبر مجاهد، فيجب الوقـوف عند نص القـرآن ولا يُتَعـدى إلى مـا لم يثبت بـه علم عن طريق الوحي وهو غيب لا يعلم إلا بالوحي، والله أعلم.

الموضع التاسع والسبعون.

جدول التغيير في آيات كتاب الله: بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والتحريف والتصحيف، وهو ستون موضعاً:

هذا آخر ما أردنا من المواضع وقد رأيتَ أيها المسلم بعضاً مما لدى الجزائري من الضلالات والجهالات التي يزعم أنها تفسير لكتاب الله سماه: (أيسر التفاسير)، وما فيه من شيء من التفسير الصحيح يقابله من الباطل الشئ الكثير؛ فهو كما قيل:

ميزت بين قبيحها ومليحها فإذا القباحة بالملاحة لا تفي

وهو كالسم ممزوجاً بالعسل؛ فإن السم يغلب على العسل فيقضي على متناوله.

وذلك ما يثير حفيظة المؤمن الغيور على كتاب الله ودينه، وما نقوله حياله وينبغي أن يقوله كل مسلم: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

بل والله إن الأمر لأشد فهو قد بلغ من الدين وأهله - وكتاب الله على وجه الخصوص - أعظم من ما يبلغه الأعداء.

وبعد: فإني أطلعك - تحت هذا الموضع - على ما يدمي القلب ويؤذي الروح من التغيير في آيات كتاب الله بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والتحريف والتصحيف مما يجب معه فضلاً عن غيره أن يحرق

هذا التفسير..، كما حكم المؤلف - فيما تقـدم - على ما يما ثله، ما في تفسيره أسوأ بمراحـل ولا مقارنـة بينهما كما رأيت.

وقد تتبع الشيخ عبـد العزيـز الـرومي ذلـك، وأحصـى الكثير منها، وقـال: "**لعلي تـركت كثـيراً**"، وحمّـل المؤلـف مسـؤوليتها ؛ لأنـه لم يهتم بتصـحيح الكتـاب ومراجعة ما وقع فيه من تحريف وأوهام، وقـد تتبعت المواطن التي ذكرهـا الشـيخ الـرومي مفرقـة **-** ولم أزد عليها، ولعل الحال كما قال من تركه كثـيراً وأنـه لم يحص **-** فجمعتها وراجعتها على التفسير، وهـا هي في موضع واحد يشـتمل على سـتين خطـأً، كمـا في الجدول الآتي:

م	ج/ص	الآية محرفة	تصحيح الآية	رقمها	السورة
1	1/621	أولئك الذين أبلسوا بما كسبوا	أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا	70	الأنعام
2	1/517	ما جاءنا بشير ولا نذير	]مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ[	19	المائدة
3	1/651	وقد فصل لكم ما حرمه	وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ	119	الأنعام
4	1/322	ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تروه فقد رأيتموه وأنتم تظهرون	وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ	143	آل عمران
5	1/55	]وليزيدن به كثيراً منهم	]وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا	68	المائد

م	ج/ص	الآية محرفة	تصحيح الآية	رقمها	السورة
	2	ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً[	أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا[		ة
6	1/618	]ولكل نبأ مستقر[	]لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ[	67	الأنعام
7	1/608	أخذ سمعكم وأبصاركم	]قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ[	46	الأنعام
8	1/614	]والله يقص الحق وهو خير الفاصلين[	]إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ[	57	الأنعام
9	2/84	]وأخذ بلحية[	]وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ [	150	الأعراف
10	2/652	]إن ترى أنا أقل منك مالاً وولداً[	]إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا[	39	الكهف
11	2/605	]وتظنون إن لبثتم أي ما لبثتم[	]وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا]	52	الإسراء
12	2/595	]ألا تقتلوا أولادكم خشية إملاق[	]ولَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ[	31	الإسراء
13	2/607	]ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم[	]رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ]	54	الإسراء
14	2/611	]وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وسجدوا إلا إبليس [	[وإذ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ [	61	الإسراء
15	2/612	] إلى يوم يبعثون لأحتنكن ذريته إلا قليلاً [	]لئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا	62	الإسراء

م	ج/ص	الآية محرفة	تصحيح الآية	رقمها	السورة
			قَلِيلًا[		
16	2/85	]هدى ورحمة للذين هم بربهم يرهبون[	] هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ[	154	الأعراف
17	2/84	]أخذ بلحية[	] وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ[	150	الأعراف
18	2/129	]ولو أسمعهم لتولوا عنه [	]وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ[	23	الأنفال
19	2/316	ومن ضل فإنما يضل فعليها	]ومَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا[	108	يونس
20	2/346	]إن أجري إلا على الله الذي فطرني[	]إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي[	51	هود
21	2/195	]ولو أرادوا الخروج لأعدو له عدته[	]وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً[	46	التوبة
22	2/366	]قال يا قوم أورهطي أعز عليكم من الله[	]قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ[	92	هود
23	2/366	]سوف تعلمون بعد من يأتيه[	]سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ[	93	هود
24	2/385	]والله لئن أكله الذئب [	]لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ [	14	يوسف
25	2/70	]ألا أنما طائرهم عند الله[	]أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ[	131	الأعراف
26	2/73	]النؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل [	]لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [	134	الأعراف
2	2/73	]فلما كشف عنهم	]فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ	13	الأعرا

م	ج/ص	الآية محرفة	تصحيح الآية	رقمها	السورة
7		الرجز[	إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ[	5	ف
28	2/73	]إذ هم ينكثون[	] إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ[	135	الأعراف
29	2/92	]فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم[	]فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ[	162	الأعراف
30	2/403	الآن حصص الحق	]الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ[	51	يوسف
31	2/656	]ويقولون ياوليتنا[	]وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا[	49	الكهف
32	2/590	فتقعد ملوما مخذولا	]فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا[	22	الإسراء
33	3/81	فاجتباه ربه فتاب عليه	ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى	122	طـــه
34	3/86	ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به رجالاً منهم	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾	131	طـــه
35	3/354	وقال الذي عنده علم من الكتاب	﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾	40	النمل
36	3/391	عسى أن يهديني ربي سواء السبيل	﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	22	القصص
37	3/403	ولكنا أنشأت قروناً	﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾	45	القصص
3	3/40	فيقولوا لولا أرسلت	﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ	47	القصص

م	ج/ص	الآية محرفة	تصحيح الآية	رقمها	السورة
8	3	إلينا رسولاً	إِلَيْنَا رَسُولًا﴾		ص
39	3/615	]افتراه[	﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾	43	سبأ
40	3/615	]ولم يبلغوا معشار ما أتيناهم[	]وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ[	45	سبأ
41	3/619	]فلا فوت لهم[	]وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ[	51	سبأ
42	3/628	]ويدخل النهار في الليل[	]وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ[	13	فاطر
43	3/630	]إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين[	]إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ[	16	فاطر
44	3/638	وهم يصطرخون فيها يقولون ربنا أخرجنا	]وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا[	37	فاطر
45	3/612	]قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر[	]قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ[	39	سبأ
46	3/574	ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن امرأة	﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾	52	الأحزاب
47	3/579	وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بكُل شيء عليماً	﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾	55	الأحزاب
48	3/627	كل يجري إلى أجل مسمى	﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾	13	فاطر
49	3/648	]فقالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا [	]قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا [	15	يــس

م	ج/ص	الآية محرفة	تصحيح الآية	رقمها	السورة
50	3/646	]وأغشيناهم فهم لا يبصرون[	]فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ[	9	يــس
51	3/637	]ومنهم سابق للخيرات بإذن الله[	]وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ[	32	فاطر
52	3/675	فاهدوهم إلى صراط مستقيم	]فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ[	23	الصافات
53	3/429	فليعلمن الذين صدقوا	]فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا[	3	العنكبوت
54	3/700	]فإنكم وما تعبدون من أصنام[	]فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ[	161	الصافات
55	3/534	إن ربك يفصل بينهم	]إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ[	25	السجدة
56	3/539	ولكن فيما تعمدت قلوبكم	]وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ[	5	الأحزاب
57	3/593	]ويعلم الذين أوتوا العلم [	]وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ [	6	سبأ
58	3/357	]قيل لها أهكذا عرشك[	]فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ [	42	النمل
59	3/357	]فقالت كأنه هو[	] قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ [	42	النمل
60	3/357	]فكشفت عن ساقيها[	]وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا[	44	النمل

قلت: وهذا ستون موضعاً أتى عليها الجزائري بما رأيت من الزيادة والنقص والتحريف والتصحيف والتقديم والتأخير، وقد زهد عبد المحسن العباد - في رده على الرفاعي والبوطي - في تتبعها؛ فقد قال: "وقد ذكر الكاتب أشياء ادعى الحذف فيها لم أتعرض لها لعدم تمكني من معرفة الصدق أو الكذب فيها، ولو صح شيء منها فإنه ينسب إلى من فعله من الناشرين وغيرهم" فهو يقلل من أهمية ذلك،ويبرئ الجزائري منه ويحمله غيره بدون علم، ويجادل عنه بالباطل، وكأنه بعبارته يريد أن يفهم عنه أنه لما لم يتعرض لما ادعيَ فيه الحذف قد تعرض لغيرها، ولم يكن شيء من ذلك، بل لم يقرأ التفسير!!.

وقد قال الشيخ حمود بن عبدالله التويجري (في ختام كتابه: الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية): "إن الاعتذار عن الأقوال الباطلة والدفاع عنها دليل على الرضا بها، ومن رضي عمل قوم فهو مثلهم، ولا يخلو الذي يعتذر عن الأقوال الباطلة من أحد أمرين: إما أن يكون عالماً ببطلانها وهو مع ذلك يدافع عنها ويطلب لها التوجيهات المتكلفة؛ فهذا يلحق بأهل الباطل، ويعامل بما يعاملون به من المفارقة والمنابذة حتى يرجع عن المدافعة عن الأقوال الباطلة.

وإما أن يكون جاهلاً بأنها باطلة؛ فهذا ينبغي تعليمه فإن أصر بعد العلم ببطلانها؛ فإنه يلحق بأهلها

ويعامل بما يعاملون به من المفارقة والمنابذة".

ولقد طلبت من العباد في مكالمـة هاتفيـة ألا يجـادل عن الجزائري بالباطل وأن يرجـع إلى تفسـيره, وأنـا أعطيـه الملاحظـات وأحـدد لـه المـواطن الـتي فيهـا الأخطاء بالجزء والصفحة والسطر فـأبى أشـد الإبـاء واتبـع هـواه, وأصـر على دفاعـه عنـه وعن تفسـيره والمجادلة بالباطل؟!!.

ثم **أقول**: هل يصح بعدما تقدم كله قـول الجزائـري (في رسـائله: 1/800): "كمـا أن هنـاك (أيسـر التفاسير) وعليه (نهر الخـير) في إمكـان كـل طـالب علم أن يُدَرِّسَه في مساجد الأمة ويربي عليه ويعمـل بـه؟!!, وهـو تفسـير خـالٍ من الخلافـات والروايـات الضعيفة, والآثار غير النافعـة الـتي حشـيت بهـا كثـير من التفاسير لكتاب الله - تعالى -".

وقل لمن يدعي في العلم فلسفةً حفظت شياً وغابت عنك أشياء

***

ومن تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

***

غراب تعلم مشي الحمام وزاد تعلم مشي الحجل

فأرقل ما بين هذا وذا فلا ذا تأتى ولا

ذا حصـــــل

أما ما يكذب دعـواه من الناحيـة المنهجيـة والعقديـة والعلميـة والتخليـط في الخلاف والآثـار فقـد مضـى، وأما قوله: "والروايات الضـعيفة"، فليس هـذا غريبـاً على رجل جاهل يعلق في هامش رسالته: (اللقطات فيما ظهر للساعة من علامات)، (ضمن الرسائل: 3/ 453) بقوله: "ليعلم القارئ أن مـا أوردنـاه في هـذه الرسالة من الأحاديث النبوية بعضـه صـحيح الإسـناد، وبعضه حسنه، وبعضه ضعيفه، ولكن مادام الواقع قد شهد لـه بالصـحة؛ **فإذاً لم نكلـف أنفسـنا عنـاء التخـريج والتصـحيح؛ لأن من علامـات صـحة الحــديث مطابقتــه للواقــع، ومن علامــات وضعه مخالفته له**"!!.

وهــذه القاعــدة تهــدم قولــه: "خــالٍ من..الروايــات الضــعيفة"، وتلغي جهــود علمــاء الملــة - من أهــل الحديث - لحفظ السـنة النبويـة وهي الـوحي الثـاني والمبينة للقـرآن، وبإلغائهـا يهـدم الـدين، مخالفـاً بهـا إجمـاع العلمـاء والأئمـة المهـديين من أهـل الجـرح والتعديل سـلفاً وخلفـاً، وشـاذاً عنهم ومسـتخفاً بهم، حيث قرروا: أن الإسناد من الـدين، ولـولاه لقـال في الدين من شاء ما شاء، وهو ما يفعله هذا الجزائــري، بل يلغي علماً قائماً بذاته على مر العصـور يعيش لـه الجهابذة من العلماء وأئمة أهل الحديث.

وأسوته في ذلك: الكتاني، والغماري، ومن على شاكلتهما من العصريين الجاهلين المتحررين، الذين ليس لديهم منهجية أهل العلم والفقه في الدين!!.

قال محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - (في السلسلة الضعيفة: 4/36) تحت - ما يُزْعم أنه - حديث: «إذا أبغض المسلمون علماءهم..إلخ»: "قال الحاكم صحيح الإسناد،ورده الذهبي بقوله: بل منكر منقطع ..". ثم قال الألباني: "كتب بعض الطلاب الحمقى وبالحبر الذي لا يمحى عقب قول الذهبي المتقدم: قلت: صحيح جداً..؟؟!!.

كأن هذا الأحمق يستلزم من مطابقة معنى الحديث الواقع أنه قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا جهل فاضح، فكم من مئات الأحاديث ضعفها أئمة الحديث وهي مع ذلك صحيحة المعنى، ولا حاجة لضرب الأمثلة على ذلك ففي هذه السلسلة ما يغني عن ذلك، ولو فتح باب تصحيح الأحاديث من حيث المعنى دون التفات إلى الأسانيد لاندس كثير من الباطل على الشرع، ولقال الناس على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقل . ثم تبوءوا مقعدهم من النار، والعياذ بالله تعالى ".

قلت: ما أكثف حمق الجزائري!؛ فهو لجهله قد رد على نفسه من حيث لا يشعر، وأبطل ما جعله بتعليله دليلاً له؛ لأنه قال: "**من علامات صحة الحديث مطابقته للواقع، ومن علامات وضعه مخالفته له**" فمن تبعيضية تدل - لو صحت - على أنها بعض العلامات وهناك علامات أخرى غيرها فليست دليلاً بمفردها، وإن كان هذا الكلام

باطلاً بلا شك، فأي واقع يوزن به الحـديث؟، وقدوتـه من ذكرنـــا من الشـــاذين، وأمثـــالهم من الجهـــال الحمقى،وهو بهذا التعليق الفاسد قد تجـاوز الحـديث الضعيف، مما يفهم منه أنـه يقبـل الحـديث الضـعيف على علاته.. شديد الضـعف أم خفيفـه، وأنـه إذا صـح الحديث أو ثبت - إسناداً - مخالفاً للواقع - متناً - يـرد ولا يقبـل، فـأي واقـع هـذا الـذي يـرد النـاس إلى - الجاهلية - مـا قبـل الرسـالة، وكم سـيرد من السـنة الصـحيحة بهـذه القاعـدة الباطلـة، وكم ينـدس من الباطل على الشرع ولا يميز أو يعرف مـا ليس منـه، كما ذكر الألباني؟!!.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - كما تقـدم في أول الكتـاب - عن علمـاء حفـظ الـدين، أي: حفظـه عن أمثال الجزائـري: "وخصـهم بالروايـة والإسـناد الـذي يميز به بين الصدق والكذب الجهابـذة النقـاد، وجعـل هذا الميراث يحمله من كل خلف عدولـه: أهـل العلم والـــدين؛ ينفـــون عنـــه تحريـــف الغـــالين، وانتحـــال المبطلين وتأويـل الجـاهلين؛ لتـدوم بهم النعمـة على الأمة، ويظهر بهم النور من الظلمة، ويحـيي بهم دين اللـه الـذي بعث بـه رسـوله، وبين اللـه بهم للنـاس سـبيله .. ولهم من التعـديل والتجـريح، والتضـعيف والتصحيح من السعي المشكور والعمـل المـبرور مـا كان من أسـباب حفـظ الـدين، وصـيانته عن إحـداث المفترين"؛ فالجزائري من المحدثين المفـترين يجب أن يصان عنه وعن أمثاله الدين.

وقد جنى على الدين كثيراً - مع جنايات أخرى - بهذه القاعدة الباطلة الماحقة أعني: قاعدة تصحيح الحديث بمطابقته للواقع والحكم بوضعه بمخالفته للواقع. وحين طبقها في تفسيره وفي تحيشته عليه: نهر الخير، وفي كتبه الأخرى، وخصوصاً تخريفاته في رسالته: (اللقطات)، والرسالة الأخرى: (أحاديث المخترعات)؛ لأنها قاعدة تصادم نصوص حفظ الدين، وتلك الأحاديث تحتاج إلى تتبع: في تفسيره وتعليقه وتحشيته عليه، وكتبه الأخرى في مؤلف خاص، ولعل الله يوفق من أهل العلم من يتتبعها فيجلي حالها.

قلت: وقد يقال: إن الجزائري يختصر في تفسيره وأنت تطيل في الرد عليه، وأقول إن الباطل وإن كان قليلاً إلا أن رده وكشف زيفه يتطلب حججاً تبين بطلانه وتقضي على ما فيه من شبه مضللة، ولست ببدع في ذلك؛ فهذه طريقة أهل العلم، وكتابي هذا يبحث في المنهج والعقيدة والتفسير والعلم؛ لأن الرجل أساء إلى ذلك كله وضلل في ذلك كله، بجهله وفساد مشربه وحمقه وسوء تصرفه.

ولقد استخرجت من تفسير الجزائري أباطيله - وبعضها - بـ:(المناقيش) كما قال البلقيني عن تفسير الزمخشري: (الكشاف)، حسبة وخدمة لكتاب الله العزيز، على أن تفسير الزمخشري لا يداني تفسير الجزائري كثرة في الضلالة ووضوحاً وخفاءاً؛ فضلالات الجزائري مع جهالاته - على خلاف

الزمخشري -، وجهالاته وضلالاته كثير منهـا لا يحتـاج إلى منـاقيش عنـد ذوي البصـيرة، حـتى اعتزالـه لا يحتـاج إلى منـاقيش كـاعتزال الزمخشـري وابتداعـه أكبر من ابتداعه.

الفصل الثامن عشر.

تأييد الشيخ ابن باز لفضيحة أمثال الجزائري:

قال سماحة شيخنا الإمام عبدالعزيز بن بـاز - رحمـه الله - (في تقريظه لكتاب الشيخ بكر أبو زيـد: بـراءة أهل السنة من الوقيعـة في علمـاء الأمـة):"فضـحتم فيها المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري بنقل ما كتبـه من السـب والشـتم والقـذف لأهـل العلم والإيمـان، واستطالته في أعراضهم، وانتقـاده لكتبهم، إلى أخـر مـا فـاه بـه ذلـك الأفـاك الأثيم، عليـه من اللـه مـا يستحق"

و**أقول**: ماذا سيقول لو رأى البلايا والطوام والبقـائع التي كتبها وفاه بها وأذاعهـا ونشـرها هـذا الجزائـري، مما رأيته واطلعت على بيانه في هذا الكتـاب، ومـاذا سـيقول أمثالـه من العلمـاء، وطلاب العلم البـاحثين عن الحق الغيورين على الدين، وكتاب رب العـالمين وسنة سيد المرسلين؟.

الفصل التاسع عشر.

ذكر قاعدة نافعه في إذا وضح الحق وبان لم يبق للمعارضة العلمية ولا العملية محل:

وأخيراً نذكر قاعدة نافعة من قواعد تفسير كتاب الله أوردها العلامة السلفي المحقق عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - في كتابه: (القواعد الحسان لتفسير القرآن ص158)، قال: "**القاعدة الثانية والخمسون:**

إذا وضح الحق وبان لم يبق للمعارضة العلمية ولا العملية محل، وهذه قاعدة شرعية عقلية فطرية قد وردت في القرآن وأرشد إليها في مواضع كثيرة.

وذلك: أنه من المعلوم أن محل المعارضات وموضع الاستشكالات وموضع التوقفات ووقت المشاورات إذا كان الشيء فيه اشتباه أو احتمالات؛ فترد عليه هذه الأمور؛ لأنها الطريق إلى البيان والتوضيح.

فإذا كان الشيء لا يحتمل إلا معنى واحداً واضحاً وقد تعينت المصلحة فالمجادلة والمعارضة من باب العبث، والمعارضُ هنا لا يُلتفت إلى اعتراضاته؛ لأنه يشبه المكابر المنكر للمحسوسات، قال - تعالى -: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، يعني: وإذا تبين هذا من هذا لم يبق للإكراه محل؛ لأن الإكراه إنما يكون على أمر فيه مصلحة خفية، فأما أمر قد اتضح أن مصالح وسعادة الدارين مربوطة ومتعلقة به فأي داع للإكراه فيه ؟.

ونظير هذا قوله - تعالى -: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ أي: هذا الحق

الذي قامت البراهين الواضحة على حقِّيَّته، فمن شاء فليؤمن ومن شـاء فليكفـر،كقولـه: ﴿لِيَهْلِـكَ مَنْ هَلَـكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، وقال - تعـالى -:﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، أي: في الأمور التي تحتاج إلى مشاورة، ويُطلب فيها وجه المصلحة، فأمـا أمـر قـد تعينت مصـلحته وظهـر وجوبـه، فقـال فيـه: ﴿فَـإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

وقد كشف الله هذا المعنى غاية الكشف في قولـه:﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ أي: فكل من جادل في الحق بعد ما تـبين علمـه، أو طريـق عملـه، فإنـه غالط شرعاً وعقلاً.

وقال - تعـالى -:﴿ وَمَـا لَكُمْ أَلَّا تَـأْكُلُوا مِمَّا ذُكِـرَ اسْـمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَـدْ فَصَّـلَ لَكُمْ مَـا حَـرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾، فلامَهُم على عدم التزام الأكل مما ذكر اسم الله عليه، وذكر السبب لهذا اللوم؛ وهو أنـه - تعـالى - فصـل لعبـاده كل ما حرم عليهم، فما لم يـذكر تحريمـه فإنـه حلال واضح ليس للتوقف عنه محل.

ولما ذكر - تعالى - الآيات الدالة على وجوب الإيمـان وَبَّخَ ولام المتوقفين عنه بعد البيان فقال: ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُـرْآنُ لا يَسْـجُدُونَ﴾، ولمـا بين جلال القــرآن وأنــه أعلى الكلام وأوضــحه بيانــاً وأصدقه وأنفعه ثمرة قـال - تعـالى -:﴿ فَبِـأَيِّ حَـدِيثٍ بَعْــدَ اللَّهِ وَآيَاتِــهِ يُؤْمِنُــونَ﴾ ولمــا ذكــر عظيم نعمــه الظـاهرة والباطنـة قـال - تعـالى -:﴿ فَبِـأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَـارَى﴾، وقــال - تعــالى -:﴿ فَمَــاذَا بَعْــدَ الْحَــقِّ إِلَّا الضَّــلالُ﴾، وكـذلك في آيـات كثـيرة يـأمر بمجادلـة

المكذبين ويجادلهم بالتي هي أحسن حتى إذا وصل معهم إلى حالة وضوح الحق التام وإزالة الشبه كلها انتقل من مجادلتهم إلى الوعيد لهم بعقوبات الدنيا والآخرة، والآيات في هذا المعنى الجليل كثيرة جداً"

وفي الختام أقول: إن الذين قاموا بطبع تفسير الجزائري للكسب المادي, والذين شروه بكميات كبيرة ووزعوه بقصد نشر العلم وأرادوا الخير، وكم من مريد للخير لم يوفق إليه, قد أعانوا على نشر الجهل والضلال والباطل, وأساءوا إلى الدين والمسلمين, وكذلك من مدحوا هذا التفسير وأثنوا عليه بغير علم, ومن دافع عنه وعن صاحبه بالباطل والهوى، يجب عليهم جميعاً التوبة وعدم الكتم بعد علمهم بما فيه؛ لأنه لا عذر لهم وقد قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾, ومن البيان نشر الردود عليه والتصحيح لما فيه من هنات, ولا تكون التوبة توبة إلا بذلك, ومن ذلك عدم بيع ونشر نسخ الكتاب على حالها, وإلا يكون ذلك خيانة ومشاركة لمؤلف الكتاب في الإضرار بالدين والمسلمين, وهو خلاف النصيحة المأمور بها شرعاً: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

وأقول كما قال الإمام ابن القيم في نونيته:

إنا أبينا أن ندين ببدعة وضلالة أو إفك ذي بهتان

وقوله - رحمه الله -:

تالله ما بعد البيان لمنصف إلا العناد ومركب الخذلان

والحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على نبي الله ورسوله ومصطفاه من خلقه أجمعين محمــد بن عبداللــه الأمين وعلى جميــع آلــه وأصــحابه الطيــبين الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتب:
فالح بن نافع
المُخَلَّفِي الحربي
عبر رحلة
سنوات، وقد تمت مراجعته
في رمضان عام
أربعة وثلاثين وأربعمئة
وألف من
الهجرة النبوية المباركة،
وتمت
مراجعته ليلة: 29/1435هـ.
و..أخيراً
ليلة: 17/7/1436هـ